

استخدام الانترنت لدى طلبة كلية الآداب بجامعة عمر المختار: دراسة ميدانية

يحيى محمد موسى^{1*}

قسم المكتبات، كلية الآداب، جامعة عمر المختار

Doi: <https://doi.org/10.54172/452q0p34>

المستخلص :

تعتبر تكنولوجيا الإنترنت أحد الوسائل الحديثة التي تسهم في تسهيل حياة الأفراد وتوفير مصادر متعددة للمعرفة. تتناول هذه الدراسة الأسباب والدوافع التي تحفز طلبة كلية الآداب في جامعة عمر المختار على استخدام الإنترنت، وتسلط الضوء على الصعوبات والمشاكل التي تعترض طريقهم، بالإضافة إلى التركيز على المنافذ التي يستخدمونها للوصول إلى خدمات الإنترنت. يختتم المقال بتقديم توصيات عملية استناداً إلى النتائج المستخلصة من الدراسة، مع التركيز على تحسين جودة الخدمات الرقمية وتقديم حلول فعالة لتجاوز التحديات التي يواجهها الطلبة.

الكلمات المفتاحية: الانترنت، طلبة، المعرفة، كلية الآداب

Internet Usage among Faculty of Arts Students at Omar Al-Mukhtar University: Field Study

Yahya Muhammad Musa

Libraries Department, College of Arts, Omar Al-Mukhtar University

Abstract: Internet technology is considered one of the modern means that contributes to facilitating individuals' lives and providing diverse sources of knowledge. This study examines the reasons and motivations that drive students of the Faculty of Arts at Omar Al-Mukhtar University to use the Internet. It sheds light on the difficulties and problems they encounter, in addition to focusing on the channels they use to access Internet services. The article provides practical recommendations based on the results extracted from the study, focusing on improving the quality of digital services and offering effective solutions to overcome the challenges students face.

Keywords: Internet, students, knowledge, College of Arts

تمهيد

شهد العالم في الفترة الأخيرة ثورة هائلة في المعلومات والتكنولوجيا، مما جعل الفرد بإمكانياته التقليدية غير قادر على متابعة هذا الكم الهائل.

فالمعلومات في هذا العصر طالت جميع جوانب الحياة الإنسانية، حيث أصبحت عصب الحياة وقوامها، وإن هذا الانفجار المعلوماتي والمعرفي جاء نتيجة للتطور الهائل في تقنيات الاتصالات، ونتيجة لحدوث ثورة المعلومات وانتشار أجهزة الحاسوب وتوظيفها في جميع المجالات واستخدامها من قبل الأفراد والمؤسسات على مختلف أنواعها وأشكالها.

ونظراً لزيادة الحاجة للمعلومات والوصول إليها بسرعة ودقة، فقد ظهرت شبكة الإنترنت التي ساهمت بدرجة كبيرة في تبادل ونقل المعلومات وسهلت الاتصال رغم التباعد الزمني والمكاني، فقد ألغت الحواجز والحدود بين شعوب العالم، فهي جعلت العالم كقرية صغيرة مترابطة.

وقد ساهم استخدام الإنترنت في التعليم إلى تطوير العملية التعليمية، حيث أصبح أداة فعالة في البحث والاكتشاف من قبل مستخدميه، حيث وفر لهم القدرة على الاتصال والتبادل ونقل ونشر المعلومات بدرجة كبيرة من الدقة والجودة.

مشكلة الدراسة:

يتميز العصر الحالي بانفجار المعلومات، فهو عصر التطورات في شبكات المعلومات، حيث اكتسب الإنترنت شهرة واسعة وتعددت استخداماته في جميع مجالات الحياة وخاصة في المراكز والمؤسسات التعليمية.

لذا تنتظر كثير من الجامعات والمؤسسات التعليمية إلى الإنترنت كوسيلة من وسائل العلمية التعليمية الفعالة والمهمة؛ لإكساب الطلاب مهارات وخبرات في البحث عن المعلومات وإعطائهم فرصة التواصل مع الآخرين من الداخل والخارج.

فالإنترنت فتح جانب مهم في عملية البحث والنقصي؛ حيث يسمح للمستخدمين الوصول إلى احتياجاتهم في أسرع وقت وبأقل جهد، كما قام بإلغاء الحدود والحواجز؛ لأصبح العالم قرية صغيرة تتبادل المعلومات وتتواصل بسهولة ويسر.

وبعد أخذ عينة استطلاعية من طلبة جامعة عمر المختار وجدنا قصور لدى عدد كبير منهم في استخدام شبكة الانترنت، مما دعاني إلى دراسة استخدام طلبة كلية الآداب بجامعة عمر المختار للإنترنت لمعرفة أسباب القصور.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى عدد من الأهداف منها:

1. معرفة المنافذ التي يستخدمها طلبة كلية الآداب بجامعة عمر المختار للحصول على الإنترنت.

2. تحديد الصعوبات والمشاكل التي تواجه طلبة كلية الآداب بجامعة عمر المختار في استخدام الإنترنت .

3. معرفة الأسباب والدوافع التي دفعت طلبة كلية الآداب بجامعة عمر المختار إلى استخدام الإنترنت .
تساؤلات الدراسة :

1. ما المنافذ التي يستخدمها طلبة كلية الآداب بجامعة المختار لاستخدام الإنترنت ؟
 2. ما الصعوبات والمشاكل التي يواجهها طلبة كلية الآداب بجامعة عمر المختار في استخدام الإنترنت؟
 3. ما الأسباب التي دفعت طلبة كلية الآداب بجامعة عمر المختار لاستخدام الإنترنت ؟
- مصطلحات والمفاهيم :

الحاسوب : "هو مجموعة متداخلة من الأجزاء لديها هدف مشترك من خلال أداء التعليمات المخزنة"⁽¹⁾ .
الشبكات : هي مجموعة من الحواسيب على الأقل اثنين ربطت مع بعضها البعض لتمكين مستخدميها فيما بينهم من أجل تبادل المعلومات والمشاركة في البيانات⁽²⁾ .
الإنترنت : هي "شبكة من الحاسبات الإلكترونية سواء المتشابهة أو المختلفة الأنواع والأحجام ترتبط مع بعضها البعض عن طريق بروتوكولات تحكم عملية تشارك وتبادل المعلومات"⁽³⁾ .
أدوات جمع البيانات :

استخدمت الدراسة عدداً من أدوات جمع البيانات وهي:

1. الاطلاع على أدبيات الموضوع :

اعتمدت الدراسة على أدبيات الموضوع من (كتب، ومقالات وبحوث الدوريات، والرسائل الجامعية المتعلقة بموضوع الدراسة ، ومواقع على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت).

2. استمارة الاستبيان :

أعدت استمارة الاستبيان المغلق المفتوح ، وتتكون من ثلاثة محاور رئيسة يتناول أولها معلومات عامة حول عينة الدراسة من حيث الجنس والقسم والمرحلة الدراسية .
بينما المحور الثاني يتناول معلومات حول استخدام شبكة الإنترنت من حيث أماكن استخدامها، والتوقيت المناسب لاستخدامها ، ومعدلات الاستخدام الخ .
أما المحور الثالث تتناول خدمات الإنترنت التي تقدمها وأنواع محركات البحث الأكثر استخداماً والصعوبات التي تواجههم الخ .

¹ - محمد أحمد فكيرين . أساسيات الحاسب الآلي .. بيروت : دار الراتب الجامعية ، 1993 ، ص 8

² - جعفر صادق الحسن ، سرحان سليمان دواد . تكنولوجيا شبكات الحاسوب .. رياض : دار وائل ، 2001 ، ص 143 - 144 .

³ - غالب عوض النوايسة . خدمات المستفيدين في المكتبات ومراكز المعلومات .. ط2 .. عمان : دار صفاء ، 2002 ، ص 287 .

منهج الدراسة :

تم الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج الوصفي الذي يستخدم في دراسة الأوضاع الراهنة للظواهر من حيث خصائصها وأشكالها وعلاقاتها، والعوامل المؤثرة في ذلك. وهذا يعني أن المنهج الوصفي يهتم بدراسة حاضر الظواهر والأحداث مع ملاحظة أنه يشتمل في كثير من الأحيان على عمليات تنبئ لمستقبل الظواهر والأحداث التي يدرسها. يرتبط استخدام المنهج الوصفي غالباً بدراسات العلوم الاجتماعية والإنسانية، والتي استخدم فيها منذ نشأته وظهوره، ولكن هذا لا يعني أن استخدامه وتطبيقه يقتصر على هذه العلوم فحسب بل إنه يستخدم أحياناً في دراسات العلوم الطبيعية لوصف الظواهر الطبيعية المختلفة. يقوم المنهج الوصفي على رصد ومتابعة دقيقة لظاهرة أو حدث معين بطريقة كمية أو نوعية في فترة زمنية أو فترات عدة من أجل التعرف على الظاهرة أو الحدث من حيث المحتوى والمضمون والوصول إلى نتائج وتعميمات تساعد في فهم الواقع وتطويره⁽¹⁾.

مجتمع الدراسة :

ضم مجتمع الدراسة طلاب كلية الآداب بجامعة عمر المختار بالمرحلة الجامعية الأربعة (الأولى ، والثانية ، والثالثة ، والرابعة) . ونظراً لكثرة عدد مجتمع الدراسة والذي بلغ (2927) طالب فأخذت منه عينة عشوائية بسيطة ، حيث وجود احتمال متساوي أمام جميع أفراد العينة ، فأخذت نسبة 5% من مجتمع الدراسة وقدرها 146 طالب من جميع الأقسام ، والتي عددها 13 قسم موزعه على الشكل الآتي :

¹- ربحي مصطفى عليان، عثمان محمد غنيم. أساليب البحث العلمي : الأسس النظرية والتطبيق العلمي.. ط2، مزينة ومنقحة.. عمان : دار صفاء للنشر والتوزيع، 2008، ص 52.

الجدول (1) يوضح عينة الدراسة حسب مراحلهم الدراسية

القسم	المرحلة	الأولى	الثانية	الثالثة	الرابعة	المجموع	النسبة
المكتبات	2	2	2	2	2	8	%5.5
تاريخ	2	3	3	2	2	10	%6.7
الإعلام	2	3	3	4	2	12	%8.1
علم الاجتماع	2	2	3	3	2	10	%6.7
دراسات إسلامية	2	2	3	3	2	10	%6.7
جغرافيا	2	2	2	2	2	9	%6.1
الآثار	1	1	1	2	2	5	%3.4
اللغة الفرنسية	1	1	1	2	1	5	%3.4
تفسير	1	1	1	1	1	4	%2.6
علم النفس	2	2	2	2	2	8	%5.5
اللغة العربية	2	2	2	2	2	9	%6.1
التخطيط	3	3	3	3	3	12	%9.5
اللغة الإنجليزية	10	10	11	13	44	29.7	%
المجموع	32	34	38	40	146	100	%

حدود الدراسة :

الحدود المكانية: تناولت الدراسة ميدانياً كلية الآداب جامعة عمر المختار بمدينة البيضاء.

الحدود الزمنية: جرت الدراسة خلال العام الدراسي 2012 – 2013 .

الحدود الموضوعية: تناولت الدراسة موضوع استخدام الإنترنت لدى طلبة كلية الآداب بجامعة عمر المختار.

الحدود البشرية : اقتصر على عينة من طلبة كلية الآداب بجامعة عمر المختار بأقسامها المختلفة وبمراحلها الأربعة .

الدراسات السابقة :

تم الاطلاع على بعض الرسائل الجامعية والبحوث والدراسات المنشورة في الدوريات التي لها علاقة بموضوع الدراسة ، حيث تناولت هذه الدراسة موضوع استخدام الإنترنت لدى طلبة كلية الآداب بجامعة عمر المختار : دراسة تحليلية ، وقد بلغ عددها أربعة دراسات، ورتبت زمنياً وفقاً لسنوات صدورها من الأقدم إلى الأحدث على النحو التالي :

1. منوبة رجب المنقاوي . استخدامات شبكة الإنترنت ومدى الاستفادة منها في مجال البحث العلمي من جانب طلبة الدراسات العليا في أقسام العلوم البحتة والتطبيقية – جامعة الفاتح . – طرابلس : جامعة الفاتح – كلية الآداب ، 2006 – رسالة ماجستير.

تتناول هذه الدراسة استخدامات شبكة الإنترنت ، ومدى الاستفادة منها في مجال البحث العلمي من جانب طلبة الدراسات العليا ، في جامعة الفاتح أقسام العلوم البحتة والتطبيقية ، وتهدف الدراسة إلى قياس مدى الاستفادة من خدمات الشبكة الدولية الإنترنت .

ولهذا قامت الباحثة بتصميم وتوزيع استبيان على طلبة الدراسات العليا بالجامعة فترة الدراسة الذي يتناول عدة محاور أهمها ، دوافع وأغراض استخدام الشبكة ، وحجم الاستفادة ، والتعرف على محركات البحث المستخدمة من قبل الطلبة ، والصعوبات التي تحول دون الاستفادة التامة من الخدمة كما بينت الدراسة رأي المستفيد ودرجة الاستفادة من المجالات التي تخدمها وتقدمها الشبكة .

أسفرت الدراسة على النتائج التالية وهي : أن نسبة 84% من حجم العينة لديهم دراية بنظم التشغيل وكذلك نسبة 22% منهم التحقوا بدورات لتعليم كيفية استعمال الشبكة ، ووضحت الدراسة أن 41% منهم يستفيدون من الخدمة بدرجة عالية ، وكذلك درجة الرضا عند الاستخدام بلغ 26.06% بدرجة جيد بينما 26.20% بدرجة ممتاز ، ونسبة 11.72% بدرجة ضعيف ، استنتجت الدراسة أن أغراض استخدام الشبكة هي البحث والإطلاع على البحوث السابقة ، ثم البحث في مصادر المعلومات وكذلك لأغراض كتابة البحوث ، بالإضافة إلى البحث في المكتبات عبر الإنترنت ، ومن نتائج الدراسة أن الدوافع الرئيسية لاستخدام الشبكة هي قلة المصادر والمراجع في المكتبات ، واختصار الوقت والجهد في الوصول إلى المعلومات ، وكذلك سهولة الاستفادة من المعلومات المتاحة، كما أظهرت الدراسة أن أكثر محركات البحث استعمال هي لـ Google و الـ Yahoo والـ altvista ، ومن أهم النتائج هو رضا المستفيدين عن خدمات الشبكة ودرجة أهميتها بالنسبة لهم بحيث شكلت نسبة 44% منهم لدرجة جيد جداً ونسبة 26% لدرجة الجيد ونسبة 24% بدرجة ممتاز .

2. ابتسام رزق عبد الحميد أميسي . رواد مقاهي الإنترنت بمدينة البيضاء سماتهم واتجاهاتهم وأنماط استخداماتهم لشبكة الإنترنت : دراسة مسحية .- البيضاء : جامعة عمر المختار - كلية الآداب ، 2007 - رسالة ماجستير .

تناولت الدراسة رواد مقاهي الإنترنت بمدينة البيضاء من حيث سماتهم واتجاهاتهم وأنماط استخداماتهم لشبكة الإنترنت ومدى إفادتهم منها مع تعيين سلبيات وإيجابيات الاستخدام. استخدم المنهج المسحي والتاريخي وجرى توظيف استبانتيين مع الزيارات الميدانية وأدبيات المجال في جمع المعلومات اللازمة . وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها :

أن أول استخدام للإنترنت بمدينة البيضاء كان عام 2001 وذلك من خلال قيام أحد أفراد المجتمع باستخدام خط هاتفي بحاسبة الخاص . وتتراوح أعمار الشرائح العمرية المستخدمة لهذه المقاهي ما بين 16 - 35 عاماً ، وأكثر الفئات تردداً هي فئة الطلاب على اختلافهم وتغلب نسبة الذكور على الإناث ، وأكثر محركات البحث شيوعاً بين المترددين هما الياهو والجوجل . وأكثر الفترات استخداماً للإنترنت هي الفترة المسائية بعد الساعة السابعة . وأغلب الرواد يستخدمون الإنترنت من ساعة إلى ساعتين في المرة الواحدة . وكان غالبيتهم يعانون من ضعف لغتهم الإنجليزية . وقد أكدت الدراسة على أن ما نسبته 40% غير راضيين عن استخدامهم للإنترنت . وأن 51% قد كلفهم استخدام الإنترنت في

الأسبوع الواحد ما بين 5 - 10 دنانير. و 45% كانوا مبتدئين في استخدام الإنترنت . وأكد 85% على ضرورة وجود رقابة على المواقع المتاحة والمضرة للأخلاق والسلوك .

وأثبتت النتائج عدم وجود قسم خاص لتقديم خدمة الإنترنت في الجامعة وأن مدارس مدينة البيضاء لم تتصل بالإنترنت بعد لقلة الإمكانيات. وأوصت الدراسة بضرورة وضع خطط لمقاهي الإنترنت بالمدينة وتوعية الرواد بإيجابيات الإنترنت وسلبياتها.

3. ثروت يوسف الغلبان . " استخدام الطلاب للإنترنت دراسة ميدانية على طلاب جامعة طنطا " .
العربية 3000 . س7 ، ع2 ، 2007 ، ص ص 31 - 66 .

تسعى الدراسة إلى التعرف على واقع استخدام طلاب مرحلة ما قبل التخرج للإنترنت في جامعة طنطا من حيث نسبة المستخدمين وعلاقة ذلك ببعض المتغيرات مثل التخصص الدراسي والنوع والفرقة ، بالإضافة إلى التعرف على أسباب الاستخدام وأشكاله ومجالاته ، والمشكلات التي تحول دون تحقيق استفادة الطلاب من الإنترنت بشكل فعال ، سواء من معامل الإنترنت بالكليات أو من خارجها ، وتقديم المقترحات التي تكفل رفع نسبة الاستخدام وزيادة فعاليته ، وقد اعتمدت على المنهج المسحي الميداني . وتوصلت إلى أن نسبة الطلاب المستخدمين للإنترنت 36% وهي نسبة قليلة ، أكثر الطلاب يستخدم الإنترنت من منازلهم بنسبة 40% ويليهما من مقاهي الإنترنت بنسبة 35.5% وفي الأخير يأتي استخدام الإنترنت من معامل الكليات بنسبة 24.5% .

وأوصت الدراسة إلى ضرورة توفير الجامعة وكليتها برامج لتدريب الطلاب على استخدام أجهزة الحاسبات الآلية والإنترنت ، توسيع استخدام الإنترنت في العملية التعليمية من جانب أعضاء هيئة التدريس والطلاب والتوعية بالفوائد التي يمكن تحقيقها من وراء استخدام الإنترنت .

4. ايمان ابراهيم الخميس . استخدام طالبات الجامعات السعودية للإنترنت : دراسة وصفية على عينة من طالبات الجامعات في مدينة الرياض . - الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود - كلية الدعوة والإعلام ، 2010 - ماجستير

هذه الدراسة عن استخدام طالبات الجامعات السعودية لشبكة الانترنت، وتهدف إلى التعرف على حجم وأساليب استخدام طالبات الجامعات السعودية للإنترنت والمواقع التي يفضلونها بالإضافة إلى معرفة أسباب ودوافع استخدام طالبات الجامعات للإنترنت والشبكات المتحققة لهن هذا الاستخدام . ولتحقيق هذه الأهداف تم إجراء دراسة ميدانية على ٢٦٠ طالبة من ثلاث جامعات في مدينة الرياض . واعتمدت الاستبانة أداة للبحث بعد تحكيمها من قبل عدد من أعضاء هيئة التدريس في جامعة الإمام وجامعة الملك

وقد تم التوصل إلى أن SPSS . سعود . ولتحليل نتائج الاستبانة تم استخدام برنامج ٩٧ % من طالبات الجامعات السعودية يستخدمون الانترنت ، وقد كان موقع الجامعة من أكثر المواقع التي تزورها

طالبات الجامعات، أما الدوافع التي تدفع طالبات الجامعات لاستخدام الإنترنت فقد كانت الحاجات الترفيهية من أكثر تلك الدوافع . أما أعلى نسبة للاشباعات فهي الاشباعات المعرفية.

5. محمد بن صنت بن صالح الحربي . " اتجاهات الطلاب السعوديين المبتعثين نحو استخدام الإنترنت في التعلم وحاجاتهم التدريبية اللازمة لاستخدامه " . دراسات المعلومات . ع2 ، 2012 ، ص ص 167 - 223 .

هدفت الدراسة إلى التعرف على اتجاهات الطلاب السعوديين المبعوثين إلى الخارج نحو استخدام الإنترنت في تعلمهم وحاجاتهم التدريبية اللازمة لاستخدامه ، ومعرفة الفروق بين الطلاب في استخدام الإنترنت في تعلمهم ، ومعرفة الحاجات التدريبية اللازمة للطلاب السعوديين المبعوثين لاستخدام الإنترنت في تعلمهم ، واتبعت الدراسة المنهج الوصفي لعينة من مجتمع الدراسة قدرها 105 طالباً . وقد توصلت إلى أن درجة الحاجات التدريبية للطلاب السعوديين اللازمة لاستخدام الإنترنت في تعلمهم بدرجة عالية ، وجاءت اتجاهات الطلاب نحو استخدام الإنترنت في تعلمهم إيجابية وبدرجة عالية ، وقد أوصت إلى ضرورة توعية الطلاب بأهمية استخدام الإنترنت في تعلمهم ، وتفعيل استخدام الإنترنت في عملية التعليم والتعلم بمراحل التعليم العام والجامعي بالمملكة السعودية .

نشأة الإنترنت :

تسمية الإنترنت باللغة الإنجليزية Intrenet يتكون من كلمتين، كلمة inter التي يعني (بين) وكلمة net التي تعني (شبكة) أي (الشبكة البينة) ، والاسم دلالة على بنية إنترنت باعتبارها شبكة ما بين الشبكات أو شبكة من الشبكات .

يعد ظهور الإنترنت من أهم الثورات التقنية في العصر الحديث ، وقد تم إنشاء وتكوين الإنترنت بصورته الأولى نتيجة لمشروع Arpanet الذي أطلق عام 1969 وهو مشروع من وزارة الدفاع بالولايات المتحدة الأمريكية ، بعد سلسلة من التجارب انتهت بتوفير شبكة اتصال بين الحاسبات الرئيسة للقوات الأمريكية المنتشرة في أماكن بعيدة دون المرور بمركز الشبكة .

إلا أن النمو الحقيقي للإنترنت كان سنة 1985 عندما قامت مؤسسة العلوم National Science Foundation بربط ستة من مراكز الحاسبات العملاقة بنظام اتصال فائق السرعة يسمح بتحريك بيانات رقمية عبر الشبكة من خلال ما يعرف بالبريد الإلكتروني .

بينما التطور الرئيس الذي طرأ على الإنترنت واستخداماته جاء في سنة 1989 عندما طور تيم برني مجموعة من القواعد التي تتحكم بملفات مكتبية مخزونة في الحاسبات ، وهو ما يعرف اليوم الويب (World Wide Web(WWW) ، وقد انتشر استخدام الإنترنت في سنة 1993 مع استخدام برمجيات التصفح والتي اتاحت لأصحاب الحاسبات الشخصية التنقل بسهولة ويسر من موقع إلى آخر عبر الإنترنت .

ومما لا شك فيه أن شبكة الإنترنت قد دفعت خلال السنوات القليلة الماضية بالمعلومات إلى وضع صارت فيه تمثل واحدة من أهم عوامل الثروة ، حيث أصبح بالإمكان جمع وتخزين ومعالجة وتوزيع المعلومات ، وإمكانية الاستفادة منها على نطاق واسع وبتكلفة منخفضة ، مما سهل عملية الاتصال والتواصل بين الأفراد والمؤسسات دون قيود أو حواجز⁽¹⁾ .

دخول الإنترنت إلى ليبيا :

كان أول دخول للإنترنت في ليبيا سنة 1998 عن طريق استخدام خطوط الهاتف تتراوح سرعتها حوالي 15 كيلوبايت في الثانية وهي وسيلة توصيل ضعيفة وبطيئة .

وفي سنة 2000 نشأة ظاهرة استخدام الإنترنت في أماكن تعرف بمقاهي الإنترنت * Coffee net والتي كانت تحصل على الخدمة عن طريق تشاركيات انترنت ، وكانت تستطيع هذه المقاهي توفير خدمة الإنترنت للمستخدمين بما يعرف Two way والتي لاقت اقبال من قبل مستخدمي الانترنت في ذلك الوقت وحدث ثورة في استخدام الإنترنت ؛ حيث انتشر مستخدمي الإنترنت وخاصة عندما لم يعد استخدام الإنترنت يقتصر على من يمتلك خط هاتف أرضي أو جهاز حاسب آلي فقط بل أصبح متاح للجميع.

ثم ادخل تقنية جديدة عرفت بـ dsl، وهي كانت بسرعة حوالي 25 كيلوبايت ، وقد كانت توصل عن طريق خطوط الهاتف ، ولكن ليس مباشرة بل عن طريق مودم خاص ، واستمرت هذه التقنية لسنوات طويلة حتى سنة 2009 ، ومع تطور وسائل أخرى عن طريق شركة ليبيا للمعلومات والتقنية وعن طريق الهاتف المحمول ، والتي استخدمت طريقة جديدة وحديثة عرفت بـ wimax⁽²⁾ .

جدول (2) يوضح عدد أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت

النسبة	المجموع	الإناث		الذكور		الجنس / الاستخدام
		النسبة	العدد	النسبة	العدد	
76.7%	112	33.6%	49	43.2%	63	يستخدم
23.3%	34	16.4%	24	6.8%	10	لا يستخدم
100%	146	50%	73	50%	73	المجموع

¹- هشام بن عبدالله العباس . تسويق خدمات المعلومات عبر الإنترنت .. الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، 2009 ، ص ص 57 - 58 .

وهي عبارة عن مقهي أو متجر لتوفير خدمة الإنترنت بمقابل مالي نظير الاستفادة لمدة زمنية معينة .

²- علي سالم رمضان لمتوان . الآثار الاجتماعية والثقافية لشبكة المعلومات الدولية والتدخلات المهني للأخصائي الاجتماعي المخطط للتعامل معها : دراسة تطبيقية على الشباب الليبي بمنطقة طرابلس .. أم درمان : جامعة أم درمان الإسلامية - كلية الآداب ، 2006 - أطروحة دكتوراه ، ص 73 .

تبين من الجدول (2) أن عدد 112 طالب من عينة الدراسة يستخدمون الإنترنت وبنسبة قدرها 76.7% ، والعدد الأكبر من عينة الدراسة كان من الذكور وقدره 63 طالب وبنسبة قدرها 43.2% ، بينما عدد الإناث 49 طالبة وبنسبة قدرها 33.6% .

بينما عدد عينة الدراسة الذين لا يستخدمون الإنترنت 34 طالب وبنسبة قدرها 23.3% ، منها عدد 10 طلبة من الذكور وبنسبة قدرها 6.8% ، بينما عدد الإناث كان أكثر وقدره 24 طالبة وبنسبة قدرها 16.4% .

نلاحظ أن الأغلبية العظمى من أفراد عينة الدراسة يستخدمون الإنترنت ؛ بسبب أنه دخل في جميع مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية وسياسية والتجارية ... الخ ، وأصبح ضرورة لا بد منها للفرد والمجتمع مثل حاجة الإنسان للمسكن والمركوب .

جدول (3) يوضح الأماكن التي يستخدم فيها أفراد عينة الدراسة الإنترنت

الجنس / الأماكن	الذكور		الإناث		المجموع	النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة		
المنزل	41	28.1%	41	28.1%	82	56.2%
مقاهي الإنترنت	20	13.7%	8	5.5%	28	19.2%
أماكن أخرى	2	1.4%	-	-	2	1.4%
لا استخدمها	10	6.8%	24	16.4%	34	23.3%
المجموع	73	50%	73	50%	146	100%

تبين من الجدول (3) بأن أغلب أفراد عينة الدراسة يستخدمون الإنترنت من منازلهم بعدد قدره 82 طالب وبنسبة قدرها 56.2% ، منها عدد 41 طالب من الذكور وبنسبة 28.1% ، بينما عدد الإناث كان مساوي لعدد الذكور وقدره 41 طالبة وبنسبة قدرها 28.1% .

بينما أفراد عينة الدراسة الذين لا يستخدمون الإنترنت في المرتبة الثانية بعدد 34 طالب وبنسبة قدرها 23.3% ، منهم عدد 10 طلبة من الذكور وبنسبة قدرها 6.8% ، أما عدد الإناث جاء بعدد أكبر قدره 24 طالبة وبنسبة قدرها 16.4% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون مقاهي الإنترنت في المرتبة الثالثة وبعدد قدره 28 طالب وبنسبة قدرها 19.2% ، منهم عدد 20 طالب من الذكور وبنسبة قدرها 13.7% ، أما عدد الإناث قدره 8 طالبات وبنسبة قدرها 5.5% .

بينما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون أماكن أخرى للحصول على خدمة للإنترنت بعدد قليل قدره طالبان فقط وبنسبة قدرها 1.4% وجلهم من الذكور .

نلاحظ أن النسبة الأكبر من أفراد عينة الدراسة يستخدمون الإنترنت في منازلهم ؛ بسبب امتلاكهم لأجهزة تمكنهم من استخدام الإنترنت بسهولة ، ورخص تكلفة الحصول على خدمة الإنترنت في ليبيا ، وكذلك سهولة الحصول عليها .

جدول (4) يوضح معدلات استخدام الإنترنت لدى أفراد عينة الدراسة

النسبة	المجموع	الإناث		الذكور		الجنس المعدلات
		النسبة	العدد	النسبة	العدد	
%15.8	23	%3.4	5	%12.4	18	دائماً
%37.7	55	%21.3	31	%16.4	24	أحياناً
%13.7	20	%5.5	8	%8.2	12	نادراً
%9.6	14	%3.4	5	%6.2	9	نادراً جداً
%23.3	34	%16.4	24	%6.8	10	مطلقاً
%100	146	%50	73	%50	73	المجموع

يبين الجدول (4) معدلات استخدام الإنترنت لدى أفراد عينة الدراسة ؛ حيث أن استخدام الإنترنت بمعدل أحياناً في المرتبة الأولى بعدد 55 طالب ونسبة قدرها 37.7% ، منها عدد 24 طالب من الذكور ونسبة قدرها 16.4% ، وعدد 31 طالبة من الإناث ونسبة قدرها 21.3% .

بينما عدد أفراد عينة الدراسة الذين لا يستخدمون الإنترنت مطلقاً قدرهم 34 طالب ونسبة 23.3% ، منهم عدد 10 طلبة من الذكور ونسبة قدرها 6.8% ، أما الإناث بعدد 24 طالبة وبنسبة قدرها 16.4% .

أما عدد أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت بمعدل دائماً قدرهم 23 طالب ونسبة قدرها 15.8% ، منهم عدد 18 طالب من الذكور ونسبة قدرها 12.4% ، أما بالنسبة للإناث عددهم 5 طالبات ونسبة قدرها 3.4% .

وبالنسبة لعدد أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت بمعدل نادر قدرهم 20 طالب ونسبة قدرها 13.7% ، منهم عدد 12 طالب من الذكور ونسبة قدرها 8.2% ، بينما عدد الإناث قدره 8 طالبات ونسبة قدرها 5.5% .

بينما عدد أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت بمعدل نادراً جداً قدره 14 طالب ونسبة قدرها 9.6% ، منهم عدد 9 طلبة من الذكور ونسبة قدرها 6.2% ، بينما عدد الإناث 5 طالبات ونسبة قدرها 3.4% .

نلاحظ أن النسبة الأكبر من معدلات استخدام الإنترنت أحياناً ؛ وذلك لأن أفراد عينة الدراسة منشغلين بالدراسة والامتحانات والبحوث المكلفين بها اثناء الدراسة ، مما لا يجعل لهم وقت محدد للفراغ لكي يخصصه لاستخدام الإنترنت .

جدول (5) يوضح عدد مرات استخدام الإنترنت من قبل أفراد عينة الدراسة

النسبة	المجموع	الإناث		الذكور		الجنس عدد المرات
		النسبة	العدد	النسبة	العدد	
%14.4	21	%5.5	8	%8.9	13	يوميًا
%27.4	40	%14.4	21	%13	19	عدة مرات في الأسبوع
%3.4	5	%0.7	1	%2.7	4	مرة في الأسبوع
%2.1	3	%0.7	1	%1.4	2	مرة في الشهر
%29.5	43	%12.3	18	%17.2	25	بشكل غير منتظم من السنة
%23.3	34	%16.4	24	%6.8	10	لا استخدمها
%100	146	%50	73	%50	73	المجموع

تبين من الجدول (5) أن أكثر عدد مرات استخدام الإنترنت من قبل أفراد عينة الدراسة بشكل غير منتظم من السنة وقدره 43 طالب ونسبة قدرها 29.5% ، منهم عدد 25 طالب من الذكور ونسبة قدرها 17.2% ، وعدد 18 طالبة من الإناث ونسبة قدرها 12.3% .

أما بالنسبة عدد أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت بشكل عدة مرات في الأسبوع 40 طالب ونسبة قدرها 27.4% ، منهم عدد 19 طالب من الذكور ونسبة قدرها 13% ، بينما عدد 21 طالبة من الإناث ونسبة قدرها 14.4% .

بينما عدد أفراد عينة الدراسة الذين لا يستخدمون الإنترنت 34 طالب ونسبة قدرها 23.3% ، منهم عدد 10 طلبة من الذكور ونسبة قدرها 6.8% ، بينما منهم عدد 24 طالبة من الإناث ونسبة قدرها 16.4% .

بينما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت بشكل يومي عددهم 21 طالب ونسبة قدرها 14.4% ، منهم عدد 13 طالب من الذكور ونسبة قدرها 8.9% ، بينما عدد الإناث 8 طالبات ونسبة قدرها 5.5% .

بينما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت مرة في الأسبوع بعدد 5 طلبة ونسبة قدرها 3.4% ، منهم عدد 4 طلبة من الذكور ونسبة قدرها 2.7% ، بينما عدد الإناث طالبة واحدة فقط ونسبة قدرها 0.7% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت مرة في الشهر بعدد قليل قدره 3 طلبة فقط وبنسبة قدرها 2.1% ، منهم عدد طالبان من الذكور وبنسبة قدرها 1.4% ، بينما عدد الإناث طالبة واحدة فقط وبنسبة قدرها 0.7% .

نلاحظ أن نسبة كبيرة من أفراد عينة الدراسة يستخدمون الإنترنت عدة مرات في الأسبوع وبشكل غير منتظم ومحدد وذلك بسبب عدم التفرغ وانشغالهم بالدراسة ومهامها ، مما يجعل اهتماماتهم بالإنترنت غير محددة خلال الأسبوع .

جدول (6) يوضح التوقيت الذي يفضلهُ أفراد عينة الدراسة لاستخدام الإنترنت

النسبة	المجموع	الإناث		الذكور		الجنس / التوقيت
		النسبة	العدد	النسبة	العدد	
4.8%	7	3.4%	5	1.4%	2	صباحاً
5.5%	8	4.1%	6	1.4%	2	ظهراً
31.5%	46	13%	19	18.5%	27	مساءً
34.9%	51	13%	19	21.9%	32	أوقات غير محددة
23.3%	34	16.4%	24	6.8%	10	أبداً
100%	146	50%	73	50%	73	المجموع

تبين من الجدول (6) أن أكثر فترة مفضلة لاستخدام الإنترنت لدى أفراد عينة الدراسة في أوقات غير محددة بعدد قدره 51 طالب وبنسبة قدرها 34.9% ، منها عدد 32 طالب من الذكور وبنسبة قدرها 21.9% ، بينما عدد الإناث 19 طالبة وبنسبة قدرها 13% .

بينما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت في الفترة المسائية عددهم 46 طالب وبنسبة قدرها 31.5% ، منهم عدد 27 طالب من الذكور وبنسبة قدرها 18.5% ، بينما عدد الإناث 19 طالبة وبنسبة قدرها 13% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين لا يستخدمون الإنترنت أبداً عددهم 34 طالب وبنسبة قدرها 23.3% ، منهم عدد 10 طلبة من الذكور وبنسبة قدرها 6.8% ، بينما عدد الإناث 24 طالبة وبنسبة قدرها 16.4% .

بينما أفراد عينة الدراسة الذين يفضلون استخدام الإنترنت في فترة الظهيرة عددهم 8 طلبة وبنسبة قدرها 5.3% ، منهم عدد 2 من الذكور وبنسبة قدرها 1.4% ، أما بالنسبة لعدد الإناث قدره 6 طالبات وبنسبة قدرها 4.1% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يفضلون استخدام الإنترنت في الفترة الصباحية عددهم 7 طلبة وبنسبة قدرها 4.8% ، منهم عدد 2 من الذكور وبنسبة قدرها 1.4% ، أما بالنسبة لعدد الإناث قدره 5 طالبات وبنسبة قدرها 3.4% .

نلاحظ أن نسبة كبيرة من أفراد عينة الدراسة يفضلون استخدام الإنترنت في الفترة المسائية ؛ بسبب انقضاء اعمالهم في الفترة الصباحية وتفرغهم لاستخدامه في الفترة الليلية لساعات طويلة بدون انشغالهم بأعمال تمنعهم من الحصول على احتياجاتهم من الإنترنت .

جدول (7) يوضح الساعات التي يستغرقها أفراد عينة الدراسة بشكل يومي في استخدام الإنترنت

النسبة	المجموع	الإناث		الذكور		الجنس الساعات
		النسبة	العدد	النسبة	العدد	
15.1%	22	2.1%	3	13%	19	أقل من ساعة
10.3%	15	4.1%	6	6.2%	9	من ساعة إلى أقل من ساعتين
8.2%	12	7.5%	11	0.7%	1	من ساعتين فأكثر
43.2%	63	19.9%	29	23.3%	34	بدون تحديد وقت معين
23.3%	34	16.4%	24	6.8%	10	أبداً
100%	146	50%	73	50%	73	المجموع

تبين من الجدول (7) أن أغلب أفراد عينة الدراسة يستخدمون الإنترنت بدون تحديد وقت معين من الساعات في اليوم وعددهم 63 طالب وبنسبة قدرها 43.2% ، منهم عدد 34 طالب وبنسبة قدرها 23.3% ، وعدد 29 طالبة من الإناث وبنسبة قدرها 19.9% .

أما بالنسبة لأفراد عينة الدراسة الذين لا يستخدمون الإنترنت أبداً عددهم 34 طالب وبنسبة قدرها 23.3% ، منهم عدد 10 طلبة من الذكور وبنسبة قدرها 6.8% ، أما بالنسبة للإناث عددهم 24 طالبة وبنسبة قدرها 16.4% .

بينما عدد أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت لمدة أقل من ساعة في اليوم 22 طالب وبنسبة قدرها 15.1% ، منهم عدد 19 طالب من الذكور وبنسبة قدرها 13% ، بينما عدد الإناث 3 طالبات وبنسبة قدرها 2.1% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت من ساعة إلى أقل من ساعتين عددهم 15 طالب وبنسبة قدرها 10.3% ، منهم عدد 9 طلبة من الذكور وبنسبة قدرها 6.2% ، بينما عدد الإناث قدره 6 طالبات وبنسبة قدرها 4.1% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت لفترة ساعتين فأكثر عددهم 12 طالب ونسبة قدرها 8.2% ، منهم عدد طالب واحد من الذكور ونسبة قدرها 0.7% ، بينما عدد الإناث 11 طالبة ونسبة قدرها 7.5% .

نلاحظ أن النسبة الأكبر من أفراد عينة الدراسة يستخدمون الإنترنت بدون تحديد وقت معين لاستخدامهم ، وذلك لعدم قدرتهم على تنظيم وقتهم في حياتهم اليومية ، مما يجعل استخدامهم للإنترنت حسب وقت الفراغ الذي يتحصلون عليه حسب ظروف حياتهم اليومية .

جدول (8) يوضح درجة إتادة أفراد عينة الدراسة في استخدام الإنترنت

الجنس	الذكور		الإناث		النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	
درجة الإتادة					
ممتاز	18	12.3%	9	6.2%	18.5%
جيد	37	25.3%	33	22.6%	47.9%
ضعيف	5	3.4%	4	2.7%	6.2%
ضعيف جداً	3	2.1%	3	2.1%	4.1%
لا اجيده	10	6.8%	24	16.4%	23.3%
المجموع	73	50%	73	50%	100%

يبين الجدول (8) درجة إتادة أفراد عينة الدراسة لاستخدام الإنترنت ، حيث تعد درجة الإتادة بجيد في المرتبة الأولى بعدد 70 طالب ونسبة قدرها 47.9% ، منها عدد 37 طالب من الذكور ونسبة قدرها 25.3% ، بينما عدد 33 طالبة من الإناث ونسبة قدرها 22.6% .

بينما أفراد عينة الدراسة الذين لا يجيدون استخدام الإنترنت عددهم 34 طالب ونسبة قدرها 23.3% ، منهم عدد 10 طلبة من الذكور ونسبة قدرها 6.8% ، بينما عدد 24 طالبة من الإناث ونسبة قدرها 16.4% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يجيدون استخدام الإنترنت بدرجة ممتاز عددهم 27 طالب ونسبة قدرها 18.5% ، منهم عدد 18 طالب من الذكور ونسبة قدرها 12.3% ، بينما عدد 9 طالبة من الإناث ونسبة قدرها 6.2% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت بدرجة ضعيف عددهم 9 طلبة ونسبة قدرها 6.2% ، منهم عدد 5 طلبة من الذكور ونسبة قدرها 3.4% ، أما بالنسبة للإناث عددهم 4 طالبات ونسبة قدرها 2.7% .

بينما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت بدرجة ضعيف جداً عددهم 6 طلبة ونسبة قدرها 4.1% ، منهم عدد 3 طلبة من الذكور ونسبة قدرها 2.1% ، وبنفس العدد بالنسبة للإناث قدره 3 طالبات ونسبة قدرها 2.1% .

نلاحظ أن قرابة نصف أفراد عينة الدراسة يجيدون استخدام الإنترنت بشكل جيد ، وذلك يرجع إلى دخول الإنترنت في جميع مجالات الحياة ، مما يجعل تعلم استخدام الإنترنت شيء ضروري من ضروريات الحياة ، كما أن عديد من الأفراد يستخدمه كوسيلة ترفيه واتصال بالغير .

جدول (9) يوضح أسباب استخدام أفراد عينة الدراسة للإنترنت

الجنس	الذكور		الإناث		المجموع	النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة		
أسباب الاستخدام	7	%4.8	5	%3.4	12	%8.2
متطلبات البحث العلمي	9	%6.2	13	%8.9	22	%15.1
دافع الاطلاع والثقافة العامة	2	%1.4	3	%2.1	5	%3.4
متابعة أحر المستجديات في مجال تخصصك	7	%4.8	13	%8.9	20	%13.7
البحث عن مواد متعلقة بالمقررات الدراسية	1	%0.7	3	%2.1	4	%2.7
الإجابة عن سؤال مطروح لديك	5	%3.4	1	%0.7	6	%4.1
متابعة ما يستجد من أخبار	2	%1.4	3	%2.1	5	%3.4
الحوار والنقاش	17	%11.6	3	%2.1	20	%13.7
الترفيه والتسلية	3	%2.1	-	-	3	%2.1
تحميل الملفات	6	%4.1	4	%2.7	10	%6.8
المحادثة والاتصال	5	%3.4	-	-	5	%3.4
أسباب أخرى	10	%6.8	24	%16.4	34	%23.3
لاستخدمها	73	%50	73	%50	146	%100
المجموع						

تبين من الجدول (9) أن أفراد عينة الدراسة الذين لا يستخدمون الإنترنت في المرتبة الأولى وعددهم 34 طالب وبنسبة قدرها 23.3% ، منهم عدد 10 طلبة من الذكور وبنسبة قدرها 6.8% ، وعدد 24 طالبة من الإناث وبنسبة قدرها 16.4% .

بينما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت بسبب دافع الاطلاع والثقافة العامة عددهم 22 طالب وبنسبة قدرها 15.1% ، منهم عدد 9 طلبة من الذكور وبنسبة قدرها 6.2% ، وعدد 13 طالبة من الإناث وبنسبة قدرها 8.9% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت بسبب البحث عن مواد المتعلقة بالمقررات الدراسية عددهم 20 طالب وبنسبة قدرها 13.7% ، منهم عدد 7 طلبة من الذكور وبنسبة قدرها 4.8% ، وعدد 13 طالبة من الإناث وبنسبة قدرها 8.9% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت بسبب الترفيه والتسلية عددهم مساوي للسبب السابق 20 طالب وبنسبة قدرها 13.7% ، منها عدد 17 طالب من الذكور وبنسبة قدرها 11.6% ، وعدد 3 طالبات من الإناث وبنسبة قدرها 2.1% .

بينما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت بسبب متطلبات البحث العلمي عددهم 12 طالب وبنسبة قدرها 8.2% ، منهم عدد 7 طلبة من الذكور وبنسبة قدرها 4.8% ، وعدد 5 طالبات من الإناث وبنسبة قدرها 3.4% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت بسبب المحادثة والاتصال عددهم 10 طلبة وبنسبة قدرها 6.8% ، منهم عدد 6 طلبة من الذكور وبنسبة قدرها 4.1% ، وعدد 4 طالبات من الإناث وبنسبة قدرها 2.7% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت لمتابعة ما يستجد من أخبار عددهم 6 طلبة وبنسبة قدرها 4.1% ، منها عدد 5 طلبة من الذكور وبنسبة قدرها 3.4% ، وطلبة واحدة فقط من الإناث وبنسبة قدرها 0.7% .

بينما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت بسبب متابعة آخر المستجدات في مجال التخصص عددهم 5 طلبة وبنسبة قدرها 3.4% ، منهم عدد 2 من الذكور وبنسبة قدرها 1.4% ، وعدد 3 طالبات من الإناث وبنسبة قدرها 2.1% ، وكذلك أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت للحوار والنقاش جاءوا بنفس العدد وبنسبة الكيفية من حيث عدد الذكور والإناث .

أما عدد أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت لغرض الإجابة حول سؤال مطروح لديهم 4 طلبة وبنسبة قدرها 2.7% ، منهم عدد طالب واحد فقط من الذكور وبنسبة قدرها 0.7% ، أما بالنسبة للإناث عددهم 3 طالبات وبنسبة قدرها 2.1% .

بينما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت لتحميل الملفات عددهم 3 طلبة جلهم من الذكور وبنسبة قدرها 2.1% .

نلاحظ أن النسبة الأكبر من مستخدمي الإنترنت يستخدمونه لدافع الاطلاع والثقافة العامة ، وذلك بسبب أن أفراد عينة الدراسة من فئة متعلمة حيث ان جلهم من الطلاب الجامعيين ، وأن اهتماماتهم جميعاً علمية وتعليمية .

جدول (10) يوضح الخدمات التي يتحصل عليها أفراد عينة الدراسة من استخدام الإنترنت

الخدمات	الجنس	الذكور		الإناث		المجموع	النسبة
		العدد	النسبة	العدد	النسبة		
البريد الإلكتروني		7	4.8%	2	1.4%	9	6.2%
تصفح المواقع		34	23.3%	36	24.7%	70	47.9%
المحادثة والاتصال		13	8.9%	9	6.2%	22	15.1%
خدمات أخرى		9	6.2%	2	1.4%	11	7.5%
لا استخدمها		10	6.8%	24	16.4%	34	23.3%
المجموع		73	50%	73	50%	146	100%

تبين من الجدول (10) أن أكثر أفراد عينة الدراسة يستخدمون الإنترنت لغرض الحصول على خدمة تصفح المواقع في المرتبة الأولى بعدد 70 طالب وبنسبة قدرها 47.9% ، منهم عدد 34 طالب من الذكور وبنسبة قدرها 23.3% ، بينما عدد الإناث قدره 36 طالبة وبنسبة قدرها 24.7% .

بينما عدد أفراد عينة الدراسة الذين لا يستخدمون الإنترنت عددهم 34 طالب ونسبة قدرها 23.3% ومنهم عدد 10 طلبة من الذكور ونسبة قدرها 6.8% ، وعدد 24 طالبة من الإناث ونسبة قدرها 16.4% .

أما بالنسبة لأفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت لغرض الحصول على خدمة المحادثة والاتصال بالآخرين عددهم 22 طالب ونسبة قدرها 15.1% ، منهم عدد 13 طالب من الذكور ونسبة قدرها 8.9% ، بينما عدد الإناث 9 طالبات ونسبة قدرها 6.2% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت للحصول على خدمات أخرى عددهم 11 طالب ونسبة قدرها 7.5% ، منهم عدد 9 طلبة من الذكور ونسبة قدرها 6.2% ، بينما عدد طالبتين من الإناث ونسبة قدرها 1.4% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت للحصول على خدمة البريد الإلكتروني عددهم 9 طلبة ونسبة قدرها 6.2% ، منهم عدد 7 طلبة من الذكور ونسبة قدرها 4.8% ، وعدد طالبتين من الإناث ونسبة قدرها 1.4% .

نلاحظ أن قرابة نصف أفراد عينة الدراسة يستخدمون الإنترنت لتصفح المواقع ؛ لكي يتسنى لهم الحصول احتياجاتهم من معلومات تحقق أهدافهم سواء كانت ثقافية أو علمية أو تعليمية أو ترفيه .

جدول (11) يوضح عدد محركات البحث المستخدمة من قبل أفراد عينة الدراسة للإنترنت

النسبة	المجموع	الإناث		الذكور		الجنس
		النسبة	العدد	النسبة	العدد	
49.3%	72	21.2%	31	28.1%	41	عدد محركات البحث
27.4%	40	12.3%	18	15.1%	22	محرك واحد
23.3%	34	16.4%	24	6.8%	10	أكثر من محرك
100%	146	50%	73	50%	73	لا استخدمها
						المجموع

تبين من الجدول (10) أن أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون محرك بحث واحد للإنترنت عددهم 72 طالب ونسبة قدرها 49.3% ، منهم عدد 41 طالب من الذكور ونسبة قدرها 28.1% ، وعدد 31 طالبة من الإناث ونسبة قدرها 21.2% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون أكثر من محرك بحث للإنترنت عددهم 40 طالب ونسبة قدرها 27.4% ، ومنهم عدد 22 طالب من الذكور ونسبة قدرها 15.1% ، وعدد 18 طالبة من الإناث ونسبة قدرها 12.3% .

بينما أفراد عينة الدراسة الذين لا يستخدمون محركات البحث الموجودة على الإنترنت عددهم 34 طالب ونسبة قدرها 23.3% ، ومنهم عدد 10 طلبة من الذكور ونسبة قدرها 6.8% ، وعدد 24 طالبة من الإناث ونسبة قدرها 16.4% .

نلاحظ أن قرابة نصف أفراد عينة الدراسة يكتفون باستخدام محرك بحث واحد للحصول على احتياجاتهم من شبكة الإنترنت ؛ وذلك لأن معظمهم غير خبير في استخدام الإنترنت ، مما يجعلهم غير قادر على استخدام بقية المحركات ويكتفي باستخدام المحرك الأبسط في طريقة الاستخدام .

جدول (12) يوضح أكثر أنواع محركات البحث المستخدمة من قبل أفراد عينة الدراسة للإنترنت

الجنس	نوع محرك البحث	الذكور		الإناث		المجموع	النسبة
		العدد	النسبة	العدد	النسبة		
	قوقل	63	%33.5	46	%24.5	109	%58
	التفستا	3	%1.6	-	-	3	%1.6
	ياهو	16	%8.5	22	%11.7	38	%20.2
	محركات أخرى	3	%1.6	1	%0.5	4	%2.1
	المجموع	95	%50.5	93	%49.5	188	%100

تبين من الجدول (12) أن أكثر محركات البحث على الإنترنت استخداماً من قبل أفراد عينة الدراسة محرك البحث (قوقل) بعدد 109 طالباً وبنسبة قدرها 58% ، ومنهم عدد 63 طالباً من الذكور وبنسبة قدرها 33.5% ، وعدد 46 طالبة من الإناث وبنسبة قدرها 24.5% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون محرك البحث (ياهو) عددهم 38 طالباً وبنسبة قدرها 20.2% ، ومنهم عدد 16 طالباً من الذكور وبنسبة قدرها 8.5% ، وعدد 22 طالبة من الإناث وبنسبة قدرها 11.7% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون محركات بحث أخرى عددهم 4 طالبة وبنسبة قدرها 2.1% ، ومنهم عدد 3 من الذكور وبنسبة قدرها 1.6% ، وعدد طالبة واحدة من الإناث وبنسبة قدرها 0.5% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون محرك البحث (التفستا) عددهم 3 طالبة وبنسبة قدرها 1.6% جلهم من الذكور .

نلاحظ أن الغالبية العظمى من أفراد عينة الدراسة يفضلون استخدام محرك البحث قوقل عند استخدامهم للإنترنت ، وذلك بسبب سهولة استخدامه مقارنة بمحركات البحث الأخرى ، ولأن هذا المحرك يمكن استخدامهم بعدة لغات منها العربية عكس بقيت المحركات الأخرى التي لا يمكن استخدام اللغة العربية عن طريقها .

جدول (13)

الجنس	درجة الرضا	الذكور		الإناث		المجموع	النسبة
		العدد	النسبة	العدد	النسبة		
	راضي تماماً	10	%6.8	5	%3.4	15	%10.3
	راضي	12	%8.2	24	%16.4	36	%24.7
	إلى حد ما	37	%25.3	20	%13.7	57	%39
	غير راضي	14	%9.6	24	%16.4	38	%26
	المجموع	73	%50	73	%50	146	%100

تبين من الجدول (13) أن أغلب أفراد عينة الدراسة راضين عن استخدام الإنترنت إلى حد ما عددهم 57 طالب وبنسبة قدرها 39% ، منهم عدد 37 طالباً من الذكور وبنسبة قدرها 25.3% ، وعدد 20 طالبة من الإناث وبنسبة قدرها 13.7% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين غير راضين على استخدام الإنترنت عددهم 38 طالب وبنسبة قدرها 26% ، منهم عدد 14 طالب من الذكور وبنسبة قدرها 9.6% ، وعدد 24 طالبة من الإناث وبنسبة قدرها 16.4% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين راضين عن استخدام الإنترنت عددهم 36 طالباً وبنسبة قدرها 24.7% ، منهم عدد 12 طالب من الذكور وبنسبة قدرها 8.2% ، وعدد 24 طالبة من الإناث وبنسبة قدرها 16.4% .

بينما أقل أفراد عينة الدراسة راضين تماماً عن استخدام الإنترنت وعددهم 15 طالباً وبنسبة قدرها 10.3% ، ومنهم عدد 10 طلاب من الذكور وبنسبة قدرها 6.8% ، وعدد 5 طالبات من الإناث وبنسبة قدرها 3.4% .

نلاحظ أن نسبة كبيرة من أفراد عينة الدراسة راضين على خدمة الإنترنت بدرجة إلى حد ما ، وأن نسبة قليلة جداً من أفراد العينة راضين جداً على خدمة الإنترنت ؛ ويرجع ذلك إلى البطء الشديد في سرعة الإنترنت الواصل إليهم ، وكذلك الانقطاع المستمر في وصول الخدمة إليهم .

جدول (14) يوضح الدوافع وراء استخدام الإنترنت من قبل أفراد عينة الدراسة

النسبة	المجموع	الإناث		الذكور		الجنس الدوافع
		النسبة	العدد	النسبة	العدد	
13%	19	7.5%	11	5.5%	8	السرعة العالية في الحصول على الاحتياجات
14.4%	21	4.1%	6	10.3%	15	حرية تصفح المواقع
14.4%	21	3.4%	5	11%	16	تتوفر المعلومات بدرجة كبيرة
21.2%	31	9.6%	14	11.6%	17	سهولة الحصول على المعلومات
11.6%	17	8.2%	12	3.4%	5	لملء وقت الفراغ
2.1%	3	0.7%	1	1.4%	2	انخفاض التكلفة
23.3%	34	16.4%	24	6.8%	10	لا استخدمها
100%	146	50%	73	50%	73	المجموع

تبين من الجدول (14) أن أفراد عينة الدراسة الذين لا يستخدمون الإنترنت عددهم 34 طالب وبنسبة قدرها 23.3% ، منهم عدد 10 طلاب من الذكور وبنسبة قدرها 6.8% ، وعدد 24 طالبة من الإناث وبنسبة قدرها 16.4% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت بدافع سهولة الحصول على المعلومات عددهم 31 طالباً وبنسبة قدرها 21.3% ، منهم عدد 17 طالباً من الذكور وبنسبة قدرها 11.6% ، وعدد 14 طالبة من الإناث وبنسبة قدرها 9.6% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت بدافع حرية تصفح للمواقع عددهم 21 طالباً وبنسبة قدرها 14.4% منهم عدد 15 طالب من الذكور وبنسبة قدرها 10.3% ، وعدد 6 طالبات من الإناث وبنسبة قدرها 4.1% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت بدافع توفر المعلومات بدرجة كبيرة على الشبكة عددهم نفس عدد الدافع السابق 21 طالباً وبنسبة قدرها 14.4% ، منهم عدد 16 طالب من الذكور وبنسبة قدرها 11% ، وعدد 5 طالبات من الإناث وبنسبة قدرها 3.4% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت بدافع السرعة العالية في الحصول على احتياجاتهم عددهم 19 طالباً وبنسبة قدرها 13% ، منهم عدد 8 طلبة وبنسبة قدرها 5.5% ، وعدد 11 طالبة وبنسبة قدرها 7.5% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت بدافع ملء وقت الفراغ عددهم 17 طالباً وبنسبة قدرها 11.6% ، ومنهم عدد 5 طلبة من الذكور وبنسبة قدرها 3.4% ، وعدد 12 طالبة من الإناث وبنسبة قدرها 8.2% .

بينما أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت بسبب انخفاض التكلفة هم أقل عدداً بحوالي 3 طلبة وبنسبة قدرها 2.1% ، منهم عدد 2 من الطلبة وبنسبة قدرها 1.4% ، وعدد طالبة واحدة فقط من الإناث وبنسبة قدرها 0.7% .

نلاحظ أن النسبة الأكبر من أفراد عينة الدراسة يستخدمون الإنترنت لسهولة الحصول على المعلومات ؛ بسبب سهولة استخدامه والبحث داخل الشبكة ، ولأن الإنترنت سهلة الوصول إلى المعلومة بإلغاء الحواجز والحدود ، وقلل من التكلفة الحصول على المعلومات .

جدول (15) يوضح الصعوبات التي يواجهها أفراد عينة الدراسة عند استخدام الإنترنت

الجنس	الذكور		الإناث		المجموع	النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة		
عدم قدرتي على الاستخدام	10	6.8%	24	16.4%	34	23.3%
عدم توفر حاسب آلي	7	4.8%	4	2.7%	11	7.5%
ارتفاع تكاليف استخدام الإنترنت	12	8.2%	14	9.6%	26	17.8%
عدم إجادتي اللغات الأجنبية	22	15.1%	10	6.8%	32	21.9%
عدم توفر المصادر باللغة العربية	1	0.7%	2	1.4%	3	2.1%
ليس لدي الخبرة الكافية لاستخدام الإنترنت	12	8.2%	13	8.9%	25	17.1%
عدم وجود وقت فراغ لاستخدامه	8	5.5%	4	2.7%	12	8.2%
أسباب أخرى	1	0.7%	2	1.4%	3	2.1%
المجموع	73	50%	73	50%	146	100%

تبين من الجدول (15) أن أفراد عينة الدراسة الذين يواجهون صعوبة عدم قدرتهم على استخدام الإنترنت عددهم 34 طالباً وبنسبة قدرها 23.3% ، منهم عدد 10 طلبة من الذكور وبنسبة قدرها 6.8% ، وعدد 24 طالبة من الإناث وبنسبة قدرها 16.4% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يواجهون صعوبة عدم ايجادهم للغات الأجنبية عن استخدام الإنترنت عددهم 32 طالباً وبنسبة قدرها 21.9% ، منهم عدد 22 طالب من الذكور وبنسبة قدرها 15.1% ، وعدد 10 طالبات من الإناث وبنسبة قدرها 6.8% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يواجهون صعوبة بسبب ارتفاع تكلفة الإنترنت عددهم 26 طالباً وبنسبة قدرها 17.8% ، ومنهم عدد 12 طالب وبنسبة قدرها 8.2% ، وعدد 14 طالبة من الإناث وبنسبة قدرها 9.6% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يواجهون صعوبة عدم وجود الخبرة الكافية لاستخدام الإنترنت عددهم 25 طالباً وبنسبة قدرها 17.1% ، ومنهم عدد 12 طالب من الذكور وبنسبة قدرها 8.2% ، وعدد 13 طالبة وبنسبة قدرها 8.9% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يواجهون صعوبة عدم وجود وقت فراغ لاستخدام الإنترنت عددهم 12 طالباً وبنسبة قدرها 8.2% ، منهم عدد 8 طلاب من الذكور وبنسبة قدرها 5.5% ، وعدد 4 طالبات وبنسبة قدرها 2.7% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يواجهون صعوبة عدم توفر جهاز حاسب آلي لديهم عددهم 11 طالباً وبنسبة قدرها 7.5% ، منهم عدد 7 طلبة من الذكور وبنسبة قدرها 4.8% ، وعدد 4 طالبات من الإناث وبنسبة قدرها 2.7% .

أما أفراد عينة الدراسة الذين يواجهون صعوبة عدم توفر مصادر باللغة العربية في مجال اهتمامهم عددهم 3 طلاب وبنسبة قدرها 2.1% ، منهم عدد طالب واحد من الذكور وبنسبة قدرها 0.7% ، وعدد طالبتان من الإناث وبنسبة قدرها 1.4% .

وكذلك فإن أفراد عينة الدراسة الذين يواجهون صعوبات أخرى عددهم 3 طلاب وبنسبة قدرها 2.1% ، منهم عدد طالب واحد من الذكور وبنسبة قدرها 0.7% ، وعدد طالبتان من الإناث وبنسبة قدرها 1.4% .

نلاحظ أن النسبة الأكبر من أفراد عينة الدراسة الذين يستخدمون الإنترنت يواجهون صعوبة في استخدام الإنترنت ؛ بسبب ضعف في قدراتهم ويرجع ذلك للمناهج التعليمية التي لا تحتوي على مادة تمكنهم من تعلم كيفية استخدام التقنية ، وقلة الدورات التدريبية لتعليم أفراد المجتمع كيفية استخدام الإنترنت ، وأن عدد منهم ليس لديه الرغبة في تعلم واستخدام الإنترنت واعتماده على مساعدة الآخرين عند الحاجة للإنترنت .

النتائج :

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها :

1. أغلب أفراد عينة الدراسة يستخدمون الإنترنت ؛ وذلك إيمانهم بأهميته وضرورة استخدامه في جميع مجالات الحياة .
2. يفضل أغلب أفراد عينة الدراسة استخدام الإنترنت من منازلهم وذلك لتوفر الخدمة ورخص تكلفتها في ليبيا .
3. كان أول دخول للشبكة الإنترنت في ليبيا سنة 1998 عن طريق استخدام خطوط الهاتف .
4. أغلب أفراد عينة الدراسة يستخدم الإنترنت بشكل غير منتظم ؛ بسبب عدم تفرغهم وانشغالهم بأمور حياتية أخرى .
5. عدم تحديد النسبة العظمى من أفراد عينة الدراسة لتوقيت محددة لاستخدام الإنترنت ؛ وذلك لعدم تفرغهم .
6. أن أكثر الأهداف المرجو تحقيقها من استخدام أفراد عينة الدراسة للإنترنت الاطلاع والثقافة العامة ؛ لأن جلهم من الطلبة الجامعيين ؛ حيث يمثلون الفئة المتعلمة من المجتمع .
7. أن أغلب أفراد عينة الدراسة يفضلون استخدام محرك البحث قوقل في الحصول على احتياجاتهم من الإنترنت .
8. أن أكثر الصعوبات التي تواجه أفراد عينة الدراسة عند استخدام الإنترنت عدم قدرتهم على استخدامه بشكل جيد .
9. أن أكثر الدوافع وراء استخدام الإنترنت من قبل أفراد عينة الدراسة سهولة الحصول على المعلومات من الشبكة .

التوصيات :

أوصت الدراسة إلى عدد من التوصيات تتمثل في :

1. إجراء دراسات دورية منتظمة عن استخدام واحتياجات الفرد من شبكة المعلومات الإنترنت ، لوضع خطط مناسبة لتلبية احتياجات الفرد من الشبكة .
2. تصميم وتقديم برنامج تدريبي من قبل أشخاص متخصصين في مجال الحاسب الآلي والشبكات لطلبة الجامعة عن كيفية استخدام شبكة الإنترنت .
3. الاهتمام بتدريس كيفية استخدام شبكة الإنترنت وكيفية استخراج المعلومات من الشبكة سواء من خلال المناهج التدريسية بالجامعة أو إعداد سنة تحضيرية مكثفة تسبق الدراسة .

4. عقد ورش عمل لتعليم الطلبة مهارات البحث عن المعلومات وكيفية استخدام شبكة الإنترنت وطريقة استخدام أوعية المعلومات الموجودة بشبكة .
5. توفير مراكز داخل الجامعة يتوفر بها خدمة الإنترنت ؛ لتصبح مفتوحة لطلبة الجامعة في المواقيت مناسبة ولساعات طويلة بشكل يومي .
6. تنشيط مواقع الجامعة وكلياتها على الإنترنت بحيث تتاح عليها أغلب احتياجات الطلاب من جداول ومحاضرات ونتائج وقبول الطلاب وغير ذلك من خدمات .

المصادر :

أولاً : الكتب

1. جعفر صادق الحسن ، سرحان سليمان دواد . تكنولوجيا شبكات الحاسوب .. رياض : دار وائل ، 2001.
2. ربحي مصطفى عليان، عثمان محمد غنيم. أساليب البحث العلمي : الأسس النظرية والتطبيق العلمي.. ط2، مزودة ومنقحة.. عمان : دار صفاء للنشر والتوزيع، 2008.
3. غالب عوض النوايسة . خدمات المستفيدين في المكتبات ومراكز المعلومات .. ط2 .. عمان : دار صفاء ، 2002.
4. محمد أحمد فكيرين . أساسيات الحاسب الآلي .. بيروت : دار الراتب الجامعية ، 1993 .
5. هشام بن عبدالله العباس . تسويق خدمات المعلومات عبر الإنترنت .. الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، 2009.

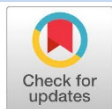
ثانياً : مقالات وبحوث الدوريات

1. ثروت يوسف الغلبان . " استخدام الطلاب للإنترنت دراسة ميدانية على طلاب جامعة طنطا " . العربية 3000 . س7 ، ع2 ، 2007 ، ص ص 31 - 66 .
2. محمد بن صنت بن صالح الحربي . " اتجاهات الطلاب السعوديين المبتعثين نحو استخدام الإنترنت في التعلم وحاجاتهم لتدريبية اللازمة لاستخدامه " . دراسات المعلومات . ع2 ، 2012 ، ص ص 167 - 223 .

ثالثاً : الرسائل الجامعية

1. ابتسام رزق عبدالحميد أنيسي . رواد مقاهي الإنترنت بمدينة البيضاء سماتهم واتجاهاتهم وأنماط استخداماتهم لشبكة الإنترنت : دراسة مسحية .. البيضاء : جامعة عمر المختار - كلية الآداب، 2007 - رسالة ماجستير .

2. إيمان إبراهيم الخميس . استخدام طالبات الجامعات السعودية للإنترنت : دراسة وصفية على عينة من طالبات الجامعات في مدينة الرياض .. الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود - كلية الدعوة والإعلام، 2010 - رسالة ماجستير
3. علي سالم رمضان لمتوان . الآثار الاجتماعية والثقافية لشبكة المعلومات الدولية والتدخل المهني للأخصائي الاجتماعي المخطط للتعامل معها : دراسة تطبيقية على الشباب الليبي بمنطقة طرابلس .. أم درمان : جامعة أم درمان الإسلامية - كلية الآداب ، 2006 - أطروحة دكتوراه.
4. منوبة رجب المنقاوي . استخدامات شبكة الإنترنت ومدى الاستفادة منها في مجال البحث العلمي من جانب طلبة الدراسات العليا في أقسام العلوم البحتة والتطبيقية - جامعة الفاتح .. طرابلس : جامعة الفاتح - كلية الآداب، 2006 - رسالة ماجستير.



التحويل في الجملة الاستفهامية

بدر الدين أحمد أغني*1

قسم اللغة العربية، الكلية التربوية (أبو عيسى)، جامعة الزاوية

Doi: <https://doi.org/10.54172/gekvp60>

المستخلص: تستكشف هذه الدراسة أنماط التحول في أسلوب الاستفهام. ويشير التحويل في هذا السياق إلى نقل التركيب الأصلي، أو الجملة التوليدية، إلى جملة أخرى تعرف بالجملة التحويلية. الجملة التحويلية هي التي طرأ عليها تحول في أحد عناصرها (إضافة، أو نقل، أو حذف، أو تحويل فوق الإعراب). وقد قام الباحث بالبحث في قواعد الاستفهام في الجملة الاسمية المكونة من المبتدأ والخبر، كما قام بالبحث في قواعد الاستفهام في جملة الفعل وأنماط تحولاتها.

الكلمات المفتاحية: التحويل، الاستفهام، تراكيب الجملة، الجملة التوليدية

Transformation in an interrogative sentence

Badr al-Din Ahmed Aghani

Department of Arabic Language, College of Education (Abu Issa), Zawia University

Abstract: This study explores patterns of transformation in the interrogative style. Transformation, in this context, refers to transfer the original syntax, or the generative sentence, into another one known as the transformational sentence. The transformational sentence is one that undergoes transformation in one of its elements (adding, transferring, deleting, or transformation above syntax). The researcher has investigated the interrogative syntaxes in the noun clause that consisted of *Mubtada* and *Khabar*, as well as investigated the interrogative syntax in the verb clause and its transformation patterns.

Keywords: Transformation, interrogative, syntax, generative sentence

مقدمة:

إذا كانت الدراسات النحوية قد تناولت المسائل النحوية تناولاً تقليدياً وصفيّاً يقف عند حدود السطح للبنية اللغوية النحوية ، فإنّ التحويل تناول الدراسات النحوية تناولاً حديثاً من ناحية صوتية ، وصرفية ، ونحوية ، ولسانية دلالية ؛ لغرض إيضاح جوانب التراكيب النحوية والصرفية وما فيها من تحويل استبهم على الدارس والباحث في العصر الحديث ، وما دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع قلة الدراسات النحوية الحديثة في مجال النحو التحويلي فكان الباعث إلى دراستي لمرحلة الدكتوراه الدلالة النحوية من خلال النصوص وعندما خضت غمار هذا البحث رأيت أنّ هذا الجانب فيه قصور ، وأردت الخوض في هذا المجال لعدم وجود دراسات تناولت التحويل بمختلف صنوفه بما ينسجم مع تحليل البنى اللغوية العربية التي حدث فيها التحويل في الدراسات النحوية ، ولأنّ مفهوم التحويل مازال غامضاً لدى الكثير من دارسي اللغة وخاصة اللسانيات ، ونهج النحويون و اللغويون العرب القدماء لتصنيف الجملة في العربية منهجين :

الأول . منهج تركيبى قسّمت الجملة في ضوءه إلى اسمية وفعلية توصف بالجملة الكبرى ، أو الصغرى .

الثاني . بلاغي يتعلق بالمعنى ، وقسمت الجملة في إطاره إلى إنشائية وخبرية .

لم يعد باستطاعة هذين التقسيمين تقديم تحليل يعطي فكرة تامة ، أو صورة واضحة تبين المعنى المراد من خلال التركيب اللغوي للجملة ، حيث قام علماء اللغة المحدثون بدراسة مختلف اللغات ، ووقفوا عند اللغة العربية وما فيها من تقدم في نظامي الأصوات والتراكيب ، فقامت عندهم مدارس لتحليل النصوص ، أو البحث في المعنى .

وستقف عند إحدى هذه المدارس وهي (المدرسة التوليدية التحويلية) التي قامت على أساس دراسة البنى والتراكيب اللغوية ، والكشف على البنية السطحية ، والبنية العميقة للجملة ، لذلك فإنّ هذا البحث يحاول أن يسلك طريقاً من شأنها أن تضمن للباحث تكويناً يقوم على أساس التفكير والاستنباط ؛ ليوسع نطاق ثقافته اللسانية وذلك بالعمل على جعل النحو يتضافر مع اللسانيات في تحليل البيانات النحوية ، وهذا يشتمل على مرحلتين :

الأولى: مرحلة العرض ، وتمثل في البنية السطحية للجملة ، ويتضح من ذلك ثنائية الأصل والفرع .

الثانية : مرحلة التطبيق التي تتضح من خلالها البنية العميقة ⁽¹⁾ للجملة ، وتوضح للدارس الجزئيات التي قُصِدَ إهمالها أثناء التحليل السطحي ؛ اجتناباً للإطالة .

فالتحويل هو نقل اللفظ من هيئة أصلية له إلى هيئة أخرى بقصد تعديل المعنى أو تغييره ، أي هو " عملية تغيير تركيب لغوي إلى آخر بتطبيق قانون تحويلي واحد أو أكثر مثل : التحويل من جملة إخبارية إلى جملة استفهامية ، إنَّه وصف العلاقة بين التركيب الباطني (أو البنية العميقة) و التركيب الظاهري (البنية السطحية) .. " ⁽²⁾ ، إذاً هو تحويل جملة إلى جملة أخرى ، أو تركيب إلى آخر ، والجملة المحوّل عنها هي ما يعرف بالجملة الأصل ⁽³⁾ ، وقد يكون في صيغة الكلمة أو في وظيفتها التركيبية ، أو في رتبته ، أو في حركتها الإعرابية ، و**التحويل** في النحو ليس شيئاً جديداً ، فلقد أثاره عالم اللغة (هاريس) قبل اللغوي (تشومسكي) ⁽⁴⁾ ، بل هو إجراء تركيبى مهم جدا ذكره النحاة العرب بوضوح في وصفهم النحوي لظواهر الجملة العربية وأبوابها أو عناصرها التركيبية ، وقد ذكروا شيئاً منه في قواعدهم ، ومن أمثلة ذلك قول ابن هشام : "وينفرد اسم المفعول عن اسم الفاعل بجواز إضافته إلى ما هو مرفوع به في المعنى ، وذلك بعد تحويل الإسناد عنه إلى ضمير راجع للموصوف ونصب الاسم على التشبيه ، تقول: (الورع محمودٌ مقاصده) ثم تقول: (الورع محمود المقاصد) بالنصب ثم تقول: (الورع محمود المقاصد) بالجر" ⁽⁵⁾ ، و**النحو التحويلي قائمٌ على أساس أن لكل تركيب إسنادي بنيتين** :

إحداهما: عميقة "deep structure" وهي تتصل بالمعنى ، أو التأويل الدلالي للجمل والعبارات .

والأخرى : سطحية "surface structure" وهي تشير إلى العبارات ، أو الجمل المنطوقة ، أو المكتوبة .

وتؤخذ الثانية من الأولى عن طريق عمليات نحوية عدّة تسمّى بالتحويل ، لذا يُعدُّ التحويل الجسر بين البنية العميقة و البنية السطحية ، وهو الذي يدلُّ على أنّ البنية العميقة هي المعنى في حين أنّ البنية السطحية هي التعبير المكتوب أو المنطوق الذي يحلّله اللغوي ، أمّا فيما يتعلق بالبنية العميقة والبنية السطحية في التركيب فيرى التحويلليون أنّ البنية

¹ . يراى بها التقدير والتأويل والحذف والزيادة وكل ما طرأ على الجملة من تحولات ، انظر : اللغة والمسؤولية ناعوم تشومسكي : ترجمة حسام البهناوي : 211 ، تقديم رمضان عبدالنواب ، مكتبة زهراء الشرق القاهرة 1999م ، ومدخل إلى المدارس اللسانية ، السعيد شنوكة : 109 ، المكتبة الأزهرية للتراث ، مصر 2008م .

² . من الأنماط التحويلية في النحو العربي محمد حماسة: 11 .

³ . انظر : المصدر السابق : 13 .

⁴ . انظر : اللغة والمسؤولية ناعوم تشومسكي :: 211 ، مدخل إلى المدارس اللسانية ، السعيد شنوكة : 10 .

⁵ . أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : 3 / 232، 233 .

العميقة هي التي تساعد على تبيان اختلاف اللغات فيما بينها اختلافاً دقيقاً ، وتدُلُّ على أنَّ كلَّ ذهن إنساني يشكل جملته بطريقة الخاصة النابعة من لغته ، ويرتبط التحويل بالكفاية اللغوية لدى الفرد ، وبالأداء لدى المتكلم " السامع المثالي " ، والمقصود بالكفاية اللغوية هي قدرة الفرد على إنتاج التراكيب ، وعدم تخطي حواجز القواعد الكامنة فيها ، وتنحصر الكفاية اللغوية في :

أ. الكفاية النحوية " grammatical competence " التي تتصل بنظرية تركيب الجملة ، والمعرفة بالقواعد النحوية وتتصل الكفاءة بالحدس الذي يدور في مجالات تتصل بالأصوات والصرف والنظم ، و الدلالة .

ب - الكفاية البرجماتية " competence pragmatic " وهي علم يهتم بدراسة العوامل التي تؤثر في اختيار الشخص للغة ، وتأثير هذا الاختيار في الآخرين ، وتتصل هذه الكفاءة بالدور الذي تؤديه العوامل غير اللغوية في استعمال اللغة والقدرة على تأويلها لمعرفة معانيها (6) .

ج . الأداء الكلامي " performance " وهو استعمال الفرد الفعلي للغته ، ولكي يكون الأداء الكلامي هو الانعكاس في عملية التكلم للكفاية اللغوية ، من دون مباشرة أية حالة من البعد عن قوانين اللغة ، لا بد في هذه الحالة من التماس جانب المثالية لتحقيق قاعدتي الكفاية والأداء ، والأداء عرضة للتغيير حسب مستويات الأفراد ودرجات انتباههم التي تتداخل مع العوامل اللغوية في عملية إنتاج الكلام (7) ، والنحو وسيلة لتوليد الجمل الصحيحة في لغة معينة ، وهذا يعني أنَّ البحث موجه بشكل رئيس إلى الجملة على اعتبار أنَّها الوحدة اللغوية الأساسية ، والجملة هي الحد الأدنى من الكلمات التي تحمل معنى يحسن السكوت عليه ، وتسمى الجملة التوليدية ، ومن هنا نستطيع ان نعرف البنية السطحية أنَّها الكلمات التي ينطق بها المتكلم ليعبر بها عن المعاني الموجودة في الذهن (8) ، وتسير على نمط من أنماط البناء في الجملة العربية إذ يتفرع منها : الجملة الاسمية ، ولها مكونان أساسيان هما : المبتدأ والخبر .

الجملة الفعلية ، ولها مكونان أساسيان هما : الفعل والفاعل .

⁶ . انظر : مقدمة لدراسة علم اللغة حلمي خليل : 130 ، دار المعرفة الجامعية مصر ، والألسنية المبادي والأعلام : ص : 262 ، ميشال زكريا بيروت 1980 .

⁷ . انظر : مقدمة لدراسة علم اللغة حلمي خليل : 130 .

⁸ . انظر : علم اللسانيات الحديث عبدالقادر عبدالجليل : 266 ، دار صفاء الاردن ، الأولى 1422هـ ، مقدمة لدراسة علم اللغة حلمي خليل : 164 .

والقواعد التحويلية التي يعتمد عليها البحث تقوم بتغيير تركيب أساس بتركيب أساس آخر مع دراسة العلاقات القائمة بين الجمل ، واعتمدت بعض الرموز المستخدمة من قبل الباحثين للاختصار ، تتمثل في : الحذف ، ويشار إليه (Ø) والتعويض ؛ أي إحلال عنصر مكان آخر ، وإعادة الترتيب عن طريق تبادل المواضع ليصبح الأول مكان الثاني ، وأشرت إلى (الضمير) بـ "ض" وإلى الفعل ، بـ "ف" وإلى الفاعل ، بـ "فا" وإلى المفعول به ، بـ "م به" وإلى الناسخ بـ "نا" ، وما يعيننا هنا في هذا البحث الجملة الاستفهامية بنوعيتها: اسمية وفعلية .

أسلوب الاستفهام:

يُعدُّ الاستفهام من أكثر الأساليب استعمالاً وذلك للمقدرة التي تمكنه من التكيف مع مختلف الانفعالات والرغبات الذاتية ، والاستفهام في اللسان : القَهْمُ : معرفتك الشيء بالقلب . وَفَهْمُهُ فَهْمًا وَفَهَامَةً : عَلِمَهُ وفهمْتُ الشيء عَقَلْتُهُ وَعَرَفْتُهُ وأفهمه الأمر وفهمه إِيَّاهُ : جعله يَفْهَمُهُ⁽⁹⁾ .

الأصل في الاستفهام طلب معرفة شيء مجهول ، وعَرَفَهُ التهانوي بآئِهِ: "كلام يدلُّ على الفهم ما اتصل به أداة الطلب.. ولكون الاستفهام طلب صورة ما في الخارج في الذهن لزم ألا يكون حقيقة إلا إذا صدر عن شاكٍ يصدق بإمكان الإعلام ، فإنَّ غير الشَّكِّ إذا استفهم يلزم منه تحصيل الحاصل ، وإذا لم يصدق بإمكان الإعلام انقضت فائدة الاستفهام"⁽¹⁰⁾ ، ومن الناحية من ذهب إلى أنَّ الاستفهام والاستخبار والاستعلام بمعنى واحد⁽¹¹⁾ فالمتكلم في الاستفهام يطلب شيئاً ليس واضحاً في ذهنه ومطابقاً لما في الواقع ، إذ الشيء المراد معرفته الموجود في الخارج المطابق لما في الذهن هو الأصل ، وجاء السؤال لإزالة الشك الموجود في ذهن المتكلم⁽¹²⁾ .

وللأستفهام صور متعددة منها : الاستفهام بالحروف والأدوات ، وتأتي هذه التراكيب دالة على الاستفهام في بعض المواضع ، و دالة على معانٍ أخرى خرج عنها الاستفهام إلى معانٍ عدة ، وسنختصر الحديث عن دلالة بعض أدوات الاستفهام ؛ لأنَّ المقام لا يكفي للحديث عنها جميعاً ، ونبين أثرها في دلالة الجملة ، والوظيفة التي تؤديها فيها هذه الوظيفة تتمثل في تحويل دلالة الجملة الخبرية إلى جملة استفهامية من خلال قيامها بعمليتين دلالتين :

⁹. ابن منظور : مادة " فهم " : 7 / 183 .

¹⁰. كشف اصطلاحات الفنون : 5 / 1155 .

¹¹. انظر : اللباب في علل البناء و الإعراب العكبري : 388 ، و شرح المفصل لابن يعيش : 8 / 150 .

¹². انظر : مفتاح العلوم للسكاكي : 274 .

الأولى: تحويل المعنى العام في التركيب التوليدي إلى المعنى الاستفهامي في التركيب المحوّل .

الثانية : تحدد الوظيفة الدلالية للركن اللغوي المستفهم عنه ، سواء أكان اسماً أم فعلاً ، فهي أدوات تحويل ولها وظيفة دلالية بحته⁽¹³⁾.

دلالة اسم استفهام (مَنْ) :

تأتي (مَنْ) للسؤال عمّن يعقل فإنّ اجتماع عاقل وغير عاقل غُلِبَ العاقل على غير العاقل كما في قوله تعالى: ﴿ وَاللّٰهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾⁽¹⁴⁾ ذهب العكبري إلى أنّ (مَنْ) يستفهم بها عن غير العاقل مجازاً⁽¹⁵⁾، وأسماء الاستفهام لها موضع في الدلالة النحوية في الوحدات الإسنادية الوظيفية ، من ذلك وقوعها في موضع رفع على الابتداء ، ويكون المبتدأ دالاً على معنى من المعاني التي تسلط على الجملة كلّها ، لذلك لزم صدر الكلام ، ولا يجوز أن يتأخر إذا كان اسم استفهام نحو قولهم : (مَنْ في الدار ؟)⁽¹⁶⁾ ورد هذا النمط في قول الشاعر⁽¹⁷⁾:

مَنْ مُبْلَغُ الْأَحْلَافِ عَنِّي رِسَالَةٌ * وذبيان هل أقسمتم كل مقسم دلالة اسم الاستفهام لا

تتعلق بعنصر من عناصر الجملة ، بل تتعلق بنوع الجملة ، لذلك يلزم النظام اللغوي أن يتصدر الجملة العنصر الدال على هذا المعنى الطارئ ، ولعلّ الصّبّان لوجوب تقديمها ؛ " أنّها تدلّ على نوع الكلام ، والحكمة تقتضي تقديم ما يدلّ على نوع من أنواع الكلام ليعلمه السامع من أول الأمر ، وينتفي عنه التحير الذي يحصل له لو قدّم غيره لاحتمال الكلام حينئذٍ كلّ نوع من أنواع الكلام " ⁽¹⁸⁾ ، وذكر النحاة أنّ (مَنْ) تأتي على أوجه منها : أن تكون موصولة ونكرة موصوفة وشرطية واستفهامية⁽¹⁹⁾ وما يعيننا في هذا الموضع وضع (مَنْ) في البنية السطحية وكونها استفهامية ، يستفهم بها عن النكرة والمعرفة ، و إذا استفهمت بها عن اسم معرفة ففيها خلاف بين النحويين من حجازيين وقيميّين ، وذهب سيبويه إلى أنّه إذا قيل : (رأيتُ زيداً) كان الاستفهام عنه لدى الحجازيين (مَنْ زيداً ؟) ، وإذا قلت : (مررتُ

¹³ . انظر : نحو نظرية لسانية عربية حديثة ، مازن الواعر: 164 .

¹⁴ . من الآية 45 من سورة النور .

¹⁵ . انظر : الباب في علل البناء والإعراب : 388 .

¹⁶ . انظر : شرح المقرب لابن عصفور : 702/2 .

¹⁷ . البيت لزهير ابن أبي سلمى : الديوان : 18 .

¹⁸ . حاشية الصّبّان : 211/1 ، 212 .

¹⁹ . انظر : رصف المباني للمالقي: 390، و مغني اللبيب لابن هشام : 327/1 .

(يزيد) استفهم بها عن المجرور بقولهم : (مَنْ زيد؟) وكذلك إذا قلت : (هذا عبدالله) استفهموا بها عن المرفوع بقولهم : (مَنْ عبدالله؟) .. وإذا استفهمت بها عن نكرة ففي حالة الوقف : فالرفع واواً ، والنصب ألفاً والجر ياءً ، فإذا قال : " جاءني رجلٌ ، قلت : منو؟ و.. منا ؟ ، .. مني... ولا يكون ذلك في معرفة ⁽²⁰⁾ بمعنى أنَّ الحجازيين يجرون "مَنْ" على الحكاية ، بحجة أنَّ الاستفهام وقع على الاسم المذكور من دون غيره ، والتميمون يرفعون على كلِّ حال ، وهو أقيس القولين عند سيبويه ⁽²¹⁾ ، بحيث تكون اسماً لذات مَنْ يعقل كما في قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ رُبُّكُمْ يَا مُوسَى ﴾ ⁽²²⁾ ، أو كقولك : (مَنْ في القاعة ؟) فتقول: (فيها خالد) ، ففيها حقيقة السؤال عن الجنس وتخصيصه ، وأنكر ابن عصفور مجيئها لبيان الجنس، واحتج ابن أبي الربيع بأنَّ سيبويه لم يذكر مجيء "من" لبيان الجنس ⁽²³⁾ .

يُعَدُّ العنصر الدلالي (مَنْ) اسماً نكرةً دالاً على الاستفهام عن عاقلٍ ، وتساوي أداة الاستفهام " مَنْ " في دلالتها المستفهم عنه مع همزة الاستفهام ، لذلك حُكِمَ على الجملة التي توجد فيها (مَنْ) بأنها جملة اسمية في صورتها وهيئتها المنطوقة ولكنها في البنية العميقة جملة فعلية ، لذلك كان الأصل في حروف الاستفهام ألاَّ يليها إلاَّ الفعل ؛ إلاَّ أنهم قد توسعوا فيها فابتدءوا بعدها الأسماء ، والأصل غير ذلك ⁽²⁴⁾ ، والقواعد التحويلية جعلت هذه الجملة تبدو في صورة الجملة الاسمية مع أنَّ دلالتها فعلية ، قال الصَّبَّان : " جملة (مَنْ قام ؟) اسمية في الصورة ، فعلية في الحقيقة وبيان ذلك أنَّ قولك : (مَنْ قام ؟) أصله : أقام زيد أم عمرو أم خالد إلى غير ذلك لا أزيد قام أم عمرو أم خالد ؛ لأنَّ الاستفهام بالفعل أولى لكونه متغيراً فيقع فيه الإجماع ، ولما أريد الاختصار وضعت كلمة " مَنْ " دالةً إجمالاً على تلك الذوات المفصلة ومتضمنة لمعنى الاستفهام ، وبهذا التضمنين وجب تقديمها على الفعل ، فصارت الجملة اسمية في الصورة .. فعلية في الحقيقة " ⁽²⁵⁾ ، وبناءً على هذا التحليل عُدَّ هذا التركيب من النماذج التي يظهر فيها مفهوم التحويل جيداً في النحو العربي ⁽²⁶⁾ ، ونلاحظ في هذا النمط أنَّ الشاعر - في الشاهد الشعري السابق - بدأ باسم الاستفهام (مَنْ) وهو

²⁰. انظر: الكتاب: 413 / 2 .

²¹. انظر: انظر: المصدر السابق: 411/2 ، والأصول لابن السراج: 394 / 2 ، النبصرة للصيرمي: 475 / 1 .

²². من الآية 49 من سورة طه .

²³. انظر: شرح الجمل: 491/1 ، البسيط في شرح جمل الزجاجي: 846 / 2 ، والبحر المحييط لأبي حيان: 474/6 .

²⁴. انظر: الكتاب: 98/1 ، 99 .

²⁵. حاشية الصَّبَّان : 188 / 1 .

²⁶. انظر : من الأنماط التحويلية : 29 ، 30 .

اسم مبهم يسأل به عن الذات البشرية ،وجيء به لضرب من الاختصار⁽²⁷⁾، وأخبر عنه بلفظ (مبليغ) وهي نكرة مرفوعة ، وحل اسم الاستفهام محل الاسم المعرفة ؛ لذلك أُعْرِبَ مبتدأ ، وذهب بعض المحدثين إلى أنَّ (مَنْ) .. عنصر استفهام لا علاقة لها بالاسمية ولا تحتاج إلى إعراب أو محل من الإعراب ، إذ إنّها من أدوات المعاني فتنتقل الجملة إلى المعنى الذي تحمله " (28) ، والذي أراه أنَّ " مَنْ " حرف استفهام دخل على الجملة الاسمية التوليدية القائمة على عنصر الحذف فحوّلها إلى جملة تحويلية للدلالة على نقل الجملة إلى معنى جديد هو معنى الاستفهام ولها موضع من الإعراب .

وقد تركب " مَنْ " الاستفهامية مع " ذا " الموصولة لتعطي دلالة غير الدلالة التي كانت تعطيهما كل واحد منهما منفردة فتخرج أداة الاستفهام إلى الدلالة على النفي كما في قوله تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾⁽²⁹⁾. فـ" مَنْ " رفع ، وهو استفهام في معنى النفي لذلك دخلت إلّا في مضمون الآية في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ ، فللملاحظ أنَّ المورفيم المركب مِنْ (مَنْ) و(إِلَّا) يُعَدُّ أهم عنصر دلالي في تحويل دلالة الجملة من الاستفهام إلى معنى الإنكار ، إضافةً إلى خصيصة التركيب المهمة التي أسهمت في إطالة الخبر وهي كون الجملة الموصولة بدلاً من اسم الإشارة ، وقد عبّرت صلة الموصول عن عظم المسؤول عنه الذي ينفي بذلك مجازة أي واحد له . سبحانه وتعالى .⁽³⁰⁾ ، وبذلك حوّل الاستفهام إلى معنى النفي ؛ أي : ما من شفيع إلّا الله سبحانه على سبيل التعظيم⁽³¹⁾، فإذا رُكِبَتْ " مَنْ " مع " ذا " كما في الآية السابقة وفي قوله تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا ﴾⁽³²⁾ دلّ هذا التركيب على العرض وهو ما ذهب إليه ابن عاشور بقوله : " هو مستعمل في معنى التحريض مجازاً " ⁽³³⁾ وهذا يدلُّ على وجود دالتين :

أحدهما: دلالة الاستفهام على العرض.

²⁷. انظر : شرح المفصل : 11/4 .

²⁸. أسلوبا النفي والاستفهام في العربية في منهج وصفي في التحليل اللغوي خليل عمايرة : 37 .

²⁹. من الآية 255 من سورة البقرة .

³⁰. انظر: التبيان في إعراب القرآن : 116/1 .

³¹. انظر : معترك الأقران : 437/1 .

³². من الآية 11 من سورة الحديد .

³³. تفسير التحرير و التنوير : 377/27 .

والآخر: دلالة العرض على الإخبار لإفادة التعظيم ، فالقرض المستكمل محاسن نوعه من كونه عن طيب خاطر وبلا مئة ، أو تضيق أجل القضاء هو ما شبّه به الله تعالى الإنفاق في سبيله ، لهذا فإنّ (من ذا الذي) في هذا الموضع تفيد التعظيم⁽³⁴⁾.

والذي أراه أنّ (مَنْ ذا) عنصر استفهام يستفهم بها عن أمر عام يوضح مضمون الأمر المجهول ، وتدخل على الجملة التحويلية القائمة على عنصر الحذف لتنقلها إلى معنى جديد هو معنى الاستفهام .

دلالة اسم الاستفهام " ماذا " :

من أدوات الاستفهام " ماذا " ، وفي هذا النمط تبرز لنا ظاهرة التقديم والتأخير في الجملة الاستفهامية على أنّها خاصية تركيبية دلالية ، لكون أدوات الاستفهام لها الصدارة في الكلام ، ومن ذلك قول الشاعر⁽³⁵⁾ :

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ بِذِي مَرَحٍ * زُغْبُ الْخَوَاصِلِ لَا مَاءٌ وَلَا شَجَرُ *

وقول الشاعر⁽³⁶⁾ :

وماذا يعدي المال عنك وجمعه * إذا كان ميراثاً ووراك لاحد *

المتأمل في الشاهدين الشعريين يجد أنّ الجملة الفعلية (ماذا تقول) قد بُنيت على فعل وفاعل وفضلة تتمثل في مفعول به معنوي وهو ما نجده في البنية العميقة للتركيب " تقول شيئاً ما " ، ولما كانت الفضلة في الشاهد الشعري مبهمة غير محددة فإنّ إنشاء السؤال يقتضي في هذه الحال تقديم أداة الاستفهام الموجودة في الشاهد ، ووقع المفعول به " شيئاً " اسماً صريحاً كما هو معروف ، ولما كانت أداة الاستفهام تقوم في البنية السطحية مقام الاسم الصريح في البنية العميقة فمعنى ذلك أنّها تقوم مقام الاسم وتؤدي وظيفته وتعرب إعرابه ، ويمكننا تحليل أحد مركبي الاستفهام حسب التشجير الآتي :

³⁴. انظر: نسخ الوظائف النحوية ، خديجة الحديثي: 109 .

³⁵. البيت للحطّينة ، الديوان: 191 .

³⁶. البيت لحاتم الطائي ، الديوان: .

معرفة الخبر الصالح ؟ ،أو للأمر (هَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) بمعنى انتهوا⁽³⁷⁾، و " هل " هذه يستفهم بها عن عاقل كما في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾⁽³⁸⁾، وعن غير عاقل ، وتُعَدُّ (هَلْ) حرف استفهام مختص بالتصديق يُجَابُ عنه بـ(نعم) أو(لا) ، وتدخل على الجملة الاسمية و الفعلية ، إلا أنَّ بعض النحاة قد ذهب إلى أنَّ دخولها على اسم بعده فعل يُعَدُّ مخالفاً للأصل، وأجازوه في الشعر،⁽³⁹⁾ بحجة أنَّ الجملة التوليدية الفعلية يجب أن تبقى على نظامها الأصل بحيث تتحول إلى جملة تحويلية من حيث المعنى بزيادة عنصر الاستفهام (هل)، والزيادة هنا لغرض إزالة الإبهام في الجملة بتمامه⁽⁴⁰⁾، ويدخل عنصر التحويل على الجملة الاسمية⁽⁴¹⁾ التوليدية الإخبارية فيحولها إلى جملة تحويلية أفادت الاستفهام والاستخبار ، ومن هذا النمط قول الشاعر⁽⁴²⁾:

هَلْ الْمَجْدُ إِلَّا السُّؤْدُودُ وَالنَّدَى * وَجَاهُ الْمُلُوكِ واحتمالُ الْعِظَائِمِ؟ الملاحظ في البيت أن أسلوب الاستفهام جاء مرتبطاً مع إحدى أداوت الاستثناء التي تفيد القصر⁽⁴³⁾، ومع ذلك يبقى الاستفهام داخلياً في صميم البنية، حيث يظل التركيب محتملاً الجواب أو النقص ، فالعنصر الدلالي (هَلْ) دخل على التركيب الاسمي في البيئة السطحية فأعطي دلالةً غير التي كان عليها ، وصار دالاً على النفي مشكلاً مع (إِلَّا) مورفياً مركباً للدلالة على الاستفهام في معنى الإنكار ، و يُعَدُّ تحول دلالة "هَلْ" من الاستفهام إلى النفي متطابقاً مع ما ذهب إليه بعض النحاة في قولهم : " ويجعلونها أيضاً بمنزلة ما " ⁽⁴⁴⁾ ومن جهة أخرى قد لا يتطابق النفي بـ(هَلْ) مع النفي بحرف النفي ، لأنَّ المعنى مختلف من جهتين : أحدهما : النفي بـ(هَلْ) ليس نفيّاً محضاً ، بل هو مشوب بمعان أخرى ، يخرج فيها الاستفهام إلى التعجب والاستنكار ، والأخرى : يُعَدُّ النفي الصريح إقراراً من المخبر ، أمّا إذا كان عن طريق الاستفهام اتضح أنَّ المراد إشراك المخاطب في الأمر ، وانتظار الجواب ، كما في قوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ

³⁷ . انظر : الكتاب : 189/3 ، المقتضب : 43/1 ، شرح المفصل : 125/8 ، إعراب ثلاثين سورة من القرآن : 64 ، الأزهية في علم الحروف للهروي : 309 ، الجني الداني في حروف المعاني للمراي : 346 ، الجملة الفعلية استفهامية ومؤكدة : 13 .

³⁸ . من الآية 53 من سورة الأعراف .

³⁹ . انظر : الكتاب : 99/1 .

⁴⁰ . انظر : الجملة الفعلية استفهامية ومؤكدة : 13 .

⁴¹ . جاز دخول هل على الجملة الفعلية كما في قول الخطيب :

وَهَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ مَذْ عَامِينَ أَوْ عَامَ * داراً لَهْدٍ بَجَزَعِ الخرج فالدام . الديوان : 125 .

⁴² . الشاهد حسان بن ثابت الأنصاري ، شرح الديوان : 272 .

⁴³ . القصر : لغة : الحبس ، واصطلاحاً : تخصيص شيء بشيء بأحد الطرائق الخاصة ، وهو نوع من أساليب التوكيد ، ويكون بإحدى الأدوات الآتية : ما النافية ، أو إنما ، أو إلا . لذلك التزم النحاة فيه بتقديم المبتدأ وتأخير الخبر ، ولا يجوز العكس منعاً للبس . انظر : شرح التصريح للأزهري : 173/1 .

⁴⁴ . انظر : حروف المعاني للزجاجي : 2 .

﴿(45) حيث كان السائل ينتظر الجوابي : لا ، وتأول النحاة الآية بـ (ما جزاء الإحسان إلّا الإحسان) وهو ما ذهب إليه فاضل السامرائي بقوله : " فالنفي ابتداء يفيد أنّ المتكلم يقول الأمر من نفسه ، وأما في الاستفهام فإنّه يدع ذلك للمخاطب ليقوله "(46) ، فمن سياق الاستفهام بـ (هل) أنّ يأتي مركباً مع (إلّا) ليعطي دلالة جديدة للجملّة الداخل عليها ، وهي دلالة النفي لتتماشى مع السؤال الذي يتطلب جواباً عن (المجذّب السؤدد العوذ) ويؤكد بالحصر "المجذّب إلّا السؤدد العوذ" وفي الحصر . الاستثناء المفرغ . تظهر دلالة النفي مع (إلّا) ، وتأخر الخبر وجوباً في هذين الموضعين لكون أداة الحصر لا يتقدم عليها الخبر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ (47) والمعنى : هذا بشرٌ مثلكم ، بحيث تفرغ اسم الإشارة إلى ما بعد إلّا (48) .

ويظهر ممّا تقدم أنّ المبتدأ مقصور على الخبر في البيت السابق ، وراعى الشاعر فيه نظام الرتبة في اللغة العربية ، وهو ما يتوافق مع ما ذهب إليه النحاة إذ لا يجوز تقديم الخبر في هذه الحالة لذلك علّل الأشموني لمنع تقديم الخبر بأنّه : " لو قدم الخبر . والحالة هذه . لانعكس المعنى المقصود ، ولأشعر التركيب . حينئذٍ . بانحصار المبتدأ " (49) ونجد أنّ المبتدأ قد تقدم في قوله (المجذّب إلّا السؤدد العوذ) وهو (المجذّب) المعرف بـ (أل) وقد سبقته أداة الاستفهام " هل " فكان لها دلالة الاستفهام الإنكاري ، أمّا الخبر فهو (السؤدد) وتقدمته أداة الحصر (إلّا) لذلك جاء المبتدأ محصوراً في الخبر ، فما قبل الأداة مبتدأ وما بعدها خبر للدلالة على قصر الموصوف على الصفة ، وهذه الدلالة لا تتأتّى إلّا بتأخير الخبر ، ويبيّن ابن عصفور علّة ذلك القصر قائلاً : " المراد الحصر ، أي حصر المبتدأ في الخبر أي قصر الموصوف على الصفة ، ولا يستفاد ذلك إلّا بتأخر الخبر " (50) .

دلالة أداة الاستفهام الهمزة :

ذهب النحاة إلى أنّ الهمزة هي أمّ باب الاستفهام ، بحجة أنّها لا تزول عن الاستفهام ، فالأصل في أداء معنى الاستفهام أن يكون بالهمزة ، وكان الأصل في أداء باقي أدوات الاستفهام لهذا المعنى أن يكون بتقدير الهمزة فتقول :

45 . من الآية 60 من سورة الرحمن .

46 . معاني النحو : 208 / 4 .

47 . من الآية 3 من سورة الأنبياء .

48 . انظر : معاني النحو : 213 / 2 وما بعدها .

49 . شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : 281/1 .

50 . شرح المقرب : 715 / 2 .

أمن ، و أمّتي ، وأما ؟ ولما كثر استعمالها في الاستفهام حُذفت الهمزة للعلم بها وعدم الالتباس⁽⁵¹⁾، وممّا استدل به النحاة على أنَّ الهمزة أم الباب اختصاصها بالدخول على المنفي ، وغالباً ما يُراد بها عند ذاك الإنكار ، أو التعجب كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾⁽⁵²⁾ ، وقوله تعالى ﴿ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾⁽⁵³⁾ و منها قول الشاعر⁽⁵⁴⁾:

أَلَسْنَا نَكْبُ الْكُومَ وَسَطَ رِجَالِنَا * وَنَسْتَصْلِحُ الْمُؤَلَّى إِذَا قَلَّ رَاقِعُهُ؟

أدوات الاستفهام لها صدر الكلام سواء أكانت حروفاً أم أسماء ، والهمزة حرف استفهام يستفهم بها عن جميع الأزمنة ؛ أي يستفهم بها عمّا وقع وعمّا لم يقع ، وتأتي الهمزة للإنكار و التوبيخ والتقرير و التعجب قال سيبويه : " هذا باب ما تلحقه الزيادة في الاستفهام إذا انكرت أن تُثبت رأيه على ما ذكر أو تنكر أن يكون رأيه على خلاف ما ذكر ... " ⁽⁵⁵⁾ السياق هو الذي يدل على أنَّ الاستفهام ليس على حقيقته ، ففي قوله (أَلَسْنَا نَكْبُ الْكُومَ) تحول الاستفهام إلى الدلالة على التقرير الخبري ، فجملة : (أَلَسْنَا نَكْبُ الْكُومَ) ، جملة تحويلية أصلها التوليدي : نحن نكب الكوم = جملة اسمية توليدية جرى عليها الزيادة بعنصر النفي (ليس) ، صارت الجملة تحويلية : (نا + ض + ف مضارع + فا محذوف + م به) وتفيد الإخبار ، و المتكلم أراد الاستفهام الإنكاري فأدخل الهمزة التي حوّلت الجملة من خبرية إلى استفهامية (أَلَسْنَا نكب الكوم) ، فهي جملة تحويلية جرى فيها التحويل بالزيادة و الترتيب وأفادت معنى الاستفهام الإنكاري .

ويمكننا تحليل النموذج حسب التشجير الآتي:

⁵¹ . انظر : شرح المفصل لابن يعيش : 8 / 152 .

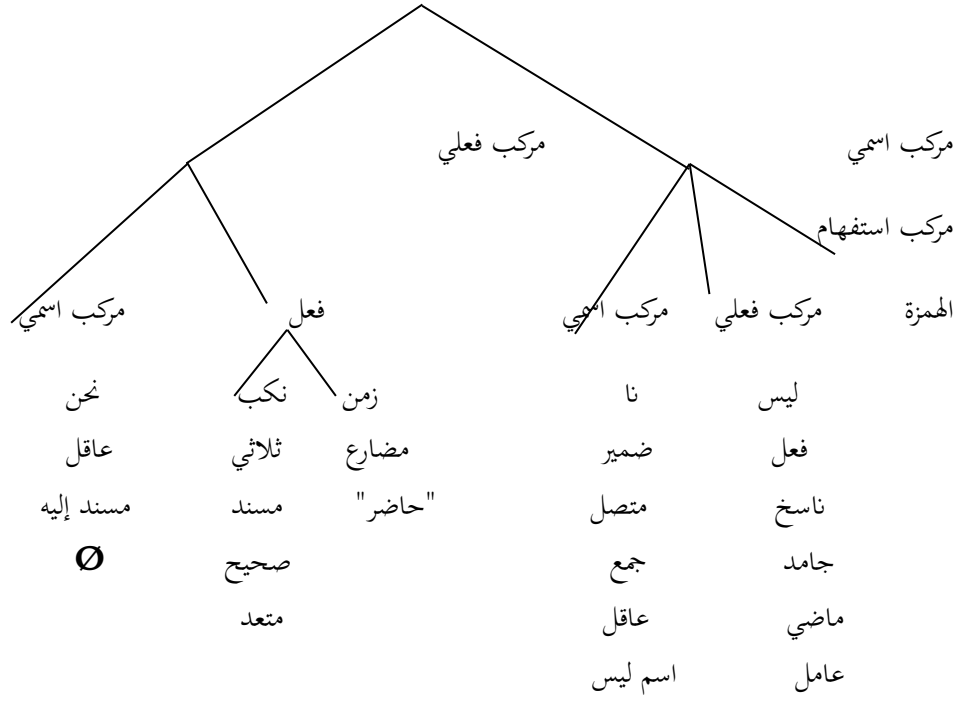
⁵² . من الآية 36 من سورة الزمر .

⁵³ . من الآية 78 من سورة هود .

⁵⁴ . البيت لحسان بن ثابت : الديوان : 129 ، الكوم : القطعة من الإبل ، وناقة كومااء عظيمة السنام، انظر: اللسان مادة (كوم) .

⁵⁵ . الكتاب : 2 / 420 .

الجملة : ألسنا نكُفُّ



دلالة اسم الاستفهام كيف :

نموذج تحليلي للتركيب الاستفهام بالأداة كيف ، قال الشاعر (56):

فقلتُ ألا كيف الزمان عليكما؟*
* فقالا: بخير أرضك سائل

كيف : ظرف مبهم غير متمكن عند سيبويه (57)، ويستفهم بها عن حال الشيء وهيأته ، نحو (كيف أنت ؟) ومعناه " على أيِّ حال ؟ " (58)، ويستكره أن يكون للجزاء ، قال سيبويه سألت الخليل : " عن قولهم : كيف تصنع اصنع ، فقال: هي مستكرهة وليست من حروف الجزاء ، ومُخَرَّجُها على الجزاء قيل : كيف زيد؟ فجوابه : صحيح او سقيم ، أو مشغول ، أو فارغ ، أو شح ، أو جذلان ينتظم الأحوال كلها " (59).

تم تحويل التركيب السابق من البنية العميقة إلى البنية السطحية عن طريق القواعد التحويلية الآتية :

- الحذف الإجمالي: حُذِفَ المركب الفعلي ومركب التكملة (استفهم حال) حذفاً إجبارياً .
- الإحلال : حُلَّ مركب أداة الاستفهام (كيف) محل المركبين السابقين المحذوفين (المركب الفعل ومركب التكملة).
- التقديم : تمَّ تقديم مركب أداة الاستفهام (كيف) على المركب الاسمي (المستفهم عنه) وهو لفظ (الزمان)
- لكون أدوات الاستفهام لها الصدارة في الكلام ، ويمكننا تحليل الجملة حسب التشجير الآتي :

⁵⁶ . الشاهد لحاتم الطائي : الديوان : 149 ، الأولى : 1428هـ.

⁵⁷ : انظر : الكتاب : 3 / 285 .

⁵⁸ . المصدر السابق 4 / 233 .

⁵⁹ . مفتاح العلوم : 135 .

مركب الاستفهام

مركب الأداة

تعريف اسم

كيف

أل زمان

+مسند +أداة +متقدم

+مسند إليه +زمن +غير عاقل

مركب فعلي

مركب تكملة

حال

+مكمل +وصف

مركب اسمي

+عاقل

مركب فعلي

زمن فعل .

+مسند إليه

+مضارع

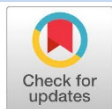
+استفهم .

+ضمير

+ثلاثي .

+عاقل

+مزيد +مسند



التفاوت المكاني لمعدل نصيب الفرد من المياه في مدينة شحات بليبيا

أحمد عبد السلام عبد النبي^{1*} موسى رجب عبد الشفيق²

قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة عمر المختار

Doi: <https://doi.org/10.54172/74dsga04>

المستخلص: لم تعد مشكلة المياه في المدن الليبية تقتصر على توفير مصادر للإمداد المائي بكميات تتناسب مع أحجام هذه المدن، أو أن تكون هذه الكميات صالحة نوعياً للاستهلاك البشري، بل أن هذه المشكلة أصبحت تشمل انعدام العدالة المكانية في توزيع المياه وبالتالي ظهور تفاوت مكاني في استهلاكها داخل المدينة الواحدة. تهدف هذه الدراسة إلى تحديد معدل نصيب الفرد من المياه في مدينة شحات ومقارنته مع المعيار المخصص للفرد من المياه في ليبيا، وتحليل التفاوت المكاني لمعدل نصيب الفرد من المياه بين أحياء المدينة، مع إبراز العوامل المؤثرة في هذا التفاوت المكاني بالمدينة. ومن أجل تحقيق هذا الهدف، اعتمدت الدراسة على استمارة استبيان وزعت على عينة عشوائية من أرباب الأسر بمدينة شحات بلغ عددها (150) استمارة. أما أسلوب التحليل الذي اعتمدته الدراسة فيتمثل في أسلوب التحليل الكمي من خلال استخدام برنامج (SPSS). لقد خلصت الدراسة للعديد من النتائج أبرزها انخفاض معدل نصيب الفرد من المياه في مدينة شحات مقارنة مع المعيار المحدد للفرد من المياه في ليبيا، ووجود تفاوت واضح في معدل نصيب الفرد من المياه بين أحياء المدينة، وذلك نتيجة للعديد من العوامل التي أهمها: الإمداد المائي، وشراء المياه، وحجم الأسرة، وعمر شبكة المياه بالحي السكني، وتاريخ بناء الوحدة السكنية.

الكلمات المفتاحية: معدل نصيب الفرد من المياه، التفاوت المكاني، استهلاك المياه

Spatial variation in per capita water consumption in the city of Shahat, Libya

Ahmed Abdel Salam Abdel Nabi; Musa Rajab Abdel Shafie

Department of Geography, Faculty of Arts, Omar Al-Mukhtar University

Abstract: The water problem in Libyan cities is no longer confined to providing water supply sources in quantities proportional to the sizes of these cities or ensuring the quality of water for human consumption. Rather, this problem has expanded to include spatial injustice in water distribution, leading to spatial disparities in consumption within the same city. This study aims to determine the per capita water allocation in the city of Shahat, comparing it with the designated standard per capita water allocation in Libya. Additionally, the study analyzes spatial disparities in per capita water allocation among different neighborhoods in the city, highlighting the factors influencing this spatial variation. To achieve these objectives, the study utilized a questionnaire distributed to a random sample of households in Shahat, totaling 150 surveys. The analysis employed quantitative methods using the SPSS software. The study revealed several results, including a decrease in per capita water allocation in Shahat compared to the established standard in Libya, and a clear disparity in per capita water allocation among different neighborhoods in the city. This disparity is attributed to various factors, including water supply, water purchasing, household size, the age of the water network in residential areas, and the construction date of residential units.

Keywords: Average per capita water share, spatial variation, water consumption

المقدمة

شهدت ليبيا نمواً حضرياً سريعاً منذ ستينيات القرن العشرين ، إذ بين المسح الوطني للسكان لسنة 2012 أن نحو 88% من سكان ليبيا يعيشون في مراكز حضرية (مصلحة الإحصاء والتعداد، 2013) ، وقد ترتبت عن هذا النمو الحضري السريع ظهور عدة مشكلات بالقطاع المائي بالمراكز الحضرية أهمها: استنزاف المياه الجوفية وهبوط منسوبها وتلوثها بسبب مياه الصرف الصحي، كما أصبحت العديد من المراكز الحضرية تعاني من عجز في الإمداد المائي ، مما ترتب عنه بروز تفاوت مكاني في معدل نصيب الفرد من المياه في المراكز الحضرية، والجدير بالإشارة أن مشكلة التفاوت المكاني في حصول الفرد على المياه لم تعد تقتصر على المدن الكبرى أو المتوسطة ، بل إنها أصبحت تظهر بشكل واضح في العديد من المدن الصغيرة والتي تمثل مدينة شحات نموذجاً لها وبناء على ذلك، فإن هذه الدراسة تهتم بدراسة وتحليل التفاوت المكاني في معدل نصيب الفرد من المياه في مدينة شحات، ومقارنة هذا المعدل مع المعيار المحدد لحصة الفرد من المياه في ليبيا، وكذلك تحديد العوامل المؤثرة في التفاوت المكاني في معدل نصيب الفرد من المياه بهذه المدينة.

مشكلة الدراسة :

لم تعد مشكلة المياه في المدن الليبية تقتصر على توفير مصادر للإمداد المائي بكميات تتناسب مع أحجام هذه المدن، أو أن تكون هذه الكميات صالحة نوعياً للاستهلاك البشري، بل ان هذه المشكلة أصبحت تشمل انعدام العدالة المكانية في توزيع المياه وبالتالي ظهور تفاوت مكاني في استهلاكها داخل المدينة الواحدة.

تسعى هذه الدراسة إلى تحديد معدل نصيب الفرد من المياه في مدينة شحات ومقارنته مع المعيار المخصص للفرد من المياه في ليبيا، وتحليل التفاوت المكاني لمعدل نصيب الفرد من المياه بين أحياء المدينة، مع إبراز العوامل المؤثرة في هذا التفاوت المكاني بالمدينة.

الهدف من الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق ما يلي.

1- تحديد معدل النصيب الفرد من المياه في مدينة شحات، ومقارنته مع المعيار المخصص للفرد في ليبيا.

2- توضيح التفاوت المكاني في معدل نصيب الفرد من المياه في مدينة شحات

3- إبراز العوامل المؤثرة في التفاوت المكاني لمعدل نصيب الفرد من المياه في مدينة شحات.

طريقة الدراسة :

بسبب غياب البيانات الرسمية عن استهلاك المياه بالمدن في ليبيا، اعتمدت هذه الدراسة على استمارة استبيان وزعت على عينه عشوائية من أرباب الأسر بمدينة شحات بلغ عددها (150) استمارة في شهري ابريل ومايو سنة 2014 ، أما أسلوب التحليل الذي اعتمدته الدراسة فيتمثل في أسلوب التحليل الكمي من خلال استخدام برنامج (SPSS).

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة فيما يلي:

1- تعد هذه الدراسة من أوائل الدراسات التي تهتم بدراسة التفاوت المكاني لمعدل نصيب الفرد من المياه في المدن الصغيرة في ليبيا، وذلك على الرغم من أن هذه المدن أصبحت تشكل نحو ثلث سكان الحضر في ليبيا (Kezeiri,2014).

2- تكشف هذه الدراسة عن العديد من النتائج، كما تعرض بعض التوصيات التي من الممكن أن تساهم في معالجة مشكلة التفاوت المكاني في الحصول على مياه الشرب داخل المراكز الحضرية عند أخذها بعين الاعتبار من قبل المخططين الحضريين القائمين على إدارة مرافق المياه بالعديد من المدن الصغيرة في ليبيا.

الدراسات السابقة :

تشير دراسة Wentz وآخرون (2012) إلى أن الإسكان متعدد الأسر يقلل من معدل الاستهلاك اليومي للفرد من المياه. ويرجع ذلك جزئياً إلى تقاسم مرافق استخدام المياه خارج البيت مثل حمامات السباحة والحدائق. وفي دراسة Zhang و Brown (2005) وجد أن التحضر السريع جنبا إلى جنب مع تحسين السكن ومستويات المعيشة من العوامل التي أحدثت نقلة كبيرة في استخدام المياه المنزلي في بكين. وتوصلت دراسة أخرى إلى أن الزيادة في الأنشطة الاقتصادية والنمو السكاني في الهند هي

المسؤولة عن انخفاض معدل نصيب الفرد من المياه (Shaban and Sharma 2007). و في نيجيريا تبين أن الاختلافات الموجودة في معدل استخدام المياه هي نتيجة للتباين في المستوى الاقتصادي والاجتماعي وعدد السكان، وتوافر المياه وكذلك مستوى الوعي عند السكان (Sule وآخرون , 2010). وفي دراسة مشابهة في الهند خلصت إلي ان التغيرات في نمط الحياة تساهم في ارتفاع استهلاك المياه. في المقابل نشر الوعي والتعليم ، وارتفاع التعريف قد تغير في العادات الاستهلاكية. وكذلك قد يكون الخصم أداة فعالة و ناجحة في الحد من استخدام المياه (Jethoo and Poonia, 2011) . كما ركزت دراسة Nnaji وآخرون (2013) على العوامل المؤثرة على استخدام المياه في مدينة نسوكا في نيجيريا مثل متوسط الدخل الشهري و الوقت المستغرق للحصول على المياه وسعة الخزان و تكلفة المياه و حجم الأسرة , وبالإضافة إلى هذه العوامل فان هناك متغيرات رئيسية تفسر التفاوت المكاني في الاستهلاك المنزلي للمياه مثل هيكلية البناء وحجم المبنى وكثافة المبنى، وعمر المبنى (Chang وآخرون , 2010). في المقابل دراسة أجريت في الأردن أظهرت وبشكل واضح أن نوعية المياه هي القضية الرئيسية التي تقلق الغالبية العظمى من السكان , بغض النظر عن مستويات دخلهم أو الوضع الاقتصادي أو الاجتماعي أو المنطقة التي يعيشون فيها , حيث تجنب السكان عموما شرب مياه من الخط الرئيسي و يبلغون عن مستويات منخفضة من الرضا فيما يتعلق بنوعية المياه في عمان بشكل عام (Potter و Darmame , 2010).

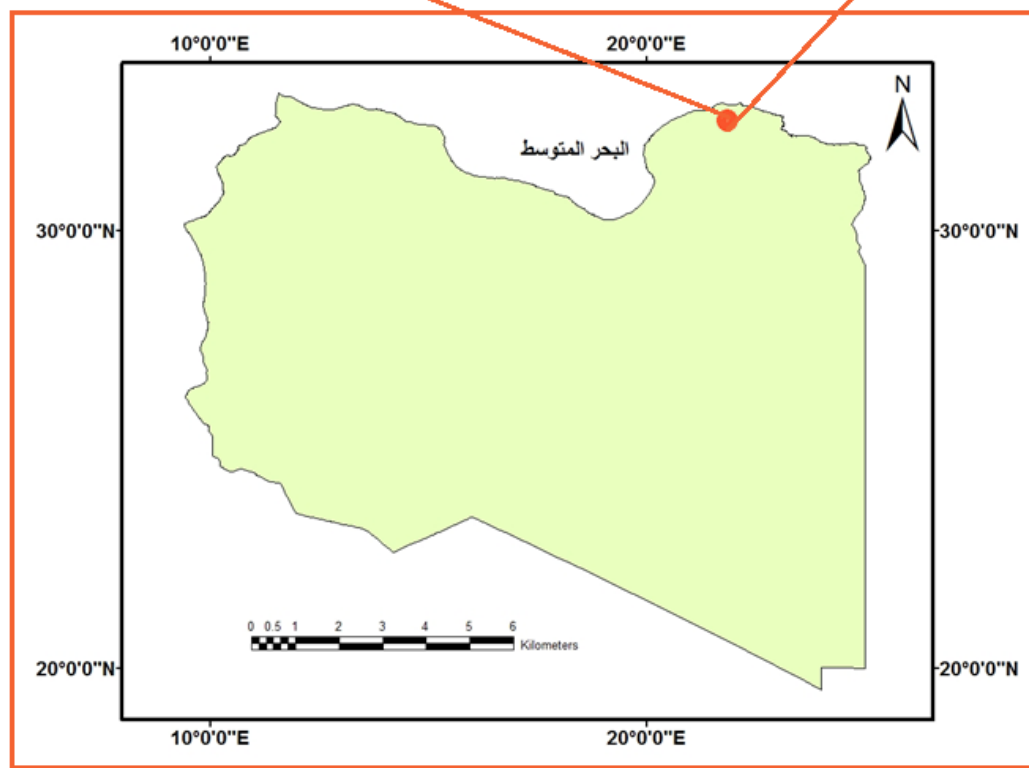
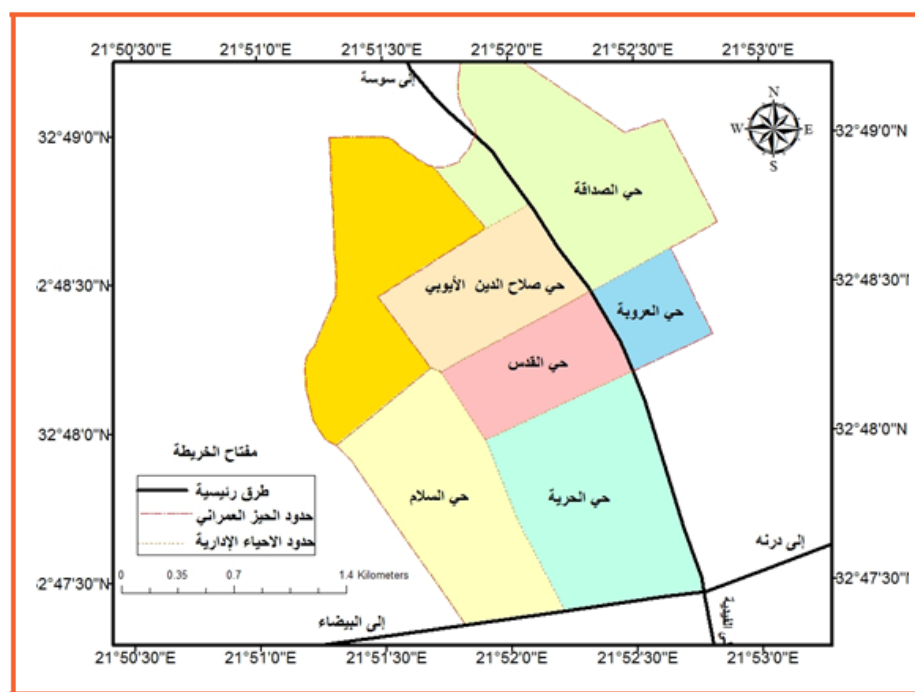
منطقة الدراسة :

تقع مدينة شحات في منطقة الجبل الأخضر في شمال شرق ليبيا، وذلك إلى الشرق من العاصمة الليبية طرابلس بنحو 1200 كم، وأيضاً شرق مدينة بنغازي ثاني اكبر مركز حضري في ليبيا بنحو 200 كم. أما فلكياً فان المدينة تقع عند تقاطع دائرة عرض 32.50° شمالاً مع خط طول 21.52° شرقاً، انظر شكل رقم (1).

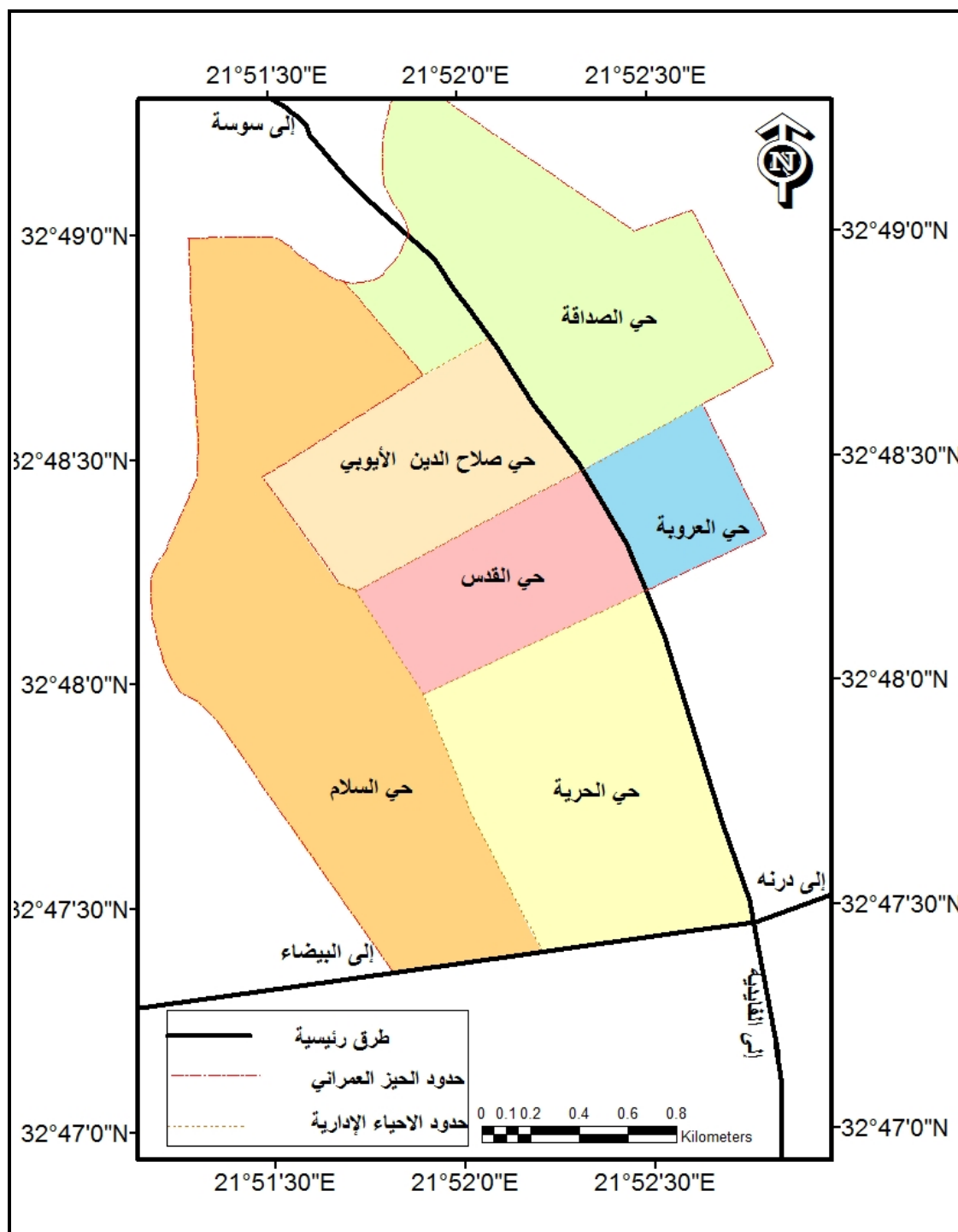
وتعد مدينة شحات التي عرفت تاريخاً باسم "قورينا" أول مركز حضري في ليبيا أسسه المهاجرون الإغريق سنة (631) قبل الميلاد (الوافي, 1990) ، ومنذ ذلك التاريخ تعاقبت الحضارات الإغريقية و الرومانية والبيزنطية على هذه المدينة مما اكسبها أهمية تاريخية وسياحية، بحيث أصبحت احد مناطق التراث الحضاري العالمي المحمية من قبل منظمة اليونسكو. وتعتبر مدينة شحات من المراكز الحضرية الصغيرة، حيث بلغ عدد سكانها 32982 نسمة سنة 2014 (مصلحة

الأحوال المدنية لمدينة شحات 2014) بعد أن كان 26650 نسمة حسب تعداد السكان لسنة 2006 , مما يدل أن معدل نمو سكان المدينة يبلغ 3% سنوياً خلال الفترة ما بين 2006-2014. وتتكون مدينة شحات من ستة أحياء سكنية هي: الصداقة, القدس, صلاح الدين, الحرية, السلام, والعروبة, انظر شكل (2).

شكل رقم (1) يبين موقع مدينة شحات بالنسبة لليبيا



شكل رقم (2) بين أحياء مدينة شحات



التفاوت المكاني العام لمعدل نصيب الفرد من المياه:

حسب الدراسة الميدانية سنة 2014 بلغ معدل نصيب الفرد من المياه في مدينة شحات 225 لتراً للفرد يومياً، وهذا المعدل لاستهلاك الفرد من المياه بالمدينة يقل عن الكمية المستهدف الوصول إليها في ليبيا وذلك كما هو واضح بالجدول (1)

جدول رقم (1) الاستهلاك المستهدف للفرد من المياه للأغراض المنزلية في ليبيا بين عامي 1984-2025.

السنة	الاستهلاك (لتر/للفرد/يوم)	الفرق معدل عن الفرق بمدينة شحات "	السنة	الاستهلاك (لتر/للفرد/يوم)	الفرق
1984	230	5 -	2010	300	75 -
1990	245	20 -	2015	315	90 -
1995	255	30 -	2020	330	105 -
2000	270	45 -	2025	345	120 -
2005	285	60 -			

المصدر: - مصلحة التخطيط العمراني (2008) السياسة المكانية الوطنية 2006-2030، طرابلس، ص 259.

- الدراسة الميدانية لسنة 2014.

يتضح من الجدول رقم (1) أن معدل نصيب الفرد من المياه في مدينة شحات يقل عن الاستهلاك المستهدف للفرد من المياه في ليبيا ليس حالياً فقط بل منذ سنة 1984، والأمر الملفت للنظر هو ان العجز بين المعدل المستهدف لحصة الفرد من المياه وبين المعدل الفعلي لمدينة شحات في تزايد مستمر، ففي سنة 1990 مثلاً كان العجز 20 لتراً للفرد يومياً، قفز هذا الرقم إلى 60 لتراً للفرد يومياً، ثم وصل إلى 75 لتراً للفرد يومياً، ومن المتوقع أن يصل العجز إلى 120 لتراً للفرد يومياً بحلول عام 2025، وهذا يشير إلى أن إدارة وتوزيع مياه الشرب في المدينة لا تزال دون المستوى المطلوب.

حدد تقرير التنمية البشرية في ليبيا الصادر سنة 2002 المعيار المخصص للفرد من المياه في التجمعات السكانية التي يتراوح حجمها بين 5000-50000 نسمة بنحو 250 لتراً للفرد يومياً، وعند مقارنة هذا المعيار القياسي مع معدل حصة الفرد من المياه بمدينة شحات سنة 2014 البالغ 225 لتراً للفرد يومياً يتضح أن المعدل الفعلي يقل عن المعيار بنحو 25 لتراً للفرد يومياً. وعلى الرغم من صغر حجم مدينة شحات السكاني، الذي لم يزد عن 33000 نسمة سنة 2014، إلا أن المدينة تشهد تفاوتاً مكانياً في معدل نصيب الفرد من المياه، وذلك كما هو واضح بالجدول رقم (2) والشكل رقم (3)

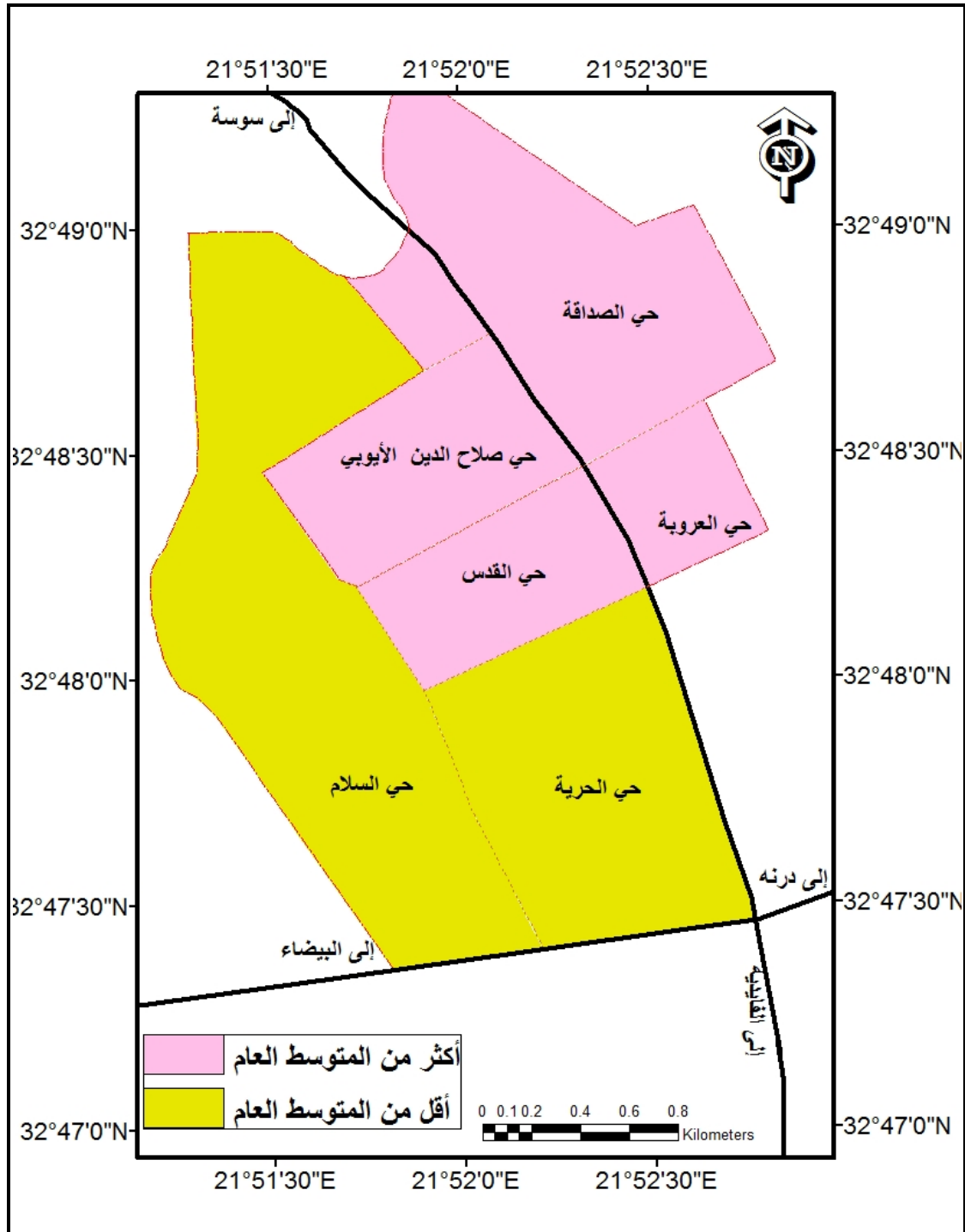
جدول رقم (2) التفاوت المكاني لمعدل نصيب الفرد من المياه في مدينة شحات ومقارنته مع المعيار الأمثل في ليبيا سنة 2014.

الحي السكني	معدل نصيب الفرد من المياه "لتر/يوم"	225 لتراً للفرد يوميا الفرق عن المعدل العام بالمدينة	الفرق عن المعيار الأمثل 250 لتراً للفرد يومياً
الحرية	182	43 -	68 -
القدس	234	9	16 -
العروبة	252	27	2
صلاح الدين	230	5	20 -
الصدّاقة	247	22	3 -
السلام	220	5 -	30 -

المصدر: الدراسة الميدانية لسنة 2014.

يتبين من الجدول رقم (2) أن الأحياء السكنية التي يترفع معدل نصيب الفرد من المياه فيها عن المعدل العام بالمدينة والذي يبلغ 225 لتراً للفرد يومياً هي : القدس والعروبة وصلاح الدين والصدّاقه، بينما ينخفض المعدل في حي الحرية بنحو 43 لتراً للفرد يومياً، كما ينخفض المعدل بحي السلام بنحو خمس لتترات للفرد يومياً. أما

شكل رقم (3) يبين التفاوت المكاني لنصيب الفرد من المياه في مدينة شحات سنة 2014م



عند مقارنة معدل نصيب الفرد من المياه بكل حي سكني من أحياء المدينة مع المعيار الأمثل المخصص للفرد يومياً "250 لتراً" يتضح أن أحياء : الحرية، القدس، صلاح الدين والسلام تشهد انخفاضاً واضحاً في المعدل قياساً بالمعيار العام، بينما يكاد يكون معدل نصيب الفرد من المياه متطابقاً مع المعيار الأمثل في حي العروبة وحي الصداقة. ويرتبط بهذا التفاوت المكاني في معدل حصة الفرد من المياه في مدينة شحات بالعديد من العوامل المؤثرة التي سيتم التطرق إليها بشي من التفصيل لاحقاً.

وبشكل عام بلغت نسبة الأسر التي يقل نصيب الفرد من المياه بها عن 250 لتراً للفرد يومياً بمدينة شحات 59%، في حين أن 41% من الأسر بالمدينة سنة 2014 يبلغ معدل نصيب الفرد من المياه 250 لتراً فأكثر يومياً، الأمر الذي يمكن القول معه أن أغلب الأسر بمدينة شحات يقل معدل نصيب الفرد من المياه فيها عن المعيار المحدد في ليبيا.

التفاوت المكاني لمعدل نصيب الفرد من المياه في فصل الشتاء:

ينخفض معدل حصة الفرد من المياه في مدينة شحات خلال فصل الشتاء إلى 133 لتراً للفرد يومياً، ويرجع ذلك إلى انخفاض درجة الحرارة إلى 9.2 درجة مئوية، مقارنة مع المتوسط السنوي لدرجة الحرارة الذي يبلغ 19 درجة مئوية (محطة شحات المناخية 2010). الضغط على الماء يكون أقل خلال موسم الأمطار نتيجة لتجميع مياه الأمطار، حيث تقوم مياه الأمطار بالتخفيف من العبء على إمدادات المياه، إذا تم تجميعها وتخزينها بشكل صحيح (Nnaji وآخرون، 2013) وتفاوت الأحياء السكنية في معدل نصيب الفرد من المياه خلال فصل الشتاء ، وذلك كما هو واضح بالجدول رقم (3) والشكل رقم (4).

جدول رقم (3) التفاوت المكاني لمعدل نصيب الفرد من المياه بمدينة شحات في

فصل الشتاء.

الحي السكني	معدل نصيب الفرد من المياه يومية	الفرق عن معدل فصل الشتاء "133"
-------------	------------------------------------	-----------------------------------

الحرية	104	29 -
القدس	144	11
العروبة	142	9
صلاح الدين	134	1
الصدّاقة	145	12
السلام	135	2
معدل فصل الشتاء	133	

المصدر: الدراسة الميدانية لسنة 2014.

يلاحظ من الجدول رقم (3) أن حي الحرية هو الحي الوحيد الذي ينخفض معدل نصيب الفرد من المياه فيه عن معدل فصل الشتاء بالمدينة بنحو 19 لتراً للفرد يومياً، في حين أن حي صلاح الدين وحي السلام تكاد يكون معدل الفرد من المياه فيهما متطابقاً مع معدل الفرد من المياه بمدينة شحات خلال فصل الشتاء، أما بقية الأحياء السكنية وهي القدس والعروبة والصدّاقة فإن معدل الفرد من المياه خلال هذا الفصل يرتفع بها بشكل واضح مقارنة مع معدل نصيب الفرد من المياه بالمدينة خلال فصل الشتاء.

يبدو واضحاً أنه توجد ثلاثة أنماط لنصيب حصة الفرد من المياه في مدينة شحات خلال فصل الشتاء الأول منخفض ويمثله حي الحرية ، والثاني في حدود المتوسط ويمثله حي صلاح الدين وحي السلام، أما الثالث فهو يزيد عن المتوسط ويمثله حي العروبة وحي القدس وحي الصدّاقة.

التفاوت المكاني لنصيب الفرد من المياه في فصل الصيف:

بسبب ارتفاع درجة الحرارة خلال فصل الصيف إلى 24 درجة مئوية (محطة شحات المناخية 2010) يزداد معدل استهلاك الفرد من المياه في مدينة شحات ليصل إلى 317 لتراً للفرد يومياً. فاستهلاك المياه يكون أعلى في موسم الجفاف من شهر أكتوبر إلى إبريل، نتيجة لزيادة الجفاف والرياح المتربة، مما يؤدي إلى الحاجة للغسيل بشكل أكثر (Nnaji وآخرون , 2013).

جدول رقم (4) التفاوت المكاني لنصيب الفرد من المياه خلال فصل الصيف

بمدينة شحات.

الحي السكني	معدل نصيب الفرد من المياه "لتر/يوم"	الفرق عن معدل فصل الصيف
الحرية	260	57 -
القدس	324	7
العروبة	362	45
صلاح الدين	325	8
الصدقة	351	34
السلام	306	11-
معدل فصل الصيف	317	-

المصدر: الدراسة الميدانية لسنة 2014.

يتضح من الجدول رقم (4) والشكل رقم (5) أن معدل نصيب الفرد من المياه ينخفض بشكل واضح في حي الحرية، وذلك بنحو 57 لتراً للفرد يومياً مقارنة بمعدل نصيب الفرد من المياه بمدينة شحات خلال فصل الصيف، كما ينخفض المعدل بحي السلام بنحو 11 لتراً للفرد يومياً، مما يشير أن ذلك يرتبط على الأرجح بضعف التزويد المائي وارتفاع عدد المساكن بهذين الحيين السكنيين. ومن جانب آخر، يزيد معدل نصيب الفرد من المياه بحي القدس وحي صلاح الدين بقليل عن معدل فصل الصيف، بحيث لم ترتفع هذه الزيادة عن 10 لترات للفرد يومياً، وهذا يجعل نصيب الفرد من المياه بهذين الحيين في حدود معدل نصيب الفرد من المياه بمدينة شحات خلال فصل الصيف. أما في حي الصدقة وحي العروبة فإن معدل نصيب الفرد من المياه صيفاً يرتفع بشكل واضح ليبلغ 34 و45 لتراً للفرد يومياً على التوالي، ولعل ذلك يرجع إلى انخفاض الكثافة السكانية بهذين الحيين مقابل

ارتفاع كميات الامتداد المائي , هذا ما أكده Tshikolomo وآخرون (2012) في دراستهم على جنوب إفريقيا أن الأسر التي تقع بالقرب من مصادر المياه تحصل كميات اكبر من المياه من تلك الذين يسكنون بعيدا عن مصادر المياه.

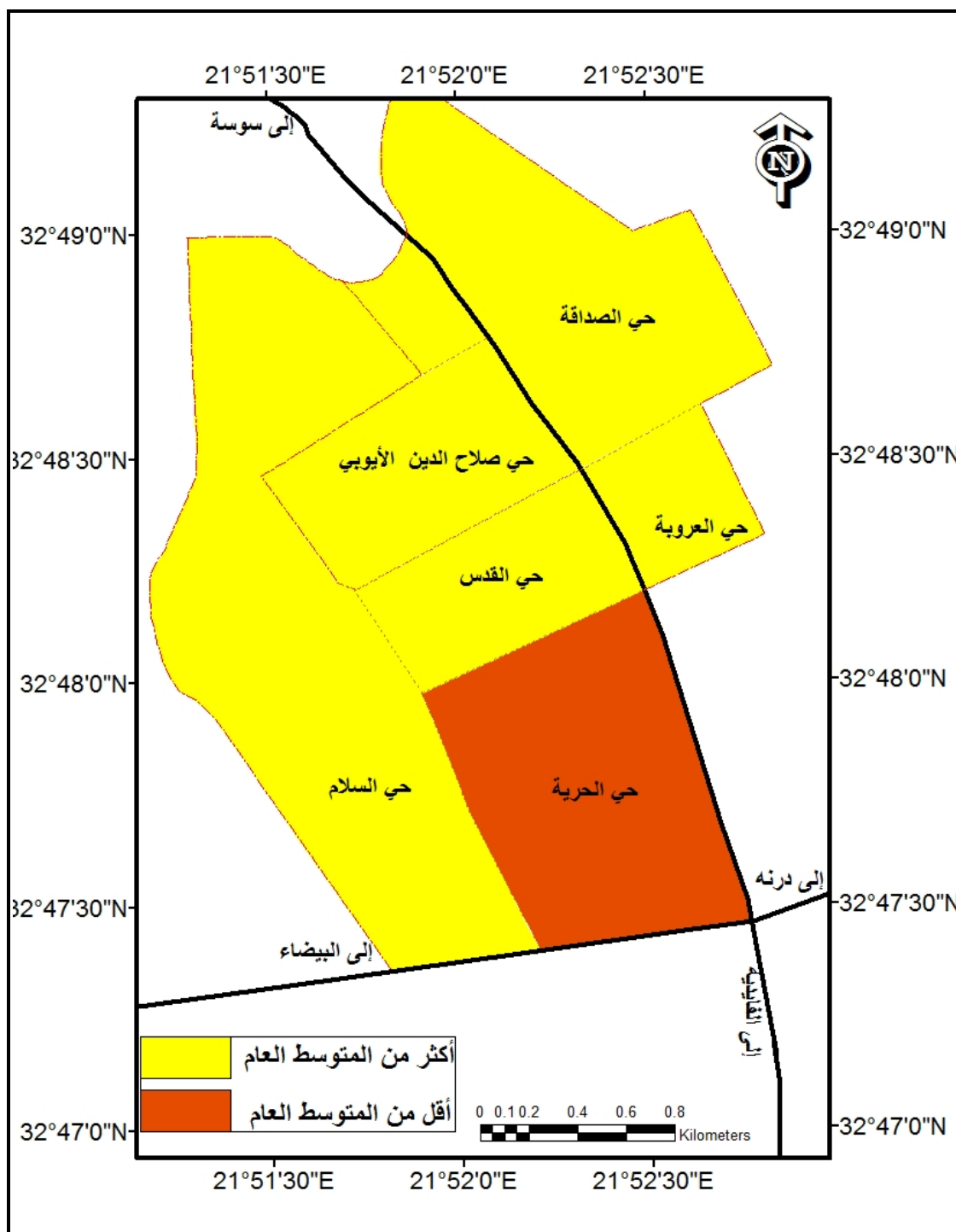
العوامل المؤثرة في معدل نصيب الفرد من المياه:

تتعدد العوامل والمتغيرات المؤثرة في معدل حصة الفرد من المياه من مدينة إلى أخرى ومن فترة إلى أخرى. فالعوامل البيئية والاقتصادية والاجتماعية وعمر البيت وحجمه تفسر جزء كبير من الاختلافات المكانية لاستعمال المياه , إلا أن التحليل الإحصائي بهذه الدراسة كشف أن التفاوت المكاني لمعدل نصيب الفرد بمدينة شحات يتأثر بخمسة عوامل هي:

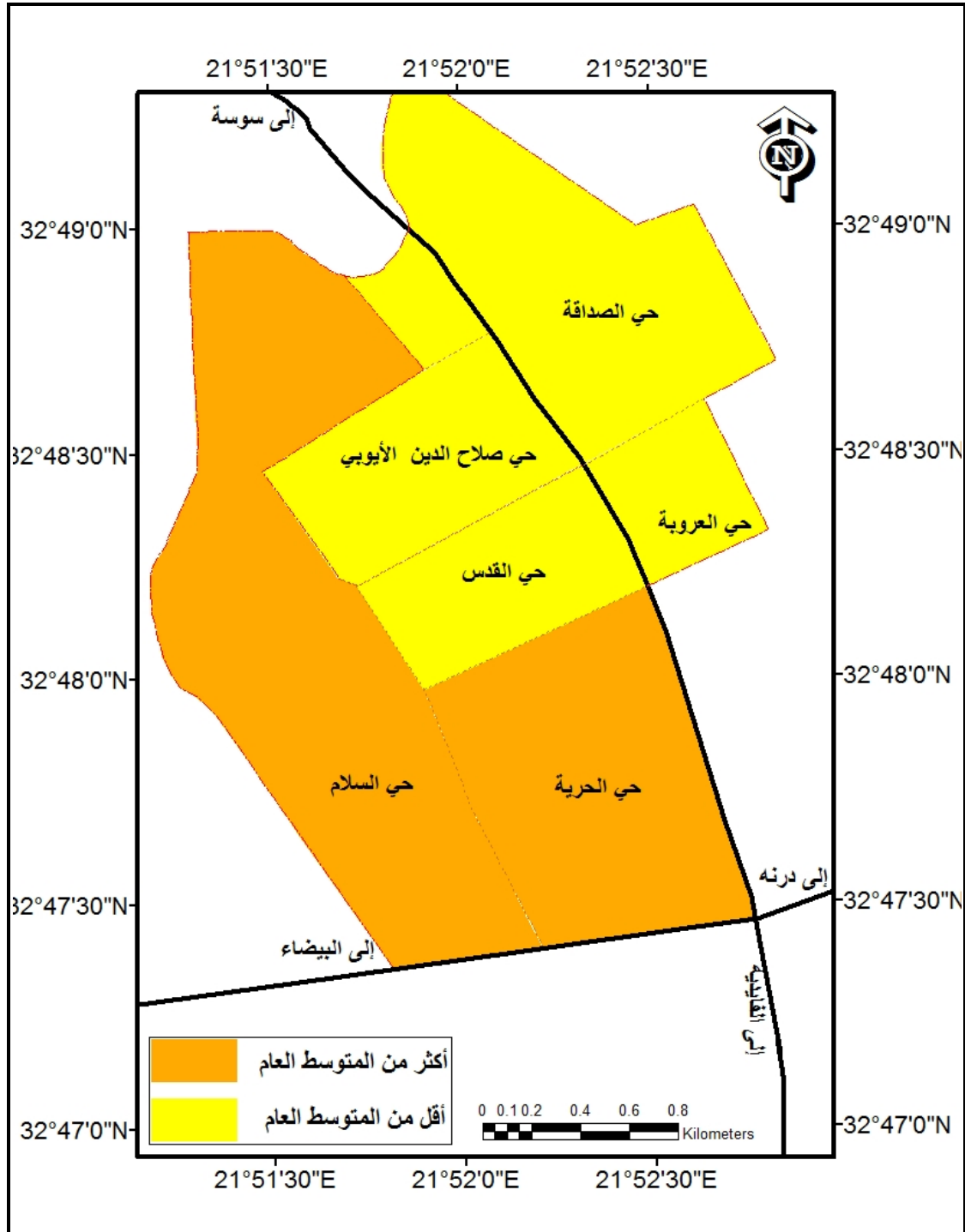
أولاً- الإمداد المائي:

يعد هذا العامل من أبرز العوامل المؤثرة في معدل نصيب الفرد من المياه في أحياء مدينة شحات, فكلما كان الحي السكني يحصل على كميات تتناسب مع حجمه أو تزيد كلما دل على ارتفاع معدل حصة الفرد من المياه, وينعكس ذلك على نشاطات الأسرة , والعكس في حالة انخفاض كميات الإمداد المائي. ففي دراسة Tshikolomo وآخرون (2012) تبين أن نتيجة لقلّة الإمداد بالمياه فإن أكثر من 90 % من الأسر المدروسة في جنوب إفريقيا تستخدم المياه فقط للنشاطات الأساسية مثل الشرب و إعداد الطعام.

شكل رقم (4) يبين التفاوت المكاني لمعدل نصيب الفرد من المياه في فصل الشتاء



شكل رقم (5) يبين التفاوت المكاني لمعدل نصيب الفرد من المياه في فصل الصيف



جدول رقم (5) العلاقة بين الإمداد المائي ومعدل نصيب الفرد من المياه في مدينة شحات سنة 2014.

معدل نصيب الفرد من المياه هل تعاني من نقص في الإمداد المائي	أقل من 150 لتراً للفرد يومياً		150 - 299 لتراً للفرد يومياً		300 لتر فأكثر		المجموع
	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %	
نعم	12	8	18	12	22	14.7	52
لا	32	21.3	52	34.7	14	9.3	98
المجموع	44	29.3	70	46.7	36	24	150
قيمة مربع كاي = 14 درجة الحرية = 2 المعنوية $p < .001$							

المصدر : الدراسة الميدانية لسنة 2014.

يتبين من الجدول رقم (5) أن عدد الأسر التي تعاني من نقص في الإمداد المائي تبلغ 52 أسرة، وهي تشكل نحو 35% من إجمالي الأسر بالعينة، بينما 98 أسرة لا تعاني من نقص مائي، وهذا يمثل 65% من الأسر التي تشملها العينة. كما يتضح من نفس الجدول أن 29% من إجمالي أسر العينة يحصل الفرد فيها على أقل من 150 لتراً يومياً، 21% منها لا يعانون من نقص في الإمداد المائي ، مقابل 8% يعانون من نقص في الإمداد المائي.

وكذلك يتبين من الجدول أن نحو 47% من أسر العينة يحصل الفرد فيها على كمية من المياه تتراوح بين 150-299 لتراً يومياً، إذ أن 12% منهم يعانون من نقص في الإمداد المائي، بينما نحو 35% لا يعانون من نقص في الإمداد المائي، وبهذا يظهر جلياً أن ما يقارب عن نحو 74% من الأسر التي لا يزيد معدل الفرد من المياه فيها عن 300 لتر يومياً لا تعاني من نقص في التزويد المائي، وذلك مقابل 26% تعاني من نقص، أما بخصوص الأسر التي يزيد معدل نصيب الفرد فيها من 300 لتر يومياً فتبلغ 24%، وتمثل الأسر التي تعاني من نقص بالإمداد المائي نحو 15%، في حين 9% لا تعاني من نقص في التزويد المائي وقد كشف التحليل الإحصائي وجود علاقة قوية بين الإمداد المائي ومعدل نصيب الفرد من المياه من خلال استخدام مربع كاي الذي بلغت قيمته 14 درجة حرية تساوي 2، مستوى معنوية يبلغ $P < 0.001$ ، مما يدل دلالة واضحة على تأثير الإمداد المائي على التفاوت المكاني لمعدل نصيب الفرد من المياه في مدينة شحات.

ثانياً- شراء المياه:

يعتبر عامل شراء المياه أيضاً من العوامل المؤثرة على التفاوت المكاني لمعدل نصيب الفرد من المياه في مدينة شحات، وذلك لأن هذا العامل يعكس درجة توفير المياه، فكلما قل شراء المياه دل ذلك على توفر المياه لدى الأسرة وبالتالي ارتفاع حصة الفرد من المياه، وبالعكس في حالة ارتفاع نسبة من يشترون المياه.

جدول رقم (6) العلاقة بين شراء المياه ومعدل نصيب الفرد من المياه في مدينة شحات سنة 2014.

المجموع	300 لتر فأكثر		أقل من 150-299 لتر للفرد يومياً		أقل من 150 لتراً للفرد يومياً		معدل نصيب الفرد من المياه شراء المياه
	النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	
48	12	18	12	18	8	12	يشترى
102	12	18	34.7	52	21.3	32	لا يشتري
150	24	36	46.7	70	29.3	44	المجموع
قيمة مربع كاي = 7 درجة الحرية = 2 المعنوية $p < 0.03$							

المصدر : دراسة الميدانية لسنة 2014.

يلاحظ من جدول رقم (6) أن 48 أسرة تشتري المياه، وهذا ما يشكل 32% من إجمالي الأسر المدروسة، في حين أن 102 أسرة لا تشتري المياه، وهي تمثل 68% من جملة عينة الدراسة، كما يلاحظ من الجدول ذاته أن 29% من الأسر معدل نصيب الفرد من المياه فيها أقل من 150 لتراً يومياً، و8% منها تشتري المياه، بينما 21% منها لا تشتري المياه. وتشكل الفئة التي يتراوح معدل الفرد من المياه ما بين 150-299 لتراً يومياً ما يقارب 47% من جملة العينة، 12% منها تشتري المياه، بينما 35% لا تشتري المياه، وإذا نظرنا للفئة التي يبلغ معدل نصيب الفرد من المياه 300 لتر فأكثر يومياً نجدها تشكل 24% من جملة العينة نصفها يشتري المياه، إما النصف الآخر لا يشتريها.

وقد تبين من اختبار العلاقة بين شراء المياه ومعدل نصيب الفرد من المياه في مدينة شحات أن هذه العلاقة جوهريّة، إذ بلغت قيمة مربع كاي 7، بدرجة حرية 2 ومستوى معنوية $P < 0.03$ ، وهذا يعني تأثير شراء المياه على معدل نصيب الفرد من المياه في مدينة شحات.

ثالثاً- حجم الأسرة:

تحاول هذه الجزئية توضيح تأثير حجم الأسرة على معدل نصيب من المياه في مدينة شحات, وذلك من خلال التعرف على ما إذا كانت الأسر التي لا يزيد حجمها عن ستة أفراد يحظى الفرد فيها بنصيب أفضل من الفرد بالأسر التي يزيد حجمها عن سبعة أفراد.

جدول رقم (7) العلاقة بين حجم الأسرة ومعدل نصيب الفرد من المياه في مدينة شحات سنة 2014.

المجموع	300 لتر فأكثر يوميًا		150-299 لتراً للفرد يومياً		أقل من 150 لتراً للفرد يومياً		معدل الفرد من المياه حجم الأسرة
	النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	
89	22	33	22	33	15	23	6-2
61	2	3	24.7	37	14	21	7 فأكثر
150	24	36	46.7	70	29.3	44	المجموع
قيمة مربع كاي = 21 درجة الحرية = 2 المعنوية $p < 0.000$							

المصدر : الدراسة الميدانية لسنة 2014.

يتضح من الجدول رقم (7) أن 59% من الأسر المدروسة يتراوح حجمها بين 2-6 أفراد, بينما 41% من الأسر فان حجمها يزيد عن سبعة أفراد, هذا وتحصل 15% من الأسر التي لا يزيد حجمها عن ستة أفراد على معدل مياه للفرد لا يزيد عن 150 لتر يومياً, في حين تنخفض النسبة قليلاً إلى 14% بالنسبة للأسر التي يزيد حجمها عن سبعة أفراد, وتبلغ نسبة الأسر التي يحصل الفرد فيها على معدل مياه يتراوح بين 150-299 لتراً للفرد يومياً, والتي لا يزيد حجمها عن ستة أفراد على 22%, وترتفع النسبة إلى نحو 25% بالنسبة للأسر التي يزيد حجمها عن سبعة أفراد, أما الفئة الثالثة التي يحصل الفرد فيها على 300 لتر للفرد يومياً فان نسبة الأسر التي يزيد حجمها عن ستة أفراد فتبلغ نسبتها 22%, وتنخفض النسبة بشكل واضح إلى 2% فقط بالنسبة للأسر التي يبلغ حجمها سبعة أفراد فأكثر.

يظهر جلياً تأثير حجم الأسرة على معدل نصيب الفرد من المياه في مدينة شحات، وذلك من خلال اختبار العلاقة بينهما بواسطة مربع كاي الذي بلغت قيمته 21 وبدرجة حرية تساوي 2 ومستوى دلالة $P < 0.000$ ، وهذا يؤكد العلاقة الجوهرية وتأثير حجم الأسرة على معدل نصيب الفرد من المياه في مدينة شحات.

رابعاً- عمر شبكة المياه:

يعد تسرب المياه بسبب تهالك الشبكة من أبرز المشكلات التي تعاني منها المدن الليبية، حيث قدر Kezeiri (1984) هذه النسبة بنحو 25%، فيما يرى فارس (2012) أن النسبة تصل إلى 30% بمدن الجبل الأخضر، لذلك يعتبر عمر شبكة المياه من العوامل المؤثرة في معدل نصيب الفرد من المياه بمدينة شحات.

جدول رقم (8) العلاقة بين عمر شبكة المياه ومعدل نصيب الفرد من المياه في مدينة شحات سنة 2014.

المجموع	أقل من 150 لتراً للفرد يومياً		150-299 لتراً للفرد يومياً		300 لتراً فأكثر للفرد يومياً		معدل نصيب الفرد من المياه عمر شبكة المياه
	النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	
14-1 سنة	20	13.3	24	16	10	6.7	54
29-15 سنة	8	5.3	14	9.3	7	4.7	29
30 سنة	16	10.7	32	21.3	19	12.7	67

فأكثر							
المجموع	44	29.3	70	46.6	36	24	150
قيمة مربع كاي = 3	درجة الحرية = 4						المعنوية p<0.08

المصدر: الدراسة الميدانية لسنة 2014.

يتبين من جدول رقم (8) أن 36% من أسر العينة يقيمون في أحياء لا يزيد عمر شبكة المياه عن 14 سنة، وهذه العائلات تسكن الأحياء الحديثة مثل حي السلام، في حين أن 19% من الأسر عمر شبكة المياه بالأحياء التي يسكنوها يتراوح بين 15-29 سنة، أما الأسر التي لا يزيد عمر شبكة المياه بأحيائها عن 30 سنة فتبلغ نحو 45%، وهي تتمثل في أحياء المدينة الجنوبية. كذلك يتبين من الجدول رقم (8) أن 13% من الأسر التي لا يزيد عمر شبكة المياه بأحيائها عن 14 سنة لا يزيد معدل نصيب الفرد من المياه فيها عن 150 لتراً يومياً، وتنخفض النسبة إلى 5% فقط بالنسبة للأسر التي يتراوح عمر شبكة المياه بأحيائها بين 15-29%، ثم تعود النسبة للارتفاع لتصل إلى نحو 11% للأسر التي تبلغ عمر شبكة المياه بأحيائها 30 سنة فأكثر.

وتبلغ نسبة الأسر التي لا يزيد عمر شبكتها عن 14 سنة حوالي 16%، ويتراوح معدل نصيب الفرد من المياه بين 150-299 لتراً يومياً، في حين تنخفض النسبة إلى 9% للأسر التي يتراوح عمر شبكة مياهها بين 15-29 سنة، وتصل النسبة إلى 21% بالنسبة للأسر التي عمر شبكة مياهها يبلغ 30 سنة فأكثر. أما بالنسبة للفئة الثالثة وهي التي يبلغ معدل نصيب الفرد من المياه فيها 300 لتر يومياً، فإن نسبتها تبلغ حوالي 7% بالنسبة للأسر التي لا يزيد عمر شبكة مياهها عن 14 سنة، وتنخفض النسبة إلى نحو 5% بالنسبة للأسر التي يبلغ عمر شبكة المياه بأحيائها 30 سنة فأكثر.

إن العلاقة بين عمر شبكة المياه ونصيب الفرد من المياه في مدينة شحات يمكن وصفها بأنها واضحة وجوهرية، إذ تبلغ قيمة مربع كاي 3 ودرجة حرية تبلغ 4 وعند مستوى دلالة $P<0.08$ ، وهذا يعكس تأثير عامل عمر الشبكة على معدل نصيب الفرد من المياه في مدينة شحات.

خامساً- تاريخ بناء الوحدة السكنية:

يرتبط هذا العامل بشكل وثيق مع عامل عمر شبكة المياه، فعادة ما تقع المساكن الحديثة في أحياء خططت حديثاً وبالتالي تحظى بشبكة مياه حديثة وقليلة التسرب، على العكس بالنسبة للمساكن القديمة التي تعاني من مشكلة تسرب المياه بكميات كبيرة قد تصل إلى الثلث في الكثير من الأحيان.

جدول رقم (9) العلاقة بين تاريخ بناء الوحدة السكنية ونصيب الفرد من المياه في مدينة شحات سنة 2014.

المجموع	300 لتر فأكثر للفرد يومياً		150 - 299 لتراً للفرد يومياً		أقل من 150 لتراً للفرد يومياً		معدل نصيب الفرد من المياه تاريخ بناء السكن
	النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	
25	3.3	5	6	9	7.3	11	قبل سنة 1974
59	10.7	16	22	33	6.7	10	1974 - 1994
66	10	15	18.7	28	15.3	23	1995 - 2014
150	24	36	46.7	70	29.3	44	المجموع
قيمة مربع كاي = 8 درجة الحرية = 4 المعنوية $P < 0.09$							

المصدر: الدراسة الميدانية لسنة 2014.

يلاحظ من الجدول رقم (9) أن المساكن التي بنيت قبل سنة 1974 ينخفض معدل نصيب الفرد من المياه فيها، إذ تمثل فئة أقل من 150 لتراً يومياً أعلى نسبة حيث تبلغ 7%، و تبلغ نسبة الأسر التي يحصل الفرد فيها على معدل 150-229 لتراً يومياً 6%، ثم تنخفض إلى 3% بالنسبة للفئة التي يحصل الفرد فيها على 300 لتر فأكثر يومياً. وتبلغ نسبة الأسر التي شيدت مساكنها بين

عامي 1974-1994 ويبلغ معدل نصيب الفرد من المياه فيها اقل من 150 لتر يومياً ما يقارب 8%, ثم تقفز النسبة إلى 22% بالنسبة للفئة الثانية أي التي يتراوح معدل الفرد من المياه فيها بين 150-299 لتراً يومياً, ثم تعود النسبة للانخفاض إلى نحو 11% بالنسبة لفئة 300 لتر فأكثر يومياً, وهذا بسبب انخفاض نسبة الذين يحصلون على كميات كبيرة من المياه في المدينة .

أما بالنسب للمساكن التي شيدت منذ عام 1995 ويحصل الفرد فيها على معدل من المياه لا يتجاوز 150 لتراً يومياً فتبلغ 15%, وترتفع النسبة إلى ما يقارب 19% للفئة التي يتراوح معدل الفرد فيها من المياه ما بين 150-299 لتراً يومياً, في حين تنخفض النسبة إلى 10% بالنسبة للفئة التي يبلغ معدل نصيب الفرد فيها من المياه 300 لتراً يومياً.

تعتبر العلاقة بين تاريخ بناء الوحدة السكنية ومعدل نصيب الفرد من المياه في مدينة شحات علاقة جوهريّة واضحة, إذ بلغت قيمة مربع كاي 8 بدرجة حرية تساوي 4 وعند مستوى دلالة يبلغ $P < 0.09$, وهذا يشير إلى تأثير تاريخ بناء الوحدة السكنية على معدل نصيب الفرد من المياه في مدينة شحات.

النتائج والتوصيات

أولاً : النتائج :

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها :

(1) بلغ معدل نصيب الفرد من المياه في مدينة شحات 225 لترا يوميا ، وهو معدل يقل بنحو 25 لترا على المعيار المحدد بنحو 250 لترا يوميا للفرد للمدن الليبية التي يتراوح حجمها بين 5000 - 50000 نسمة.

(2) بلغت نسبة الأسر التي يقل معدل نصيب الفرد من المياه فيها عن 250 لترا يوميا 59 % وهذا يدل على أن أكثر من نصف الأسر بمدينة شحات تحت المعيار الأمثل لاستهلاك المياه.

(3) تشهد مدينة شحات تفاوتاً مكانياً واضحاً في معدل نصيب الفرد من المياه بحيث تحظى بعض الأحياء السكنية بنصيب وافر من المياه مقابل وجود عجز في الأحياء السكنية الأخرى ، وذلك على المستوى العام أو حسب فصلي الصيف والشتاء.

(4) يتأثر التفاوت المكاني لمعدل نصيب الفرد من المياه في مدينة شحات بالعديد من العوامل أهمها : الإمداد المائي ، وشراء المياه ، وحجم الأسرة ، وعمر شبكة المياه بالحي السكني ، وتاريخ بناء الوحدة السكنية .

ثانياً : التوصيات :

وهي تتمثل فيما يلي :

(1) إجراء الصيانة الدورية لشبكات المياه بالأحياء السكنية بحكم أنها المسؤولة عن هدر من ربع إلى ما يقارب ثلث كمية المياه المتاحة.

(2) الاهتمام بالجانب التوثيقي في مجال المياه ، وتركيب عدادات مياه بكل مسكن .

(3) يجب أن تراعى العديد من المتغيرات مثل عدد السكان بالحي السكني عند عملية التزويد المائي.

- (4) العمل على صيانة وتعميق الآبار الجوفية بالمدينة للاستفادة منها في الإمداد المائي للمدينة .
- (5) دراسة جدوى الاستفادة من عيوب المياه الطبيعية الواقعة في حدود مدينة شحات .

Abstract

The problem of water in Libyan cities is not only for providing sources supply of water in quantities commensurate with the sizes of these cities, or that these quantities are valid for human consumption, but that this problem has become included the lack of justice spatial distribution of water and thus the emergence of spatial disparity in consumption within a one city.

This study aims to determine the rate of water per capita in the city of Shahat, also compared this rate with the standard allotted of water for each person in Libya. Moreover to analyse the spatial variability of the rate of water per capita between Shahat's neighbourhoods, highlighting the influenced factors in this spatial variability in the city.

In order to achieve this objective, the researchers have undertaken a questionnaire. A total of 150 heads of household were interviewed in the city using a random sampling method. This data was analysed using SPSS software package.

The study shows that there has been a low rate of water per capita in the city of Shahat, compared with the same rate in Libya, the study found a clear disparity in the rate of water per capita between the city's neighbourhoods, as a result of many factors including: water supply, water purchase, family size, age of the water network in the residential neighbourhood, and the date of the house construction .

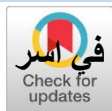
المراجع

- الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق (2002), التقرير الوطني للتنمية البشرية في ليبيا لسنة 2002, طرابلس.
- الهيئة العامة للمعلومات (2008), النتائج النهائية للتعداد العام للسكان لسنة 2006, شعبية الجبل الأخضر, طرابلس.
- الوافي, محمد عبد الكريم (1990), الإغريق في برقه, منشورات جامعة بنغازي
- فارس, علي محمود (2012), المتطلبات الاقتصادية لإدارة المياه في منطقة الجبل الأخضر, ورقة أقيمت بالمؤثر الدولي الأول على الموارد المائية بالجبل الأخضر المنعقد خلال الفترة من 5-2012/6/7 بجامعة عمر المختار, البيضاء.
- مصلحة الأحوال المدنية شحات (2014), بيانات غير منشورة عن عدد سكان المدينة.
- محطة الأرصاد الجوية شحات (2010) بيانات غير منشورة عن العناصر المناخية.
- مصلحة الإحصاء والتعداد (2012), النتائج النهائية للمسح الوطني للسكان 2012, طرابلس.
- مصلحة التخطيط العمراني (2008), السياسية المكانية الوطنية. 2006-2030 طرابلس.
- Chang, H. and Others. (2010) Spatial Variations of Single-Family Residential Water Consumption in Portland, Oregon Journal of Urban Geography, 31,(7) 953-972.
- Jethoo, A. and Poonia , M. (2011) 'Water Consumption Pattern of Jaipur City (India).' International Journal of Environmental Science and Development, 2, (2) 152-155.
- Kezeiri, S. (1984) Aspects of Change and Development in Small Towns of Libya. Unpublished PhD Thesis, Durham University.

- Kezeiri, S. (2014) *Urban Libya*, A Book in Press. London .
- Potter, B. and . Darmame, K. (2010) 'Contemporary Social Variations in Household Water Use, Management Strategies and Awareness Under Conditions of 'Water Stress :' The Case of Greater Amman, Jordan'.
Journal of Habitat International (34)115–124.
- Shaban, A. and Sharma, R .(2007) 'Water Consumption Patterns in Domestic Households in Major Cities.' *Journal of Economic and Political Weekly June 9, 2007.*
- Sule, F. and Others. (2010) 'Water Consumption Patterns in Ilorin, Kwara State, Nigeria.' *Annual Civil Engineering Conference. Held July 26–28 / 2010 University of Ilorin, Nigeria.*
- Tshikolomo, K. and Others. (2012) 'Water Supply and Requirements of Households in the Luvuvhu–Letaba Water Management Area of South Africa'. *International Journal of Business and Social Science , 3 (3) 37–49.*
- Wentz, E. and Others. (2012) 'Factors Influencing Water Consumption in Multifamily Housing.' National Science Foundation, Decision Center for a Desert City,U.S.A.
- Zhang, H. and Brown, D. (2005) Understanding Urban Residential Water Use in Beijing and Tianjin, China. *Habitat International 29 (2005): 469–491.*

Research Article

Open Access



التكيف والاندماج الاجتماعي لمجهولي النسب (دراسة سوسيو أنثروبولوجية على عينة من المكفولين في أسر بديلة بمدينة البيضاء)

المبروك محمد بوحويش^{*1}

قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة عمر المختار

Doi: <https://doi.org/10.54172/svshew34>

المستخلص: تتناول هذه المقالة فئة مجهولي النسب وتحاول دراسة مدى تكيف أفراد هذه الشريحة مع المجتمع واندماجها معه. حددت عينة الدراسة في عشرة أفراد فقط من فئة مجهولي النسب في مدينة البيضاء الذين يعيشون في أسر بديلة أو ما يعرف بالأسر الحاضنة. استعانت هذه الدراسة بالمنهج الوصفي لبحث مشكلات الاندماج والتكيف الاجتماعي لمجهولي النسب في المجتمع الليبي، حيث تم وصف الحالة كما هي عن طريق المقابلات المقننة وغير المقننة. كما اتجهت هذه الدراسة أيضاً إلى استخدام منهج آخر مهم جداً إلا هو منهج دراسة الحالة وذلك من أجل الوصول إلى فهم أعمق لأبعاد الظاهرة موضوع الدراسة.

الكلمات المفتاحية: مجهولي النسب، البيضاء، الأسر البديلة، المجتمع، الاندماج والتكيف

Social Adaptation and Integration of Individuals with Unknown Lineage: A Socio-Anthropological Study on a Sample of Sponsored Individuals in Foster Families in Elbeida

Al-Mabrouk Muhammad Bouhwaish

Department of Sociology, Faculty of Arts, Omar Al-Mukhtar University

Abstract: This article examines the category of individuals with unknown lineage, exploring the extent of their adaptation and integration into society. The study focuses on a sample of only ten individuals from this category in the city of Elbeida, who reside in alternative families or what is known as foster families. Employing a descriptive research methodology, the study delves into the challenges of integration and social adaptation faced by individuals with unknown lineage in Libyan society. The case is described through structured and unstructured interviews. Additionally, the study incorporates the crucial method of case study to gain a deeper understanding of the dimensions of the phenomenon under investigation.

Keywords: Foundling, Elbeida, alternative families, society, integration and adaptation

مقدمة:

يعتبر التماسك والتكافل الأسري من بين أهم العناصر التي تظهر فيها التأثيرات السلبية للتغيرات والتطورات الاجتماعية، فقد بدأت العديد من الأسر تتطلع إلي محاكاة وتقليد عدد من عناصر الثقافات الوافدة، واتجهت إلي استعارة أنماط ثقافية جديدة اندمجت مع مرور الوقت في ثقافتها المحلية وأصبحت جزءاً لا يتجزأ منها. ففي مجتمعاتنا العربية بدأت تأثيرات ذلك ملحوظة على طبيعة البناء الأسري وتماسكه، وانبثقت عنه مشكلات اجتماعية وأخلاقية وسلوكية، ضمن منظومة عوامل أخرى شديدة التعقيد، من بينها مشكلة - قديمة حديثة - أفرزت أطفالاً مجهولي الوالدين (النسب) لا ينعمون بطفولة طبيعية، ثم شبابا يعانون من نظرة اجتماعية جارحة رافضة يصعب معها اندماجهم وتكيفهم في مجتمعاتهم التي يعيشون فيها.

إن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه لا يستطيع أن يعيش بمفرده من دون الاعتماد على أبناء جنسه، فالحياة تقوم على أساس تفاعل الفرد أو الجماعة مع أفراد آخرين أو مجموعات أخرى تتقاسم معها نفس القيم والمعايير داخل المجتمعات التي تنتمي إليها. فالطفل غير الشرعي . الذي يولد خارج نطاق الزواج الشرعي . يعاني من أثر طبيعة اجتماعية صعبة، فهو في الغالب . وفي مجتمعنا الإسلامي خصوصاً . فرداً غير مرغوب فيه. وهؤلاء الأطفال يحتاجون إلي تقبل من أفراد المجتمع بحيث يعيشون أفراداً طبيعيين كغيرهم، وهنا لابد من الاعتراف بأن هؤلاء الأطفال لا ذنب لهم، ومن واجب المجتمع تقبلهم ورعايتهم والعناية بهم.

ويعيش معظم أبناء هذه الشريحة حياتهم في مؤسسات خاصة بالرعاية الاجتماعية، وقد تحمل هذه المؤسسات أسماء عديدة مثل ملاجئ الإيتام، أو دور الأطفال، ودور الرعاية وغيرها. وقد تقوم بإدارة مثل هذه المؤسسات جهات حكومية أو جمعيات أهلية أو جهات خاصة يودع فيها الأطفال بسبب غياب أو فقدان الرعاية الوالدية. هذا بالإضافة إلى جهة أخرى هامة جداً إلا وهي ما يعرف بالأسرة البديلة أو الأسرة الحاضنة والتي تتبنى هذا النوع من الأطفال وتعمل تربيتهم وتنشئتهم وتعليمهم ورعايتهم صحياً واجتماعياً حتى يصبحون أفراداً بالغين فاعلين في مجتمعاتهم.

مشكلة الدراسة:

لا شك بأن هنالك ظاهرة اجتماعية ارتبطت بوجود الإنسان على وجه هذه الأرض تتمثل في أنجاب أطفالاً من قبل رجل وامرأة لا تربطهما علاقة زواج شرعية أو عقداً اجتماعياً متعارف عليه، يطلق عليهم في مجتمعاتنا العربية الإسلامية (اللقطاء) أو مجهولي النسب. ففي جميع المجتمعات تقريباً وفي - مجتمعنا الليبي خصوصاً- عملت العديد من الأسر على كفالة هذا النوع من الأطفال

إما لكون هذه الأسر لا يوجد لديها أبناء، أو لأن لديها نوع واحد من الأبناء - ذكور أو إناث - أو لدوافع أخرى عاطفية واجتماعية ونفسية.

إن الافتراض القائم هو أن شريحة مجهولي النسب تعاني من إشكاليات تتعلق بطبيعة عيشها واندماجها في المجتمع والتي من بينها - على سبيل المثال - نظرة بعض الأفراد لهذه الشريحة بنوع من الاحتقار المبني على افتراض مسبق سائد عندهم وهو (أن النسب و الأصل هو عنوان الشرف)، فهذه النظرة الإقصائية أنتجت بدورها - هوة واسعة - بين هذه الفئة وبقية فئات وطوائف المجتمع، وأصبح المجتمع بمجموع أعرافه وثقافته في نقطة موازية تماماً لهذه الشريحة ومن ثم تولدت المشكلة؛ مشكلة عدم القبول وعدم القدرة على الاندماج والتكيف. وهذا العجز عن التكيف والاندماج أنتج بدوره نتائج سلبية، على هذه الشريحة الاجتماعية خصوصاً من الناحية الاجتماعية والنفسية. فمشكلة المحرومين من الرعاية الأسرية مشكلة معقدة والجهود المبذولة من قبل الأسرة البديلة (الحاضنة) في دمج هذه الشريحة في المجتمع تواجهها الكثير من الصعوبات والعقبات منها ما يتعلق بالأسرة البديلة نفسها، ومنها ما يرتبط بمجهول النسب، ومنها ما يعود للمجتمع الذي يعيش فيه.

ولكون هذا الموضوع من أكثر المواضيع الاجتماعية حساسيةً وخصوصيةً في مجتمعنا فمن النادر أن تتناوله الدراسات والبحوث الإنسانية أو حتى وسائل الإعلام أو الندوات والأنشطة الاجتماعية، خصوصاً وإن معظم الدراسات العلمية ركزت على جانب الطفولة وأهملت جانب الشباب وما يعانيه من مشكلات كإفرازات لوضع اجتماعي غير شرعي تكفلت بمعالجته أسرة بديلة لأناس لا يعرفون أهلهم ولا نسبهم ولا إلى من يعودون في الأصل. (ولقد تبين في آخر إحصائية لمنطقة الجبل الأخضر بتاريخ 2014/10/30 " أن إجمالي عدد مجهولي النسب قد بلغ (183) فرداً منهم عدد (142) ابن مكفول في أسرة بديلة، وعدد (35) منهم نزلاء في مؤسسة الرعاية الاجتماعية، والعدد الباقي الذي بلغ (6) أفراد هم في استضافة أسر أخرى⁽ⁱ⁾. وبالتالي فإن ما تعكف هذه الدراسة على تناوله ومحاولة إظهاره يمكن أن نلخصه في التساؤل الرئيسي التالي: ما مدي تكيف هذه الشريحة واندماجها في المجتمع الذي توجد فيه، وفي المجتمع المحلي بمدينة البيضاء على وجه الخصوص؟

أهمية الدراسة: تتمثل أهمية هذه الدراسة في النقاط التالية:

(1) الفئة الاجتماعية التي تتناولها هذه الدراسة هي فئة لها وجودها في المجتمع ولا يمكن إنكارها إنسانيتها أو تجاهلها، فلقد وجدت نفسها هكذا دون قصد منها، وحق لها أن تدخل تحت المظلة المجتمعية والإنسانية.

(2) تولي هذه الدراسة أهمية خاصة لفئة الشباب والذين هم دعامة المجتمع وركيزته الأساسية التي يعول عليها في تحقيق التقدم والرقي. وتبعاً لذلك تم التركيز على فئة مجهولي النسب من الشباب لأن غالبية الدراسات التي تناولت هذا الموضوع كانت مرتكزة على الأطفال بشكل عام ولم تولي اهتماماً بالشباب من فئة مجهولي النسب، ولا بطبيعة حياتهم وظروفهم الاجتماعية التي يعيشونها، ولا بحقيقة تفكيرهم واندماجهم في المجتمع.

(3) محاولة لإبراز أهمية ودور الأسرة الحاضنة في تنشئة وتربية من تحتضنه من مجهولي النسب، وكيف تضفي عليه طابعها وتكسبه القيم والمعايير الاجتماعية، وترسخ في داخله أنظمة المسموح والممنوع وتصبغه بصبغة المجتمع الذي يعيش فيه. وتحدد انتماءاته وتوجهاته الفكرية والسلوكية والأخلاقية.

(4) تحاول هذه الدراسة ألقاء مزيد من الضوء حول طبيعة حياة هذه الفئة الاجتماعية وأن تساعد الباحثين والمختصين ومتخذي القرار قدر الإمكان من خلال ما تتوصل إليه من نتائج في إيجاد حلول وطرق لمعالجة ما تعانيه هذه الفئة من مشكلات تحول دون تكيفها واندماجها في المجتمع.

أهداف الدراسة: تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف والتي تتمثل فيما يلي:

(1) محاولة إيصال فكرة وصورة عن مجهولي النسب إلى المسؤولين وصناع القرار والمهتمين بهذا الشأن، وكذلك إلى عامة أفراد المجتمع، مؤداها: أن هؤلاء الأفراد هم من نتاج هذا المجتمع وهم ينتمون إليه ولا ذنب لهم فيما وجدوا أنفسهم فيه، ومن ثم وجب تقبلهم والتعايش معهم كبقية أفراد المجتمع.

(2) الكشف عن الصورة الحقيقية الواقعية التي يتعامل بها أفراد المجتمع في الوقت الحاضر مع هذه الشريحة الاجتماعية بحسب مجهولي النسب أنفسهم.

(3) محاولة التعرف على اتجاهات مجهولي النسب في قضية التكيف والاندماج في المجتمع، ومعرفة الطريقة التي ينظرون بها للمجتمع الذي يعيشون فيه. ومن ثم الوصول إلى أهم المشكلات والعوائق التي يمكن أن تحول دون تكيفهم واندماجهم الاجتماعي.

(4) محاولة للكشف عن طبيعة حياة هذه الفئة في الأسر البديلة الحاضنة لها، وعن أهم المشاكل النفسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتربوية التي تعانيها، ومن ثم تحديد أي هذه المشكلات أكثر انتشاراً وتأثيراً من غيرها، بحيث تكون لها الأولوية في الدراسة والبحث ومحاولة معالجتها وإيجاد حلول ناجعة لها.

5) الخروج بمجموعة من الأفكار والتصورات والمقترحات والبرامج العملية التي يمكن أن يستفاد منها في خدمة هذه الفئة الاجتماعية.

مفاهيم الدراسة:

• **التكيف** : يستخدم علماء البيولوجيا مصطلح التكيف من أجل بقاء الكائن الحي على قيد الحياة . وفي المقابل يستخدم علماء النفس مصطلح التكيف من أجل بقاء الفرد في صحة نفسية. هو عملية ديناميكية مستمرة تتناول السلوك والبيئة (الطبيعية والاجتماعية) بالتغيير والتعديل حتى يحدث توازن بين الفرد وبيئته. ويتضمن هذا التوازن إشباع حاجات الفرد، وتحقيق متطلبات البيئة، وتعلم مهارات التكيف الاجتماعي مثل مهارات الالتقاء، والاختلاط ، والتواصل والتفاعل مع الآخرين ، ومهارات المشاركة واحترام القواعد والمعايير الاجتماعية البسيطة وسواها⁽ⁱⁱ⁾ .

ونقصد بالتكيف في هذه الدراسة هو عملية توازن وتكيف مجهولي النسب الذين عاشوا في أسر بديلة مع البيئة الاجتماعية المحيطة بهم سواء كانت الأسرة أو مكان العمل أو جماعة الرفاق أو الجيران إلي غير ذلك واندماجهم بشكل طبيعي في المجتمع الذي يعيشون فيه.

• **الاندماج** : الدمج لغةً : هو الإدخال، دمجت الشيء أدخلته فيه⁽ⁱⁱⁱ⁾. والدمج اصطلاحاً : انضمام جماعة أو زمرة ذات أهداف متجانسة إلى حد ما من بعضها البعض مع وجود بعض الفروقات فيما يتعلق بأساليب قاداتها. ولربما كانت عملية الدمج مؤقتة لمواجهة حالة طارئة وقد يكون الدمج في الثقافة بمعنى توحيد ثقافتين ويتضمن ذلك الاحتفاظ ببعض السمات وتحويل وتعديل السمات الأخرى. ويعرف كذلك على أنه اندماج أشخاص وأشياء معاً لتشكيل مجموعة واحدة أو كيان موحد، فالتكامل الاجتماعي هو تنسيق بين مختلف الطبقات والجماعات المتفاوتة السلالة وغيرها من الأنماط الاجتماعية في وحدة متكاملة مندمجة^(iv) .

ونعني بالدمج في هذه الدراسة عملية تقريب فئة مجهولي النسب من مكانها الأصلي . المجتمع . ودمجها فيه، وانصهار هذه الفئة وذوبانها في مجتمعها حتى تكون جزء لا يتجزأ من هذا الكيان ويختفي شعورها بالنقص والعجز والإقصاء.

• **مجهول النسب (اللقيط)**: تعريفة لغة : اللقيط مشتقة من الفعل، أي أخذه من الأرض، والملقوط : المولود الذي ينبذ - يترك. ويعرف اللقيط اصطلاحاً بأنه: الطفل مجهول النسب، وهو الطفل غير الشرعي، الذي تم الحمل به خارج أو قبل الزواج الشرعي وهو ما يطلق عليه حمل السفاح^(v). وتتفق المذاهب الإسلامية الأربعة . الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنبلية . على في تعريفاتها للطفل اللقيط على أنه: طفل صغير دون التمييز لا يعرف أهله ولا نسبه ، فيخرج بذلك من عُرف أهله.

وهو الطفل الذي يلزم التقاطه وأخذه لحاجته إلى الرعاية والقيام بما يحتاج إليه من نفقة وحضانة ونحو ذلك^(vi).

فالأطفال مجهولو النسب بالمفهوم العام: هم الأطفال الذين يولدون وهم مجهولو الوالدين، أو الأطفال غير الشرعيين والذين يكون أحد الأبوين غير معروف، وغالباً ما تكون الأم معروفة والأب يكون مجهولاً. ويكون هذا الطفل ناتجاً عن علاقة خارج إطار الزواج مما يجعل إمكانية وجود النسب غير واردة، ويدخل أيضاً في إطار هذا التعريف الأطفال مجهولو النسب نتيجة الحروب والكوارث الطبيعية أو نتيجة الاعتداءات الجنسية داخل الأسرة أو خارجها^(vii).

ونقصد بمجهول النسب في هذه الدراسة كل شخص ووجد أو عثر عليه طفلاً في مكان ما، ولم يتم التعرف على أبويه، وكل من أعتبر قانوناً بأنه طفل غير شرعي (لقيط) ذكراً كان أم أنثى. وتمت كفالة هؤلاء من قبل أسر حاضنة واستمروا في الحياة على هذا النحو.

• **الأسرة البديلة أو (الحاضنة):** وهي جماعة اجتماعية يتكون بنائها من زوج وزوجة وأولاد أحياناً، ولها مواردها المالية الخاصة ونشاطها العادي، وتعيش حياتها في إطار المجتمع الأكبر ولها دورها فيه كغيرها من الأسر، كما أن لها وظيفة اجتماعية في الحياة العامة، ووقع عليها الاختيار للقيام برعاية طفل من غير أبنائها، مع توافر شروط الصلاحية لهذه الرعاية فيها^(viii). ويقصد بها تلك الأسرة التي لا ينتمي إليها الطفل بيولوجياً، ولكنه يعيش في كنفها ولا يحمل اسمها فيكون مكفولاً^(ix). ويمكن تحديد مفهوم الرعاية الأسرية البديلة بأنها رعاية تعويضية تقوم بها أسرة أخرى تحل محل الوالدين البيولوجيين للطفل، وتكون هي المسؤولة عن تنشئة الطفل ورعايته رعاية متكاملة. وعادة ما يكون هناك متابعة وإشراف على الأسر البديلة من قبل الجهة الحكومية المعنية بتلك الفئة من الأطفال^(x).

أما التعريف الإجرائي للأسرة البديلة في هذه الدراسة فأننا نقصد به الأسر الليلية التي قامت بتبني أو حضانة أو كفالة طفل واحد أو أكثر من الأطفال مجهولي النسب بهدف تربيته ورعايته وتحمل مسؤولية تنشئته وتوجيهه والعناية به منذ الصغر.

الدراسات السابقة:

1)دراسة نجوان عبد الحميد شمس الدين، (2009) بعنوان: اندماج الشباب مجهولي النسب في المجتمع، جامعة تبوك. هدفت الدراسة إلى معرفة اتجاهات الشباب مجهولي الوالدين من الاندماج في المجتمع والمشكلات النفس اجتماعية التي يعاني منها هؤلاء الشباب بسبب نشأتهم بالدار والتي تعيق اندماجهم الاجتماعي، ثم التعرف على اتجاهاتهم نحو الأنظمة والإدارة والإشراف بالدور. وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي لجمع المعلومات، كما استخدمت المقابلات المقننة وغير المقننة مع الشباب كأدوات لجمع البيانات. و تمثل مجتمع العينة الشباب مجهولي الوالدين من الجنسين تم اختيارهم عشوائيا من منظمة شمعة التي تضم الشباب مجهولي الوالدين). وأكدت نتائج الدراسة أن معظم الشباب مجهولي الوالدين يعانون من مظاهر عدم الاندماج الاجتماعي، كما أنهم يعانون من مشكلات نفس اجتماعية ناتجة من النشأة بالدار، كما بينوا اتجاهاتهم السلبية للأنظمة والإدارة والإشراف بالدور. وقد اقترحت الدراسة برنامجا لرفع كفاءة الشباب مجهولي الوالدين يمكنهم من الاندماج في المجتمع.

2)دراسة حمدان بن عبيد العتيبي (2010) بعنوان: تجربة الأسر البديلة لرعاية الأحداث، دراسة تشخيصية من وجهة نظر الأخصائيين الاجتماعيين، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة نايف. تتمحور مشكلة هذه الدراسة حول مدى اسهام الأسر البديلة في رعاية الأحداث، وقد هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على واقع الأسر البديلة نحو دورها في رعاية الأحداث ووقايتهم من الانحراف، وكذلك التعرف على النواحي الإيجابية لهذه الأسر ومساهمتها في دعم وتشجيع هذه الأسر على رعاية الحدث اجتماعياً ونفسياً، وكذلك معرفة النواحي السلبية المتعلقة بنظام الأسر البديلة. واستخدمت هذه الدراسة المنهج الوصفي، واختارت منهج اسلوب المسح الاجتماعي لجمع بياناتها ومعلوماتها، ويتمثل مجتمع الدراسة في عدد (200) أسرة حاضنة.

وتوصلت هذه الدراسة إلى أن الأسر البديلة غير قادرة على إشباع كافة حاجات الطفل المتعددة، إلا أن نظام الأسر البديلة يفوق نظام مؤسسات الرعاية الاجتماعية والمؤسسات الإيوائية من كافة الجوانب الاجتماعية والنفسية والثقافية والتعليمية، كما توصلت الدراسة إلى أن الأسر البديلة لا تحظى بمتابعة دقيقة من قبل الجهات المسؤولة في الدولة.

3)دراسة ماجدة محمد زقوت (2011) بعنوان: هوية الذات وعلاقتها بالتوكيدية والوحدة النفسية لدى مجهولي النسب رسالة ماجستير (غير منشورة)، الجامعة الإسلامية غزة. هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين هوية الذات والشعور بالوحدة النفسية لدى مجهولي النسب، وكذلك التعرف على الفروق في هذه المغيرات بحسب مكان الاحتضان، والعمر، والمستوى التعليمي، والحالة

الاجتماعية، والمستوى الاقتصادي وإمكانية التنبؤ بتأثير هوية الذات على الوحدة النفسية، وتم تطبيق هذه الدراسة على عدد (58) من مجهولي النسب في جمعية مبرة الرحمة، والمحتضنين لدى أسر في قطاع غزة.

وتوصلت هذه الدراسة إلى أنه لا توجد فروق في هوية الذات والتوكيدية والشعور بالوحدة النفسية لدى مجهولي النسب المتواجدين في الجمعية والمتواجدين لدى أسر بديلة. كما أكدت الدراسة بأنه لا توجد فروق في هوية الذات والتوكيدية والشعور بالوحدة النفسية لدى مجهولي النسب تعزى لمتغير الجنس، أو متغير العمر، أو المستوى الاقتصادي والتعليمي، ولا حتى لمتغير الحالة الاجتماعية. ووجدت بأن هوية الذات أعلى في التنبؤ بالشعور بالوحدة النفسية من التوكيدية.

4) دراسة زياد علي الجرجاوي، وعبدالفتاح عبدالغني الهمص (2011) بعنوان: درجة تقبل اللقطاء في المجتمع الفلسطيني، دراسة سيكولوجية مقارنة. هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مدى تقبل الفلسطينيين للقطاء والتعايش مع المجتمع بشكل عام، وكذلك الكشف عن مستوى التقبل الاجتماعي من قبل أفراد المجتمع بحسب المستوى التعليمي، ومكان الإقامة، والجنس. وقد استخدمت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، واستخدمت استمارة الاستبيان كأداة لجمع البيانات والمعلومات، وتمثلت عينة الدراسة في عدد (234) فرداً من المجتمع الفلسطيني من مختلف التركيبات والشرائح الاجتماعية بقطاع غزة. ولقد أكدت نتائج الدراسة على أن تقبل اللقيط كمواطن في المجتمع الفلسطيني، وبأن أفراد المجتمع لا ينفون عنه صفة المواطنة، ويتقبلون مشاركتهم في النوادي الرياضية والاجتماعية. كما أوضحت هذه الدراسة بأن غالبية أفراد العينة لا يرغبون أو أنهم لا يوافقون على تزويج أبنائهم وبناتهم من اللقطاء خوفاً على سمعتهم ومستقبلهم.

5) دراسة قام بها فريق بحث اجتماعي (2012)، وهو فريق تابع لوزارة الشؤون الاجتماعية بالهيئة العامة لصندوق التضامن الاجتماعي بالجبل الأخضر في ليبيا، وجاءت هذه الدراسة تحت عنوان: دراسة استطلاعية وصفية عن حالات الكفالة بالجبل الأخضر. وهدفت إلى التعرف على أوضاع المكفولين بشكل مباشر ومتابعة أوضاعهم المعيشية عن كثب، والتعرف على أهم الصعوبات والمشاكل التي تواجههم مع أسرهم البديلة والمجتمع الذي يعيشون فيه، وكذلك المشكلات والصعوبات التي تواجه الأسرة البديلة نفسها. ويتمثل مجتمع هذه الدراسة في عدد (192) مكفول من مجهولي النسب، وأرياب أسرهم البديلة في مدن المنطقة الشرقية الممتدة من طبرق شرقاً حتى بنغازي غرباً، ولقد استعانت هذه الدراسة بمنهج المسح الاجتماعي الشامل، واستخدمت استمارة الاستبيان كأداة لجمع البيانات والمعلومات. وقد توصلت هذه الدراسة إلى بيان ضعف وتردي

مستوى متابعة المكفولين من قبل مؤسسات الرعاية الاجتماعية، كما أثبتت الدراسة بأن بعض الأسر البديلة قد قامت بتسليم الابن الذي كفلته من مؤسسات الرعاية الاجتماعية إلى إحدى الأسر القريبة لها والتي تربطها بها علاقات قرابة دون علم المؤسسة، وذلك لعدد من الأسباب المختلفة والتي أهمها وفاة أحد الأبوين اللذين قاما بكفالة الابن وخصوصاً عندما يبلغ هذا الابن سن البلوغ. كما أظهرت الدراسة أن بعض من المكفولين انقطعت أخبارهم عن المؤسسة نهائياً ولم تعد تعلم عنهم شيئاً، ذلك لأن أسرهم غيرت مكان إقامتها أو انتقلت إلى منطقة أخرى بعيدة. ومن بين أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة هي عدم حصول بعض من المكفولين على حقهم في منحة الزواج أو منفعة السكن التي تهبها لهم الدولة دون أن تبين الأسباب، وبينت أن حرمانهم من هذا الحق خلق لهم أوضاعاً اجتماعية صعبة وغير مستقرة.

التعليق على الدراسات السابقة :

تتفق جميع الدراسات السابقة مع الدراسة الحالية في كون أن محور اهتمامها هو التركيز على دراسة فئة مجهولي النسب، إلا أنه لكل منها اهتمام خاص بجانب معين دون آخر، فمنها ما يركز على دراسة المشكلات النفس اجتماعية التي يعاني منها أفراد هذه الفئة، ومنها ما يهتم بدراسة العلاقة بين هوية الذات والشعور بالوحدة النفسية لديها، وأخرى تركز على دراسة دور الأسر البديلة (الحاضنة) في رعاية وتربية الأحداث مجهولي النسب، بينما تهتم أخرى ببيان ومعرفة مدى تقبل المجتمع لهذه الفئة وكيفية التعايش معها، ودراسة أخرى تهدف إلى الاهتمام بالتعرف على الأوضاع المعيشية للمكفولين وإبراز أهم المشاكل والصعوبات التي تواجه المكفولين وتلك التي تواجه الأسر الحاضنة لهم. في حين أن هذه الدراسة تولي جل اهتمامها وتركيزها على مدى تكيف واندماج فئة مجهولي النسب مع الأسر البديلة الحاضنة لهم من ناحية، ومع المجتمع الذي يعيشون فيه من ناحية أخرى. ويتمثل هدفها الأساسي في التعرف على أبرز الصعوبات والمشاكل التي تحول دون تكيفهم واندماجهم في المحيط الاجتماعي الذي يعيشون فيه. أضف إلى ذلك فإن هذه الدراسة تختلف مع بعض هذه الدراسات السابقة من حيث مجالات البحث البشرية والمكانية والزمانية.

فروض الدراسة:

تتطلق هذه الدراسة من فرض رئيسي مؤداه: بأن فئة مجهولي النسب الذين يعيشون في أسر بديلة في المجتمع الليبي يعانون من مشكلات عدم التكيف والاندماج الاجتماعي في مجتمعهم الذي يعيشون فيه. وتبرز من خلال هذا الفرض الرئيسي مجموعة من الفروض الفرعية والتي تتمثل فيما يلي:

- (1) هنالك نوع من التحفظ لدى أفراد المجتمع الليبي في التعامل مع فئة مجهولي النسب والاختلاط بهم أو الارتباط معهم بعلاقات اجتماعية طبيعية.
- (2) ينظر أفراد هذه الشريحة إلى أنفسهم على اعتبار أنهم أفراداً غير شرعيين لا يتمتعون بالمزايا والخصائص الاجتماعية التي يتمتع بها باقي أفراد المجتمع.
- (3) يؤدي الشعور بالنقص والعجز والحرمان لدى مجهولي النسب إلى تكوين انطباعات معادية لإفراد المجتمع الذي يعيشون فيه.
- (4) يرفض الكثير من أفراد المجتمع الارتباط بعلاقات نسب ومصاهرة مع أفراد هذه الشريحة الاجتماعية وبالتالي فهم يعانون من مشكلات الارتباط والزواج.
- (5) هنالك اختلاف بين حياة مجهول النسب الذي يعيش في كنف أسرة بديلة لديها أبناء وبين آخر يعيش في أسرة بديلة ليس لديها أبناء من حيث التكيف والاندماج الاجتماعي.
- (6) تعتبر الأسرة البديلة على الرغم من كل ما تبذله من مجهودات في حضانة ورعاية مجهولي النسب وتنشئتهم وتربيتهم غير قادرة على إشباع كل حاجيتهم ومتطلباتهم الاجتماعية والنفسية، وعلى الأخص شعورهم بالنقص وعدم الانتماء.

الإطار النظري للدراسة:

الاندماج والتكيف الاجتماعي :

يعتبر الشباب مجهولي الوالدين (النسب) محرومين من الرعاية الوالدية والمجتمعية الطبيعية ومعرضون لانعدام الخبرات الكافية لتعلم المهارات والكفاءات الاجتماعية والنفسية والسلوكية والمهام الضرورية التي تسهم في بناء مقومات شخصيتهم بالصورة المتوازنة التي تكفل لهم الاندماج العقلي والنفسي بالمجتمع . فمتلازمة الحرمان (مجموعة استجابات عدم الكفاءة النفسية والاجتماعية، والعقلية والروحية) قد تسم الطفل والمراهق والشاب فيكون سلوكه مسبباً بها، ونتيجة لها يضعف تفاعله مع الآخر. إن الإنسان بعد أن يشبع حاجاته البيولوجية الحيوية يتجه إلى إشباع حاجته للأمن وحاجته لأن يشبه شخصا آخر يشاركه انفعالاته، ويتبين منه نمطاً من السمات والاتجاهات والقيم والدوافع

ليصبح كائنا اجتماعيا له وعيه وهويته وذاته^(xi). لذلك يعد فقدان النموذج الوالدي وكافه الرموز التي ينتمي إليها الإنسان أمر بالغ التعقيد.

فالحرمان الوالدي المبكر للطفل يؤدي إلى الحرمان من التنقيف والتنوير حيث لا تصبح بيئته وثقافته جزءا من ذاته، وفقدان هذه الثقافة قد يعرض الفرد لفقدان الأساس للوجود الإنساني وللمعيارية، ولنمو الضمير، ولنمو الانتماء، والولاء، والمشاركة، وللتجنب الدائم للاندماج في المجتمع، والهروب من المواقف التي تتطلب بيان الهوية وتسمية الأسرة أو القبيلة أو مكان الميلاد. ومرحلة المراهقة للشباب مجهولي الوالدين هي نتاج طفولة تعرضت للعديد من المخاطر الصحية والعقلية والنفس اجتماعية ولنمو المنقوص، حيث أن أمهات هؤلاء الشباب لم ينلن الرعاية الطبية المطلوبة أثناء الحمل والولادة التي تجدها الأمهات اللاتي يعشن الحياة الأسرية المستقرة. كما أن الأمهات قد يلجأن بسبب الحمل غير المرغوب لتناول العقاقير دون استشارة الأطباء أو تناول المخدرات لتخفيف ما يعانينه من توترات وقلق أو أمراض، وقد يعانين من الإجهاد وسوء التغذية والتعب الجسمي والبدني. وحتى عند الولادة قد يوضع الطفل في ظروف غير طبيعية، بأن يوضع مثلاً على (الأرصفة) مما يعرضه للأمراض والالتهابات ونزلات البرد، أضف إلى ذلك الحرمان من الرضاعة الطبيعية ومن حنان الأم ودفء أحضانها. وقد يسبب حرمان الطفل من الرعاية الوالدية الكثير من الاحباطات التي قد تظهر في صورة الانطواء والخجل وانخفاض تقدير الذات والخوف والقلق والميل إلى العدوان والانتقام^(xii).

إن التكيف الاجتماعي عبارة عن عملية دينامية مستمرة تتناول السلوك والبيئة (الطبيعية والاجتماعية) بالتغيير والتعديل حتى يحدث توازن بين الفرد وبيئته. ويتضمن هذا التوازن إشباع حاجات الفرد، وتحقيق متطلبات البيئة. وللتكيف بُعدان (شخصي، واجتماعي) وبين هذين البعدين صلة وثيقة وتأثير متبادل. كما أنه يعمل على إشباع حاجات أولية أو فطرية أو فسيولوجية وهي الحاجات التي يولد الفرد مزودا بها ولا يكتسبها عن طريق التعلم. ويعمل التكيف أيضاً على إشباع حاجات ثانوية وهي حاجات مكتسبة تنشأ وتتأثر بالبيئة التي يعيش فيها الفرد^(xiii).

فالتكيف الاجتماعي هو آليات لانخراط الفرد داخل الجماعة والمشاركة في قيمها، وآراءها ومواقفها. مثلاً استجابة الشباب لشروط التكيف الأسري من حيث السلوك واحترام التراتب واللباس وغير ذلك. فجماعة الانتماء هي الجماعة التي ينتمي إليها الفرد منذ ولادته كالعائلة والمجتمع المباشر. أما جماعة المرجع (المرجعية) فهي الجماعة التي ينخرط فيها لاحقاً للدراسة والعمل أو غيرها؛ ويتبنى قيمها كالجماعة والنقابة والحزب وغيره.

ويرى الكثير من العلماء والدارسين في مجال العلوم الاجتماعية والنفسية بان آلية التعايش الاجتماعي في أي مجتمع من المجتمعات تمر بثلاث مراحل: (التضامن الاجتماعي . التكيف الاجتماعي . الاندماج الاجتماعي). حيث أن التضامن الاجتماعي هو شبكة الروابط الاجتماعية التي تشد أفراد المجتمع إلى بعضهم البعض. أما الاندماج الاجتماعي فإنه مفهوم ينشئه كل مجتمع وكل جماعة بهدف انتقال الأفراد والجماعات من حالة المواجهة والصراع إلى حالة العيش معاً. كما إنه يعني مجموعة التدابير التي يتبناها المجتمع والجماعة لقبول عضو جديد في صفوفه وتسهيل عملية القبول. وتتمثل مجالات الاندماج الاجتماعي في العائلة، وفي المدرسة والحي السكني، ومكان العمل. فالعلاقة التي تربط بين الاندماج و التكيف الاجتماعي تتمثل في أن التكيف عملية فردية ذاتية، والاندماج عملية اجتماعية. كما أن التكيف هو مرحلة من مراحل الاندماج الاجتماعي.^(xiv)

مؤسسات الرعاية الاجتماعية:

في كل أنحاء العالم تقريباً يعيش ملايين الأطفال لفترات متفاوتة تحت إشراف سلطات معنية بالرعاية الاجتماعية ضمن مؤسسات تحمل مسميات عديدة ومختلفة، ولكن أياً كان نوعها فإنها بلا شك تحكم حياة الأطفال وتؤثر في نمائهم الشخصي وفرص حياتهم في المستقبل. ولا يوجد تعريف متفق عليه لمؤسسات رعاية الأطفال، إلا أن لها خصائص معينة متفق عليها عالمياً وهي أن: (تعمل أساساً على توفير الرعاية على مدار الساعة للأطفال الذين يعيشون بعيداً عن أسرهم وتحت إشراف موظفين مدفوع لهم الأجر). ولا يعني هذا أن كل الأطفال الموجودين في أية مؤسسة بعيداً عن أسرهم يدخلون ضمن هذا التعريف، فهناك من الأطفال من يقضون أوقات طويلة في مرافق نفسية أو علاجية، ولكن مهما طالّت مدة بقائهم سيعودون إلى أسرهم. أما الأطفال الذين يعيشون في مؤسسات لفترات طويلة دون تلقي رعاية من والدين أو صيأاء فهؤلاء هم الفئة المشار إليها هنا بالرعاية المؤسسية. وتشمل رعاية الطفولة بمفهومها الحديث مختلف الأنشطة والبرامج والخدمات الاجتماعية والصحية والنفسية والتربوية التي تقدمها المؤسسات سواء كانت حكومية أو أهلية، وتستهدف هذه المؤسسات تنمية الأطفال في المجتمع من النواحي الفكرية والجسمية والعاطفية. وتعمل على توفير جميع متطلبات الطفل في أسرته الطبيعية. ويشير تقرير لليونيسيف عن أوضاع الأطفال في العالم للعام 2004 إلى أن هناك حوالي 140 مليون طفل في العالم قد فقدوا رعاية أحد أو كلا الوالدين. وفي العالم العربي أظهر المؤتمر العربي الثالث الذي عقد في يناير 2004 حول اتفاقية حقوق الطفل، أن هناك أكثر من 18 مليون طفل عربي لم يتم استخراج شهادات ميلاد لهم.^(xv) وتوضح بعض الإحصائيات حجم المأساة وخطورتها مع مقارنة نسبة عدد اللقطاء في العالم العربي إلى

مجموع السكان، يتبين أن معدل عدد اللقطاء السنوي في بعض الدول: الأردن 36 طفل لكل 6 مليون نسمة، مصر 900 لقيط لكل 12 مليون من أصل 75 مليون نسمة عدد سكانها، السعودية 22 (مليون نسمة) معدل اللقطاء فيها 800 لكل 36 مليون نسمة، السودان عدد سكانها 36 مليون نسمة ومعدل اللقطاء فيها 1100 لكل 36 مليون نسمة، المغرب عدد سكانها 30 مليون نسمة ومعدل اللقطاء 1400 طفل لكل 46 مليون نسمة، تونس عدد سكانها 10 مليون، معدل اللقطاء فيها 120 لكل 12 مليون^(xvi). أما بالنسبة إلى ليبيا فإنه بسبب الأحداث الجارية لم نتمكن من الحصول على إحصائية كاملة لمجهولي النسب باستثناء إحصائية عن منطقة الجبل الأخضر أعدت بتاريخ 2014/10/30 والتي تبين فيها " أن إجمالي عدد مجهولي النسب قد بلغ (183) منهم عدد (142) أبين مكفول في أسرة بديلة، وعدد (35) منهم نزلاء في مؤسسة الرعاية الاجتماعية، والعدد الباقي الذي بلغ (6) هم في استضافة أسر أخرى^(xvii) :
مؤسسات الرعاية البديلة :

تختلف المؤسسات وتتفاوت سواء في الحجم فمنها الصغيرة والكبيرة والمتوسطة أو من حيث من يقوم بإدارتها فمنها الحكومي ومنها ما يتبع الجمعيات الأهلية أو الخيرية أو شركات خاصة، ويمكن إدراج أنواع الرعاية البديلة تحت بعض التصنيفات العرضية كما يلي:

- الرعاية المؤسسية طويلة المدى: ويمكن أن تضم إعداد من الأطفال فاقدوا الرعاية.
- رعاية إيواء طارئة: وهي مرافق توفر الخدمات لتلبية حاجات الأطفال من أمن وغذاء على المدى القصير.

- دور الإيواء: تقدم الرعاية لعدد من الأطفال في دار تخصصهم في بيئة تشبه بيئة الأسرة.
- الوصاية: وتشمل وضع الطفل مع أسرة أخرى لفترات متفاوتة من الوقت، ويتم قبول الطفل في الأسرة البديلة "الحاضنة" مع أبنائه^(xviii) وهذه الأخيرة هي ما يهمننا دراستها في هذا البحث، ف نموذج الأسر البديلة موجود في كل المجتمعات تقريباً ألا أنه إلى الآن . حسب رأي الخبراء . لم يحل في محل مؤسسات الرعاية الأخرى الرسمية التي تشرف الدولة على إدارتها.

النظام الأسري البديل :

يقصد بنظام الأسرة البديلة نقل الأطفال من دار الرعاية أو مؤسسات الرعاية الاجتماعية لنوع جديد من الحياة هو حياة الأسرة، أو نقلهم من أسرهم التي تمارس العنف معهم إلى أسر أخرى بديله. ويهدف نظام الأسر البديلة إلى جعل الطفل فاقد الرعاية ينشأ بين أحضان أسرة طبيعية تعوضه عما فقد من حنان بفقدان والديه أو عجزهما عن رعايته، ومن المعلوم أن الرعاية الأسرية البديلة للطفل

تتفوق على الرعاية المؤسسية بمراحل عديدة، إذ يتوافر للطفل العيش مع أم وأب يوفران له جانباً من الحنان والعطف ما قد يفتقده من عاش في بيئة مؤسسية إيوائية أو في دور التربية الاجتماعية، ومن هنا فإنه ليس من المستغرب أن نرى حرص الكثير من وزارات العمل والشئون الاجتماعية في مختلف الدول على إعطاء هذا الجانب العناية الكبيرة، حيث وضعت له العديد من المزايا المالية والتسهيلات الإدارية بما يكفل توجيه أكبر قدر ممكن من هؤلاء الأطفال إلى أسر بديلة. فقد ثبت بالدراسة أن الطفل داخل مؤسسات الرعاية الاجتماعية يعيش حالة من العزلة تمنع نموه اللغوي والنفسي والعاطفي، كما تبين أنه في بعض الأحيان تحدث حالات وفاة لعدد من الأطفال داخل دار الرعاية. هذا مع توفر الخدمات الطبية والتغذية الجيدة". وعملية الكفالة هذه يتوقع أن تزداد بشكل مطرد في العقود القادمة نظراً للتغيرات الاجتماعية والأخلاقية التي أدت إلى ضعف نسبي في الروابط الأسرية وزيادة معدلات الطلاق والعلاقات غير الشرعية.

إن الرعاية البديلة للطفل هي عبارة عن الخدمات التي ينالها لتعويضه عما حُرم منه في أسرته وذلك بإبداعه في أسرة بديلة. وبما أن الأسرة هي بيئة الطفل الطبيعية وفيها يحصل على عوامل نموه الوجداني والتمثلة في المحبة الوالديه التي يشعر الطفل في ظلها بالطمأنينة. وهذا النظام يعرف في ليبيا بنظام الكفالة. الذي يتيح الفرصة أمامه لأن يكتسب عادات وأعراف ومعتقدات المجتمع التي تنتقل إليه عن طريق أسرته البديلة^(xix).

ويذهب الدكتور (عبد الله بن ناصر السدحان) في بحث له على استخدام نظام الأسر البديلة لحل المشكلة قائلاً: "إن هذا الشكل من أشكال رعاية الأيتام السائدة في العالم والتي تقوم فكرته على احتضان طفل يتيم أو من في حكم اليتيم من قبل إحدى الأسر ليعيش بينها كأحد أطفالها ويتظلل بمظلة الأسرة الطبيعية ويجد منها جميع الإشباعات التي يحتاجها سواء النفسية أو الاجتماعية أو المادية لينمو نمواً متوازناً بين ركني الحياة الأسرية السوية - رجل وامرأة - ويحقق التكيف الاجتماعي والنفسي المتوازي وهو يختلف كلية عن نظام التبني فلا يوجد في هذا النظام تسمية للطفل باسم الأسرة وتبقى المحرمية قائمة إلى أن تنقطع برضاع من الزوجة أو إحدى أقارب الزوجين. ولا يوجد في هذا النظام مخادعة للطفل أو المجتمع فهو قائم على الصدق بخلاف التبني القائم على خلاف ذلك من أول يوم". ويقول أيضاً: "إن الدعوة إلى نظام الأسر البديلة ليس على إطلاقه فإن لم يتوفر تحرر دقيق عن الأسرة الراغبة في الكفالة وحسن اختيار وإشراف شامل، ودعم مالي ومعنوي للأسر وإلا فإننا قد نجني على هؤلاء الأطفال ونأثم أكثر مما نغنى"^(xx).

وقبل الخوض في تفاصيل شروط ومزايا وعيوب الأسرة البديلة أو الحاضنة علينا أن نبين أولاً الفرق بين مفهوم (التبني) ومفهوم (الكفالة) من وجهة نظر الدين الإسلامي، حيث أنه لكل واحد من هذين المفهومين معناه ودلالته الخاصة. لقد أوجب الإسلام على الدولة والمجتمع رعاية الأيتام واللقطاء رعاية كاملة، وتشمل الرعاية الحضانة أو الكفالة الواردة في القانون الإسلامي، أو الإقامة في مؤسسات مناسبة لرعاية الأطفال. وهناك بعض الدول التي سمحت في قوانينها بإجازة نظام التبني، وهناك العديد من الدول الإسلامية والعربية التي لم تجز نظام التبني نظراً لأنه محرم في الشريعة الإسلامية لوجود المانع الشرعي وهو: (إدخال نسب على الغير)^(xxi). **فالتبني:** هو العملية التي توكل فيها رعاية الطفل إلى واحد أو أكثر من الراشدين كي يعيش في أسرته بديله ليست أسرته البيولوجية ولكنها أسرته بموجب القانون ويتم نسبه قانوناً إليها.^(xxii) أما **الكفالة** فهي أن يقوم شخص راشد أو أسرته برعاية طفل دون أن يحمل الطفل أسم الشخص أو اسم الأسرة لعدم جواز نسبته لغير أهله الحقيقيين، لقول الله عز وجل "أدعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله. فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم، وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً"^(xxiii). كما أنها الإطار الإسلامي لوضع الطفل اليتيم أو اللقيط مع أسرة لا تربطه بها صلة الدم. وفي معظم الدول العربية يستخدم لفظ كفالة لوصف هذه العملية. لكن تبقى إحدى المشاكل الرئيسية التي يواجهها الأطفال فاقدو الرعاية الوالدية في المنطقة العربية وهي عدم وجود تشريع يتجاوز مساعدتهم في إيجاد أسر بديلة جديدة، ليضمن حقوقهم داخل الأسر التي تتولى مسؤولية رعايتهم. ما عدا تونس حيث تسمح بالتبني، وبالتالي يكون للطفل المتبنى نفس الحقوق والالتزامات التي يتمتع بها الطفل الشرعي. والتبني كما أشرنا سابقاً محظور في الدول العربية ما عدا المجتمعات المسيحية، ففي لبنان تشرف المؤسسات الدينية المسيحية على التبني، وبالتالي فهو يتم تحت سلطة الكنيسة، وبترخيص منها ومن المحكمة المسيحية.^(xxiv)

أنماط الرعاية البديلة :

يقصد بالرعاية البديلة رعاية الطفل في أسرة غريبة أو قريبة من الطفل أو في مؤسسات يرعاها ويديرها المجتمع، ومن هنا يمكن التمييز بين أربعة نماذج للرعاية البديلة هي: الأسرة البديلة الغريبة عن الطفل، والأسرة البديلة القريبة والمتصلة بالطفل، والرعاية البديلة في المؤسسات الإيوائية الدائمة، والرعاية البديلة في المؤسسات الإيوائية المؤقتة. وبما أن هذه الدراسة تركز على دور الأسرة البديلة أو الحاضنة لمجهولي النسب سوف نركز على النموذج الأول (الأسرة البديلة الغريبة عن الطفل).

الأسرة البديلة الغربية عن الطفل : يقصد بها تلك الأسرة التي لا يرتبط بها الطفل بيولوجياً أو اجتماعياً أو نفسياً، وربما لم يعرفها أو تعرفه من قبل على الإطلاق. وهذا النوع من الرعاية له طبيعته وقواعده، فالدواعي لمثل هذا النوع من الرعاية تتمثل في فشل الأسرة الطبيعية في رعاية طفلها أو عدم وجود الأسرة الطبيعية أصلاً مثل حالات الأطفال اللقطاء غير الشرعيين. ومن هنا يمكن اجمال أهم الأسباب التي تدفع إلى اتخاذ أسلوب الأسرة البديلة الغربية فيما يلي:

- (أ) عدم تكوين الأسرة الطبيعية على الإطلاق، وبالتالي يكون الإنجاب عن طريق غير شرعي.
(ب) فشل الأسرة الطبيعية في القيام بوظائفها الاقتصادية وانقطاع الدخل عن هذه الأسرة لأي سبب.
(ج) تصدع الأسرة الطبيعية نتيجة الانفصال أو الطلاق أو وفاة أحد الأبوين أو كليهما، أو عجزهما عن الرعاية^(xxv).

في هذا النوع من الرعاية البديلة لابد من دراسة أحوال الأبوين الراغبين في كفالة الطفل وشخصياتهما ونوعية الرعاية التي يستطيعان توفيرها للطفل، ومساعدتهما له في عمليات التكيف الأولى. ولقد دلت التجارب أنه من صالح الطفل أن تتم كفالته أو رعايته بعد ولادته مباشرة حتى يمكن استمرار رعاية الأمومة وإحاطته بالجو الأسري الذي يفتقر إليه، فمن المحتمل أن يضطرب نمو الطفل إذا وضع في دار الرضع لفترة من الزمن قبل كفالته وذلك بسبب عدم توفر صورة ثابتة للألم في حياته، ومن ثم قد يتعذر على الأبوين التعامل مع الطفل الذي أدت خبراته السيئة الأولى إلى اضطراب شخصيته. ومن هنا كان الإسراع بعملية الكفالة أو الرعاية من مصلحة الطفل وكذلك من مصلحة الأبوين، وكلما كانت الرعاية مبكرة شعر الأبوان بأنهما يقومان برعاية طفلها الخاص، كما انهما يستطيعان تشكيل شخصيته. بالإضافة إلى كل هذا لابد من التعرف على الحالة المعيشية للأسرة البديلة المقترحة، وحالة السكن والمستوى التعليمي، وتاريخها الاجتماعي، وميول واهتمامات الوالدين البديلين، وكذلك مدى استعداد الأسرة البديلة للمشاركة في مسئولية رعاية الطفل وتربيته. وهناك جانب آخر يعبر عنه خبراء الرعاية الاجتماعية وهو أنه لا جدال في أن الأبوين البديلين كغيرهما من الناس ينشدان الإشباع في مجرى حياتهما ويتوقعان أن تكون الرعاية البديلة خبرة مشجعة، وهما يعلمان أنها سوف تتضمن بعض مظاهر الإحباط والقسوة والنزاع والمهاترات أحياناً، والغم الحزن في أحيان أخرى. ولكن هذه الموضوعات من الأمور المألوفة في جميع الأسر، وينبغي أن يتوقع الأبوان البديلان مثل هذه المواقف، كما أنه من حقهما أن يتوقعان المتعة والسرور والابتهاج التي تنشأ عن وجود طفل أو أطفال في بيتها وأن يشعرا بالفخر من المشاركة في تربية الطفل. إن القاعدة الأساسية في الاختيار هي مقدار ما تستطيع أن تساهم به الأسرة البديلة في النمو

الطبيعي والصحي لطفل بديل، ومقدار ما يحققه أعضاء الأسرة البديلة وطبيعة العلاقات التي تربطها بالبيئة الاجتماعية الخارجية، ومقدار الفائدة التي سوف تعود على الطفل بمثل هذه الترتيبات^(xxvi).

مزايا ومميزات الأسرة البديلة (الحاضنة):

- 1- إتاحة الفرصة للطفل للتفاعل الاجتماعي بمختلف جوانبه مثل: الاشتراك في الأحاديث مع الكبار والتعامل معهم وتكوين علاقات جديدة، والاندماج في المجتمع الذي يعيش فيه.
- 2- إشباع دافع الانتماء والحب والأمن فيشعر الطفل بالانتماء لأسرة معينة مثل بقية الأطفال.
- 3- فرصة إشباع الحاجة إلى المعلومات والفهم حيث تتيح للطفل الفرصة لاستخدام النقود في شراء ما يحتاج وبيع ما يستغني عنه ويتزود بالخبرة الشخصية في المعاملات الاقتصادية ويشبع غريزة التملك فيحقق له إشباع دافع الاحترام و التقدير.
- 4- إشباع دافع الاحترام و التقدير بتوفير الفرصة له للحديث عن أبيه وأمه وأشقائه وأقاربه مثلما يفعل الآخريين.
- 5- إشباع الحاجة إلى الجمال حيث تسمح الأسرة له بانتقاء ملابسه مع إرشاده بأسلوب غير مباشر إلى الألوان المتناسقة والأذواق المألوفة فيتربى على حاسة الذوق والتقدير والتميز.
- 6- إشباع الحاجة إلى تقدير الذات وذلك باستشارة الطفل في أنواع الطعام التي يفضلها والاستجابة لرغباته. فإذا كانت أنثى مثلاً تتعلم صنع الأغذية وكيفية إعدادها مما يزودها بخبرة عملية مفيدة في الحياة الاجتماعية. كما أنها فرصة لاكتساب بعض الأنماط السلوكية التي يحتاج إليها في المناسبات والأفراح والمواليد والوفيات.....الخ^(xxvii).

المشكلات التي تواجه الأسرة البديلة (الحاضنة):

أن مشكلة الأطفال المحرومين من الرعاية الأسرية هي مشكلة معقدة والجهود المبذولة من قبل الأسر البديلة (الحاضنة) لتعويضهم عن هذا الحرمان تواجه الكثير من المشكلات منها:

- 1- خوف أفراد الأسرة الحاضنة من المخلوق الصغير الذي جُني عليه أبواه ولم يرتكب ذنباً وذلك لان العرف جرى بأنه (ابن حرام) مولود غير شرعي ويتوقع منه الإجرام . الغدر... إلخ من السلوكيات. فإن كان الطفل المتبنى ذكراً حُرِم اللعب و اللهو مع أقرانه والاختلاط بهم. وإذا كان الطفل المتبنى أنثى يكون الخوف مضاعفاً على أساس العرف السائد بوراثتها لسلوك أمها (بنت حرام).

- 2 - الخوف المتبادل : ويتمثل في خوف الأسرة البديلة من سحب الطفل المتبنى منها بعد اعتيادهم حياة الأسرة الممتلئة بعقب الطفولة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى خوف الطفل المتبنى إذا كان

مدركاً لظروفه أن يحرم من الحياة الرغدة التي يحييها مع هذه الأسرة وأن يعاد مرة أخرى لحياة دور الرعاية. ونتيجة هذا الخوف المتبادل ترتب عليه (قلق) واختفاء الاستقرار والثبات في العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة.

3- جهل الأبوين بأصول التربية ويتمثل ذلك الجهل في التهديد المتبادل بين الطفل والأسرة البديلة، بمعنى التهديد المستمر من الأبوين الحاضنين للطفل بأنهما سيعيدانه إلى مؤسسة الأطفال كعقاب له. وكذلك تهديد الطفل نفسه لأسرته الحاضنة بأنه سيعود إلي المؤسسة أو يبحث عن أسرته و يتركهم.

4- رغبة الأسرة المتبنية في اعتبار الطفل المتبنى ابناً طبيعياً لها، ومحاولتها أخفاء أصله وحقيقته وتاريخه، وعلاقاته القرابية نهائياً. ولكن سوف يكتشف الطفل إن آجلاً أو عاجلاً الحقيقة وخاصة عندما يكبر ويلتحق بالمدرسة، ففي المجتمعات النامية والتي هي في الغالب تربطها علاقات قرابية واجتماعية قوية جداً لا تجدهم يحتفظون بالأسرار فهم غالباً ما يُلمحون للطفل المتبنى بأن والديه على سبيل المثال عقيمين لا ينجبان الأطفال، فهذا الأمر يثير شكوك الطفل حول الحقيقة فيفكر فيها ويبحث عنها حتى يكتشفها في عمر متقدم من حياته مما قد يعرضه لاضطرابات نفسية ويصاب بأمراض عقلية وذهنية تدمر كل الجهود التي بذلتها الأسرة البديلة. وكذلك ينتج عنها صدمة نفسية للوالدين البديلان الذين رضيا بطفل متبنى تتمثل في فقدانه بعد ارتباطهم به مما يؤثر على توازن حياتهم الاجتماعية.

5- إشراك هؤلاء الأطفال ولاسيما الإناث في أعمال المنزل ذلك أمر طبيعي؛ ولكن إذا كانت هناك في الأسرة إناث أخريات لا يسهمن مثلها في الأعمال المنزلية فأنها هنا تصبح بمثابة (خادمة). أو إذا كانت في الأسرة إناث أخريات لا يسهمن إلا بقدر بسيط في هذه الأعمال ويتجاوز الأبوين عن أخطائهن بينما تحاسب الطفلة المتبناة بشدة وتكف وحدها بالأعمال الشاقة يشعرها ذلك بأنها ليست فرداً من الأسرة .

6 - مشكلة شهادة الميلاد : التي يذكر في بعضها أمام خانة الأم (لقيط) وأمام خانة الأب (مجهول الأب)، أو إعطاء اللقيط اسماً مستعاراً يختلف عن أسم أبيه وأمه وأسرته التي تبنته، ومع مرور الزمن ستأتي المواقف التي تتطلب شهادة الميلاد وتواجه الأسرة والطفل الحقيقة، فيفقد المتبنى استقراره الوجداني وتسيطر عليه الوسوس ويصاب بالأمراض الذهنية والعقلية^(xxviii).

• **وضمن هذا الإطار يبرز لدى الكثيرين تساؤلين مهمين:**

التساؤل الأول: أيهما أفضل رعاية مجهول النسب في أسرة بديلة حاضنة، أم في مؤسسات ودور رعاية الأطفال؟

والإجابة على هذا التساؤل تضع في الاعتبار الأول مصلحة الطفل وظروفه، فدار الرعاية قد لا تعطي للطفل الجو الأسرى الطبيعي حيث يتجمع عدد كبير من الأطفال يقوم على رعايتهم عدد من الموظفين والموظفات الذين يقومون بأدوارهم غالباً بشكل مهني ربما يخلو من الجانب العاطفي. فهؤلاء الأطفال معزولون عن المجتمع طوال الوقت، فهم يعيشون في مؤسسات الرعاية الاجتماعية ولا يتمتعون بالحب والحنان والتدليل والرعاية كما هو الحال عند الأطفال الذين يعيشون في كنف أسرهم البيولوجية. وأن كان بعض هؤلاء الأطفال في أسرهم هم أسوء من اللقطاء يعانون من العنف الأسري ويحتاجون لأسر بديلة ترعاهم. وعزلة هؤلاء الأطفال (مجهولي النسب) عن المجتمع تجعل لديهم صعوبات في التكيف والاندماج الاجتماعي حين يكبرون. لذلك تزايدت المطالبة في كل دول العالم بتهيئة رعاية مناسبة من خلال الأسر البديلة على أن يتم ذلك بعناية شديدة وبعد دراسة أحوال وظروف هذه الأسر البديلة واستمرار متابعة أحوال الطفل داخل هذه الأسر بواسطة المؤسسات الاجتماعية المختصة حتى لا يتعرض الطفل لظروف مأسوية أو غير مقبولة.

التساؤل الثاني: متى يجب علينا أن نخبر الشخص (اللقيط) عن حقيقة نسبه، وكيف يتم ذلك ؟

الإجابة هنا قد تتوقف على عوامل كثيرة، ولكل حالة منها السيناريو المناسب لها، ولكن الخبرة العلمية والعملية أثبتت أنه من الأفضل إخبار الشخص في مرحلة الطفولة فيما بين الثالثة والرابعة من عمره بشكل بسيط وتدرجي يستوعبه عقله الصغير، فمثلاً يقال له أن أبوه قد ذهب بعيداً وأن من يقوم على رعايته يحبه ولن يتخلى عنه أبداً، وذلك حتى لا يعلم الطفل بحقيقة نسبه من خارج الأسرة فيشعر عندئذ أن من يقومون على رعايته قد أخفوا عنه الحقيقة. في حين نجد أن بعض الأسر تؤجل ذلك حتى سن السابعة أو الثامنة حتى يستطيع الطفل استيعاب الموقف بشكل أفضل، وأسراً أخرى تؤجل ذلك حتى يكبر الطفل ويصل إلى مرحلة الشباب ويصبح قادراً على الاستقلال والاعتماد على نفسه، وفي كل الحالات السابقة يجب مواجهة الآثار التي تترتب على معرفة الشخص بحقيقة نسبه ودعمه نفسياً حتى يتجاوز هذه المحنة. كما إنه ليس من المفيد إخباره بتفاصيل الأمر لأن ذلك قد يؤدي إلى تدهور حالته النفسية، بالإضافة إلى ذلك لا يجب تلقيق قصص وهمية قد تعقد الموقف أكثر مما تساهم في حله^(xxix).

نظرية الحاجات الإنسانية :

تعد النظرية التي قدمها (ماسلو) من أول النظريات التي اهتمت بالحاجات الإنسانية والتي معالجة هذه الحاجات على كافة المستويات الإنسانية، فقد حاول (ماسلو) في نظريته أن يوضح أن حاجات الإنسان تخضع لترتيب هرمي على أساس قوتها ومع تسلسل الفرد لهذا التنظيم الهرمي فإن حاجاته تقل حيويتها أو تزداد^(xxx)، ومن بين أهم هذه الحاجات: (الدوافع الفسيولوجية، الحاجة للأمن الحاجة للانتماء والحب، الحاجة للتقدير، حاجات تحقيق الذات). يرى (ماسلو) بأنه هنالك مجموعة من الحاجات أو الدوافع العليا التي لا يصل إليها الإنسان إلا بعد تحقيق إشباع كافٍ لما يسبقها من الحاجات الأدنى، ويشمل تحقيق حاجات الذات إلى السعي نحو قيم وغايات عليا مثل الكشف عن الحقيقة وخلق الجمال وتحقيق النظام وتأكيد العدل، إن مثل هذه القيم والغايات تمثل حاجات أو دوافع أصيلة وكامنة في الإنسان بشكل طبيعي، فهي جزء لا يتجزأ من الامكانيات الكامنة في الشخصية الإنسانية والتي تلح من أجل أن تتحقق لكي يصل الإنسان إلى تحقيق ذاته والوفاء بكل دوافعها أو حاجاتها. ويذهب (ماسلو) إلى ضرورة ترتيب الحاجات ترتيباً تصاعدياً لأن فهم الحاجات خطوة مهمة في فهم السلوك الإنساني، فلكي يحقق الفرد ذاته ينبغي أن يختار النمو على الإيمان، حيث لاحظ (ماسلو) إن الأطفال الذين يعيشون في إطار الأسر البديلة لديهم حاجات مشتركة وحاجات خاصة ومختلفة^(xxxi). وبالتالي تتعدد حاجاتهم وتصبح تلبية هذه الحاجات ومن أمثال هؤلاء الأطفال مجهولي النسب الذين يحتاجون إلى رعاية بديلة مناسبة تخفف قدر المستطاع من العوز والحرمان الذي يعانون منه^(xxxii).

الإطار الميداني

نوع الدراسة، والمنهج المستخدم فيها :

استعانت هذه الدراسة بالمنهج الوصفي لبحث مشكلات الاندماج والتكيف الاجتماعي لمجهولي النسب في المجتمع الليبي، حيث ستقوم الدراسة بوصف الحالة كما هي عن طريق المقابلات المقننة وغير المقننة. وقد اتجهت هذه الدراسة أيضاً إلى استخدام منهج آخر مهم جداً إلا هو منهج دراسة الحالة وذلك من أجل الوصول إلى فهم أعمق لأبعاد الظاهرة موضوع الدراسة.

- **مجتمع الدراسة :** يتمثل مجتمع الدراسة في فئة اجتماعية ذات وضع وطابع خاص مختلف كلياً عن باقي أفراد المجتمع العاديين إلا وهم الأفراد مجهولي النسب (الأبوين) أو ما يصطلح على تسميتهم باللقطاء الذين ولدوا خارج نطاق الزواج الشرعي وعلى وجه الخصوص أولئك الذين يعيشون في أسر بديلة أو ما يعرف بالأسر الحاضنة، تلك الأسر التي قامت بكفالتهم ورعايتهم وتبنتهم من دور الرعاية وعاشوا في كنفها.

- **عينة الدراسة :** قامت هذه الدراسة باختيار عينة قصديه (عمديه) من مجهولي النسب الذين يعيشون في كنف أسر بديلة أو حاضنة بالجبل الأخضر، وقد تم الوصول إليهم عن طريق الاسترشاد بدور الرعاية والضمان الاجتماعي ومعرفة هؤلاء الأفراد لبعضهم البعض. ونظراً لبعض الصعوبات المتعلقة بالحصول على مثل هذه العينة، أضف إلى ذلك حساسية الوضع الذي يعيشه هؤلاء الأفراد وما يترتب عليه من عدم استجابتهم أو موافقتهم على التعاطي مع مثل هذا النوع من الدراسات فقد تم الحصول على عدد (10) عشر حالات فقط وهي التي وافقت على إجراء الدراسة عليها؛ منها (6) من الذكور و(4) من الإناث.

- **أدوات جمع البيانات :** استعانت هذه الدراسة باستخدام أداتين لجمع البيانات والمعلومات: (أ) تحليل الوثائق: وقد تم ذلك من خلال الاطلاع على الملفات والوثائق الخاصة بأفراد عينة الدراسة لجمع بعض البيانات والمعلومات التي تهم هذه الدراسة، وكذلك من أجل الوصول إلى العينة المطلوبة.

(ب) المقابلات الشخصية: ولقد تمت عن طريق إعداد استمارة مقابلة تتكون من مجموعة من الأسئلة ذات إجابات مفتوحة وأخرى مغلقة تتم تعبئتها من خلال مقابلة المبحوث شخصياً، وذلك من أجل ضمان الحصول على جميع البيانات والمعلومات المطلوبة، وكذلك الحيلولة دون ضياع الاستمارات أو ترك الأسئلة دون إجابة عليها.

مجالات الدراسة:

- المجال البشري : ويشمل هذا المجال في الأفراد مجهولي النسب (اللقطاء) المكفولين الذين يعيشون في المجتمع الليبي ضمن أسر بديلة حاضنة لهم .
 - المجال الزمني: بدأت الدراسة الميدانية في شهر يونيو من عام 2014 .
 - المجال المكاني: تم إجراء هذه الدراسة ضمن الحدود الإدارية لمنطقة الجبل الاخضر في ليبيا.
- خصائص عينة الدراسة:** نظراً لطبيعة وحساسية هذه الدراسة فقد تم تفادي عرض الأسماء الخاصة بحالات الدراسة وتم التعويض عنها بتخصيص رمز لكل حالة.

جدول (1) يبين خصائص عينة الدراسة

الحالة	الجنس	العمر	الحالة الاجتماعية	عدد الأبناء	المؤهل	المهنة	الإقامة	تاريخ الكفالة	
								التاريخ	العمر
ر.أ.ج	ذكر	42	متزوج	4	اعدادي	موظف	مستقل	1976	4
ن.م.ص	ذكر	35	مطلق	2	دبلوم هندسة	موظف	مستقل	1983	4
ع.ع.ن	ذكر	32	أعزب	-	ثانوي	أعمال حرة	مستقل	1985	3

ن.م.ع	ذكر	29	أعزب	-	متوسط	أعمال حرة	الأسرة	1990	5
م.ع.س	ذكر	26	أعزب	-	جامعي	طالب	الأسرة	1991	3
ط.خ.ب	ذكر	16	أعزب	-	ثانوي	طالب	الأسرة	2002	4
ن.س.م	أنثى	37	مطلقة	-	أعدادي	موظفة	الأسرة	1979	2
ش.ص.أ	أنثى	34	آنسة	-	متوسط	موظفة	الأسرة	1986	6
ث.أ.م	أنثى	27	آنسة	-	متوسط	موظفة	الأسرة	1991	4
ر.ع.ب	أنثى	20	آنسة	-	جامعي	طالب	الأسرة	1995	1

يتبين من الجدول السابق بأن أعمار المبحوثين تتراوح ما بين (16 . 42) سنة، كما تبين أن نسبة 70% منهم من العزاب غير المتزوجين، وبأن نسبة من لديهم أبناء من المتزوجين والمطلقين بلغت 20%، ويتضح من الجدول أيضاً بأن كل أفراد العينة تمت كفالتهم في سن تتراوح ما بين (1 . 6) سنوات وهذا يدل على أن نسبة 90% من المبحوثين تمت كفالتهم وهم قبل سن الدراسة، كما يتضح بأن نسبة 70% منهم مازالت تقيم مع الأسرة الحاضرة حتى وقت إجراء الدراسة، أما من حيث مؤهلاتهم الدراسية فهي ما بين الإعدادي والجامعي.

جدول (2) يبين بعض خصائص الأسرة البديلة الحاضرة

الحالة	الجنس	العمر	الأسرة البديلة	عدد الأبناء البيولوجيون		الوضع الاقتصادي للأسرة	تاريخ الكفالة
				ذكور	إناث		
ر.أ.ج	ذكر	42	أب + أم	-	-	جيد	1976
ن.م.ص	ذكر	35	أب + أم	2	2	متوسط	1983
ع.ع.ن	ذكر	32	أب + أم	3	-	جيد	1985
ن.م.ع	ذكر	29	أب + أم	-	6	جيد	1990
م.ع.س	ذكر	26	أب + أم	-	-	جيد	1991
ط.خ.ب	ذكر	16	أب + أم	1	4	متوسط	2002
ن.س.م	أنثى	37	أب + أم	3	1	عالي	1979
ش.ص.أ	أنثى	34	أب + أم	-	-	عالي	1986
ث.أ.م	أنثى	27	أب + أم	5	-	جيد	1991
ر.ع.ب	أنثى	20	أم (أرملة)	-	-	متوسط	1995

يتضح من الجدول (2) بأن جميع أفراد العينة تمت كفالتهم من قبل أسر بديلة تتكون من زوج وزوجة، ونسبة 40% من هذه الأسر لا يوجد لديها أبناء، في حين أن نسبة 30% منهم لديهم أبناء من الجنسين (ذكور. إناث) وهذه النسبة ربما تعطي مؤشراً بأن الكفالة لا تكون دائماً بسبب عدم وجود

أبناء أو وجود نوع واحد منهم فقط، بل هي عمل أنساني هدفه الرحمة وكسب الأجر والثواب ، أما النسبة الباقية فقد كان لديها نوع واحد من الأبناء إما ذكور أو إناث.

جدول (3) يبين تاريخ معرفة المبحوث بحقيقة أنه مجهول النسب ولا ينتمي لهذه الأسرة

الحالة	الجنس	تاريخ معرفة المبحوث بأصله	من الذي أخبرك بذلك
ر.أ.ج	ذكر	في عمر 13 سنة	سمعت ذلك من أقارب أبي في إحدى المناسبات الاجتماعية حيث كانوا يتحدثون عني، فسألت أمي فأنكرت ذلك، وتكرر هذا الأمر عدة مرات فأخبرني أبي بحقيقة أمري.
ن.م.ص	ذكر	في عمر 15 سنة	أحد أصدقائي بالمدرسة تحدث معي وقال بأنني سمعت من أبي وأمي يتحدثون بأنك طفل من دار الرعاية وهؤلاء الذين تعيش معهم ليسوا والديك.
ع.ع.ن	ذكر	في عمر 13 سنة	كل أطفال الحي الذين كنت ألعب معهم كانوا يعرفون ذلك، وكانوا يقولون لي ذلك عندما أتشاجر معهم أو يحدث بيننا سوء فهم إلي أن أخبروني أهلي بذلك.
ن.م.ع	ذكر	في عمر 14 سنة	علمت ذلك من أختي الكبرى، عندما كانت غاضبة مني وتحدث مع إحدى أخواتي وتقول لها هذا ليس أخانا هذا في الأصل من دار الرعاية نحن من ربيناه.
م.ع.س	ذكر	في عمر 14 سنة	كنت اسمع ذلك من بعض أطفال الجيران، ثم اكتشفت بأن اسمي يختلف عن اسم أبي عندما كانوا ينادوني به في المدرسة، فسألت أبي وأخبرني بذلك.
ط.خ.ب	ذكر	في عمر 13 سنة	كان هذا الحديث متداول تقريباً بين جميع من أعرفهم من أقارب وجيران وأصدقاء وإن كان يصلني بصورة غير مباشرة إلي أن أصررت على أمي فأبلغتني بحقيقة الأمر.
ن.س.م	أنثى	في عمر 14 سنة	بعد وفاة والدي، تشاجرت مع أختي في إحدى المرات فسمعتها تقول أنت لست أختي، أنت من دار الرعاية، وبعد إصراري على أمي أخبرتني بهذا الأمر.
ش.ص.أ	أنثى	في عمر 11 سنة	لا أعرف بالتحديد أول من أخبرني بحقيقة أمري، وكل ما أذكره أن أبي وأمي كانوا يتحدثون إلي ويقولون أن والدي الحقيقيان توفيا وبأنهم أخذوني وقاموا بتربيته.
ث.أ.م	أنثى	في عمر 13 سنة	كان أبي وأمي يتحدثان إلي ويقولان بأنهما عثرا علي في مكان ما ولم يعرفا أهلي الحقيقيين فاتخذاني كبنت لهم ورباني وأستمر الأمر هكذا حتى عرفت الحقيقة.
ر.ع.ب	أنثى	في عمر 15 سنة	عرفت ذلك بعد وفاة والدي بخمس سنوات تقريباً عندما حدثت مشاكل على البيت والميراث، وعلي أنا شخصياً.

يوضح الجدول السابق بأن جميع المبحوثين عرفوا بأنهم لا ينتمون للأسر التي يعيشون معها وبأنهم مجهولي الأبوين في سن تتراوح ما بين (11 . 15) سنة أي قبل سن البلوغ، وبأنهم جميعاً لم يتم إخبارهم بشكل مباشر من قبل الوالدين بالكفالة، بل أن غالبيتهم سمعوا بذلك من قبل أطفال في سنهم من أبناء الجيران أو الأقارب أو الأصدقاء في المدرسة، وهذا يعني أن هؤلاء الأطفال (الذين أخبروهم) هم أيضاً سمعوا بذلك من أهلهم وذويهم وأقربائهم فأوصلوه بشكل أو بآخر للأطفال مجهولي الأبوين. وما يستدعي الانتباه هنا هو لماذا لم يقيم الأبوين الكفيلين بأخبار الطفل الذي كفله

شخصياً بحقيقة أمره خلال أية مرحلة عمرية؟ وربما يرجع الأمر في ذلك حسب تقديرنا إلي عدة عوامل أهمها حبهم الشديد لهذا الطفل وعدم رغبتهم في التسبب له في تدهور حالته النفسية وانعزاله وانطوائه عن الأسرة وعن المحيطين به أو حتى فقدانهم له إذا طلب العودة إلي دار الرعاية.

نتائج الدراسة وتحليلاتها وتوصياتها:

في البداية نود أن نشير إلي أنه سيتم عرض استجابات المبحوثين عن كل فقرة من فقرات الاستمارة ضمن تجميع وتحليل موحد للبيانات التي تم الحصول عليها لا أن يتم عرض استجابات كل حالة على حدة.

-كيف كان شعورك عندما عرفت بأنك شخص مجهول الأبوين وبأنه لا نسب لك ؟
يؤكد غالبية أفراد عينة الدراسة بأن معرفتهم بهذا الأمر كان بمثابة صدمة لهم ولم يصدقوا بأن من يعيشون معهم ليسوا أهلهم الحقيقيون، ولكنهم وبفعل صغر سنهم لم يكونوا يدركون بأنهم لقطاع ولا حتى ما تعنيه هذه الكلمة، بل كان يقال لهم بأنهم أيتام توفيا والديهم نتيجة لأسباب مختلفة، وهذا الأمر ولد لديهم شعور بأنهم يستحقون الشفقة والرحمة من الجميع إلا أن شعورهم بالنقص ظل يراودهم لفترات طويلة من حياتهم، ولم يتوقفون عن التفكير في والديهم وأهلهم الحقيقيين، ولقد كان هذا الشعور واضحاً عند المبحوثات الإناث على وجه الخصوص.

-هل خلق لك هذا الأمر شعوراً دائماً بالقلق والانزعاج والسخط على الحياة ؟
أجاب جميع المبحوثين دون استثناء بأن الشعور بمثل هذه الأمور لم يأتي إلا في مراحل عمرية متقدمة بعد أن عرفوا حقيقة أنهم لقطاع لا احد يعرف آبائهم أو أمهاتهم وبأنهم ولدوا نتيجة علاقة غير شرعية، ويقول سبعة مبحوثين إن ما يخفف عنهم وطأة هذا الموضوع هو أنهم ضحية ولا ذنب لهم في كل ما حدث إلا أن غالبية الناس لا يفهمون ذلك وليس لدينا ما نفعله حيال هذا الأمر إلا القبول به طوعاً أو كرهاً .

-كيف هي طبيعة المعاملة الأسرية، وما هو الجو الأسري الذي تعيش فيه ؟
أكد جميع المبحوثين بأنهم يتلقون أفضل معاملة ولم يشعرون يوماً بأنهم دخلاء على هذه الأسر، بل أن بعضهم أكد بأنهم يحظون بعطف ومحبة أكثر من الأبناء البيولوجيون للأسرة، وبأنهم جميعاً يعيشون جواً أسرياً مليئاً بالعطف والمحبة والسعادة. في حين أكدت الحالة (ر.ع.ب) بأن وضع الأسرة قد تغير كلياً بعد وفاة والدها حيث بدأت بعض المشاكل داخل الأسرة وأصبحت معاملتهم لها تتغير وتقول بأنني أصبحت أشعر فعلاً بأنني لا أنتمي لهذه الأسرة على الرغم من أنني مازلت أعيش بينهم.

-هل تحرص أسرته على تلبية كل متطلباتك واحتياجاتك، وتحقق لك كل ما تتمناه ؟
كانت إجابة كل المبحوثين على هذا السؤال بنعم، تحقق لنا أسرنا كل ما نتمناه في حدود ما
تستطيع أن تقوم به سواء من الناحية المادية أو النفسية أو المعنوية.

-هل تشعر أحياناً بأنك شخص دخيل على هذه الأسرة وبأن وجودك معهم به نوع من التطفل؟
أجاب اثنان من الذكور وثلاثة من الإناث على هذا السؤال بنعم، حيث أنه في بعض الأحيان
تحدث مواقف منها على سبيل المثال عندما تحدث مشاجرة داخل الأسرة من أجلي أو أكون طرف
فيها، أو عندما أرتكب فعل غير مقبول قد يسيء إلي سمعة الأسرة، وهنا يراودني شعور بأنني سبب
في كل ما حدث وأنا شخص دخيل ولست من صلب هذه الأسرة.

-بالنسبة لمن لديه أخوة وأخوات؛ ما هي طبيعة العلاقات التي تربط بينك وبين هؤلاء الأخوة ؟
أجاب كل من لديه أخوة وأخوات وعددهم ستة حالات بأنه تربطهم بإخوانهم علاقات طيبة تتمثل في
الود والمحبة والاحترام والتقدير، فهم لا يشعرونهم بأنهم دخلاء أو غرباء عن أسرهم ويتعاطفون معهم
إلى أقصى حد ممكن.

-هل يراودك شعور بالحرمان والضياع وعدم الانتماء، وبالتالي تفضل العزلة والانطواء والابتعاد عن
الناس ؟

لقد كانت استجابة أفراد العينة عن هذا السؤال متباينة، حيث يرى ثلاثة من الذكور واثنان من الإناث
بان عدم وجود أسرة ثم عائلة ثم قبيلة تنمي إليها فعلياً كما هو متعارف عليه في مجتمعنا الليبي أمر
يضعك في وضع محرج عندما تسأل حسبك ونسبك مما يضطرك إلى أن تتسبب نفسك إلى عائلة
وقبيلة الأسرة التي قامت بكفالتك، وهذا الأمر يدفعهم حسب قولهم إلى الشعور بالحرمان ومحاولة
الابتعاد عن الاختلاط بالناس قدر الإمكان. في حين أكد اثنان من الذكور وواحدة من الإناث أن هذا
الأمر يجعلهم يفكرون في الانتقال إلى مكان آخر بعيد لا يعرفهم فيه أحد حتى ولو كان خارج
البلاد. أما الحاليتين الأخريين فقد أكدا بأنهما يتقبلان الوضع ويحاولان تكوين صداقات وعلاقات مع
أكبر قدر ممكن من الناس لأنهما يعيشان أمر واقع لا يمكن تغييره ولم يكونان سبب في هذا الواقع
الذي يعيشانه.

-بحسب رأيك؛ هل ترى بأن وجودك في هذا المجتمع غير شرعي وغير مرغوب فيه، وبالتالي فأنت
لا تتمتع بالعديد من المزايا والحقوق والخصائص الاجتماعية ؟

يعتقد جميع أفراد العينة بأن المسؤولية في كون وضعهم غير شرعي تقع على عاتق أفراد المجتمع
وبأنهم لا ذنب لهم في ذلك، وبالتالي على المجتمع أن يتقبل وضعهم وأن يعمل على إيجاد حلول

مناسبة تنفي عنهم هذه الصفة وتعالج الوضع القائم، وتعمل على عدم تكراره في المستقبل، ولقد ذكر أربعة من المبحوثين الذكور واثنان من الإناث بأنه على الدولة أن تحتذي بالدول الأخرى والتي تستخدم في تحليل الشفرة الوراثية أو ما يعرف بتحليل (DNA) حتى يتم القضاء على كلمة لقيط مجهول النسب ويختفي وجود هذه الفئة كلياً.

-هل تشعر بأن أفراد المجتمع ينفرون منك ويحاولون الابتعاد عنك عندما يعرفون بأنك مجهول النسب؟

يؤكد كل المبحوثين على أن معظم أفراد المجتمع الليبي طيبون وعاطفيون ولديهم مشاعر الرأفة والرحمة، وكل من يعرف بحقيقة أننا مجهولي النسب يعرض علينا تقديم العون والمساعدة، وبأن قلة قليلة جداً هم من يحاولون عدم الارتباط بنا بأي نوع من العلاقة. إلا أن تسعة من المبحوثين يؤكدون بأن هذه المعاملة تبقى محصورة في حدود معينة، فإذا تعلق الأمر بالزواج أو المصاهرة أو الارتباط فإن الجميع تقريباً يرفضون ولا يقبلون.

-هل يدفعك وضعك الاجتماعي الذي وجدت نفسك فيه إلي تكوين نوع من الانطباع السيئ تجاه الآخرين؟

ترى اثنان من المبحوثين وواحد من المبحوثين فقط من مجمل أفراد العينة بأنه يتولد لديهم هذا الانطباع عندما يرون بأن بعض أفراد المجتمع يحاولون وضع اللوم عليهم وتحميلهم مسؤولية هذا الفعل وينظرون إليهم نظرة بها نوع من الأزدراء. أما باقي أفراد العينة لا يتولد لديهم مثل هذا الشعور وإن كانوا غير راضيين على الوصمة التي اكتسبوها بفعل هذا الوضع الاجتماعي.

-هل تواجهك مشكلات عدم القدرة على الاندماج والتكيف مع المجتمع الذي تعيش فيه؟

يؤكد عدد خمسة من المبحوثين الذكور وعدد ثلاثة من المبحوثات الإناث بأنه لا يمكن القول بأنهم غير مندمجين أو متكيفين مع المجتمع الذي يعيشون فيه، فهم نشئوا في هذا المجتمع وتربوا فيه، واكتسبوا عاداته وتقاليده، واختلطوا بإفراده وكونوا معهم علاقات اجتماعية واسعة النطاق، وتعودوا نمط العيش والحياة. إلا إن هذا الاندماج والتكيف يرتبط بشكل كبير بمشاعر نفسية شخصية داخلية تشعرهم دائماً بالنقص وبالاختلاف عن الآخرين، كما أنه مرتبط بوضع اجتماعي وأخلاقي منبوذ، وبهوية مجهولة الأصل، ومن هنا لا يكون الاندماج كاملاً ولا يبلغ التكيف الاجتماعي حده الأقصى. أما المبحوثين الآخرين فقد أكدوا بأنهما لم يستطيعا التكيف والاندماج الاجتماعي مع البيئة الاجتماعية المحيطة بهما إلا في حدود ضيقة جداً، ويرجع السبب في ذلك حسب اعتقادهما إلي عوامل شخصية داخلية تولدت نتيجة لما كانوا يسمعون من أقاويل الناس عن اللقطاء.

-هل سبب لك فقدان الأصل والنسب مشكلات تتعلق بالارتباط والحصول على شريك الحياة ؟
في حقيقة الأمر إن هذه المشكلة يجمع كل المبحوثين ذكوراً وإناثاً على أنها أصعب وأعتى المشاكل التي واجهتهم في حياتهم، ففضية الزواج في المجتمع الليبي ترتبط بالدرجة الأولى بالحسب والنسب والمكانة الاجتماعية، قبل السؤال عن الوضع الاقتصادي، والمستوى التعليمي، والمهنة وطبيعة العمل، وحتى طبيعة الأخلاق والشكل والمظهر . فغالبية . إن لم يكن كل . الناس يرفضون بالمثل تزويج أبنائهم أو بناتهم لشخص مجهول النسب والحسب، فلا أحد يتقبل ذلك لأبنة أو بنته بشكل شخصي هذا من ناحية، ثم أنهم يخشون أقاويل الناس وأحاديثهم عنهم من ناحية أخرى. فقد أكد أحد المبحوثين المتزوجين بأنه صادفته مشكلة كبيرة في العثور على أسرة ترضى به زوجاً لابنتهم على الرغم مما بذله أبويه من جهود والتي انتهت بالحصول على زوجة من عائلة ليست من أصول ليبية. كما ذكرت إحدى المبحوثات (مطلقة) أنها تزوجت من شخص ربطتها به علاقة لم يكن أهله موافقين ولا راضيين عن هذا الزواج فاستمرت عائلته بمعاداتها وخلق المشاكل معها ومع زوجها حتى انتهى أمرها بالطلاق التي لم تكن ترغبه ولم يرغبه زوجها أيضاً. كما تحدث ثلاثة من المبحوثين الذكور واثنان من المبحوثات الإناث على أنهم ارتبطوا بعلاقات عاطفية مع أشخاص كانوا يحبونهم وقرروا الزواج منهم على الرغم من معرفتهم المسبقة بوضعهم المختلف وبأنهم من اللقطاء، ولكن مشروع الزواج هذا توقف وانتهى بالفشل عندما علم أهلهم وأقاربهم بحقيقة وضعنا المشين حسب رأيهم. ومن الجدير بالذكر أن جميع المبحوثين لا يتصورون أنه بإمكانهم الزواج إلا من أبناء فئتهم الاجتماعية (مجهولي الأبوين) حتى وإن كان هذا الأمر يتطلب نوع من البحث، كما أنه قد لا يقوم على الأساس السليم للزواج الذي يعتمد على التفاهم والتوافق والمحبة والتي غالباً ما تأتي بشكل عفوي وتلقائي. ونستطيع القول هنا بأن مثل هذا النوع من الزواج يشكل خطراً اجتماعياً كبيراً يتمثل في خلق مجتمعاً جديداً داخل المجتمع الأصلي يعيش معه ويكون منعزلاً عنه في الوقت نفسه، خصوصاً من حيث الهوية وما يتعلق بالنواحي الاجتماعية والثقافية وحتى القانونية والاقتصادية، وقد يطلق عليه مجتمع (اللقطاء) أو مجهولي النسب، بالتالي يعيش المجتمع بعد فترة من الزمن حالات من الفوضى والانقسام.

-حسب رأيك؛ أيهما أفضل العيش في كنف أسرة حاضنه أم في مؤسسات الرعاية الاجتماعية؟
يؤكد الجميع بأنه لا يوجد وجه للمقارنة بين العيش في مؤسسات الرعاية الاجتماعية وبين العيش في كنف أسرة حاضنة، على الرغم من أنهم لم يعيشوا من حياتهم إلا فترات قصيرة في هذه الدور، حتى أنهم لا يكادون يذكرون عن طبيعة العيش فيها شيئاً، هذا باستثناء ما يصل إليهم من أخبار

ومعلومات عن طريق أمثالهم ممن عاشوا أو مازالوا يعيشون في هذه المؤسسات. وبالتالي فهم يرون بأن الأسرة البديلة الحاضنة أفضل طريقة لعيش لمن هم في وضعهم، فعن طريقها يكتسبون الكثير من المهارات الاجتماعية والثقافية والدينية والفكرية والاقتصادية، كما أنهم يتعودون نمط العيش ويتشربون عادات وتقاليد وأعراف المجتمع، فالأسرة البديلة في نظر المبحوثين تعمل على تنشئتهم وتربيتهم بطريقة تسهل عليهم كثيراً الاندماج في المجتمع والتكيف معه.

تحقيق فروض الدراسة :

الفرض الرئيسي: يعاني مجهولي النسب الذين يعيشون في أسر بديلة في المجتمع الليبي من مشكلات عدم التكيف والاندماج الاجتماعي.

أثبتت الدراسة بأن هنالك نوع من المشكلات الاجتماعية والنفسية والثقافية والاقتصادية التي تعيق اندماج مجهولي النسب وتكيفهم مع المحيط الاجتماعي الذي يعيشون فيه. وسوف يتبين لنا ذلك من خلال الاستعراض التالي للفروض الفرعية:

الفرض الفرعي الأول: هنالك نوع من التحفظ لدى أفراد المجتمع الليبي في التعامل مع فئة مجهولي النسب والاختلاط بهم أو الارتباط معهم بعلاقات اجتماعية طبيعية.

بينت الدراسة بعدم صحة وصدق هذا الفرض حيث أن غالبية أفراد المجتمع الليبي ليست لديهم أية تحفظات في التعامل أو الارتباط بعلاقات اجتماعية (صداقة، صلبة) مع هذه الفئة، بل أنهم يتعاطفون معهم ويحاولون تقدير وضعهم وتقريبهم إليهم، ومساعدتهم قدر ما يستطيعون.

الفرض الفرعي الثاني: ينظر أفراد هذه الشريحة إلي أنفسهم على اعتبار أنهم أفراداً غير شرعيين لا يتمتعون بالمزايا والخصائص الاجتماعية التي يتمتع بها باقي أفراد المجتمع.

لقد بينت الدراسة بصحة ثبوت هذا الفرض وفي جانب كبير منه، فقد تبين بأن أفراد هذه الشريحة الاجتماعية وعلى الرغم من إيمانهم العميق بأنه لا ذنب لهم فيما هم فيه من وضع اجتماعي مختلف إلا أنهم ينظرون إلي أنفسهم بأنهم أفراداً غير شرعيين لا يمتلكون المزايا والخصائص الاجتماعية الأساسية لأبناء المجتمع والمتمثلة بشكل خاص في الهوية والأصل والانتماء. وبالتالي فإن الشعور بمثل هذه الحقيقة يحد من قدراتهم على التواصل والاندماج الاجتماعي، ويشعرهم بالاختلاف وبأن وجودهم غير مرغوب فيه بشكل أو بآخر.

الفرض الفرعي الثالث: يؤدي الشعور بالنقص والعجز والحرمان لدى مجهولي النسب إلي تكوين انطباعات معادية لإفراد المجتمع.

أظهرت الدراسة بأن مثل هذا الشعور لا يظهر . غالباً . إلا إذا حدثت مواقف معينة شعر من خلالها هؤلاء الأفراد بأنهم أبناء زنا مجهولي النسب، وأياً كانت طبيعة هذه المواقف . على الرغم من قلتها . فهم فعلاً يشعرون بالنقص ويعجزهم عن مواجهتها، ويلومون أبناء مجتمعهم من داخل أنفسهم، إلا أنهم لا يأخذون طابعاً عدائياً تجاههم. فهم في المقام الأول والأخير يوجهون كل لومهم وعتابهم وحقدهم على آبائهم وأمهاتهم البيولوجيون الذين ارتكبوا خطيئة كانت سبباً في وجودهم ثم رموا بهم وأنكروهم فتكفل أبناء المجتمع برعايتهم وتربيتهم، فهم يحتفظون بهذا الجميل لأبناء مجتمعهم ولا ينكرونه، وبالتالي لا يمكن لهم أن يحقدون أو يكون لديهم شعوراً بالعداء تجاهه. وبالتالي فإنه لا يمكن القول بصحة هذا الفرض المطروح.

الفرض الفرعي الرابع: يرفض الكثير من أفراد المجتمع الارتباط بعلاقات نسب ومصاهرة مع أفراد هذه الشريحة الاجتماعية.

كشفت الدراسة عن صحة وصدقية هذا الفرض، فلقد أقر جميع المبحوثين دون استثناء بأنهم يواجهون في مشكلات وصعوبات تتعلق بالزواج والارتباط بشريك الحياة، حيث إن معظم أفراد المجتمع . إن لم يكونوا جميعاً . لا يقبلون إن يزوجون بناتهم أو أبنائهم لشخص مجهول النسب تحت أي ظرف ومهما كانت الأسباب، وربما يكون هذا الرفض نابعاً من العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية، وتابعاً للمحافظة على السمعة والمنزلة والمكانة الاجتماعية. وفي معرض سؤالنا للمبحوثين عن إمكانية التزاوج من داخل فئة مجهولي النسب نفسها، فقد أبدى عدد منهم خوفاً من تفاقم المشكلة والمتمثلة في ازدياد عدد أفراد هذه الشريحة عن طريق إنجاب أطفالاً لا تربطهم علاقات نسب أو قرابة بأي أحد، كما إن هؤلاء الأطفال قد يأخذون صفة والديهم ويتعرضون لنفس مشكلاتهم ومعاناتهم إن لم تكن أكثر صعوبة وتعقيداً.

الفرض الفرعي الخامس: هنالك اختلاف بين حياة مجهول النسب الذي يعيش في كنف أسرة بديلة لديها أبناء وبين آخر يعيش في أسرة بديلة ليس لديها أبناء من حيث التكيف والاندماج الاجتماعي. بينت الدراسة بأن المبحوثين الذين عاشوا في أسر لديها أبناء بيولوجيون هم أكثر اتجاهاً نحو التكيف والاندماج في المجتمع من المبحوثين الذين عاشوا وحيداً في أسر ليس لديها أبناء، ذلك لأن الجو الأسري الذي نشأوا فيه . مع أخوة وأخوات . هو الأقرب إلى الواقع الاجتماعي، واستطاعوا بفضل علاقات إخوانهم بالآخرين من المحيطين بهم من أقارب ومعارف وأصدقاء وجيران تكوين علاقات مكنتهم من الاندماج في البيئة الاجتماعية المحيطة بهم مستفيدين في ذلك بما يعرف بالتقليد والمحاكاة.

الفرض الفرعي السادس: تعتبر الأسرة البديلة على الرغم من كل ما تبذله من مجهودات في حضانة ورعاية مجهولي النسب وتنشئتهم وتربيتهم غير قادرة على إشباع كل حاجيتهم ومتطلباتهم الاجتماعية والنفسية.

أظهرت الدراسة صحة وصدق هذا الفرض حيث تبين بأنه هنالك متطلبات وحاجات اجتماعية ونفسية لدى مجهولي النسب تخرج عن إمكانيات وقدرات أية أسرة حاضنة منها: مشكلة الهوية والانتماء إلي نسب معين، ومشكلة الوصمة الاجتماعية المرتبطة بهم، وقضايا الزواج والارتباط بشريك الحياة، ومشكلات تتعلق بالشعور الدائم بالضياع والنقص والعجز والاختلاف عن الآخرين، وبأنهم دخلاء على غيرهم بدافع الرحمة والشفقة، بالإضافة إلي ذلك مشكلات تتعلق بعدم حقهم في ميراث أبويهما بالكفالة، وبعدم وجود غطاء اجتماعي (قبلي) يقدم لهم العون والمساعدة والحماية إذا ما تعرضوا حدث طارئ.

توصيات الدراسة:

(1) ضرورة اللجوء استخدام تقنية البصمة الوراثية (DNA) على نطاق واسع في إثبات أو نفي النسب باعتبارها ذات قوة تدليلية قطعية في ذلك، فهي موجودة على صيغة واحدة في جميع مكونات الجسم وفي كل عضو من أعضائه وتختلف من شخص لآخر، وتبقى ثابتة مدى الحياة، مما يمكن الطب الشرعي من معرفة النسب حتى بعد الوفاة، فمكونات الحمض النووي للطفل اللقيط تفضى دون أدنى شك إلي التعرف على والديه. وحسب رأي الخبراء والأطباء تصل دقة هذا الاختبار إلى نسبة 99% مما قد يؤدي في وقت ما إلي اختفاء ظاهرة اللقطاء مجهولي الأبوين.

(2) أجراء مزيد من الدراسات المعمقة حول هذه الظاهرة وعقد المحاضرات والندوات والمؤتمرات العلمية لتوعية أفراد المجتمع وتعريفهم بحقيقة هذه الشريحة الاجتماعية، وبضرورة تقبلها والتعامل معها على نحو من المساواة، وهذا العمل يتطلب أن تشارك فيه وسائل الإعلام بمختلف أنواعها لما لها من تأثير بالغ في التوعية والإقناع.

(3) العمل على توعية الأسر البديلة بأهمية دورها ومسئولية حضانتها للطفل البديل، ورفع الروح المعنوية والتشجيع المستمر لهذه الأسر، وذلك من خلال إنشاء مراكز ومكاتب للتوجيه والاستشارات الأسرية، كما يجب التركيز على زيادة الحوافز المادية المخصصة لها من قبل الدولة. وهذا يتطلب بالطبع دراسات دقيقة للأسر البديلة من قبل الجهات المسؤولة قبل تسليم الطفل لهذه الأسر.

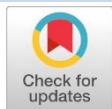
4) العمل على مراجعة القوانين واللوائح الخاصة بالنظام الأسري البديل (الكفالة) وخصوصاً فيما يتعلق بكاتبة وصية للمكفول تعطيه الحق في جزء من أملاك أسرته البديلة حتى تكون عوضاً له في حال وفاة والديه بالتبني أو في حال ما اضطرتها الظروف إلى ترك أبنها المكفول والاستغناء عنه نهائياً. ومن خلال ذلك يمكن تفادي إحدى المشكلات المعقدة والمرتبطة بمطالبة المكفولين بحقهم في ميراث أسرهم الحاضرة.

5) لابد من محاولة استصدار ميثاق عرفي قبلي يأخذ صفة قانونية يعطي الحق لمجهول النسب (اللقيط) في الانتماء إلى أية عائلة أو قبيلة يرغب الانضمام إليها، ذلك لأن تركيبة المجتمع الليبي وبناءه الاجتماعي يعتمد على النظام القبلي وهذا الأمر يمكن أن يحقق اندماجاً وتكيفاً فعلياً لهذه الفئة الاجتماعية وخصوصاً فيما يتعلق بالمشكلات المرتبطة بالزواج والمصاهرة.

قائمة المراجع

-
- i) عبدالله إبراهيم بوهاجر، رئيس قسم المؤسسات الاجتماعية فرع الجبل الأخضر، بتاريخ 2014/10/30
- ii) محمد محمود، الألعاب التربوية وتقنيات إنتاجها سيكولوجياً وتعليمياً وعملياً، ط 3، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، 2005، ص 54
- iii) الطاهر الزاوي، مختار القاموس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1983، ص 216 .
- iv) معجم مصطلحات التنمية الاجتماعية، إدارة العمل الاجتماعي، جامعة الدول العربية، القاهرة، 1983، ص 85.
- v) زياد الجرجاوي، عبد الفتاح عبد الغني، درجة تقبل اللقطاء في المجتمع الفلسطيني، دراسة سيكولوجية مقارنة، فلسطين، 2010، ص 5
- vi) وليد خالد الربيع، أحكام اللقيط في الفقه الإسلامي - دراسة فقهية مقارنة، جامعة الكويت، الكويت، 2004، ص 4
- vii) لمياء بلبل، واقع الرعاية البديلة في العالم العربي. دراسة تحليلية، المجلس العربي للطفولة والتنمية، 2008، ص 6
- viii) حمدان بن عبيد العتيبي، تجربة الأسر البديلة لرعاية الأحداث من الانحراف - دراسة تشخيصية من وجهة نظر الأخصائيين الاجتماعيين، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة نايف، السعودية، 2010، ص 8
- ix) محمد المهدي نشرت 2004/09/05 www.maganin.com/articles/articlesview.asp?ke
- x) مي محمد إدريس، الرعاية الاجتماعية للأطفال المحرومين من الوالدية، رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة الملك سعود، السعودية، 2003، ص 7
- xi) عبدالرحمن عثمان عبدالمجيد، اندماج الشباب مجهولي الوالدين في المجتمع، (دراسة منشورة)، جامعة تبوك، ص 4
- xii) المرجع السابق، ص 4، 5
- xiii) مصطفى فهمي، التكيف النفسي، مكتبة مصر للطبعات، الأسكندرية، 1978، ص 9
- xiv) المرجع السابق، ص 10، 11
- xv) لمياء بلبل، مرجع سابق، ص 5
- xvi) مسلم اليوسف، نشرت 2014/3/24 www.saaaid.net/Doat/moslem/28.htm

- (xvii) عبدالله إبراهيم بوهاجر، مرجع سابق.
- (xviii) عبدالرحمن الغامدي، أنت يتيم فاحسن، جامعة الملك سعود، الرياض ، السعودية، 2010
- (xix) المبروك محمد عاشور، الخدمة الاجتماعية وأساليبها النظرية والتطبيقية، مجال الثقافة العام ، سرت، ليبيا، ص65.
- (xx) عبدالله السدحان، الرعاية الاجتماعية للأطفال المحرومين من الرعاية الوالدية، جامعة الملك سعود، السعودية، 2003، ص 79
- (xxi) لمياء بلبل، مرجع سابق، ص19
- (xxii) سلمى محروس مصطفى، الأسرة البديلة ودورها في رعاية أبنائنا اللقطاء، 2004، ص2
- (xxiii) سورة الأحزاب، آية 5
- (xxiv) لمياء بلبل، مرجع سابق، ص 19 ، 20
- (xxv) حمدان بن عبيد العتيبي، مرجع سابق، ص 28، 29
- (xxvi) محمد علي حسن، علاقة الوالدين بالطفل وأثرها في جناح الأحداث، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1970، ص 345
- (xxvii) المرجع السابق.
- (xxviii) مشيرة محمد شعراوي، "مشكلات اجتماعية تواجه الأيتام في الأسرة الحاضنة"، صحيفة الحياة، 2009/10/15، ص 2.
- (xxix) سلمى محروس مصطفى، مرجع سابق، ص 23 - 25
- (xxx) جلال الدين الغزاوي، مهارات الممارسة في العمل الاجتماعي، الاشعاع الفنية، الإسكندرية، 1999، ص 75
- (xxxi) نبيه محمد الرشيد، التغيرات الاجتماعية والنفسية للأطفال ذوي الظروف الخاصة وارتباط ذلك بتكيفهم الاجتماعي، رسالة دكتوراه (غير منشورة) جامعة الملك سعود، الرياض ، السعودية ، 2008، ص 40 - 44
- (xxxii) حمدان بن عبيد، مرجع سابق، ص 34، 35



الشركات السياحية، من الشكل التقليدي إلى الشكل الحالي الدولي النشاط

بالعيد محمد يونس المرابط^{*1}

Doi: <https://doi.org/10.54172/hfnk7w43>

المستخلص: ويتناول هذا البحث تعريف شركات السياحة وتصنيفها ودراسة نشأة شركات السياحة الأولى على مستوى العالم. ويستكشف التنظيم الداخلي لشركات السياحة وتصنيفاتها والأنواع المختلفة لوكالات السفر وتوقعات المسافرين من هذه الوكالات. تغطي الدراسة أيضاً وكالات السفر المتخصصة التي تركز على أنواع سفر محددة أو تلبي احتياجات مجموعة معينة من المسافرين. وأخيراً، فإنه يتعمق في أدوار الشركات الدولية في الاقتصادات العالمية المعاصرة، واتفاقيات الامتياز، ومتطلباتها المحددة، والمزايا التي تقدمها للشركات النشطة دولياً.

الكلمات المفتاحية: السياحة، شركات، تنظيم، وكالات، سفر

Tourism companies, from the traditional form to the current international form of activity

Bialeid Mohamed Younes Al-Murabit

Abstract: This research delves into the definition of tourism companies, categorizing them and examining the emergence of the first tourism companies worldwide. It explores the internal organization of tourism companies, their classifications, the various types of travel agencies, and the traveler's expectations from these agencies. The study also covers specialized travel agencies that focus on specific travel types or cater to a particular group of travelers. Finally, it delves into international companies' roles in contemporary global economies, franchise agreements, their specific requirements, and the advantages they offer to internationally active companies.

Keywords: Tourism, companies, organization, agencies, travel

- المقدمة:

يتسم النظام الاقتصادي العالمي الجديد بتعميق العالمية وتزداد فيه دور المؤسسات الاقتصادية الدولية، وتبرز فيه عدد من الملامح الهيكلية للشركات المتعددة الجنسيات التي تخضع ملكيتها لسيطرة جنسيات متعددة كما يتولى إدارتها أشخاص من جنسيات متعددة وتمارس نشاطها في بلاد أجنبية متعددة على الرغم من أن إستراتيجياتها وسياساتها وخطط عملها تصمم في مركزها الرئيسي الذي يوجد في دولة معينة تسمى الدولة الأم Home Country، إلا أن نشاطها يتجاوز الحدود الوطنية والإقليمية لهذه الدولة وتتوسع في نشاطها إلى دول أخرى تسمى الدول المضيفة Host Countries، أن هذه الشركات تعتمد في أنشطتها على سوق متعدد الدول، كما أن استراتيجياتها وقراراتها ذات طابع دولي وعالمي، أن كل من العولمة والشركات متعددة الجنسيات قد أثر كل منهما في تطور والتأثير بالأخر، والمستفيد في النهاية الشركات متعددة الجنسيات، تتمتع الشركات المتعددة الجنسيات والتي تعد من أهم ملامح ظاهرة العولمة أو النظام الاقتصادي المعاصر، ولتأكيد صفة العالمية أن الشركات المتعددة الجنسيات قد قامت بدور رئيسي في تعميق مفهوم العالمية والذي يتمثل بصفة أساسية في تطوير إطار أعمال منظم عابر القوميات يؤدي إلى عولمة الاقتصاد، وسوف نتناول في هذا البحث التعريف بالشركات السياحية وبيان أنواعها، وظهر أول الشركات السياحية في العالم، و التنظيم الداخلي لشركات السياحة و تصنيف الشركات السياحية، وأنواع وكالات السفر و مجالات العمل التي يتوقعها المسافرين منها، وأنواع وكالات (شركات) السفر المتخصصة في نوع واحد من أنواع السفر أو تقدم خدماتها لمجموعة معينة من المسافرين، أخيراً الشركات دولية النشاط ووزنها النسبي في الاقتصاد الدولي المعاصر و عقود الفرانشايز Franchise والاشتراطات الخاصة به والمزايا التي يمنحها للشركات دولية النشاط.

الشركة : هي عقد يلتزم بمقتضاه شخصان أو أكثر بأن يساهم كل منهم في مشروع يهدف للربح بتقديم حصة من مال أو عمل، لاقتسام ما قد ينشأ عن المشروع من ربح أو خسارة التعريف السابق مأخوذ من نظام الشركات السعودي ومن القانون المدني المصري والذي ينص على أن "الشركة عقد بمقتضاه يلتزم شخصان أو أكثر بأن يساهم كل منهم في مشروع مالي، بتقديم حصة من مال أو عمل لاقتسام ما قد ينشأ عن هذا المشروع من ربح أو خسارة"، وهذا النص مستمد من القانون المدني الفرنسي.

أنواع الشركات

تنقسم الشركات من حيث طبيعة العمل الذي تقوم به إلى ((شركات مدنية وشركات تجارية))، وتنقسم الشركات التجارية بدورها ومن حيث قيامها على الاعتبار الشخصي أو المالي إلى (شركات أشخاص وشركات أموال و شركات ذات طبيعة مختلطة) ، والشركة التجارية وحدها هي التي تكتسب صفة التاجر، وتحمل الالتزامات المترتبة على هذه الصفة وتخضع لنظام الإفلاس متى توقفت عن دفع ديونها التجارية ، والشركات السياحية قد تتخذ إحدى هذه الصور .

تعريف الشركات السياحية

إن الشركة السياحية هي التي تقوم بكل أو بعض الأعمال الآتية:
أولاً: تنظيم رحلات سياحية جماعية أو فردية داخل البلاد او خارجها وفقاً لبرامج معينة وتنفيذ ما يتصل بها من نقل وإقامة وما يلحق بها من خدمات.
ثانياً: بيع وصرف تذاكر السفر وتيسير نقل الأمتعة وحجز الأماكن على وسائل النقل المختلفة، وكذلك الوكالة عن شركات الطيران والملاحة وشركات النقل الأخرى.
ثالثاً: تشغيل وسائل النقل من برية وبحرية وجوية لنقل السائحين، ولوزارة السياحة أن تضيف إلى تلك الأعمال أعمالاً أخرى تتصل بالسياحة وخدمة السائحين.

أنواع الشركات السياحية

تنقسم الشركات السياحية إلى ثلاثة أنواع هي:
الأول: شركات يرخص لها في مباشرة جميع الأعمال السياحية المشار إليها سابقاً.
الثاني: شركات يرخص لها في مباشرة الأعمال الواردة في الفقرة الثانية وهي بيع أو صرف تذاكر السفر.
الثالث: شركات يرخص لها في مباشرة الأعمال الواردة في الفقرة الثالثة وهي تشغيل وسائل النقل من برية وبحرية وجوية لنقل السائحين من مكان لآخر. (1)

توماس كوك (Thomas Cook and Son)

أول من أنشأ وكالة للسفر والسياحة بالمعنى الحقيقي في سنة 1845م تعمل علي تنظيم رحلات مقابل الحصول علي عمولة 5% تدفع إليه من شركة السك الحديدية وقد استطاع توماس كوك ان يقدم خدمات النقل والإقامة لأكثر من 15 ألف شخص في 1851م لزيارة معرض لندن الدولي شاملة خدمات السفر الإقامة ، وتنظيم رحلات الي معرض باريس في 1855م وفي العام التالي بدا كوك في تنظيم رحلات لمجموعات سياحية لزيارة أوروبا (في 9/ يونيو 1841 قرر توماس

1 . عزت مصطفى الدسوقي ، تشريعات السياحة والفندقة والآثار والإرشاد السياحي ، دار الكتاب 2008، ص: 37، 36

كوك تنظيم أول رحلة جماعية لعدد 540 شخص) وقد نجحت الرحلة واخذ يكررها باتساع بعد ان قام باستغلال الدعاية و الإعلان . (1)

أصبحت القواعد التي اتبعها توماس كوك وولده الأساس الذي تسير عليه وكالات السفر والسياحة الحديثة في تنظيم الرحلات واستخدام القسائم الفندقية Vouchers وتقديم الخدمات السياحية مقابل الحصول علي عمولة محددة .

وفي عام 1860م أصبحت توماس كوك وكيلا للعديد من شركات النقل البحري والسكك الحديدية و أقامت لها مكاتب في دول عديدة ، 26 سبتمبر 1872 تنظيم أول رحلة حول العالم دامت 222 يوماً أطلق عليها الرحلة الطويلة Grand Tour حيث وصل إلي بلاد المشرق وتوماس كوك هو صاحب فكرة القطارات العارضة وقد سيرت أول رحلة بالقطار لهذا الغرض في 5/يوليو 1841حاملة 570 مسافر في رحلة دائرية بين Leicester و Loughboroug مقابل شلن واحد (15سنت انجليزي) شاملة الترفيه وخدمة الطعام ، وبنهاية عام 1850بدا توماس كوك في الرحلات الخارجية التي شملت أوروبا والأراضي المقدسة وفي عام 1866لقب توماس كوك نفسه بأنه (منظم سياحي) وفي عام 1865افتتح كوك مكتب يعني بتسهيل وتقديم الضيافة للزبائن ، كما أصدر دليلا سياحيا ودورية وفي عام 1868 قدم كوبونات الفنادق 1868كما قدم الي قطاع الأعمال عملية التبادل البنكية للعملات وقد تطورت عماله بصورة كبيرة مع نهاية القرن التاسع عشر ، 1872 توماس كوك يفتح مكتباً في القاهرة لتنظيم رحلات بالسفينة.

وفي عام 1874قدم توماس كوك أول ورقة مالية مقبولة من الفنادق والمطاعم والمحلات والبنوك ، وفي عام 1865م سافر توماس كوك الي أمريكا لتنظيم رحلات بين إنجلترا وأمريكا وبالعكس ، وبعد ذلك افتتح مكاتب في نيويورك وواشنطن و فيلادلفيا وبوسطن ، وقد بلغ عدد الأمريكيتين العائدين من زيارات للخارج خلال الفترة من 1860-1870حوالي 40.000 سنويا ازداد الي 100الف سنويا في 1890م وقد تحقق ذلك بطبيعة الحال نتيجة للتطور الكبير في خدمات النقل البحري عبر المحيط الأطلسي. (2)

وفي عام 1841م بدأت شركة Wells-Fargo في الولايات المتحدة الأمريكية في عمليات شحن ونقل البضائع وكان عملها موجه الي قطاع الأعمال أيضاً ، وبعدها نشأت شركة امريكان اكسبريس American express كفرع من شركة Wells-Fargo لتقديم خدمات شيكات المسافرين Traveler,s Check وفي سنة 1864م قدمت إدارة البريد في الولايات المتحدة الأمريكية أول أذن بريد نقدي الذي حقق نجاحا كبيرا الأمر الذي اثر علي أرباح شركة أمريكان

1 . عبد الرحمن سليم ،شركات ووكالات السفر ،مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية ،راوي للطباعة والإعلان ،ص: 17،18

2 . المرجع السابق، عبد الرحمن سليم ،ص: 18،19

اكسبريس من عملية نقل الأموال وقررت الشركة تقديم خدماتها المالية في شكل اذن مالي في سنة 1882م الذي انتشر استخدامه بسرعة علي حساب أذن البريد العام ،وفي سنة 1891م قدمت شركة امريكان اكسبريس اول نوع من شيكات السفر الذي يحقق لحامله الكثير من الأمان ضد السرقة و الضياع او التزوير، وظلت الشركة بعيدة عن مزاوله عمليات السفر حتي سنة 1909ومنذ ذلك التاريخ بدأت تأخذ شكل وكالة للسفر والسياحة .

كما ادت شركة السير هنري لنن Sir Henry Lunn الي خلق نظم سياحية جديدة ففي عام 1883م قام بزيارة سويسرا وأدرك إمكانية إدخال رياضة التزلج علي الجليد التي كانت سائدة في النرويج الي سويسرا وفي بداية القرن العشرين انشأ أول نادي للتزلج في سويسرا ،ثم أضاف مدرسة عامة للرياضات الجبلية ،ومن أمثلة المنتجعات التي استفادت من تنظيمه Wengen و Murren ومن نشاطه ان اصبح الترويج بإمكان الطبقات الوسطى، و كان لظهور المعرض الدولي في مدينة لندن في المملكة المتحدة عام 1851م الاعلان عن فكرة الرحلات الشاملة فقد كان وفد المعرض ما يقارب 6 ملايين سائح من اجل مشاهدة احدث التقنيات في عالم الصناعة ،وادي تعديل القوانين البريطانية بالسماح للموظفين بالإجازات الخاصة لمدة (4) ايام للاشتراك في السياحة الساحلية بشكل كبير وسهلت هذه القوانين من دخول الطبقات العاملة للمنتجعات السياحية في المملكة المتحدة .⁽¹⁾

وقد قام بعض من تلك الوكالات السياحية بفتح فروع لها في الخارج يكونوا علي اتصال دائم بمنظمي الرحلات السياحية ، كما قام البعض ايضا بإنشاء وكالات محلية في البلاد المصدرة للسياحة حيث تقوم بتنظيم وطرح البرامج السياحية التي تعدها في السوق مباشرة من خلال الوكالات الوسيطة .

□ هدف ووظيفة شركات السياحة

□ بالرغم من ان الوسائل التي تستخدمها الشركات أكثر تعقيدا في وقتنا الحاضر لا ان وكالات السفر الحديثة لها نفس أهداف توماس كوك وهي دعم وتسهيل السفر والسياحة ولكي يتم تحقيق ذلك فان وكالة السفر لها وظيفتان أساسيتان

□ 1/تخدم المسافرين بان تقدم لهم المعلومات والنصيحة وترتيبات السفر .

□ 2/ العمل كوكيل او ممثل للخدمات المتعلقة بالسفر مثل شركات الطيران ،شركات السكك الحديدية ، شركات الملاحة ، الفنادق ، أماكن السياحة، شركات تأجير السيارات .

¹ . ستيفن بيج ،إدارة السياحة ،نقطة للعربية /خالد العامري ،دار الفاروق القاهرة ،ط1،ص: 66

□ وفي عملها هذا كوكيل للعديد من الجهات فان وكالة السفر تعمل كدافع للقوة الشرائية وبالتالي فإنها تأخذ عمولة مقابل خدماتها وهذه العمولة تعتمد علي نسبة مئوية من كامل الرحلة هذه النسبة تعوض الوكالة علي الجهد المبذول في (الاتصالات مع الزبائن ، التأمينات ، حجز التذاكر ، نفقات المكتب ... الخ) ويبقي جزء من العمولة ليكون ربح لأصحاب الوكالة .

□ وفي نظام العمولة فان المسافرين لا يدفعون للخدمات التي تجهزها الوكالة أكثر من الذي سيدفعونه لو تعاملوا بشكل مباشر مع الجهات المختصة بالخدمات ،وبالرغم من ان معظم إيرادات وكالة السفر من العمولات إلا أن بعض الوكالات تحصل من المسافرين علي بعض التكاليف الأخرى للخدمات الخاصة التي لا تغطيها العمولة مثل (تجهيز خطط الرحلة ، ترتيبات مفصلة جدا او غير عادية للسفر) .

□ أنواع الشركات السياحية

□ يتم تصنيف الشركات السياحية الى ثلاثة أنواع هي :

□ 1/ منظمو الرحلات السياحية : tour operators

□ وهي الوكالات السياحية الكبيرة والتي تتواجد بشكل أساسي في الدول المصدرة للسائحين ،وهي التي تقوم بعملية تجميع عناصر المنتج السياحي المختلفة وتنظمها في صورة برامج سياحية متنوعة في توقيتات ومناطق محددة مسبقا وعمل الدعاية اللازمة لها وتسويقها وعمل كافة الترتيبات المتعلقة بتلك البرامج (package tours) .

□ وهذه الشركات عادة تكون من كيانات كبرى وتمتلك كل المقومات المادية والبشرية للقيام بذلك ولها القدرة علي التعاقد مع موردي الخدمات السياحية من فنادق ووسائل نقل .. الخ بالإضافة الي تحملها تكاليف الدعاية المختلفة للبرامج السياحية التي تعدها ، ويمتلك او يساهم منظمو الرحلات في معظم الأحيان بعض جوانب مكونات الرحلة فالعديد منها تمتلك طائرات و وسائل نقل خاصة بها وفنادق و أماكن إقامة مختلفة ومنشآت سياحية .⁽¹⁾

2/ وكالات السفر والسياحة بالتجزئة : Retail Travel Agencies

□ ويتواجد هذا النوع من الشركات السياحية في الأسواق المصدرة للسياحة والتي عادة ما يقتصر دورها علي بيع البرامج السياحية المعدة مسبقا بواسطة الشركات الكبيرة (tour operators)

¹ .صابرين جابر عبدالجليل ،شركات السياحة ،كلية السياحة والفنادق جامعة المنيا ،مطبعة العصر ،ص:11،12،13

(مقابل عمولة معينة لها علي البيع(Commission) يتم الاتفاق عليها أو نظير مبلغ محدد علي الفرد الواحد (Per Person) حسب الاتفاق.

□ أي أن دور هذه الشركات وسيط بين منظمي البرامج السياحية او موردي الخدمات السياحية والمستهلك السياحي السائح وهي بالتالي لا تتحمل أي تكلفة من تكاليف الدعاية والمطبوعات الدعائية والتي تحصل عليها منهم وكذلك لا يقع عليها أي مسؤولية سواء مسؤولية مالية او تنظيمية أو تنفيذية ولا تتحمل أي مخاطر وبالتالي لا يحتاج عمل هذه الشركات علي الخدمة الكبيرة في التخطيط أو التسويق الداخلي والخارجي التي لابد من توافرها في الشركات الكبيرة منظمي البرامج السياحية والتي لابد من توافر تلك العناصر فيها لتحملها تكاليف مسؤولية تنظيم وتسويق وبيع وتنفيذ تلك البرامج التي تعدها وهذه الشركات تعتمد في عملها علي انتشارها في التجمعات السكنية والنشاطات التجارية وقربها من المستهلك السياحي (العميل / السائح) .

□ 3/ وكالات الخدمات السياحية : Ground Travel Agents

□ وهي الشركات التنفيذية والتي تقوم بعملية تنفيذ البرامج السياحية المعدة مسبقا بواسطة البرامج السياحية في البلدان المصدرة للسياحة والتي تعتبر وكيلا لها في الدولة المقصد السياحي إي أن هذه النوعية من الشركات توجد غالبا في البلاد المستقبلية للسياحة ولا دخل لها في ترتيب الطيران او وسائل النقل الأخرى بين الدول المصدرة للسائحين والمستقبلية لهم وتقوم وكالات الخدمات السياحية بدور هام في تنشيط السياحة إلي الدول التي تتواجد بها حيث تقوم بزيادة نشاطاتها عن طريق توثيق علاقاتها مع منظمي البرامج في الخارج ودعم الدعاية والتسويق . (1)

□ وقد تطور عمل هذه الوكالات السياحية بحيث بدأت في مشاركة منظمي الرحلات في الخارج في تنظيم وتمويل وتحمل مسؤولية إعداد البرامج السياحية إلي بلادها وكذلك الاشتراك في المعارض والبورصات السياحية في الترويج للمنتج السياحي الخاص بدولها والبرامج السياحية التي تنفذها والتي تقوم بإعدادها وتسويقها منظمي البرامج السياحية لأنه التنشيط وزيادة العدد يعود بالفائدة علي الجميع .

□ وقد قام بعض من تلك الوكالات السياحية بفتح فروع لها في الخارج يكونوا علي اتصال دائم بمنظمي الرحلات السياحية , كما قام البعض أيضاً بإنشاء وكالات محلية في البلاد المصدرة للسياحة حيث تقوم بتنظيم وطرح البرامج السياحية التي تعدها في السوق مباشرة من خلال الوكالات الوسيطة ، وبوجه عام فالوظيفة الأساسية لشركة السياحة لا تنحصر فقط في بيع

¹ . المرجع السابق ، صابرين جابر عبدالجليل ، ص:15

البرامج أو حجز الفنادق أو صرف تذاكر السفر وإنما تقوم الشركة السياحية أيضا بمهمة المستشار السياحي ، حيث شركة السياحة بإرشاد السائح و إعطائه بما يتمشى مع رغبته واحتياجاته وإمكانياته وذلك نظر لكون الشركة متخصصة في السفر السياحة علاوة علي الخبرة المكتسبة في مجال التعرف علي رغبات واحتياجات و تفضيلات العملاء ، ويستطيع الوكيل السياحي التعرف علي رغبات العميل واحتياجاته من خلال هذه الاعتبارات :

1/ سن العميل وجنسيته وشريحته الاجتماعية وميوله ورغبته .

2/ توقيت الوصول إلى المقصد السياحي في الصباح الباكر أو في وقت متأخر .

3/ تأثير فرق التوقيت بين الدول علي العميل وبصفه خاصة إذ كانت رحلة الذهاب والإياب تستغرق وقت طويل .

4/ تأثير الارتفاعات الشديدة في بعض مناطق المقصد السياحي .

5/ الأخطار التي يمكن أن تنتج في حالة وجود مشاكل صحية أو بيئية في بعض الدول .

- التنظيم الداخلي لشركات السياحة :

مستويات الإدارة المختلفة ويتضمن هذا الهيكل التنظيمي جميع الإدارات التي تضمها الشركة وهو مقسم إلى المستويات الآتية :

(أ) الإدارة العليا :

وتتكون الإدارة العليا من مجلس الإدارة ككل و الذي يقوم بإصدار الأوامر والتخطيط . ومن مهام الإدارة العليا أيضا الإشراف علي الإدارة المتوسطة والإدارة التنفيذية ، والقيام بتحديد الأهداف ورسم الخطوط العريضة لسياسة الشركة .

(ب) الإدارة المتوسطة :

وتتمثل هذه الإدارة في رؤساء الأقسام (Supervisors) والذين يتولون مهمة الإشراف على الإدارة التنفيذية.

(ج) الإدارة التنفيذية :

ويمثل الإدارة التنفيذية الموظفين والعاملين بالشركة وتكون مهمتهم تنفيذ الأوامر والمشروعات والخطط التي تحددها الإدارة وتباشر تنفيذها الإدارة المتوسطة. (1)

أنواع وكالات السفر:

¹ . غادة علي حمود ، الدخلى علم السياحة والسفر، كلية السياحة والفنادق جامعة حلوان ، 1997، ص:35

بشكل أساسي هناك نوعان من وكالات السفر الوكالة العامة والوكالة المتخصصة الوكالة العامة للسفر عبارة عن منظمة صغيرة من 2 إلى 15 موظف وتتعامل تقريبا مع كل أنواع السفر وتعرض كل الخدمات المتعلقة بالسفر إما وكالة السفر المتخصصة فهي عادة كبيرة ومتخصصة في احد أنواع السفر أو أنواع الخدمات التي تقدمها إلى سوق معينة مجموعة من الناس .

1/وكالة السفر العامة : كما يبدو من الاسم فان الوكالة العامة للسفر هي وكالة تقدم خدمات كثيرة ومتنوعة من خدمات السفر وفي الوكالات العامة الكبيرة فانه يتم انجاز ذلك عن طريق تقسيم الوكالة إلى أقسام متخصصة مثل الأقسام التجارية وأقسام الإجازات وفي الوكالات الكبيرة جدا يمكن تقسيم تلك الأقسام إلى قسم تجارة محلية وقسم تجارة دولية . أقسام إجازات داخلية / وأقسام إجازات خارجية / وهذه الأقسام بها وكلاء تؤهلهم معرفتهم وخبراتهم الشخصية لان يكونوا خبراء أو متخصصين في مجال أو آخر .⁽¹⁾

وفي الوكالات الأصغر فان وكيل السفر يجب أن يكون لديه معرفة وخبرة في كل مجالات السفر وهذا لا يعني أن يكون الوكيل لديه خبرة أولى بكل ما يمكن معرفته بشأن الخدمات المتعلقة بالسفر ولكن يجب أن يكون خبيرا في بحث وتنظيم المعلومات التي تلي احتياجات المسافرين .

وفي ما يلي مجالات الخبرة التي يتوقعها المسافر لدى موظف الوكالة العامة للسفر :

1/تنظيم الطيران وحجز التذاكر : لان شركة الطيران تساهم بشكل عام في الجزء الأكبر من داخل وكالة السفر فان أفراد الوكالة يجب أن يكونوا قادرين علي قراءة و تحديد مواعيد الطيران وقراءة وفهم قائمة الأسعار للمسافرين وكتابة تذاكر الطيران .

2/التخطيط : الرحلات المخططة توفر انتقالات غير مكلفة للمسافرين الذين يستطيعون جعل خطط إجازاتهم تسير وفقا لتواريخ معينة وبينما نجد العديد من وكالات السفر الصغيرة تقوم ببيع البرامج المخططة الموجودة فقط نجد ان الوكالات الكبيرة غالبا ما تقوم بعمل برامجها أو ترتيبات الرحلة في منطقة ما هذه البرامج المخططة والرحلات يمكن بيعها لأفراد او مجموعات.

1)تأجير وشراء السيارات : غالبا يحتاج المسافرون تأجير سيارات وعلي الوكيل الجيد التحقق عن اكبر ثلاث وكالات لتأجير السيارات بحيث توفر انتقالات أمنة ومريحة و بأفضل الأسعار وطبقا لرغبات المسافرين وعلي الوكيل أيضاً مسؤولية مراجعة نفقات التأمين والضرائب الخاصة بالسيارات المؤجرة و أخبار الزبون عن أي غرامات إضافية ويكون ذلك مهما جدا عندما يقوم العميل بتنظيم التأجير لمسافرين من دول بعيدة لان نسبة التأمين والضرائب غالبا تختلف من

¹ . المرجع السابق، صابرين جابر عبدالجليل ، ص:19

دولة لأخرى فمثلا في ألمانيا تضاف 14% ضريبة إلى قيمة الإيجار بينما لوكسمبورج يضاف 12% وفي بريطانيا واليابان والدول التي يستعملون اليد اليسرى أكثر في القيادة والأميركيين يكون لديهم نسبة حوادث عالية وبالتالي مطالبون بدفع تعويضات كبيرة لذا يجب إيداعها قبل تأجير السيارة وفي بعض التنقلات يكون أفضل و اقتصاديا للمسافر شراء سيارة وليس تأجيرها وفي هذه الحالة يقوم الوكيل بترتيب اختيار وشراء السيارة ويستعملها أثناء رحلته ثم تنقل (تسحق) علي سفينة إلي بلدة و إذا قطعت السيارة عددا معينا من الأميال قبل شحنها إلي الولايات المتحدة فان ذلك يعتبر ميزة لصاحبها حيث انه لن يضطر إلى دفع رسوم استيراد سيارة جديدة .

(2) ترتيب أماكن الطعام :

لان الطعام عنصر هام وضروري في السفر لذا يجب علي الوكيل أن يقدم نصائح عن أكثر الأماكن المناسبة لذوق وميزانية المسافر وهذه النصائح من الممكن أن تعتمد علي معرفته الشخصية أو المعلومات الموجودة في كتيبات المطاعم أو المجلات وهناك المئات من المطبوعات التي تحتوي علي أنواع وأسعار الأطعمة . عند الترتيب لتناول الطعام في الدول الأجنبية علي الوكيل ان يكون يقظاً بدرجة كافية للتحقق من (السعر، الجودة، العادات، الموقع) وعلي الوكيل البحث عن الأطعمة المختلفة المميزة الموجودة في خطة المسافر ويجب علي الوكيل أن يكون عل راية بالأطعمة المشهورة المحلية والعالمية التي ستكون شيقة بالنسبة للمسافر . وعلي الرغم من أن الأطعمة المحلية الشعبية ربما لا تكون مدرجة في المجلات أو دليل الأطعمة مثل مطاعم (ماكدونالدز، للهامبورجر، كونيلايلاند للهوت دوج) (ألا أنها من الممكن ان تضيف قدرا كبيرا من النكهة والتميز إلى رحلة المسافر لذا يجب علي الوكيل بذل جهد اكبر لاكتشاف مثل هذه الأطعمة و أماكن بيعها وعليه أيضا أن يحذر المسافر من المخاطر الصحية المحتملة في أكل بعض الأطعمة في أماكن لا تراعي مستويات الصحة العامة بطريقة جيدة .⁽¹⁾

يرغب العديد من المسافرين في التسلية أثناء سفرهم وقد تشمل التسلية المرغوب فيها زيارة صالات القمار وأماكن الترفية في لاس فيجاس، نيفادا، مونت كارلو، موناكو، وناساو، البهاما أو مشاهدة الأحداث الرياضية مثل كرة البولنج الرائعة أو قضاء أسبوع في نيويورك أو لندن لمشاهدة المسرح أو الأوبرا أو البالية أو حضور المهرجان في ريودي جانيور بالبرازيل أحداث يستمتع بها السياح كل عام .

(6) ترتيب التنزه في الأماكن المفتوحة :

¹ . المرجع السابق، صابرين جابر عبدالجليل ، ص:20،21،22

أصبحت الأنشطة الخاصة بالتنزه في الأماكن المفتوحة مثل التخييم ، التزلج ، الترحلق ، ركوب القوارب والغطس من الأشياء المحببة للسائح ، وتمثل هذه الأنشطة تحدي كبير للوكيل أو المندوب حيث أن مواقع هذه الأنشطة من الصعب الوصول إليها بالمواصلات العادية لأنها عادة ما تكون منعزلة وبعيدة عن المدن فعلي سبيل المثال (سوف يعرف الوكيل أين يجد المعلومات الخاصة برحلة السير علي الأقدام في شمال اليونان) وكيف يوفر رحلة بالقارب في نهر الكولورادو ، وأين يجد قوافل الفجر في أيرلندا وكيفية الحصول علي تصريح لتسلق جبل التيتونا ، وعلي الرغم من ان المندوب ق لا يستطيع شخصيا القيام بكل هذه الأنشطة في حياته إلا أن المندوب المتمرس سوف يعرف أين و متى تكون هذه الأنشطة متاحة وكم تكون تكلفتها و كيفية تنظيمها بشكل مناسب .

(7) إعداد قوافل الطهارة :

أصبحت قوافل الطهارة شيء مألوف ولأي طريقة الطهي تختلف من بلد لآخر كما تختلف القافلة لذا فان قوافل الطهارة تنتقل من بلد لآخر لكي يتمكن المسافرون من تذوق المأكولات والمشروبات المميزة والخاصة بكل بلد وعمل الطهارة متخصص جدا لدرجة أن طعام kosher طعام شرعي حسب الدين اليهودي أصبح في متناول اليهود الذين يرغبون في السفر إلى أي مكان حيث سيقدم لهم ذلك الطعام .

(8) تأجير الغرف :

حيث أن النوم المريح يميز الرحلة السعيدة عن غيرها فان تأجير الغرف من الأشياء الهامة في عمل الوكيل أو المندوب وعند القيام بتأجير الغرف يجب أن يتذكر الوكيل أن توقعات المسافر تمثل جزءا كبيرا في درجة تقبله للمكان وما يعكس علي الرحلة من انتعاش فعلي سبيل المثال عند التعامل مع المسافر الأمريكي من المهم تذكر أن الأمريكيين معتادون علي قضاء الإجازات في فنادق وغالبا يتوقعون أن يكون متوفراً لهم سرير ذو حجم كبير، تكييف هواء ، حمام خاص ، سجاد ، خدمات في الغرفة حمام سباحة وكل ذلك بسعر معقول . (1)

وعلي العكس من ذلك فإننا نجد أن المسافرون الأوروبيون يتوقعون أنهم سيدفعون مبالغ زيادة مقابل الحمامات الخاصة ،تكييف الهواء ،سرير زيادة وما يسمى بوسائل الراحة ولذلك فانه عند مساعدة شخص أمريكي متجه إلى أوروبا أو انجليزي متجه إلى أمريكا فان علي الوكيل مراعاة التوقعات المختلفة لكلا منهما وعلي ذلك الأساس يتم ترتيب الإقامة ، وقدرة الوكيل علي تلبية

¹ . المرجع السابق ،صابرين جابر عبدالجليل ، ص: 24،25.

رغبات أو توقعات المسافرين في السكن لا تعتمد علي فقط علي المعرفة المبدئية لدى الوكيل , بل عليه الاجتهاد في البحث عن التسهيلات ووسائل الراحة التي تقدمها أماكن الإقامة، وهناك العديد من الكتب التي تضم أسماء الفنادق وأماكن الإقامة الأخرى وتصف نظامها وتعطي معلومات عن أسعارها الحالية وهذه الكتب ليست ذات أهمية لدي الوكيل الشرقي الذي يهتم باختيار فندق أو مسكن يلئم احتياجات وميزانية المسافرين.

(9) ترتيب السفر بالقطار :

نظرا لارتفاع أسعار الوقود فان المسافرين الآن يجدون متعة وراحة في السفر بالقطار وفي بعض القطارات تكون المقاعد كبيرة وواسعة ويمكن مدها للخلف في حالة النوم ويمكن الاستمتاع بمشاهدة المناظر دون انزعاج من القيادة وقد تكون اكبر متعة للسفر بالقطار هي مقابلة مسافرون آخرون خاصة في دولة أجنبية ويختلف السفر بالقطار في الولايات المتحدة عن السفر خارجها ويختلف التنوع في الخدمات و وسائل الراحة وفي نفس التذكرة التي تعني كرسي خشبي وعدم التهوية وعدم الحجز في المكسيك قد تعني مقعد مريح ومكيف الهواء في هولندا وعلى وكيل السفر أن يكون عالما (علي علم) بكل هذه الاختلافات.

10/ إعداد رحلات خاصة بالوكالة :

أصبح اليوم ممكنا القيام بالآلاف من الرحلات وهذه الرحلات تكسبهم معلومات عن الأماكن الغير مألوقة وتكون هذه الرحلات سريعة ومسبق تجهيزها وبها تسهيلات تشمل الإقامة وتعتبر تجربة عملية وسهلة لرحلة ممتعة للمسافرين من كل مستويات الخبرة أو الراغبين في ذلك وهناك نوعان من هذه الرحلات (رحلات محلية) في جميع البلاد ورحلات محلية لاماكن معينة تعلن عنها وكالة السفر .

11/ ترتيب الرحلات البحرية :

في وقت ما كان السفر بالسفن هو المصدر الرئيسي للدخل (للمال) في وكالة السفر إما اليوم أصبح اقل أهمية وحل محله الرحلات البحرية والنزهات النهرية وازداد بناء الفنادق العائمة عندما اكتشف الناس متعة الرحلات البحرية وأصبحت الرحلات البحرية الطيران محبوبة (جزء من الرحلة بالطائرة والجزء الآخر عن طريق البحر) لسببين الأول أن المسافرين يستطيعون الطيران إلى الأماكن الدافئة مباشرة (مثل ميامي - لوس أنجلوس - سان جوان) ويتجنبون قضاء أيام في برد الشتاء في البحار الثاني انه إذا كانت الباخرة تسير بالقرب من الشاطئ فانه

يمكن زيارة الكثير من الموانئ فان برنامج رحلة بحرية تبدأ من ميامي أو لوس انجلوس يمكن أن يتضمن زيارة ثلاثة أو أربعة موانئ في الرحلة الواحدة . (1)

وكالات السفر المتخصصة

بعض وكالات (شركات) السفر تتخصص في نوع واحد من أنواع السفر أو أنها تقدم خدماتها لمجموعة معينة من المسافرين وتصنف تلك الوكالات علي أنها وكالات متخصصة وتقع في المدن الكبيرة وتكون في الغالب وكالات كبيرة وفيما يلي وصف لبعض أنواع تلك الوكالات.

1/ سفر الشركات التجارية

الوكالة المتخصصة في سفر الشركات التجارية يمكنها التعامل بشكل موسع مع شئون العمل وتعمل بشكل أساسي فيما يخص حجز الطيران والفنادق وتأجير السيارات وهذه الوكالات دائماً توفر تذاكر السفر والمعلومات والخدمات للمسافرين من رجال الأعمال .

2/ سفر البواخر / والرحلات البحرية

وكالة السفر المتخصصة في النزاهات البحرية وسفر البواخر يجب ان يكون لديها موظفون ذوي خبرة في السفر بالبحر و لديهم كبيرة عن السفن وتعتبر النزاهات البحرية مريحة بشكل كبير للعديد من وكالات السفر لان النزاهة البحرية تعتبر رحلة كاملة تدفع مصاريفها سلفاً وتأخذ وكالات السفر عمولة مقابل كمية المبيعات وعندما يكون الوكيل علي دراية بمختلف أنواع الرحلات البحرية لن يكون من الصعب عليه بيع تذاكر تلك الرحلات ويعتبر حجز الرحلات البحرية عمل مكرر بالنسبة للعديد من الوكالات .

3/الرحلات الأجنبية

بعض وكالات السفر تتخصص في الرحلات الأجنبية وبيع رحلات محلية معن عنها (مثل أمريكيان اكسبريس - كارفان - جلوبس - جيت واي) وفي الرحلات الأجنبية المستقلة تخصص الرحلات لمسافر واحد وبالرغم من أنها تكون أكثر تكلفة ألا أن ميزتها تكمن في ان خطط رحلة يمكن وضعها طبقاً لرغبات المسافر الشخصية وهذه الرحلة تشمل الفنادق ، مشاهدة المعالم ، التنزه ، الوجبات ، مرشد بسيارة خاصة ، المسرح او ترفيه مسائي وقد تكون تلك الرحلات مريحة جداً للوكالة و أول شرط عند التعاقد علي هذا النوع من السفر أن يكون الوكيل ذو خبرة كبيرة في الرحلات الأجنبية المتخصصة .

¹ . المرجع السابق، صابرين جابر عبدالجليل ، ص: 26، 27.

4/ رحلات المجموعات العرقية والأفراد :

العديد من وكالات السفر تقع في بلدان كبيرة بها مجتمعات عرقية وتتخصص هذه الوكالات في تنظيم رحلات للأفراد والجماعات إلى أوطان هذه الأعراق (الفصائل) من أمثلة تلك الرحلات اليونان ، إيطاليا ، بولندا ، إسرائيل ، أيرلندا ، ألمانيا الغربية ، اليابان وتحصل الوكالات لمثل هذه الرحلات علي مجموعات من المقاعد علي خطوط الطيران المختلفة أو تقوم بإيجار طائرة كاملة . (1)

5/ الرحلات السياحية :

من الممكن أن يحتوي برنامج الرحلة علي حجز الفنادق والانتقالات فقط أو تكون رحلة شاملة مرافق (المرشد السياحي) ومنظم الرحلة قد يكون فردا من داخل وكالة السفر أو قد يكون طرفاً ثالثاً وفي بعض الأحيان يكون منظمي الرحلات بعض الوزراء أو الرؤساء أو المتعلمون و علي وكيل السفر أن يدرك أن منظمي تلك الرحلات يمثلون فرصة عمل مميزة و سواء كانت وكالة السفر هي منظمة الرحلة أو مجرد مساعد في حجز المجموعات فان تلك المجموعات تعتبره عمل هام و برامج تلك المجموعات يتم بيعها مباشرة إلى المسافرين أو تباع كلية إلى الوكالات الأخرى و تأخذ نسبة علي المبيعات .

- الشركات دولية النشاط في الاقتصاد الدولي المعاصر:

على صعيد التصور النظري يمكن اعتبار الشركات دولية النشاط محصلة تطور المشروع الرأسمالي من مرحلة المشروع المارشالي إلى المشروع الكبير ، إلى المشروع دولي النشاط .

وقد تعددت التصورات النظرية في شأنه وان كانت كلها تدور حول تميزه بتدويل عملية الإنتاج عبر الاستثمار في الخارج ، وخاصة الاستثمار الأجنبي المباشر يجري تفضيله لبواعث مختلفة . وقد ساعدت الدولة في الاقتصاد الأم في البلدان المتقدمة عملية التحول نحو المشروع دولي النشاط ، إما عبر سياستها المالية في داخلها أو عبر مساندتها له في الخارج . وانتهي لأمر بالشركات دولية النشاط لكي تصبح من أشخاص الاقتصاد الدولي تتمتع فيه بوزن نسبي كبير وتلعب من ثم دوراً محورياً في أدائه وحركته .

- ماهية الشركات السياحية دولية النشاط ووزنها النسبي في الاقتصاد الدولي المعاصر:

¹ . المرجع السابق ، صابرين جابر عبد الجليل ، ص: 29، 30، 31.

كما هو معروف أن الشركات دولية النشاط أصبحت هي الشكل الغالب للمشروع الاقتصادي في الاقتصاد الدولي المعاصر وبظهور الشركات السياحية دولية النشاط والتي تميل إلى أن تقدم للسائح الخدمة المكونة للخدمة السياحية متكاملة وسوف نتناول بعض الشركات السياحية دولية النشاط التي تعمل في مجال الفنادق وشركات الطيران والمطاعم والوجبات السريعة والشركات السياحية للتعرف على حجمها ووزنها النسبي في الاقتصاد الدولي المعاصر. ⁽¹⁾

برزت السياحة من جانب الأشخاص السائحين كنشاط تجديدي في أوقات الإجازات يأخذ مكانه على نحو متزايد عن طريق الترحال والانتقال نحو أجزاء أخرى من نفس بلد الموطن كالسياحة الداخلية أو نحو أجزاء أخرى من المجتمع العالمي كالسياحة الخارجية . ومع التطور الاجتماعي تعددت سبل التجديد الذي يسعى إليه السائح . ولتحقيق هذا التجديد برز النشاط السياحي كإحدى الأنشطة الخدمية في الاقتصاد القومي ومع تطور سبل التجديد الذي يسعى إليه السائح زادت الطبيعة المركبة للخدمة السياحية التي تشبع حاجته أي تعددت الخدمات التي تتكاتف لتحقيق هذا الإشباع وفقاً لنوع السياحة (خدمات الانتقال وما يصاحبها من خدمات لازمة كخدمة السلك القنصلي والجوازات وخدمات الإقامة وما يلزمها من إ طعام وتنظيف واتصال والخدمة المشبعة للحاجة الأساسية : الثقافة ، الترويح والترفيه ، العلم ، التعبد ، العلاج ، الرياضة ، وخدمة الارشاد والخدمات الأخرى المرتبطة بخدمات الإعلام السياحي وتنشيط السياحة وكل خدمة

تسهيلية لأي مظهر من مظاهر النشاط السياحي) . بل أن النشاط السياحي قد يستتبع خدمات الأصل أنها مستقلة عن النشاط السياحي ولكنها تؤدي للسائح بمناسبة وجوده على إقليم الدولة كخدمة علاجية في حالة مرض مفاجئ أو خدمة بريدية.

ومن ثم يتضح من الخدمات المكونة للخدمة السياحية المركبة أن النشاط السياحي يمارس إما بوحدات متخصصة في إحدى المكونة للخدمة السياحية المركبة (كوحدة النقل السياحي) أو وحدات تقوم بكل الخدمات التي تحقق للسائح الهدف من رحلته السياحية وعليه يمكن أن نفرق بين :

- وحدات للنقل السياحي بأنواعه المختلفة .
- وحدات للإيواء السياحي بأنواعه المختلفة .
- وحدات للخدمة المطعمية .
- وحدات للإرشاد السياحي .
- وحدات للتسويق السياحي

¹ دلال عبد الهادي ، أساسيات السياحة ، دار الفتح ، 2004، ص:10

- وحدات تتوب عن السائحين في ترتيب الرحلة السياحية المركبة بالنسبة لواحدة أو أكثر من الخدمات المكونة للخدمة السياحية المركبة (التوكيلات السياحية) .
- وحدات تقوم بتجميع السائحين والاتفاق مع وحدات الخدمات المختلفة حول الرحلة السياحية بمراحلها المختلفة (الشركات السياحية) . ⁽¹⁾

بالنسبة لكل نوع من هذه الوحدات يمكن للوحدة التي تقدم الخدمة أن تأخذ شكل المشروع الفردي أو العائلي أو الشركة والتي قد تكون شركة أشخاص بحيث يكون للشخص الشريك فيها أهمية خاصة أو شركة أموال يعتد فيها أساساً بالحصة من رأس المال التي يقدمها الشريك أو شركة ذات مسئولية محدودة لا يعتد فيها بالشخص الشريك وإنما في حدود الحصة من رأس المال التي يقدمها .

من حيث نطاق المشروع يمكن أن يكون محلياً أو إقليمياً في داخل إقليم من أقاليم الدولة على مستوى الاقتصاد القومي أو دولياً يمارس جزء من نشاطه في السوق الدولية أو عابر للقوميات ، وبالنسبة للكيفية التي تمارس بها الوحدة الخدمية نشاطها فهي تتوقف على شكل السوق الذي تعمل في ظله أي ما إذا كان من قبيل سوق المنافسة الكاملة أو سوق المنافسة الاحتكارية أو سوق منافسة القلة أو سوق لمحتكر وكذلك على شكل السوق الذي تشتري منه الوحدة قوى الإنتاج المادية والبشرية وفي الوقت الراهن يمتد أداء الخدمة في كل دول العالم من الوحدة أو النشاط العائلي إلى المشروع الرأسمالي في شكل شركة من شركات الأشخاص أو الأموال سواء تمثل في نطاق النشاط في دائرة إقليم من أقاليم الدولة أو في دائرة مجمل الاقتصاد الوطني أو في دائرة الاقتصاد الدولي وسواء تمثل الأمر في سياحة داخلية أو سياحة دولية أو الاثنين معاً كما هو الشكل الغالب لمعظم الدول الموجود على خريطة السياحة العالمية .

وفي إطار النمط الحالي لتقسيم العمل الدولي تحركت الشركات عابرة القوميات التي أصبحت الشكل الغالب للمشروع الاقتصادي في الاقتصاد الدولي المعاصر كعادتها نحو تعبئة الربح أياً كان نوع النشاط الاقتصادي الذي تمارسه ومن ثم ظهرت الشركات السياحية دولية النشاط والتي تميل إلى أن تقدم للسائح الخدمة المكونة للخدمة السياحية متكاملة مع إمكانية القيام بمكوناتها على أقاليم دول مختلفة.

وإذا اكتمل أعمال أحكام اتفاقية الجاتس وتم إزالة كافة القيود على تجارة الخدمات سيؤدي ذلك إلى تدفق الشركات عابرة القوميات التي تعمل في قطاع الخدمات بصفة عامة والشركات السياحية دولية النشاط بصفة خاصة إلى الدول ذات الميزة النسبية وخاصة الدول النامية

¹ . المرجع سابق ، دلال عبدالهادي ، ص: 13

وستتغلغل في مجال إنتاج الخدمات في هذه الدول الأمر الذي قد ينتهي في المدى الطويل إما إلى ابتلاع الوحدات كفاءة منها أو إلى اقتلاعها من جذورها ، إن الشكل الغالب للمشروع الاقتصادي الدولي المعاصر هو المشروع دولي نشاط أو الشركة دولية النشاط وهذا الشكل من المشروعات هو الذي يقوم نمط تقسيم العمل الدولي الذي يسود الاقتصاد الدولي المعاصر .

وتتسم الشركات السياحية دولية النشاط بالسماوات العامة للشركات دولية النشاط في أنها تمارس نشاطها أقاليم متعددة من العالم استفادة من الفروق في مقومات النشاط الاقتصادي بين أقاليم وبلدان العالم وأنها تقوم بتخطيط نشاطها علي مستوي السوق العالمية في إطار إستراتيجية طويلة المدى ولكن الشركة دولية النشاط السياحة تنفرد بخصيتين:

أ - أنها تنتمي عادة إلي بلدان المتقدمة التي ينبعث منها جل الطلب الدولي علي السياحة الدولية ومن ثم يمكن أن تتمتع بقدرة نسبية أكبر علي تعبه الطلب الكافي في البلد الأم خاصة إذا قورنت بقدرات شركة سياحية في البلد الصغير المصدر للخدمات السياحية.

ب - تتعامل الشركات دولية النشاط في الخدمات السياحية كخدمة مركبة من خدمات مختلفة الأمر الذي يمكن معه أن تضمن نصيبا كبيرا نسبيا من عائد السياحة المصدرة إذا ما سيطرت على أداء بعض الخدمات المكونة للخدمة السياحية الكاملة.⁽¹⁾

و يوجد عديد من الشركات السياحية دولية النشاط في العالم سواء شركات الفنادق أو شركات الطيران أو شركات المطاعم والوجبات السريعة أو شركات السياحة واسم هذه الشركات وحده كاف لتسويق منتجاتها ،مثل:

- شركات الفنادق دولية النشاط :

شركة ماريوت إنترناشيونال: Marriott International Inc.

تعتبر هذه الشركة أكبر الشركات السياحية دولية النشاط التي تعمل في صناعة الفنادق من حيث إجمالي الإيرادات ورأس المال في نهاية عام 2005 م فلقد بلغ إجمالي إيراداتها ورأس مالها في نهاية هذا العام 11.7، و16.4 بليون دولار على التوالي وبلغ صافي ربحها 1.31 بليون دولار.

نشأت هذه الشركة عام 1971 في واشنطن (USA) يعمل لديها الآن 143 ألف عامل ويخضع لها 2632 فندق بعدد حجرات يبلغ 482186 في 66 دولة على مستوى العالم ، حيث تنتشر

¹. مرجع سابق ، دلال عبدالهادي ، ص: 98، 99.

فروعها في أمريكا وأوروبا والمملكة المتحدة وآسيا والشرق الأوسط وأفريقيا ، منهم 1658 فندق بعقود فرانشايزو 899 فندق بعقود إدارة والباقي فنادق منتسبة للشركة . (1)

- شركة ماكدونالدز كوربوريشين: McDonald's Corp

- شركات المطاعم دولية النشاط :-

تعتبر هذه الشركة أكبر الشركات السياحية دولية النشاط المتخصصة في تقديم الخدمة المطاعم علي مستوي العالم من حيث إجمالي الإيرادات، ورأس المال، في نهاية عام 2005 م، حيث بلغ إجمالي إيراداتها ورأس مالها 20.8، و44.4 بليون دولار، علي التوالي، وبلغ صافي ربحها 6.32 بليون دولار.

أنشأت هذه الشركة عام 1984 بواسطة ريتشارد (Richard & Maurice McDonald) Ray Kroc) وموريس ماكدوناد وراي روك بأوك بروك بولاية ألينوي بالولايات المتحدة الأمريكية، توظف هذه الشركة 447 ألف عامل، ويخضع لها 31886 مطعم، منهم 9283 مطعم بعقود إدارة، و 18334 مطعم بعقود (فرانشايز، و 4269 منتسبة، في أكثر من 100 دولة).

- شركة إير فرانس Air France

وهي شركة فرنسية الأصل نشأت عام 1933 م في باريس بفرنسا وتعتبر أكبر شركة طيران دولية النشاط من حيث إجمالي الإيرادات في نهاية عام 2005 م، فلقد حققت إيرادات بلغ 26.8 بليون دولار بصافي ربح بلغ 42.1 % يعمل لديها 102422 عامل وتمتلك 575 طائرة وتقوم بنقل الركاب والبضائع كما تقوم بتوفير كافة الخدمات المصاحبة للرحلات الجوية بالإضافة إلى خدمة الصيانة للطائرات وتقوم بتشغيل رحلات جوية ل 247 مدينة وتنقل ما يقرب من 70 مليون مسافر كما تقوم بتوفير خدمات إلكترونية للمسافرين مثل إمكانية قيامهم بحجز الرحلات الجوية على طائراتها وحجز وسائل الانتقال الداخلية من خلال شبكة (الانترنت)

British Air Ways شركة بريتش إير وايز

وهي شركة إنجليزية الأصل حققت مبيعات وأعمال واسعة بداية من نشأتها في عام 1972 م بالمملكة المتحدة وتعتبر أكبر شركة طيران دولية النشاط من حيث رأس المال في نهاية عام 2005 م ، والذي بلغ 7.3 بليون دولار . ولقد حققت الشركة إيرادات بلغ 15.5 بليون دولار ويعمل لديها 49957 عامل وتمتلك 248 طائرة وتقوم بتوفير رحلات جوية دولية وداخلية ومنتظمة

¹ . اسامة محمد قنيجيو ، رسالة ماجستير غير منشورة بعنوان (التحديات التي تواجه الشركات السياحية دولية للاستثمار في ليبيا) الأكاديمية العربية للعلوم والنقل والتكنولوجيا ، مصر ، 2008 ، ص 20

وعارضة ويبلغ عدد المدن التي تقوم بتنظيم رحلاتها الجوية المنتظمة إليها 148 مدينة في 75 دولية وتتخصص في نقل الركاب والبضائع والخطابات وأعمال الشحن وكافة (الخدمات المصاحبة للرحلات الجوية)⁽¹⁾

إيرادات الشركات السياحية دولية النشاط

تتجاوز إيرادات الشركات الكبرى من الشركات السياحية دولية النشاط في بعض الأحيان الناتج المحلي الإجمالي لبعض البلدان فعلي سبيل المثال في نهاية عام 2005 م، تجاوزت Marriot International إيرادات شركة ماريوت إنترناشيونال المتخصصة في صناعة الفنادق والتي بلغت 11.7 بليون دولار أمريكي الناتج المحلي الإجمالي لغانا والذي بلغ 10.694 بليون دولار أمريكي . كما تجاوزت إيرادات شركة ستار Star wood Hotels & Resorts Worldwide Inc والتي بلغت 6 بليون دولار أمريكي الناتج المحلي الإجمالي لتشاد وبوركينا فاسو والذي بلغ 5.431 و 5.749 بليون دولار أمريكي لكل منهما على التوالي .

كما تجاوزت إيرادات الشركات الكبرى من الشركات السياحية دولية النشاط المتخصصة في تقديم الخدمة المطاعم الناتج المحلي الإجمالي لبعض الدول . فعلي سبيل المثال في نهاية عام 2005 تجاوزت إيرادات شركة ماكدونالدز كوربوريشين McDonald's Corp والتي بلغت 20.8 بليون دولار أمريكي الناتج المحلي الإجمالي لكينيا والكاميرون وأورجواي واليمن والذي بلغ 19،184 ، و 16،991 ، و 15،926 ، و 15،193 بليون دولار أمريكي لكل منهم على التوالي .

وكذلك تجاوزت إيرادات الشركات الكبرى من الشركات السياحية دولية النشاط المتخصصة في تقديم خدمة النقل الجوي الناتج المحلي إجمالي لبعض البلدان كغيرها من الشركات السياحية دولية النشاط، فعلي سبيل المثال في نهاية عام 2005 م ، تجاوزت إيرادات شركة إيرفرانس Air France والتي بلغت 26.8 بليون دولار أمريكي الناتج المحلي الإجمالي لبلغاريا وسيريلانكا ولبنان والذي بلغ 26.719 و 23.514 و 22.052 بليون دولار أمريكي لكل منهم على التوالي.

للشركات الكبرى من الشركات السياحية دولية النشاط رؤوس أموال ضخمة، تتجاوز في كثير من الأحيان الناتج المحلي الإجمالي لبعض الدول. فعلي سبيل المثال في نهاية عام 2005 م تجاوز

¹ . المرجع السابق ، اسامة محمد قنيجية ، ص : 21 ، 22 .

رأس مال شركة ماريوت إنترناشيونال Marriott International المتخصصة في صناعة الفنادق والذي بلغ 16.4 بليون دولار أمريكي الناتج المحلي الإجمالي لقبرص وأيسلندا والذي بلغ 16.652 و 15.823 لكل منهما علي التوالي

كما تجاوزت رؤوس أموال الشركات الكبرى من الشركات السياحية دولية النشاط المتخصصة في تقديم الخدمة المطاعم الناتج المحلي الإجمالي لبعض الدول. فعلي سبيل المثال في نهاية عام 2005 م، تجاوز رأس مال شركة ماكدونالدز كوربوريشين McDonald's Crop والذي بلغ 44.4 بليون دولار أمريكي مجموع قيم الناتج المحلي الإجمالي لمجموعة الدول الآتية لبنان (22.052) و البحرين 12.921 السنغال (8.332) والذي بلغ 43.305 بليون دولار أمريكي. كما تجاوز رأس مال شركة يم براندز Yum Brands والذي بلغ 14.5 بليون دولار أمريكي لكل منهم علي التوالي (1).

كذلك تجاوزت رؤوس أموال الشركات الكبرى من شركات الطيران دولية النشاط الناتج المحلي الإجمالي لبعض الدول، فعلي سبيل المثال، تجاوز رأس مال كل من شركة برينتش اير وايز (7.3) British Airways وشركة إير فرانس Air France (6.3) الناتج المحلي الإجمالي لتشاد ومالطا وزيمبابوي الذي بلغ 5.431 و 5.428 و 4.491 بليون دولار أمريكي لكل منهم علي التوالي.

سبل سيطرة الشركات السياحية دولية النشاط على وحدات النشاط السياحي في الدول النامية تسعى الشركات السياحية دولية النشاط بمد سيطرتها على وحدات النشاط السياحي في البلدان النامية بسبيلين هما :

1- سبيل أصبح تقليدياً في ممارسات الشركات دولية النشاط وهو إما إقامة وحدات سياحية تملكها بالكامل (وتكاد تستقل بإدارتها) في البلد المصدر للخدمة السياحية أو إقامة وحدات مشتركة جديدة أو السعي لتملك حصص في ملكية الوحدات السياحية الوطنية القائمة (وهو ما يمكن أن يتحقق عندما تباع الدولة أسهم وحدات سياحية مملوكة لها ويكون المشتري شركة سياحية دولية النشاط) ويدخل في هذا السبيل ما تقوم به الدولة في البلد المصدر للخدمة السياحية من إبرام عقود لإدارة وحداتها السياحية بواسطة الشركات السياحية دولية النشاط .

2- سبيل آخر بدأ يكتسب أهمية متزايدة في التسعينات يتمثل في اقتسام الشركة السياحية دولية النشاط لأرباح كبرى الشركات السياحية الوطنية ، وخاصة الفنادق بدرجاتها ما بين الثالثة والخامسة والمطاعم عن طريق عقود الفرانشايز وهي عقود تضع بمقتضاها الشركة دولية النشاط

¹ المرجع السابق ، اسامة محمد قنيجيو ، ص : 27 ، 28 .

اسمها كغطاء دولي لأسم الوحدة المحلية كمرجع أول في تسويق الخدمة السياحية دولياً وكمراجع مشترك في أداء الخدمة للسائح كل ذلك في مقابل نسبة من أرباح (المشروع السياحي الوطني).⁽¹⁾

ولقد وضعت " الجمعية البريطانية للفرانشايز British Franchise Association
نموذج تعريف للفرانشايز حيث عرفت الفرانشايز بما يلي :

ترخيص تعاقدى بمقتضاه يمنح طرف يسمى Franchisor طرفاً آخر يسمى Franchisee
الأمر التالية :

1/ رخصة أو إذن للمتلقي * Franchisee * لممارسة أو مزاوله، نشاط معين لمدة معينة باستعمال اسم معين مملوك للمانح أو مساهم به.

2/ تفويض الطرف المانح، بممارسة حق الرقابة المستمرة، خلال مدة العقد، علي طريقة العمل الذي يزاوله المتلقي، وهو موضوع العقد.

3/ التزام المانح بتوفير المساعدة والمعونة للمتلقي المتعلقة بالنشاط موضوع العقد، وذلك فيما يتعلق بتنظيم العمل وتدريب الموظفين والإدارة والتسويق وخلافه.

4/ مستلزمات الدفع التي يقوم بدفعها المتلقي للطرف المعطي خلال مدة العقد، وهي المبالغ المالية مقابل منح الفرانشايز أو مقابل السلع أو الخدمات المشترط تقديمها من قبل الطرف (المعطي إلي المتلقي).⁽²⁾

- ويختلف عقد الفرانشايز عن غيره من عقود الإدارة، والتي من الممكن أن تختلط به كعقد الوكالة، وعقد التوزيع، وعقد الترخيص، فهو مزيج أو مركب من عقود يجمع بين أوصاف وعقود وعلاقات متعددة، أي إنه مركب أو نظام مكون من جميع العقود المسماة فهو يتكون من عقد بيع وعقد إيجار و عقد وكالة وعقد تعليم وتدريب وغير ذلك من العقود، بحيث يتعذر ردها إلي أحد العقود المسماة في القانون. فهو يختلف عن عقد الوكالة، في أنه في عقد الوكالة يعمل الوكيل أو يتصرف بالنيابة عن الموكل أو الأصيل وأثار هذا العمل أو التصرفات تعود إلي الموكل هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن الوكيل ليس بمستخدم لعدة موكلين وأي شئ يقوم به يكون ضمن نطاق الوكالة وملزم للموكل.

¹ . مرجع سابق ، دلال عبدالهادي ، ص : 100 .

² . مجلة الامتياز العالمية <http://www.thebfa.org/members/franchise-world>

- ويختلف عن عقد التوزيع، في أن العلاقة في عقد التوزيع مستقلة، فالموزع شخص مستقل و العلاقة بينه وبين المورد أو المنتج هي علاقة بائع ومشتري ولكن هذا لا يمنع أن يكون هناك اتفاق و ترتيبات بين كل من الموزع والمنتج حول بعض الأمور كالمنطقة الحصرية والإعلانات و التدريب والصيانة وغير ذلك من الأمور. فعقد التوزيع ما هو إلا عقد بيع مع وجود اشتراطات أخرى متعلقة بالسلع أو المنتجات ومكملة للعلاقات الخلفية الناتجة عن عملية بيع أو إعادة بيع المنتجات بالإضافة إلى أنه وسيلة استثمار أجنبية غير مباشرة وآلية من آليات العولمة.

- كما يختلف عن عقد الترخيص، في إن عقد الترخيص ما هو إلا عقد إيجار سواء كان الترخيص بإنتاج سلع أو استعمال علامة حيث يتضمن ذلك تأجير المرخص له الحقوق المملوكة للمرخص وهذه الحقوق قد تكون براءة اختراع أو أسرار صناعية وتجارية أو معرفة فنية مع جميع كتيبات التشغيل والتصنيع والرسومات والمخططات والتصاميم والعلامة التجارية، بالتالي يؤثر المرخص هذه الحقوق أو أي جزء منها لمرخص له ليقوم بتصنيعها واستعمال علامة معينة علي المنتجات في منطقة محددة ولمدة محددة نظير مقابل معين، أي أن المرخص يتنازل عن هذه الحقوق للمرخص له ويقوم المرخص له باستعمال واستغلال هذه الحقوق بشكل مستقل تماماً علي المرخص والذي لا يتدخل إلا فيما يتعلق بالتقيد بالمواصفات والجودة وذلك للمحافظة علي الاسم، والترخيص يأخذ شكل العقد أو جزء من عقد أو اتفاقية أخرى .

ومن ثم قد يكون عقد الترخيص أحد العقود المرفقة والملحقة بعقد الفانشايز و ذلك إذا ما كان موضوع الفانشايز متعلق باستعمال ملكية معنوية أو معرفة فنية أو أسرار تجارية وصناعية وبراءات اختراع وحقوق تأليف وعلامات تجارية وأسماء تجارية مشهورة وتظهر عقود الفانشايز بوضوح في قطاع الفنادق وتلجأ الشركات السياحية دولية النشاط لتلك الترتيبات غير الرأسمالية (عقود الفانشايز والتجارية ، وتجنباً للاحتتمالات الاقتصادية السيئة وعدم الاستقرار خاصة عندما تعمل هذه الشركات في الدول النامية.

الاستنتاجات خصائص الشركات دولية النشاط

تتمتع الشركات دولية النشاط (المتعددة الجنسيات) والتي تعد من أهم ملامح ظاهرة العولمة أو النظام الاقتصادي المعاصر بالعديد من الصفات والسمات التي تميزها وتحدد دورها وتأثيرها على النظام الاقتصادي العالمي، ومن أهم هذه الصفات :

1- ضخامة الحجم : تتميز هذه الشركات بضخامة حجمها وتمثل كيانات اقتصادية عملاقة، ومن المؤشرات التي تدل على هذا، حجم رأس المال وحجم استثماراتها وتنوع إنتاجها وأرقام

المبيعات والإيرادات التي تحققها، والشبكات التسويقية التي تملكها، فضلا عن هياكلها التنظيمية وكفاءة أدارتها.

2- ازدياد درجة تنوع الأنشطة : تشير الكثير من الدراسات والبحوث، إلى أن الشركات المتعددة الجنسيات تتميز بالتنوع الكبير في أنشطتها، فسياستها الإنتاجية تقوم على وجود منتجات متنوعة متعددة ، ويرجع هذا التنوع إلى رغبة الإدارة العليا في تقليل احتمالات الخسارة، من حيث أنها إذا خسرت في نشاط يمكن أن تربح من أنشطة أخرى.

3- الانتشار الجغرافي - الأسواق : من الميز التي تتميز بها الشركات المتعددة الجنسيات هي كبر مساحة السوق التي تغطيها وامتدادها الجغرافي، خارج الدولة الأم، بما لها من إمكانات هائلة في التسويق، وفروع وشركات تابعة في أنحاء العالم.

4- القدرة على تحويل الإنتاج والاستثمار على مستوى العالم : أن هذه الخاصية ناتجة عن كون هذه الشركات تتميز بنشاطها الاستثماري الواسع في العالم، وكذلك كونها كيانات عملاقة متنوعة الأنشطة تسودها عمليات التكامل الأفقي والرأسي.

5- إقامة التحالفات الإستراتيجية : وهي تعتبر من السمات الهامة للشركات متعددة الجنسيات والتي تسعى دوماً إلى إقامة تحالفات إستراتيجية فيما بينها ومن أجل تحقيق مصالحها الاقتصادية المشتركة وتعزيز قدراتها التنافسية والتسويقية، أن التحالفات الإستراتيجية بين الشركات المتشابهة تتم في الصناعات المتماثلة بدرجة أكبر، وفي بعض الأحيان يأخذ هذا التحالف شكل الاندماج.

6- المزايا الاحتكارية : تتمتع الشركات متعددة الجنسيات بمجموعة من المزايا الاحتكارية، وترجع هذه السمة إلى أن هيكل السوق الذي تعمل فيه هذه الشركات، يأخذ شكل سوق احتكار القلة في الأغلب الأعم.

7- تعبئة المدخرات العالمية : أن كل شركة من الشركات متعددة الجنسيات تنظر إلى العالم كسوق واحدة، ومن ثم تسعى إلى تعبئة المدخرات من تلك السوق في مجموعها .

8 - تعبئة الكفاءات : تتميز الشركات متعددة الجنسيات بعدم تقيدها بتفضيل مواطني دولة معينة عند اختيار العاملين بها حتى أعلى المستويات، فالمعيار الغالب الذي تأخذ به هو معيار الكفاءة. والنمط المعمول به في اختيار العمالة في هذه الشركات هو الاستفادة من الكادر المحلي لكل شركة تابعة بعد اجتياز سلسلة من الاختيارات والمشاركة في الدورات التدريبية.

9 -التخطيط الاستراتيجي والإدارة الإستراتيجية : يعتبر التخطيط الاستراتيجي أداة لإدارة الشركات متعددة الجنسيات، وهو المنهج الملئ الذي يضمن ويؤدي إلى تحقيق ما تهدف إليه الشركة متعددة الجنسية والتعرف على ما ترغب أن تكون عليه في المستقبل.

المراجع أ. الكتب العلمية:

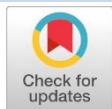
- 1- دلال عبد الهادي ، أساسيات السياحة ، دار الفتح، 2004 .
- 2- صابرين جابر عبدالجليل، شركات السياحة، كلية السياحة والفنادق جامعة المنيا ، مطبعة العصر.
- 3- ستيفن بيج ، إدارة السياحة ، نقلة للعربية / خالد العامري ، دار الفاروق القاهرة ، ط 1، 2008.
- 4- عبدالرحمن سليم، شركات السياحة ووكالات السفر، مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية ، دار راوي للطباعة والإعلان.
- 5- عزت مصطفى الدسوقي، تشريعات السياحة والفندقة والآثار والإرشاد السياحي ، دار الكتاب 2008 .
- 6- غادة علي حمود ، المدخل الي علم السياحة والسفر ، كلية السياحة والفنادق جامعة حلوان ، 1997.

ب. الرسائل العلمية:

- 1-أسامة محمد قنيجيوة ، رسالة ماجستير غير منشورة بعنوان (التحديات التي تواجه الشركات السياحية دولية للاستثمار في ليبيا) الأكاديمية العربية للعلوم والنقل والتكنولوجيا/مصر، 2008.

ج. المجلات

- 1- <http://www.thebfa.org/members/franchise-world>مجلة الامتياز العالمية نصف شهرية تتوفر في شكل مطبوع وعلى شبكة الإنترنت في franchiseworld.co.uk. تأسست في عام 1978.



العمارة الدفاعية في برقة في العصر الإسلامي من الفتح حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر

ونيس عمر بولطية*1

قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة عمر المختار

Doi: <https://doi.org/10.54172/s9a80s31>

المستخلص: يتناول هذا المقال دراسة حول التحصينات الدفاعية لإقليم برقة خلال العصور الإسلامية. تشمل الدراسة كافة الحصون والقلاع والمدن التي تمتد على طول الخط الساحلي للإقليم. تشير أيضا المقالة إلى الأدوار الاستراتيجية التي لعبتها هذه التحصينات الدفاعية خلال الفترة من الفتح الإسلامي وحتى انتقال الدولة الفاطمية إلى بلاد مصر. كما تقدم الدراسة أمثلة عن بعض هذه التحصينات ووصفا معماري لها.

الكلمات المفتاحية: الحصون، القلاع، برقة، الفاطميون

The Defensive Architecture in Cyrenaica during the Islamic Era, From the Islamic conquest until the transition of the Fatimid Caliphate to Egypt

Wanis Omar Boultaia

Department of Archeology, Faculty of Arts, Omar Al-Mukhtar University

Abstract: This study examines the defensive fortifications of the Barqa region throughout the Islamic eras. It encompasses a comprehensive review of all the forts, citadels, and cities that extend along the coastal line of the region. The study also highlights the strategic roles played by these defensive fortifications from the Islamic conquest until the transition of the Fatimid state to Egypt. Additionally, the study provides examples of some of these fortifications, along with architectural descriptions, shedding light on the engineering and military evolution of these structures across the ages.

Keywords: Fortresses, castles, Cyrenaica, Fatimids

أولاً: توطئة تاريخية عن قصور وقلاع وأسوار برقة:

1 - التحصينات القديمة الرومانية والبيزنطية:

حرصت الإدارتان الرومانية والبيزنطية، السابقة على الفترة الإسلامية في منطقة قوريناية (برقة) على تأمين وحماية مدن الإقليم حمايةً دائمة من خطر القبائل الليبية، وتمثل ذلك في وجود العديد من الحصون والقلاع وأبراج المراقبة التي كانت تشكل مقرأً دائماً للحاميات العسكرية، إما على المناطق الحدودية أو على مشارف أهم مدن الإقليم.

فالمنطقة الحدودية الغربية للإقليم المتمثلة في مدينة سرت، تم تحصينها تحصيناً دفاعياً قوياً مؤسساً على طراز التحصينات الصحراوية، بوضع حصن صغير في أقصى غرب الإقليم، لا تتجاوز مساحته 32×35 متراً مربعاً، ويقع على تل صغير عند بئر أم القريات قرب الموقع الأسطوري لمذبح الأخوين فيلاني⁽¹⁾. وهي المنطقة التي أخذت حداً فاصلاً بين المدن الفينيقية في طرابلس والمدن الإغريقية في برقة، وفي الغالب أن هذا الحصن يرجع إلى ما قبل عصر الروماني الإمبراطور جستنيان في القرن الأول الميلادي، عندما امتدت التحصينات الدفاعية حول مدينة البوريمس (بوقرادة). أما مدينة أجدابية فيوجد جنوبها برج للمراقبة يدل على براعة في التصميم والعمارة، إضافة إلى العديد من التحصينات الصغيرة الحجم المنتشرة بين مدينتي أجدابية وبنغازي، يُرجح أنها وجدت لحماية المزارع ولم تكن تحصينات دفاعية حكومية، كما يوجد حول مدينة قمينس العديد من القلاع الدفاعية المبنية بأحجار خشنة من المرجح أن تكون قبائل البربر الصديقة، قد قامت بتشييدها تحت إشراف الرومان والبيزنطيين⁽²⁾.

بالقرب من مدينة أجدابية أيضاً يوجد واحد من أهم التحصينات عند زاوية مسوس ويرجح أن هذا الحصن كان مركز مراقبة للمنطقة الصحراوية من برقة وهو برج صغير

(1) Goodchild, R.G.: Roman Milestone in Cyrenaica, Papers of the British School at Rome, (1950), P. 97-98.

(2) Goodchild, R.G.: Forts in south - west Cyrenaica, Antiquity, XXV (1951), P. 141-144.

مساحته 45 متراً مربع، تم بناؤه بالأحجار الجيرية الصلبة، وواجهه بوابته مستقيمة، وليس على شكل قوس، واستعملت قطع الأحجار الصغيرة لتقسيم المبنى من الداخل.

في هذا الخط الدفاعي أيضاً يوجد حصن يعرف اليوم بـ (قصر بوهدومة)، ويقع قرب منطقة المقرون وهو أقرب إلى الطراز الحكومي، وقد شيدت واجهته بعناية بأحجار كبيرة الحجم⁽¹⁾. وأكبر الحصون الدفاعية من الناحية الغربية (خليج سرت) يقع في زاوية الطاليمون، وهو يقع في منطقة اتصال الطرق الرومانية، ولا تزال ثلاثة جوانب من هذا الحصن واضحة للعيان، وكذلك أبراج زاويتين من زوايا المبنى، وتبلغ مساحته 44×38م مربع، ويعتقد أنه كان مُقسماً من الداخل إلى ممرين يتقابلان في الزاوية اليمنى من المبنى، وغالباً فإن المدخل الرئيسي للحصن كان من الشرق أو الجنوب، ولا يقل حصن الشليظيمة حجماً عن سابقه فهو معقل دفاعي كبير يبلغ طوله 38م⁽²⁾.

أما منطقة سهل برقة الخصيب، فقد خُصت مداخله الشرقية والجنوبية في العصر الروماني بعدد من الحصون والتحصينات الخاصة بالحقول الزراعية، وبعض هذه التحصينات تمتد من مدينة الأبيار إلى مدينة المرج، على أطراف السهل الساحلي الممتد بين المدينتين، أما التحصينات التي توجد جنوب المرج فهي تحمي الطريق القديمة وأهمها التحصينات الدفاعية في منطقة قصر جاب الله⁽³⁾.

تكمن أهمية تلك التحصينات في كبر حجمها، وسيطرتها على نقاط اتصال إستراتيجية لربط الأودية بعضها ببعض، مما يجعل الحصن المقام فوق هذا التل يتحكم في المنطقة المحيطة به، والحصن المعروف بحصن جاب الله على شكل مربع طول ضلعه 39م، وله أبراج مختلفة الأحجام موزعة على زوايا قائمة، ويرجح أن مدخل الحصن من الشرق، ويبدو أن الجدار الفاصل بين الأبراج قد أعيد بناؤه في فترة متأخرة.

(1) Goodchild, R.G.: Forts in south - west Cyrenaica, P. 67.

(2) Hamilton, James: Wanderings in north Africa, London, 1856, P.169.

(3) Hamilton: Op. cit., P.24.

تتمثل التحصينات الأكثر أهمية في المنطقة التي تعرف بوادي الكوف، حيث تميزت بالضخامة وتفوقها على الحصون الأخرى في المنطقة للقيام بوظيفتها التي بنيت من أجلها لحماية المداخل الجنوبية والغربية المؤدية إلى سهل قوريني وهي تمتد في منطقة وعرة تتخللها الوديان العميقة والجبال المرتفعة والشديدة الانحدار وتحيط بها الغابات الكثيفة، وتكمن أهمية هذا الجزء باعتباره يمثل جزءاً مفصلياً في تقسيم إقليم برقة إلى قسمين، فتمكن العدو من السيطرة عليه - وادي الكوف - يعني منع الاتصال بين شطري الإقليم الغربي والشرقي.

يتواجد العديد من القلاع الدفاعية تحف بمنطقة حوض وادي الكوف، أهمها القلعة الدفاعية المعروفة بقصر المقدم (قلعة بني أقديم)⁽¹⁾، وهي نموذج واضح للعمارة البيزنطية الدفاعية، تبعد عن حوض وادي الكوف بمسافة 3 كم. وهي تأخذ شكلاً مستطيلاً، طول الضلع الشمالي الشرقي 44م، والجنوبي الغربي 23م، يوجد مدخل القلعة في الناحية الشمالية الشرقية وهو على شكل عقد نصف دائري، وتتكون القلعة من طابقين، ولها برجان بارزان يبرز البرج الواقع في منتصف الجدار الشمالي الشرقي بمسافة 5.50م عن الأسوار، ويبلغ عرض الأسوار 1.40م، ويبلغ ارتفاعها 13م، تقريباً إذا ما تم تعميم الجزء المتكامل من المبنى المتمثل في الجزء الشمالي الشرقي. ولعل المواصفات التي اتصفت بها القلعة من ضخامة ومناعة في التحصين، قد عبرت عن مدى أهمية وإستراتيجية المكان الذي تواجدت فيه القلعة.

وعلى بعد 8 كم جنوب شرق القلعة السابقة توجد قلعة دفاعية أقل أهمية، عرفت بقصر الشاهدين، وتقع على أعلى قمة تل في المنطقة، مشرفة على وادي أقل عمقاً من وادي الكوف، والقصر معقد البناء ويبدو أنه مبني على مراحل، وفي الغالب يرجع إلى العصر الروماني المبكر والمراحل الأخيرة من المبنى ترجع إلى أعمال الإمبراطور

(1) Smith, M. and Porcher, E.A: History of the recent discoveries at Cyrene, London, 1864, P.22.

جستتيان⁽¹⁾. وعلى الطرف الجنوبي لمنطقة وادي الكوف وعلى مسافة قريبة من قرية أسلنطة هناك برج للمراقبة مساحته 15 × 13م، تتوزع على جدرانه فتحات على شكل حلقات صغيرة للمراقبة⁽²⁾.

تتوزع التحصينات شرق سهل قوريني بمنطقة المخيلي وعين مارة (إيراسا) وهناك تشابه بين الحصن الموجود بها وحصن الحنية في أجدابية حيث يوجد خزان مياه كبير مقطوع في الصخر، تحت أرضية الحصنين. وحصن إيراسا أو عين مارة، مربع الشكل طول ضلعه 34م وواجهاته مقطوعة في الصخر.

أما التحصينات المرتبطة بتأمين المدن الرئيسية في إقليم برقة، فيلاحظ أن المدن محاطة بأسوار من حولها، ظلت قائمة إلى القرن السابع الميلادي، وبوابات رئيسية وفرعية وتتضح تلك التحصينات في كل من قوريني (شحات)، وبطولمايس (طلميثة)، و توكرة . فالسور المحيط بمدينة طليمثة في العصر الروماني المبكر كان مجرداً من وسائل الدفاع، وتركت مهمة الدفاع عن المدينة للبوابة الغربية كحاجز دفاعي منفرد.

تتضح تحصينات مدينة توكرة في أسوارها التي تحيط بالمدينة من ثلاث جهات (الشرقية، والغربية، والجنوبية) ويتفاوت سمكها ما بين 140 - 215سم، بمتوسط عام 180سم، ويصل أقصى ارتفاع لها إلى 280سم، ومدعمة بأبراج مستطيلة الشكل عددها يقارب 30 برجاً تبرز عن السور بمقدار 7م، ومتوسط المسافة بين جميع الأبراج 44م، ومتوسط أبعاد تلك الأبراج 7 × 8.5م. والكثير من هذه الأبراج أضيفت ضمن إصلاحات جستتيان. ويتخلل السور ثلاث بوابات، البوابة الشرقية، والبوابة الغربية، والبوابة الجنوبية، وقد أقفلت البوابة الأخيرة ليتم تحويلها إلى برج في العصر البيزنطي، أما البوابة الشرقية فيبدو أنها كانت البوابة الرئيسية بالمدينة لارتباطها بالطريق الرابط بين توكرة و طليمثة والممتد لمسافة 40كم، ويحيط حالياً بالبوابة برجان خماسي الأضلاع، وتعرضت للتعديلات وخاصة

(1) Goodchild, R.G.: Forts in south - west Cyrenaica, P. 72.

(2) Fraser, P.M.: Hadrian and Cyrene, Journal of Rome Studies, (1950), P.90.

عندما اتخذ منها البيزنطيون مقراً للتجمع للدفاع عن مدينة توكرة ضد الفاتحين المسلمين. أما البوابة الغربية لا تختلف كثيراً عن البوابة الشرقية، إلا أنها لم تجر عليها تعديلات كالتى أجريت على البوابة الأخيرة، لتسمح بمرور العربات باتجاه مدينة بنغازي، أي أنها أُخذت منفذاً للهرب في حالة سقوط المدينة. ويُرجح تدمير الكثير من أجزاء السور بعد الاستيلاء على المدينة عام 642م، وكذلك بسبب استغلال المنطقة المحيطة بالأسوار في الزراعة⁽¹⁾.

2- تحصينات الفترة الإسلامية عن قدامى المؤرخين والجغرافيين المسلمين:

كان للنظم الثغرية في صدر الإسلام أهمية إستراتيجية عسكرية كبرى للدفاع الساحلي، وتطلبت مسيرة الفتح الإسلامي في بلاد الشام ومصر والمغرب تأمين الخط الساحلي الممتد على طول البحر المتوسط من خلال ترميم وتدعيم الحصون الرومانية أو البيزنطية من جهة واستحداث حصون جديدة من جهة أخرى لتكون بمثابة قواعد دفاعية ساحلية لمواجهة الغارات البيزنطية، التي كانت تهدد مسيرة الفتوحات الإسلامية واستقرارها آنذاك.

يرى الدكتور محمد عبدالهادي شعيرة أن ما انطبق على الساحل الشامي من تحصينات بإقامة العديد من الأربطة والمراقب منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب، بحيث يمكن الاتصال بين نقط الربط والمراقبة بالعين المجردة عن طريق النيران، لم يكن قاصراً على الساحل الشامي، وإنما شمل هذا النظام كافة السواحل الإسلامية⁽²⁾.

فرضت طبيعة السواحل البرقاوية الوعرة، والتي تليها مباشرة الجبال والشعاب والتي لا يقدر أحد على سلوكها، ولخشونة طرقاتها وتعذر منافذها، إقامة القصور (الحصون)⁽³⁾

(1) علي سالم لترك: مدينة توكرة (توخيرا القديمة)، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط2، 1978م، ص39، 41، 45، 47، 48.

(2) محمد عبدالهادي شعيرة: الرباطات الساحلية الليبية الإسلامية، ليبيا في التاريخ، المؤتمر التاريخي، كلية الآداب، الجامعة الليبية، 1968م، ص135-136.

(3) أحصى الإدريسي جميع حصون طرابلس وإفريقية، بينما اكتفى بوصف حصون برقة بأنها كثيرة وتفوق الحصر. وأشار إشارة مهمة بأن معظم هذه الحصون تسمى وتوصف على أنها قصور، يعتبر أن أغلب المنشآت الساحلية المحصنة قصوراً، أما المنشآت المحصنة الداخلية فإنه يسميها بالحصون.

- نزهة المشتاق، مج1، ص310-315.

العديدة والمتقاربة، التي تنتشر على ساحل البحر وعلى مراحل⁽¹⁾.

وإذا قدرنا أن المسافرين كان يقطع طريقه على مراحل، فلا بد أنه كان يمر بين كل مرحلة وأخرى بقصور قائمة على شاطئ البحر، تؤنس الطريق من جهة وتحرس المنافذ البحرية من جهة أخرى.

يصف "المراكشي" الطريق من القيروان إلى الإسكندرية بكثرة الحصون قائلاً: "وكان فيما بين الإسكندرية وطرابلس المغرب حصون متقاربة جداً، فإذا ظهر في البحر عدو نور كل حصن للحصن الذي يليه، واتصل التنوير، فينتهي خبر العدو من طرابلس إلى الإسكندرية، أو من الإسكندرية إلى طرابلس، في ثلاث ساعات أو أربع من الليل، فيأخذ الناس أهبتهم ويحذرون عدوهم..."⁽²⁾.

ويؤكد "ابن خلدون" إقامة العديد من المحارس والحصون على ساحل البحر من المغرب وعلى امتداد خمسة عشر يوماً إلى برقة، والتي كانت معروفة زمن مرور الأمير الأغلبي محمد الملقب بأبي الغرائيق⁽³⁾.

وقد ورد ذكر العديد من القصور والعمائر الحربية من قلاع وحصون وأسوار، وقد اتخذت القصور هي الأخرى شكلاً دفاعياً حربياً، مثلما عليه القلاع، فيذكر "البكري" أن بمدينة إجدابية ثلاثة قصور واضحة، وبينها ثمانية عشر ميلاً⁽⁴⁾، ويختصرها الحميري في قصرين فقط في الصحراء⁽⁵⁾. وسيتم التناول الميداني لأحد هذه القصور بمدينة إجدابية، وهو القصر (القلعة) الفاطمي، والذي تم بناؤه سنة 355هـ/965م بأمر من الخليفة الفاطمي المعز لدين الله. في جملة ما قام به من أعمال من حفر للآبار وبناء القصور في طريقه نحو

(1) نفس المصدر، ص310.

(2) المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح. محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر، القاهرة، 1994م، ص282.

(3) ابن خلدون: العبر، ج4، ص257.

(4) المسالك والممالك، ج2، ص651.

(5) الروض المعطار، ص11.

مصر⁽¹⁾. ولكن الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله قد سبق المعز بتشبيده لذلك المسجد الذي وصف بنظافته وحسن بنائه بأجدابية⁽²⁾. والذي يذكره اليعقوبي في رحلته بما يُرجح أن المسجد كان موجوداً في عهد سابق للفاطميين⁽³⁾. وهنا نجد أنفسنا أمام احتمال قيام الخليفة القائم بأمر الله بترميم أو إعادة بناء مسجدي إجدابية وسرت. وقد جاء هذا التنويه للمسجد باعتباره هو العنصر المهم في أية مدينة إسلامية، وهو البناء الرئيسي الذي تقوم حوله مباني المدينة لتحديد تاريخ المدينة.

هذا وقد أدت مدينتي أجدابية وسرت الدور الذي سعى الفاطميون من أجله عندما عملوا على تطويرهما، وفي إمكاننا تصور جيش جوهر وهو يخيم في أطراف سرت أو أجدابية للتزود بالمؤن والماء، وطلباً للراحة ليستأنف سيره بعد ذلك نحو مصر.

وتعتبر قصور حسان والتي تقع بالقرب من مدينة سرت وعلى مرحله من مغمدا⁽⁴⁾، من أشهر هذه القصور على الإطلاق، وعرفت بهذا الاسم بعد أن سیر عبدالملك بن مروان حسان بن النعمان الغساني إلى إفريقية لمحاربة البربر فواقعهم فهزموه، فرجع عنهم وأقام بإفريقية خمس سنين وبني في مقامه هناك قصوراً نسبت إليه⁽⁵⁾.

وهناك قصر الأصنام، وهو قصر كبير وعامر يبعد عن سرت ثلاثة عشر ميلاً، وقصر العبادي الذي يقع بدوره على شاطئ البحر، وقصر العطش⁽⁶⁾.

وقف "اليعقوبي" عند تلك القصور وغيرها كقصر الفاروج، وقصر العطش، وقصري اليهودية والعبادي، وجميعها بالقرب من سرت⁽⁷⁾. وقصر العسل، وقصر قافز الذي يقع وسط

(1) المقرئزي: اتعاط الحنفا، ج1، ص96.

(2) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص651.

(3) البلدان، ص181.

(4) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص653.

(5) الحموي: معجم البلدان، مج4، ص366؛ البكري: المسالك والممالك، ج2، ص654.

(6) الحموي: معجم البلدان، ص314.

(7) البلدان، ص182.

مدينة برنيق (بنغازي الحالية)، وبالقرب منه قصر توكرة العامر والذي يسكنه قوم من البربر، وكذلك قصر قمانس (قمينس) القريب من بنغازي وسلوق⁽¹⁾.

كما يذكر "ياقوت الحموي" بأنه كان لبرقة ساحل يقال له أجية وله عدة محارس وعلى مسافة ستة أميال من مدينة برقة، وحتى ساحل طلموية (طلميثة)⁽²⁾. وبرقة المدينة كانت محصنة تحصيناً جيداً بسور وأبواب حديد وخندق، يقال أن المتوكل على الله العباسي (232-247هـ/847-861م) هو من أمر ببناء هذا السور⁽³⁾، ولكن اندثار هذا السور بشكل مبكر، يبدو أنه هو الذي حال دون ذكره عند العديد من الرحالة والجغرافيين المسلمين.

ومن أشهر حصون برقة حصن طلميثة، والذي كان محصناً تحصيناً جيداً بسور من الحجارة، والذي سُخر في وقت متأخر لاستقبال السفن وتصدير البضائع لمناعة أسواره⁽⁴⁾. وحصن وادي مخيل والذي اشتمل على جامع وسوق عامر وبرك للماء وجباب⁽⁵⁾. وهناك حصن وصف بالمنيع بمدينة زاله⁽⁶⁾، وحصن بمدينة ودان وصف بالقلعة الحصينة⁽⁷⁾. وعلى الطريق من مدينة أوجله إلى الواحات توجد العديد من الحصون منها بهنسى المسورة وبها مساجد وأسواق⁽⁸⁾. وهذا يؤكد انتشار بناء الحصون والقلاع والأسوار الدفاعية في مناطق الواحات الصحراوية ولم يقتصر بناؤها على المناطق الساحلية.

ويصف "ابن سعيد" أسوار مدينة طبرق بأنها قديمة⁽⁹⁾، وكان لمدينة الرمادة الواقعة

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج1، ص315.

(2) معجم البلدان، مج1، ص389؛ اليعقوبي: البلدان، ص181.

(3) اليعقوبي: البلدان، ص181.

(4) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج1، ص315-316؛ المراكشي: المعجب، ص283.

(5) البكري: المسالك والممالك، ج2، ص649.

(6) أبي الفداء: تقويم البلدان، ص128.

(7) الحموي: معجم البلدان، مج5، ص366.

(8) البكري: المغرب، ص14.

(9) الجغرافيا، ص147، بسط الأرض، ص81.

على الساحل سور يحيط بها⁽¹⁾. وكذلك سرت لها سور منيع صالح من طين، وطابية⁽²⁾⁽³⁾.
وسور أجدابية كان من الحجر المستو ولم يبق منه إلا الأطلال⁽⁴⁾.

(1) البكري: المغرب، ص4.

(2) طابية: وهي نصب الأسوار على شكل ألواح سطرأ فوق سطر ينتظم الحائط كله ملتحمأ كأنه قطعة واحدة
ويُسمى الطابية وصانعه (الطواب)؛ ابن خلدون: المقدمة، ج2، ص104.

(3) ابن حوقل: صورة الأرض، ص70.

(4) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج1، ص311.

ثانياً: أهم العماائر الدفاعية في برقة:

أ- قصور حسان:

تقع قصور حسان إلى الغرب من مدينة سرت الحالية بحوالي 62 كم، وتبعد عن البحر بمسافة لا تقل عن 180 م تقريباً، وسميت بقصور حسان نسبة إلى القائد حسان بن النعمان الغساني، الذي عندما تعرض للهزيمة من قبل الكاهنة، لجأ إلى أنطابلس، فنزل قصوراً من حيز برقة فسميت قصور حسان⁽¹⁾، ويؤكد "البلاذري" ذلك بأن حسان بن النعمان عندما هُزم أمام ملكة البربر، الكاهنة، أتى قصوراً في حيز برقة فنزلها، وهي قصور يضمها قصر سقوفه أزاج فسميت قصور حسان⁽²⁾.

يورد "ابن عذاري" كتاب حسان إلى أمير المؤمنين، ورد الخليفة عليه بعد هزيمته أمام الكاهنة بما نصه: "... وأن أمم المغرب ليس لها غاية، ولا يقف أحد منها على نهاية، كلما بادت أمة خلفتها أمم.. فعاد له جواب أمير المؤمنين يأمره أن يُقيم حيثما وافاه الجواب، فورد عليه في عمل برقة. فأقام بها وبني هنالك قصوراً تسمى إلى الآن بقصور حسان"⁽³⁾.

وفي ذلك إشارتان هامتان، موقع القصور في حيز برقة، وقيام حسان ببناء القصور المنسوبة إليه، وهذا ما يخالف رأي ابن عبدالحكم والبلاذري وابن الأثير⁽⁴⁾، بأن تلك القصور، كانت موجودة أصلاً وحسان لجأ إليها ليتخذها مقراً لجيش المسلمين.

بالإمكان التوفيق بين الروايات، بأن حسان أقام في بعض الحصون القديمة والتي جئنا على ذكرها، وقام ببناء بعض الحصون في ذلك المكان من إقليم برقة، أو أنه قام بإعادة استعمال القائم منها بعد ما أدخل عليها بعض التجديدات، مستغلاً في ذلك موقعها الدفاعي المتميز. وجودة تحصيناتها. ويرجح أن حسان أقام بها في الفترة ما بين (73-

(1) ابن عبدالحكم: فتوح مصر، ص 200.

(2) فتوح البلدان، ص 214.

(3) البيان، ج 1، ص 36.

(4) فتوح مصر، ص 200، فتوح البلدان، ص 214، الكامل، مج 4، ص 136.

78هـ/692-697م)، لمدة خمس سنوات حددها كل من ابن الأثير وياقوت الحموي، وابن أبي دينار⁽¹⁾.

أشار "البكري" المتوفى بقرطبة سنة 1094م، إلى قصور حسان بأنهما قصران بناهما حسان بالقرب من سرت وهما اليوم خربان⁽²⁾، بينما لا يحدد "الإدريسي" المتوفى سنة 1168م عددها ويصفها بأنها مجموعة من القصور تقع في حيز برقة ونسبت لحسان بحكم نزوله فيها أما حالتها عند مروره بها، كانت سيئة وفي وضع الخراب، ولم يبق منها إلا أثر غابر⁽³⁾.

الوصف المعماري للمبنى: (الشكل 1)، (اللوحات 5،6):

قامت مصلحة الآثار الليبية بإجراء حفائر على أحد هذه القصور سنة 1993م، حيث كان موقع المبنى في بداية الأمر على شكل تلة مرتفعة تغطيها أكوام من قطع الحجارة الصغيرة والرمال، وتظهر بعض الجدران بها واختفاء بقية أجزاء المبنى نتيجة لزحف الرمال. مما تطلب الحفر لأعماق تتراوح ما بين 50-350سم. فأدى إلى ظهور المبنى، الذي اتخذ شكلاً مستطيلاً، بلغ طوله من الشمال إلى الجنوب 21 متراً وعرضه من الشرق إلى الغرب 14 متراً، وبلغت مساحته 294 متراً مربعاً، يتوسطه فناء مكشوف مساحته 52.50 متراً مربعاً. وللمبنى مدخل رئيسي واحد يقع بمنتصف الجدار الشرقي على شكل عقد نصف دائري، ويوجد تحصين أمام هذا المدخل على شكل نصف دائري له مدخل من الناحية الجنوبية عرضه 130سم.

يضم المبنى عشر حجرات مربعة الشكل ومختلفة الأحجام، ويحيط به سور، ويتراوح سمكه ما بين 85-100سم، وبالركن الشمالي الشرقي حجرة مربعة بزوايا دائرية، ربما كانت برجاً

(1) الكامل، مج4، ص136، معجم البلدان، مج4، ص366؛ المؤنس، ص47.

(2) المسالك والممالك، مج2، ص654.

(3) نزهة المشتاق، مج1، ص314.

للمراقبة. أما مادة البناء فقد اعتمد البناء على الحجارة الصلبة والتي يكثر تواجدها بالمنطقة، مع استعمال المونة لربطها وكذلك استخدام الخشب للتسقيف.

خلص تقرير الحفائر بأن المبنى قد تم تشييده على بقايا مبنى يرجع إلى حوالي القرن الخامس الميلادي، والذي تبدو سماته واضحة في وجود التحصينات أمام المدخل وتعدد المداخل واستعمال الدعامات الخارجية الضخمة، وتشير تلك الميزات الدفاعية والتحصينية إلى قربها من الحصون الرومانية⁽¹⁾. مما يدعونا للقول أن حسان بن النعمان قد وجد تلك التحصينات الرومانية في تلك المنطقة قائمة أصلاً، فاستغل الموجود والصالح منها وابتنى بعضها الآخر أثناء إقامته فيها لمدة خمس سنوات.

ب- قصر (قلعة) أجدابية الفاطمي:

يقع القصر الفاطمي بمركز مدينة إجدابية الحالية، وهو ضمن أهم الآثار التي تأتي لتخبرنا بوضوح، وبما لا يحتمل الشك عن التاريخ الفاطمي للمدينة، فبالرغم من أهمية مدينة إجدابية فيما سبق، إلا أنها قد بلغت ما بلغته من الشهرة أيام الفاطميين، منذ أن عزم الخليفة الفاطمي المعز لدين الله اتخاذها كمعسكر يعكس به الجيش الفاطمي الزاحف إلى مصر، فأختصت مدينة إجدابية بحفر الآبار، والصهاريج وإقامة قصر من قصور الخلافة بها، "وفي سنة خمس وخمسين وثلاثمائة أمر [المعز] بحفر الآبار في طريق مصر، وأن يبنى له في كل منزل قصر، ففعل ذلك"⁽²⁾.

اختص الخليفة المعز قصره الذي بُني له بإجدابية بالنزول فيه بعدما رحل عن قابس وتمر بطرابلس ليدخل إقليم برقة ليصل إلى سرت ومنها إلى أجدابية⁽³⁾، ووصف "العبدري" قصر إجدابية بأنه مائل وفي خلاء من الأرض⁽⁴⁾.

(1) محمد فرج وآخرين: تقرير أولي عن حفائر اثماد حسان، مجلة عريبيا القديمة، طرابلس، مصلحة الآثار، العدد الأول، 1995م، ص25.

(2) المقرئزي: اتعاظ الحنفاء، ج1، ص96. ابن أبي دينار، المؤنس، ص81، ابن خلدون، العبر، ج4، ص61.

(3) ابن أبي دينار: المؤنس، ص82.

(4) رحلة العبدري، ص236.

امتنتعت المصادر عن ذكر منازل قصور الفاطميين ومراحل بناءها، وكذلك لم تذكر من هي الشخصية التي كلفها المعز بحمل مهمة بناء تلك القصور وحفر الآبار. ولكن بروز اسم تميم بن المعز الشاعر، منقوشاً بجلاء فوق الأحجار التأسيسية التي عثر عليها بمبنى القصر (القلعة)، والتي تم حفظها بمتحفي المرج وشحات، تشير إلى أن تميم ابن المعز هو من تكفل بتلك الأشغال من بناء للقصور والقلاع وحفر للآبار والتي بلغت تكاليفها الكثير⁽¹⁾. وتدل تلك البقايا الأثرية المنقولة إلى متحف شحات من قصر أجدابية، على مدى هيبة وحُسن العمارة الفاطمية ببرقة، والتي تمت زخرفتها بنقوش الأسود المنحوتة على أحجار القصر⁽²⁾.

والجدير بالذكر أن أول من كان له فضل السبق في التنويه إلى هوية هذا القصر الإسلامية الفاطمية هو أحد الباحثين العرب من دراسته التي نشرها في إحدى المجالات العلمية المتخصصة⁽³⁾.

يبدو أن المعز قد أُستقبل بقصره في أجدابية استقبالاً حافلاً، وصل إلى حد الإسراف والتبذير، فظهر ذلك في خشية المعز فيما قيل من الكلام عن هذا الاستقبال، وبدا ذلك واضحاً أيضاً، في رد الأمير عبدالله بن ي خلف على المعز، بأن الغرض من هذا الاستقبال المهيّب بقصره في أجدابية وهو بأفضل زي وهيئة، وعرفاناً بالجميل من أهل المدينة على ما فعله المعز في المدينة، وأنه لا يؤخذ عليك شيء، بل نحن فعلناه من ذات أنفسنا رغبة في افتقارك ومشاهدة حالك⁽⁴⁾.

(1) عثمان الكعاك: مسالك القاهرة، ألفية القاهرة، 1969م، ص34؛ صالح مصطفى مفتاح: ليبيا منذ الفتح العربي، ص156.

(2) عثمان الكعاك: مسالك القاهرة، ص33.

(3) Abdulhamid Abdulssaid: The old of Islamic city of Ajdabiyah, Dep Antiquities, Thripoli, 1976, P.19.

(4) الجوزري: سيرة جودر، ص145، 146.

- إحسان عباس ومحمد يوسف نجم: ليبيا في كتب التاريخ والسير، دار ليبيا للنشر، بنغازي، دار صادر، 1968م، ص252، 253.

وكان المعز مصحوباً بالجند والمرافقين من أشهرهم الأستاذ جؤذر، وهو أحد ممالك المعز، والذي مرض مرضاً شديداً فطلب أن يجتمع بالمعز قبل موته فاجتمع به بقصره في أجداية، وبعد أن مات حُمل إلى القصر الذي به المعز ودفن بمسجد القصر⁽¹⁾.

الوصف المعماري للقصر: (الشكل 2)، (اللوحة 7)

يأخذ القصر شكلاً مستطيلاً أبعاده 28.50×20.50 م، ولا تتفق هذه المقاييس مع الرفع المساحي لبعض الأثريين عن القصر⁽²⁾. وتتوزع على أجزاء المبنى ستة أبراج رئيسية، منها أربعة أبراج مستديرة الشكل في كل زاوية من زوايا القصر وعلى الجهات الرئيسية الأربعة، وقطر هذه الأبراج في أغلبها 3.50 م. يفتح كل برج من هذه الأبراج المستديرة في غرفة تتوزع على زوايا القصر الأربعة، أما البرجين الآخرين يتخذان شكلاً مربعاً اتساعهما 2×2 م أحدهما في منتصف الجدار الشمالي، والآخر في منتصف الجدار الجنوبي للمبنى.

ويقع مدخل القصر في الجانب الشرقي، ويبلغ اتساعه 2.85 م، ويبلغ سمك الأسوار الخارجية حوالي 1.15 م، أما سمكها من الداخل حوالي 70 سم، والمدخل عبارة عن ممر بطول 4.26 م، يتم الانتقال منه إلى فسحة أمام المدخل اتساعها 8.30×3.70 م وعلى جانبيها غرفتان صغيرتان.

يتم الانتقال من هذه الفسحة إلى إيوان كبير يقع في مركز القصر تقريباً وهو مربع الشكل، وأبعاده 14×14 م، وتتوزع على جوانب هذا الإيوان⁽³⁾، أعمدة مستديرة ضخمة، يبدو

(1) الجؤذري: سيرة جؤذر، ص 147؛ إحسان عباس ومحمد يوسف نجم: ليبيا في كتب التاريخ والسير، ص 254-255.

(2) H. Blake, A. Hutt and D. Whitehouse: "Ajdaibiyah and the earliest Fatimid architecture", Libya Antiqua, V. VIII, Rome, 1971, P. 110.

- Abdulhamid Abdulssaid: "Early Islamic monuments at Ajdaibiyah", Libya Antiqua, Volume 1, Rome, 1964, P.117.

(3) أطلق اسم الإيوان على بعض وحدات القصور الفاطمية. سواء في إفريقية أو القاهرة، ويدل ذلك على أن بعض مجموعات المباني الفاطمية كانت متأثرة ببعض النماذج الفارسية، والإيوان عبارة عن مساحة مستطيلة أو مربعة ذات ثلاثة جدران، واحد في الصور، واثنان جانبيين، أما الجدار الرابع فمفتوح ويشرف على المساحة الوسطى بعقد أي كان نوعه، وأحياناً بهيئة مسطحة.

أنها هي التي كانت ترفع سقف الإيوان، وعلى امتداد الإيوان، على الجناحين تتوزع عدد من القاعات ثلاثة منها على الجانب الأيمن وثلاثة على الجانب الأيسر، يتم التوصل إليها من داخل الإيوان بمدخلين في كل جانب، وتفتح هذه القاعات في بعضها، أكبر هذه القاعات وعلى الجانبين يصل اتساعهما 8×3.50 م وتؤديان هاتان القاعتان على الجانبين إلى الأبراج المربعة الواقعة في منطقة منتصف أسوار القصر.

يمثل الجزء الثالث من القصر والذي يقع في نهاية الركن الغربي منه، في مؤخرة المبنى، كتلة أو قاعة العرش، والتي تبدأ بعد تخطي الإيوان عن طريق مدخلين يؤديان إلى ممر عرضي، اتساعه 3.25م على جانبي هذا المدخل عمودان دائريان، وهذه القاعة مستطيلة 7.50×4 م، ومغطاة بقبو نصف دائري الشكل، وتنتهي القاعة بدخله على شكل حنية دائرية يتقدمها عمودان دائريان أيضاً، أصغر حجماً، واتساعها 3×2.20 م، وتغطي هذه الحنية قبة واضحة.

تجدر الإشارة إلى وجود قاعتين على جانبي كتلة العرش إحداها على اليمين والأخرى على الشمال، يتم الدخول إليهما بمدخلين من الممر السابق ذكره والذي يتقدم قاعة العرش.

يرى الدكتور "فريد شافعي" أن التحصينات الفاطمية أقيمت على غرار المنشآت البيزنطية من حيث الطراز والعناية، حيث كُسيت جدران الأسوار بالحجارة المنحوتة وزودت بالأبراج الضخمة المستديرة والمربعة، وزودت بالمدخل الضخمة والتي بقي منها بالقاهرة ثلاثة مداخل أو بوابات هي: باب الفتوح، وباب النصر، وباب زويلة المعروف بـ (بوابة المتولي)⁽¹⁾، وكل ما ذكر يتطابق مع قصر أجدابية الفاطمي، والذي تم وصفه معمارياً.

-
- القاضي النعمان: المجالس والمسائرات، تح. الحبيب الفقي وآخرون، دار المنتظر، بيروت- لبنان، ط1، 1996م، ص552.
 - محمد حمزة إسماعيل الحداد: المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط3، 2008، ص89.
 - (1) فريد محمود شافعي: العمارة العربية الإسلامية، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض، ط1، 1982م، ص75.

أظهرت التنقيبات الأثرية الحديثة، أن مباني وقصور الفاطميين بالقاهرة كانت عمارتها على طراز المباني ذات الفناء المركزي، المتعدد الوحدات⁽¹⁾، وهذا يتفق مع الطراز الذي بني عليه قصر أجدابية الفاطمي.

يُستدل أيضاً من الحفريات الأثرية عن أسوار مدينة المهدية - العاصمة الأولى للفاطميين في إفريقية - على مدى حصانة أسوارها البرية، التي وصلت إلى ارتفاع 12م، كما بلغ سمكها 10م، وعلى طرفي السور البحري برجان مستديران، وعلى قاعدة متعددة الأضلاع، أما الأسوار البحرية المحيطة بالمدينة فكانت أقل تحصيناً، إذ بلغ سمكها ما بين 1.50 - 2.75م⁽²⁾. مما يعني أن المظاهر العسكرية في بناء العاصمة الفاطمية الأولى لم تكن موجهة للعدو البحري الخارجي بقدر ما كانت موجهة للفتن الداخلية المتوقعة من قبل البربر.

جـ- قصر (قلعة) المعزية أو العزيات:

يقع هذا القصر جنوب مدينة درنة التاريخية بمنطقة العزيات جنوب شرق الجبل الأخضر، وينسب القصر إلى الفاطميين عند انتقالهم إلى مصر، وهو ثاني القصور الإسلامية التي ترجع للعهد الفاطمي في الإقليم⁽³⁾. وتم ذكره عند "ابن أبي دينار" كمحطة من محطات المعز التي نزل بها، بما نصه: "... ورحل عنها ونزل بقصره الذي بني له بأجدابية. ورحل من أجدابية فنزل بقصره المعروف بالمعزية في برقة، وظل في سيره منها إلى أن وصل الإسكندرية..."⁽⁴⁾.

والنص السابق يشير إلى شيئين مهمين، أولهما شهرة أسم القصر بقصر المعزية، وثانيهما عدم ذكر محطة أساسية لتوقف المعز بعد محطة أجدابية وقصر المعزية في برقة حتى الإسكندرية.

(1) نفس المرجع، ص 68.

(2) محمد المرزوقي: مدينة المهدية، تونس 1980م، ص 25-27؛ سعد زغلول عبدالحميد: العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف بالإسكندرية، د.ت، ص 368-369.

(3) المقرئ: اتعاض الحنفاء، ج 1، ص 96.

(4) المؤنس: ص 82، الزاوي، تاريخ الفتح العربي، ص 257.

نستطيع هنا أن نخمن مدى العلاقة بين اسم القصر المعروف به الآن، وكذلك المنطقة الموجود فيها، وبين أسم الخليفة المعز لدين الله، والذي يبدو أنه قد حرف بمرور الزمن من المعزية إلى العزيات.

يؤكد المؤرخون المعاصرون على هوية القصر الإسلامية الفاطمية وبأنه واحد من تلك القصور التي أقيمت لاستراحة المعز لدين الله الفاطمي في برقة، ونزل به وهو ذاهب إلى مصر سنة 362هـ/ 972م، وهو يقع شرقي أجدابية بمرحلة⁽¹⁾.

الوصف المعماري للقصر (القلعة): (الشكل3)، (اللوحة 8):

يحيط بمبنى القصر أو القلعة أسوار تسبق الوصول إليها، ويتوسط هذه الأسوار التي تبدو في حالة سيئة، المدخل الذي يتوسط السور الشرقي، حيث تبدو البوابة على شكل قوس كبير الحجم، وعند تخطي الأسوار باتجاه القلعة وهي الجزء الكامل والواضح بين تلك الأسوار، تعترضنا بقايا لأسوار صغيرة مغطاة بعقود نصف دائرية على شكل بائكة⁽²⁾، تمثل بهواً أو استراحة أمام مبنى القلعة. والباقي من هذه الجدران الآن، الجدار الجنوبي المتجه إلى باب القلعة الداخلي وهو مغطى بعقدين نصف دائريين، ويلتصق به جدار آخر من الناحية الغربية ومغطى بعقد نصف دائري، ويبدو هذان الجداران على شكل هندسي منحرف عند نهايتهما من أسفل، ولا نستطيع نسبة هذه البقايا من الأسوار إلى القلعة أو أنها تمثل بناءً مستقلاً.

تقع القلعة في المركز تماماً من تلك الأسوار السالفة الذكر، ويبدو مبنى القلعة من الخارج على شكل مربع بأبعاد 15.50×15 متراً، والأسوار تأخذ شكلاً منحرفاً وبارتفاع 7 أمتار، بحيث تأخذ الأسوار عرضاً واتساعاً من ناحية القاعدة، وتزداد هذه الأسوار ضيقاً كلما اتجهت إلى أعلى، معطية القلعة شكلاً خارجياً واضحاً للعيان شبه هرمي.

يتم الدخول إلى القلعة من مدخلين رئيسيين: المدخل الأول، من الجهة الجنوبية يبلغ اتساعه 90سم وبارتفاع مترين، وهو متصل بممر مساحته 2.20×4 متراً ويغطي هذا الممر بقبو جملوني الشكل تعلوه فتحة مثلثة الشكل في اتجاه المدخل من الجانب الجنوبي، وفتحة

(1) الطاهر الزاوي: معجم البلدان الليبية، ص321؛ تاريخ الفتح العربي، ص257.

(2) البائكة: عبارة عن صف من الأعمدة أو الدعامات تعلوها عقود يرتكز عليها السقف، وأحياناً يرتكز السقف على الأعمدة والدعامات دون وساطة العقود.

- محمد حمزة إسماعيل الحداد: المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية، ص89.

أخرى في الجانب الشرقي تحت السقف الجملوني، والمقصود منهما الإضاءة والتهوية. على يسار الداخل باتجاه الغرب ينتقل من ممر المدخل إلى باب نصف دائري يؤدي إلى غرفة صغيرة مغطاة بقبة قمعية الشكل بوسط القبة فتحة دائرية للإضاءة، في الزاوية الجنوبية الغربية من الغرفة توجد بئر من المياه دائرية الشكل، وتنتهي هذه الغرفة من الجانب الشمالي الشرقي بممر منكسر (مُزَوَّر) يفتح على فسحة عبر باب ضيق جداً لا يكاد يدخل الشخص الواقف ومغطى بقوس نصف دائري، ويبلغ اتساع هذه الغرفة 3×3م.

وبتخطي ممر المدخل السالف الذكر عبر مدخل واسع ومغطى بعقد نصف دائري يتم المرور إلى استراحة أو فسحة بوسط المبنى اتساعها 3.40×4مترًا مغطاة بقبة دائرية الشكل بوسطها فتحة للإضاءة.

يظهر للعيان المدخل الثاني للمبنى من الجانب الشرقي، والذي يفتح بالاستراحة الموجودة وسط المبنى، ويعلو المدخل عتبة مسطحة واتساعه 1.15م وارتفاع 2م. وتؤدي هذه الاستراحة الموجودة بالمركز تماماً إلى غرفة مربعة الشكل في الجانب الغربي، مدخل نصف دائري ومسقوفة بقبة نصف دائرية وفي وسطها فتحة للإضاءة والتهوية.

يثير الاهتمام وجود فتحة على هيئة نافذة بمنتصف هذه الاستراحة بمنتصف الجدار الغربي، يتم الانتقال عن طريقها إلى درج ينتهي بنا إلى سقف القلعة وبشكل سري للغاية ويأخذ الدرج قلبتين القلبية الأولى من الشرق والأخرى باتجاه الجنوب للوصول إلى السطح.

يوجد بعض الملحقات الواضحة للعيان على الجانب الشرقي من القلعة، تبدو على شكل ممرات، على الأغلب أنها أعدت كغرف للمخازن أو سجون أو خدمات للقلعة. وبعض هذه الممرات يبدو أنها استغلت كحمامات ملحقة خارج مبنى القلعة وذلك لاستعمال مادة الآجر الأحمر في بناء بعضها، مع عدم توفر الآجر في هذه المنطقة الصحراوية.

د- حصن توكرة الإسلامي: (اللوحة 9):

يقع هذا الحصن جنوب غرب مدينة توكرة⁽¹⁾ الأثرية القديمة، وبجانب الحمامات

(1) تقع مدينة توكرة في الطرف الشمالي من سهل بنغازي في المنطقة المعروفة بإسم الساحل، وهي تقع بموقع جغرافي استراتيجي مهم، حيث تقع على الطريق الرئيسي بين الجبل الأخضر، وخاصة مدينة المرج (برقة المدينة) وبين سهل بنغازي. وعرفت باسم مدينة توخيرا (Teuchira) بواسطة مؤسسي المدينة الإغريق، ثم أصبحت فيما بعد بإسم أرسينوي (Arsinoe).

الرومانية وبوابة المدينة القديمة.

ذكر "الإدريسي" حصن توكرة على أنه قصر كبير وعامر بأهله وفيه قوم من البربر، وحوله أرض عامر وسواني والشعراء المحيطة به⁽¹⁾.

يمثل الحصن في رأي "Goodchild جودشايلد" - الذي قام بالإشراف على الحفريات التي قامت بها مصلحة الآثار الليبية بالمدينة من عام 1962-1965م - آخر موقع للحامية البيزنطية في توكرة قبل سقوط البيزنطيين أمام العرب، ولا ينفي أيضاً نسبته إلى بدايات الفتح العربي لإقليم برقة⁽²⁾.

يبدو أن هذا الحصن قد أعيد استخدامه بعد العصر البيزنطي، وتم استغلاله ببداية الفتح العربي، وهو في حالة سيئة حالياً ولا يبرز منه إلا بعض الأساسات متمثلة في السورين الشمالي والشرقي، يتضح من خلالهما البرجان موزعين على الركنين الشمالي الشرقي، والشمالي الغربي، وهما يتخذان شكلاً مستديراً وفق الطراز الإسلامي بالعمارة. والجدران مشيدة من أحجار منزوعة من مباني أقدم عهداً وهي تركز فقط على طين متماسك فوق سطح الأرض، مما أدى إلى تصدعها وتشققها. وذلك يرجح إقامة المبنى على عجل على عكس القلاع والحصون البيزنطية. وهذا يؤكد بناء الحصن مع بداية الفتح العربي عام 642هـ/642م.

يشغل الحصن من الداخل مبانٍ أقيمت بغير عناية من بينها فناءان أحدهما في الركن الشمالي الشرقي، وله أعمدة حجرية ذات تيجان دُورية وأيونية⁽³⁾، معاد استخدامها، أما

- ر. أ. بونتوفت: برقة، تر. إبراهيم أحمد المهدي، مكتبة (5) التمور، بنغازي- ليبيا، ط1، 2010م، ص27، 28.

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق، مج1، ص315.

(2) Goodchild: R. G., Excavation in Progress, 1964, P. 5.

(3) التاج الدُوري والإيوني: من أشهر طراز التيجان التي اصطنعها اليونان هي طراز التاج الدُوري (Doric)، وهو أقدمها وكان بسيطاً ويتألف من عصابة محدّبة مستديرة تعلوها طبلية مربعة. وطراز التاج الأيوني (Ionic)، وكان مستطيلاً ذا حُلّية درجية أو حلزونية عند كل زاوية من زواياه.

- غاسيري ميسانا: المعمار الإسلامي في ليبيا، تر. الدكتور مصطفى العجيلي، طرابلس - ليبيا، 1973م، ص175.

الفناء الآخر غير واضح ولم يكتمل الكشف عنه من قبل البعثات الأثرية، ويقع في الشمال الغربي. ويوجد عدد من الحجرات الصغيرة المربعة في الغالب أنها كانت تمثل ثكنات للجند. وبالقرب من وسط المبنى يوجد حمام صغير يعتقد أن استعماله كان مقتصرًا على الشخصيات المهمة داخل الحصن، ويمثل تصميم الحمام صورة مصغرة ومبسطة لما كانت عليه حمامات الفترة البيزنطية، من حيث وجود الموقد وعلى جانبيه مغطسان صغيران، ثم الحمام الساخن والحمام البارد، وتستند أرضية كل منهما على أعمدة مربعة حجرية بدلاً من الأعمدة المربعة العادية من الآجر، وزود الحصن بثلاثة آبار لحفظ المياه.

يشير وجود هذا الحصن بالمدينة إلى أن العرب الفاتحين قد أقاموا فترة ولو كانت قصيرة بتوكة قبل أن ينتقلوا إلى عاصمتهم بمدينة برقة.

ثالثاً: أثر العمارة الدفاعية على الأبنية المتأخرة: (الشكل 4-5) (اللوحات 10-12):

بدأ تأثير العمارة الحربية الدفاعية للمباني الإسلامية ممتداً إلى فترة متأخرة جداً من الحكم الإسلامي للمنطقة حيث استمر إلى الفترة العثمانية، ونجد ذلك في قلعتي القيقب وتوكره. من حيث التخطيط، ومادة البناء، وكتلة المدخل، وشكل وحجم الأسوار والأبراج.

مثلت قلعة القيقب - التي بدأ تشييدها قبل عام 1269هـ/ 1852م، والتي ذكرها الرحالة الإنجليزي "Hamilton هاملتون" عند مروره بها مشاهداً جزءاً من عملية البناء⁽¹⁾ - جانباً مهماً في عملية الاحتفاظ بالطابع الإسلامي التقليدي، والذي شيدت عليه القلعة خلال تلك الفترة، وكانت بذلك امتداداً للطراز الإسلامي في العصور الوسطى. ووقفنا من خلالها على خصائص العمارة الحربية في المغرب بشكل عام، وفي برقة بشكل خاص، ويصفها الرحالة الإيطالي "Haiman هايمان"، بالبناء الشامخ الذي تظهر عليه مظاهر العمارة الإسلامية في العصور الوسطى⁽²⁾.

شُيدت القلعة فوق هضبة مرتفعة، تميزت بخصائص دفاعية هامة تتفق ووظيفة القلعة، لتأخذ شكلاً مربعاً تقريباً 50×47 متراً، يتوسط مدخلها الرئيسي الجانب الجنوبي من المبنى، يبلغ اتساع المدخل 2.30م وبارتفاع 2.60م يتوجها عقد نصف دائري يتصل بممر طوله ثمانية أمتار يؤدي للفناء الداخلي للقلعة، بعد تخطي مدخل مغطى بعقد نصف دائري على شاكلة المدخل الأول، وتفتح بممر المدخل المشار إليه قاعة على يمين المدخل على الجانب الشرقي، يبدو أنها كانت مخصصة للحراسة.

ويتوصل من المدخل إلى فناء يتوسط القلعة وهو مربع الشكل تقريباً طول ضلعه الشمالي 36.15م وضلعه الغربي 36.50م، وتتوزع على جوانب هذا الفناء الداخلي العديد من الغرف بما فيها واجهة المدخل الجنوبية.

(1) Hamilton, James: Wandering in north Africa, London, 1856, P. 55.

(2) Haiman: Giuseppe, Cirenica, Milano, Hoepli, 1966, P. 1155.

تتوزع أبراج القلعة المستديرة الشكل بأركانها الأربعة، بحيث يشرف كل برج من الأبراج الأربعة على جانبين من جوانب القلعة المقابلة للجهات الأصلية، ثم على الجهات المنحرفة من جهة أخرى، واشتمالها جميعاً على أربع فتحات متماثلة في طريقة توزيعها على عمارة كل برج.

أما قلعة توكرة فتتبع إلى الفترة العثمانية أيضاً، والتي استعملت كمقرب حربي أكثر منه قلعة عسكرية لمواجهة الأخطار التي تتهدد الساحل البرقاوي، والتي تم ترميمها قبيل الاحتلال الإيطالي وكذلك خلال الفترة الإيطالية، نظراً لموقعها المتميز⁽¹⁾.

تقع القلعة على الجانب الشمالي الشرقي من مدينة توكرة الأثرية ولا يفصلها عن شاطئ البحر إلا مسافة 150م تقريباً. حيث تأخذ القلعة شكلاً مربعاً ومدخلها الرئيسي بالجانب الشرقي، ولا تفصل الداخل إلا مسافة 2م ليتخذ سلماً يتكون من 16 درجة يؤدي إلى الطابق الثاني، يوصل إلى أربع قاعات صغيرة الحجم أكبر هذه القاعات يتخذ شكلاً مربعاً طول ضلعه أربعة أمتار. تغطي أبواب القلعة في مجملها عقود محدبة الشكل.

يبرز المدخل الغربي للقلعة، الذي يتقدمه سلم حجري من 7 درجات يتوج المدخل عقد محدب، يماثل المدخل الشرقي للقلعة، وتعلو هذه الواجهة الغربية من المبنى أشكال دفاعية حربية على شكل الشرفات المسننة على غرار القلاع المغربية.

يشغل برج القلعة الوحيد نهاية الجهة الجنوبية للقلعة، وتبدأ قاعدته المربعة من الطابق الثاني للقلعة، يلاصقه غرفة مربعة طول ضلعها ثلاثة أمتار.

ويتوصل إلى أعلى برج القلعة من جانبه الشمالي من خلال سلم حجري بمدخل نصف دائري الشكل، ويتكون السلم من ثلاث قُلَبَات تتكون الأولى من سبع درجات والثانية من ثلاث درجات والثالثة من ست درجات، ليتم الانتقال إلى قمة البرج، وتتوج نهاية البرج بشرفات مسننة، وقد أوجد المعمار في الجزء الأعلى من البرج فتحة باتجاه الجنوب وأخرى

(1) فوزي عبدالرحمن الفخراي: أضواء على تاريخ توكرة (المؤتمر السادس للآثار في البلاد العربية)، ليبيا- طرابلس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الثقافة، القاهرة، 1973م، ص 565.

باتجاه الشرق للمراقبة، ويبلغ ارتفاع البرج من الطابق الثاني للقلعة حتى بداية الأشكال المسننة 7.35 متراً أما الأشكال المسننة فترتفع بمقدار 40 سم.

يتضح من خلال العرض السابق للقلعتين المذكورتين التزامهما بخصائص العمارة الإسلامية والمغربية خصوصاً من حيث التخطيط وشكل الأسوار وسمكها وارتفاعها ومادة بنائها، بما في ذلك استخدام الإيوان الذي يتوسط المبنى وتوزع الأبراج المستديرة الشكل على زوايا جدران المبنى كما هو الحال بقلعة القيقب وعلى غرار قصر إجدابية الفاطمي، بالإضافة إلى استخدام الأبراج المربعة الشكل المنتهية بأشكال دفاعية مسننة كما لوحظ بقلعة توكرة، ومر بنا بقصر العزيات وبرجي منطقة الوسط بقصر أجدابية الفاطمي اللذان اتخذتا شكلاً مربعاً بمنصف السورين الشمالي والجنوبي من المبنى.

إن تناول هذا النوع من العمارات الدفاعية في برقة يُوضح أنها لم تكن بمنأى عن الاهتمام الدفاعي الذي شمل أقاليم العالم الإسلامي. فانتشار القصور والقلاع على طول الساحل البرقاوي بما فيها المنطقة الشبه الصحراوية المتمثلة في واحات الإقليم الجنوبية تظهر مدى الأهمية العسكرية لبرقة.

كذلك أبانت الأسوار والبوابات الضخمة والمدعمة بالأبراج المستديرة والمربعة، أنها متأثرة بالنظام الدفاعي الروماني والبيزنطي، حيث أستمعت تلك المباني القديمة بإعادة استخدامها أو الاعتماد على أحجارها في بناء قلاع الفترة الإسلامية والتي اكتسبت أهمية من الناحية الحجمية من سمك للأسوار وارتفاعها واستخدام الأبراج العالية، أكثر من الناحية الجمالية، وذلك طبقاً لوظيفتها الدفاعية البحتة.

وقد استمر تأثير الخصائص المعمارية والإسلامية في البناء في برقة إلى فترة متأخرة جداً من حيث شكل البناء والتخطيط واستعمال وحدة الإيوان الذي يتوسط المبنى وتوزع على جوانبه بقية أجزاء القصر أو القلعة، واستعمال كل ما من شأنه الدفاع عن المبنى من أبراج مربعة ومستديرة والتي ظلت سمة من سمات العمارة الإسلامية في المغرب العربي بشكل عام.

نخلص من هذه الدراسة التي خُصت بالعمارة الدفاعية الحربية في برقة، أنها تفردت بعدد من الخصائص بعد التناول الميداني لتلك العماثر في فترة موضوع الدراسة أهمها:

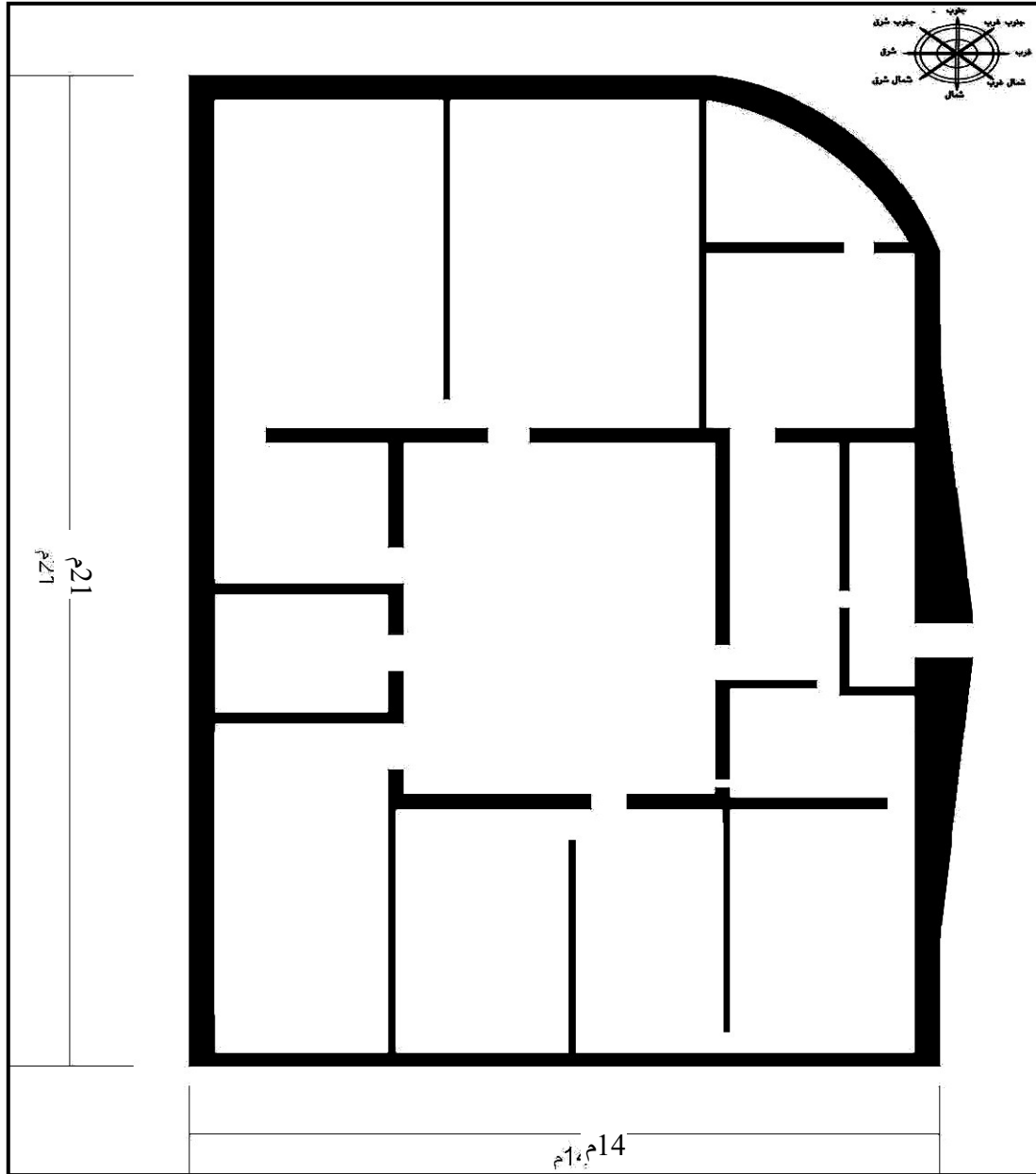
- اختيار مواقع إستراتيجية منيعة لإقامة القلاع والقصور والحصون، أما على قمة جبل في المناطق الجبلية، كما هو عليه قصر المعزية أو بعيدة عن البحر بما يكفي في المناطق الساحلية مع الأخذ في الاعتبار التحصين التضاريسي واستغلال السهل والجبل، كما هي عليه قصور حسان وقلعة توكرة، أو اختيار أعلى تلة لامتداد منطقة الرؤية في المناطق الصحراوية كما في قصر إجدابية. متبعين في ذلك نفس النهج في اختيار المواقع التي اتخذها الرومان والبيزنطيون، وغالباً ما تم البناء على أنقاض تلك المباني القديمة التي ترجع للعصرين الروماني والبيزنطي، مما سهل الاستفادة من العناصر المعمارية القديمة في البناء والتسقيف وإعادة استعمال الأعمدة والأحجار، وأكسبت المباني الإسلامية المبكرة خصائص تحصينية عالية، وذلك لمحاكاتها العمارة الرومانية والبيزنطية.

- تنوع استخدام الأبراج في التحصين، فمنها ما اتخذ شكلاً نصف دائري ومنها ما اتخذ شكلاً مربعاً، وقد يشتمل القصر أو القلعة على الشكلين الأسطواني والمربع، كما مر بنا في قلعة أجدابية، حيث أستخدمت الأبراج الأسطوانية في زوايا المبنى الرئيسية، وأقتصر استعمال الأبراج المربعة على منطقة المنتصف من الأسوار، زيادة في التحصين والتدعيم.

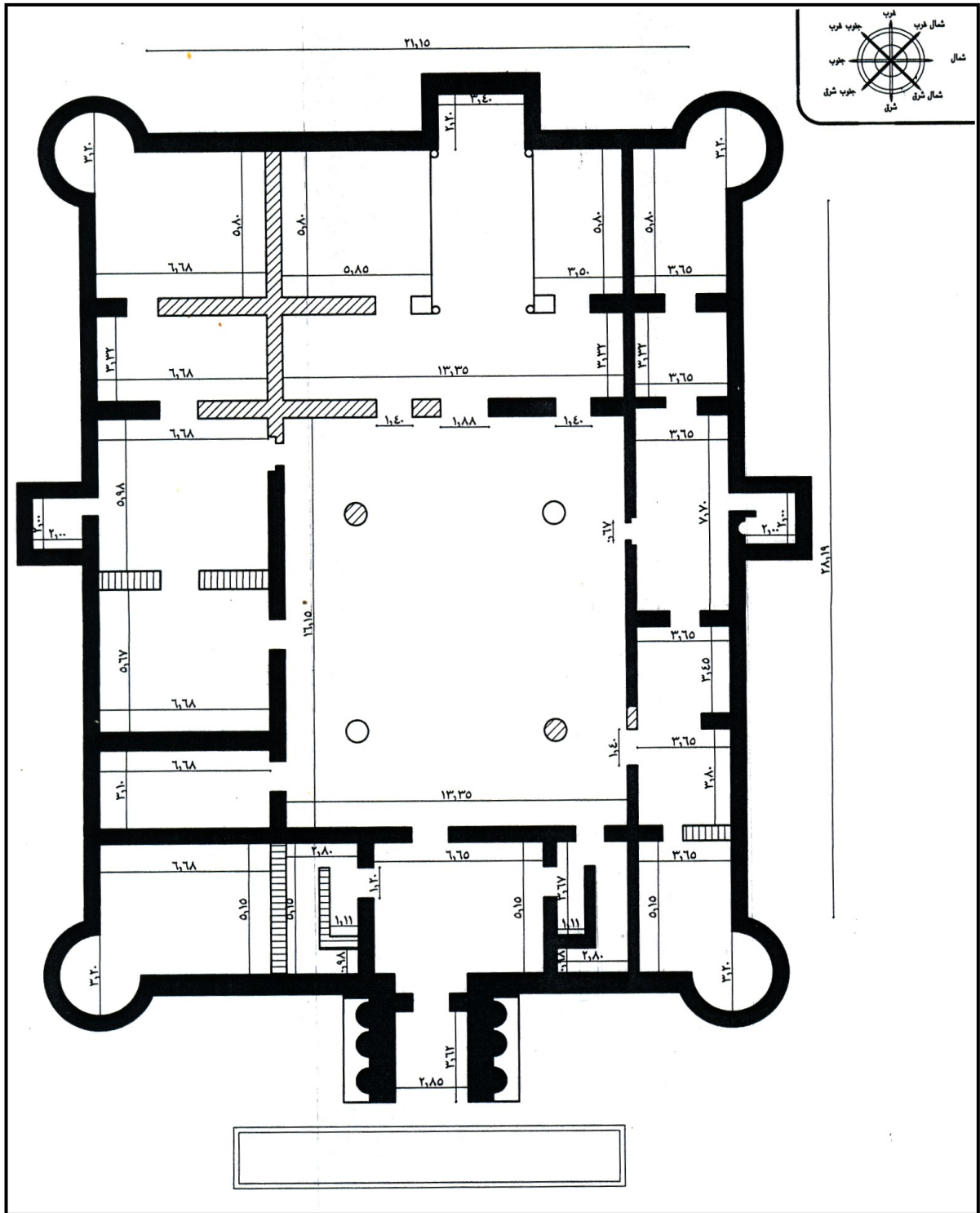
- التركيز على ضخامة تحصينات المدخل بالإضافة إلى سمك وارتفاع الأسوار التي وصل ارتفاعها إلى ما يزيد عن سبعة أمتار، واستعمال الحجارة الصلبة الكبيرة الحجم في بناء ودعم تلك الأسوار. مما جعلها تقاوم عوامل التعرية والزمن لمدة أطول.

- استخدام عنصر الإيوان أو الفناء المركزي في التخطيط، والذي تنتزع على جوانبه بقية أجزاء المبنى، وتعدد الغرف والتي عادة ما تكون مزودة بأكثر من مدخل وتفتح في كتلة الإيوان وتؤدي إلى بعضها البعض.

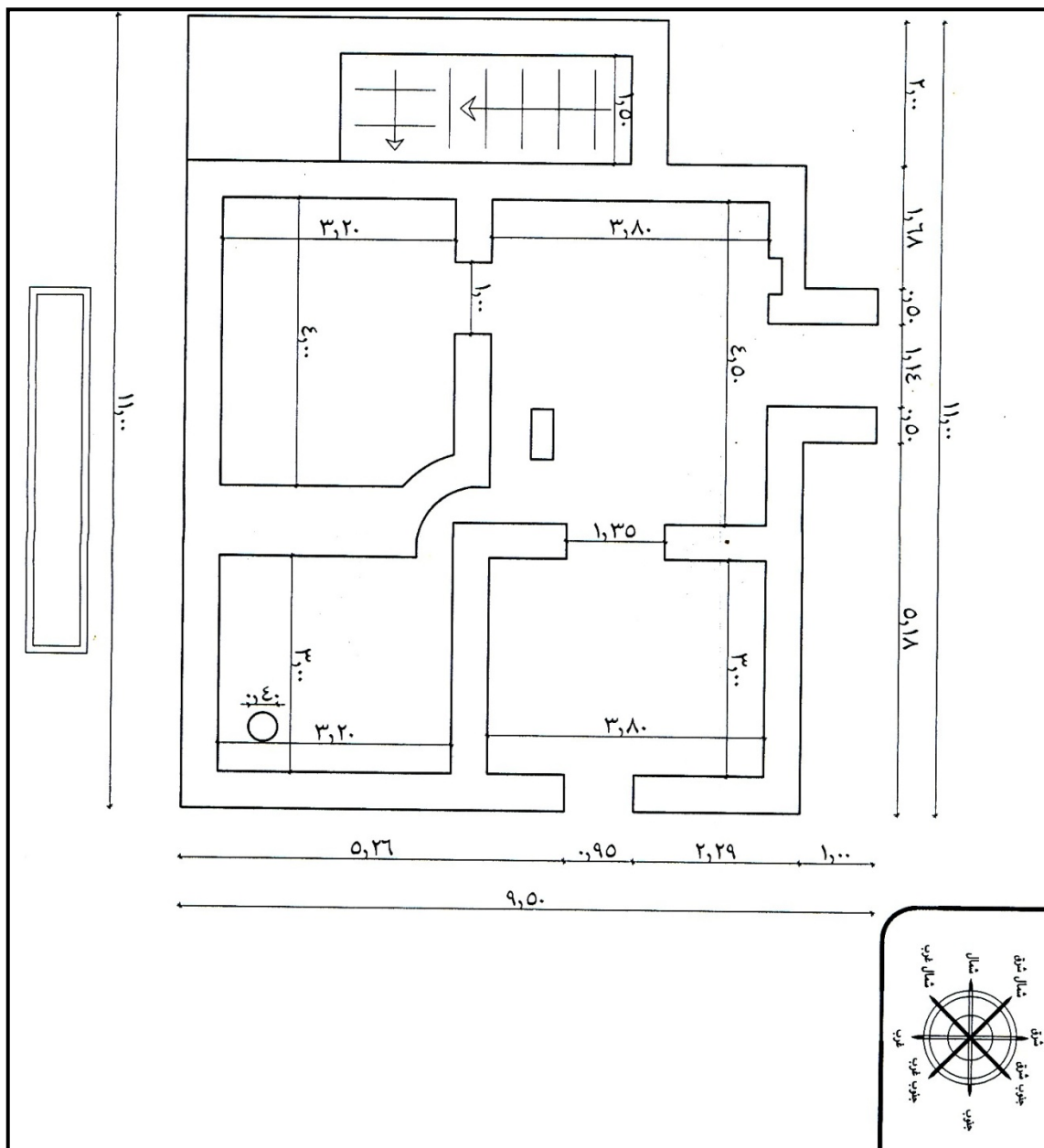
- أما من الناحية الجمالية فلم تَحُلْ تلك القصور والقلاع منها، سواء من خلال المنظر الخارجي للأسوار والأبراج أو في استعمال الزخارف الداخلية كالكتابات القرآنية والزخرفة النباتية والحيوانية أيضاً، كما في لوحة الأسود التي أُستعملت لزخرفة قصر إجدابية الفاطمي.
- من خلال التطرق إلى مباني دفاعية متأخرة تاريخياً عن فترة موضوع الدراسة لوحظ استمرار تأثير الهيكل التخطيطي للمباني المبكرة، كما هو عليه تلك القلاع المتأخرة وبنفس المواصفات المعمارية التي تمت الإشارة إليها سابقاً.
- المهم تاريخياً أن تلك القلاع والقصور قد أظهرت مدى الأهمية الإستراتيجية والحضارية لإقليم برقة الإسلامي.



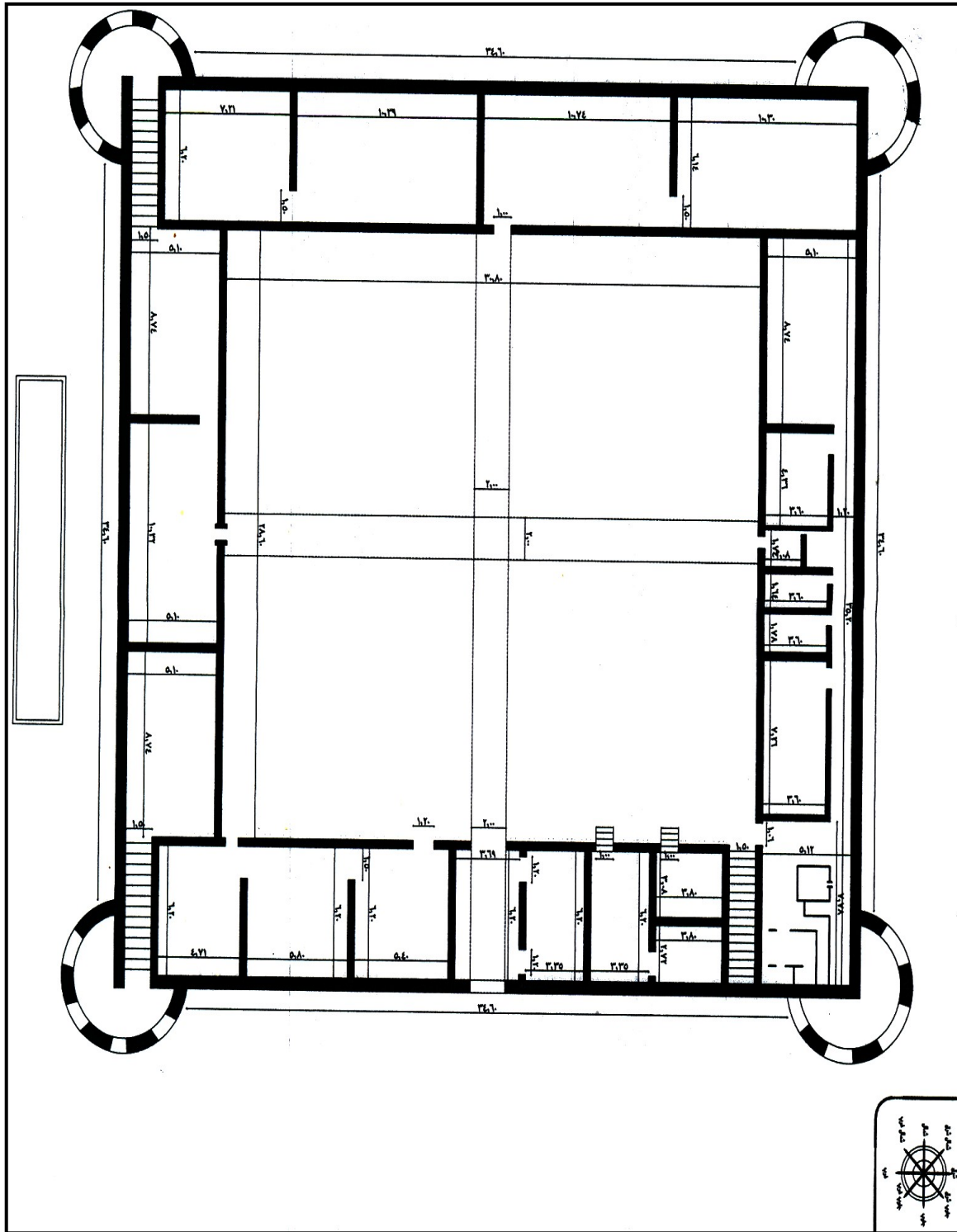
شكل (1): مسقط أفقي لـ (قصر اثماد) أحد قصور حسان (عمل الباحث)



شكل (2): مسقط أفقي لـ (قصر – قلعة) أجدابية الفاطمي (عمل الباحث



شكل (3): مسقط أفقي لـ (قصر - قلعة) العزيات أو المعزية (عمل الباحث)



شكل (5): مسقط أفقي لقلعة القيقب (عمل الباحث)



لوحة (5)



لوحة (5، 6) قصر اثماد حسان من الخارج وردحات القصر من الداخل (تصوير الباحث)



لوحة (7) قاعة العرش بقصر أجدابية (تصوير الباحث)





لوحة (11) السور الشمالى والبرجين الشرقى والغربى لقلعة القيقب (تصوير الباحث)



لوحة (12) وحدة الايوان او الصحن بوسط قلعة القيقب (تصوير الباحث)



لوحة (13) قصر المقدم - قلعة بني أقديم - كمثال للعمارة البيزنطية ببرقة (تصوير الباحث)



لوحة (14) البرج الشمالي الشرقي لقصر المقدم - قلعة بني أقديم (تصوير الباحث)

ثبت بالمصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

- 1- ابن الأثير، عز الدين ابوالحسن علي بن ابي الكرم (ت630هـ/1232م): الكامل في التاريخ، تح. أبي الفداء عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط. 1، 1987
- 2- ابن حوقل، ابوالقاسم محمد بن علي الموصللي (ت380هـ/990م): صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت- لبنان، 1992م.
- 3- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت808هـ/1405م): العبر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح. خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر للنشر، بيروت لبنان، 2001م.
- 4- ابن سعيد المغربي، ابي الحسن علي بن موسى (ت 685هـ/1286م): بسط الأرض في الطول والعرض، تح. إخوان قرنيط خنيس، قطوان، 1958م.
- 5- —: كتاب الجغرافيا، تح. إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للنشر، بيروت، ط1، 1970م.
- 6- ابن عبدالحكم، ابي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله (ت257هـ/871م): فتوح مصر وأخبارها، مكتبة المثنى، بغداد، ليدن، 1930م.
- 7- ابن عذارى بن محمد (ت بعد 712هـ/1260م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، الدار العربية للكتاب، بيروت، ط3، 1983م.
- 8- الإدريسي، ابو عبدالله محمد بن عبدالله الحمودي (ت564هـ/1168م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، دت.
- 9- البكري: المسالك والممالك، ج2، تح. أدريان فان ليوفن، وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، 1992م

- 10- الجوزري، ابو علي منصور العزيزي (ت386هـ/996م): سيرة الأستاذ جودر وبه
توقعات الأئمة الفاطميين، تح. محمد كامل حسين، ومحمد عبدالهادي شعيرة، دار الفكر
العربي، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1954م.
- 11- العبدري، ابو عبدالله محمد بن محمد الحياحي (ت بعد690هـ/1291م): رحلة العبدري
(الرحلة المغربية)، تح. محمد الفاسي، وزارة الدولة المكلفة بالشئون الثقافية، الرباط،
1968م.
- 12- القاضي النعمان (ت363هـ/973م): المجالس والمسائرات، تح. الحبيب الفقي وآخرون،
دار المنتظر، بيروت لبنان، ط1، 1996م.
- 13- المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح. محمد زينهم محمد عزب، دار
الفرجاني للنشر، القاهرة، 1994م.
- 14- المقرئزي، تقي الدين احمد بن علي (ت845هـ/1441م): اتعاض الحنفا بأخبار الأئمة
الفاطميين الخلفاء، تح. جمال الدين الشيال، القاهرة، 1967م.
- 15- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبدالله الرومي (ت626هـ/1229م): معجم البلدان، دار
صادر، بيروت، 1979م.
- 16- اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب اسحاق (ت284هـ/897م): كتاب البلدان، دار الكتب
العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2002م.

ثانياً: المراجع العربية:

- 17- إحسان عباس ومحمد يوسف نجم: ليبيا في كتب التاريخ والسير، دار ليبيا للنشر، بنغازي،
دار صادر، 1968م.
- 18- سعد زغلول عبدالحميد: العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف بالإسكندرية،
1986م.

- 19- صالح مصطفى مفتاح: ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، منشورات جامعة قاربيونس، بنغازي، ط2، 1992م.
- 20- الطاهر أحمد الزاوي: معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس ليبيا، ط1، 1968م.
- 21- علي سالم لترك: مدينة توكرة (توخيرا القديمة)، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط2، 1978م.
- 22- فريد محمود شافعي: العمارة العربية الإسلامية، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض، ط1، 1982م.
- 23- محمد حمزة إسماعيل الحداد: المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية في ضوء كتابات الرحالة المسلمين ومقارنتها بالنقوش الأثرية والنصوص الوثائقية والتاريخية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط3، 2008م.
- 24- محمد المرزوقي: مدينة المهدية، تونس، 1980م.
- 25- عثمان الكعاك: مسالك القاهرة، ألفية القاهرة، 1969م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية المترجمة:

- 26- ر. أ. بونتوفت: برقة، تر. إبراهيم أحمد المهدي، مكتبة (5) التمور، بنغازي ليبيا، ط1، 2010م.
- 27- غيزا فيهر أفاري وآخرون: حفريات سرت (مدينة سلطان)، 1977-1981م، تر. مصطفى عبدالله الترجمان، دار الكتب الوطنية، بنغازي ليبيا، 1983م.
- 28- غاسبري ميساننا: المعمار الإسلامي في ليبيا، تر. علي الصادق حسنين، طرابلس الغرب، 1972م.

رابعاً: الدوريات العربية:

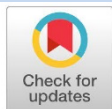
- 29- محمد عبدالهادي شعيرة: الرباطات الساحلية الليبية الإسلامية، ليبيا في التاريخ، المؤتمر التاريخي، كلية الآداب، الجامعة الليبية، 1968م.
- 30- محمد فرج وآخرون: تقرير أولي عن حفائر آثمد، مجلة عريبيا القديمة، طرابلس،

مصلحة الآثار، العدد الأول، 1995م

- 31- فوزي عبدالرحمن الفخراي: أضواء على تاريخ توكرة (المؤتمر السادس للآثار في البلاد العربية)، ليبيا طرابلس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الثقافة، القاهرة، 1973م.

سادساً: المراجع والدوريات الأجنبية:

- 32- Abass Hamadani : "Some a Spects of the history of Libya during the fatmid", Libyan in history, Dar El Mashriq, Baerot, 1968.
- 33- Abdulhamid Abdulssaid: "Early Islamic monuments at Ajdabiyah", Libya Antiqua, Volume 1, Rome, 1964.
- 34- Abdulhamid Abdulssaid: The old of Islamic city of Ajdabiyah, Dep Antiquities, Thripoli, 1976.
- 35- Goodchild, R.G.: Excavation in progress, Libya antiquity, 1964.
- 36- Goodchild, R.G.: Forts in south west Cyrenaica, Antiquity, XXV (1951).
- 37- H. Blake, A. Hutt and D. Whitehouse: "Ajdabiyah and the earliest Fatimid architecture", Libya Antiqua, V. VIII, Rome, 1971.
- 38- Haiman: Giuseppe: Cirenaica, Milano, Hoepli, 1966.
- 39- Hamilton, James: Wanderings in north Africa, London, 1856.
- 40- Smith, M. and Porcher, E.A: History of the recent discoveries at Cyrene, London, 1864.
- 41- Fraser, P.M.: Hadrian and Cyrene, Journal of Rome Studies, (1950).



حالة الأدب في مدينة البيضاء قبل الثورة (أزمة الكتابة السياسية، وهامش الحريات)

عبد الباسط صالح الجياش¹*

الكلية التربية، جامعة عمر المختار

Doi: <https://doi.org/10.54172/t8r3rf26>

المستخلص: هذه المقالة هي محاولة لفهم العلاقة بين الأدب والسياسة في بلد يحكمه الفكر العسكري، ولا فرق عنده بين الرأي والخيانة. الدراسة هنا عن ليبيا قبيل الثورة والمهمة تتمحور حول التحقق من الكتابات السياسية لليبين خلال هذه الفترة. لم يكن هذا الأمر سهلاً بالمطلق ولا صعباً أيضاً، لكن الإشكال يكمن في جمع ما يمكن التعويل عليه لدعم رأي أو تأكيد مشاركة فاعلة في هذا المجال، فكل المنشورات السابقة نشرت في مواقع الكترونية وهي مغلقة الآن، ولا مجال للكشف عن توثيق دقيق لتاريخ النشر أو ظروفه، وبقيت تلك المنشورات في أجهزة أصحابها؛ كل ذلك جعل مهمة استخراج شيء موثق وغير قابل للتغيير والتبديل أمر صعباً للغاية. الدراسة تمت بحذر وترقب واختبرت النماذج بعناية لتشمل أنواعاً مختلفة من الأدب وفي ظروف مختلفة، مع أنماط من الكتابات الصريحة والرمزية. وأيضاً تنوعت بين شعر وقصة وخاطرة ومقالة، مع التأكيد على إظهار الفارق بين من اقترب من نقد الوضع وأثر في رؤية الناس وبين من جاءت مساهمته دون ضجيج ولم تحقق شيئاً من التغيير، وغاصت في الرمزية المقيدة الخادعة. ترجمة

الكلمات المفتاحية: الكتابات السياسية، ليبيا، الثورة، معمر القذافي

The state of literature in the city of Al-Bayda before the revolution (The crisis of political writing and the margin of freedom)

Abdel Basset Saleh Al-Jayash

College of Education, Omar Al-Mukhtar University

Abstract: This article attempts to unravel the intricate relationship between literature and politics in a country governed by military ideology, where there is no distinction between expressing one's opinion and being accused of betrayal. The study focuses on Libya before the revolution, centering around the verification of political writings by Libyans during this period. This task proved to be neither straightforward nor exceedingly challenging. The difficulty lies in assembling reliable sources to support an opinion or confirm active participation in this field. All previous publications were disseminated on online platforms that are now closed, leaving no room to verify the accurate documentation of their publication history or circumstances. These publications remain stored on the devices of their creators. Consequently, extracting something well-documented and resistant to change or substitution becomes an extremely challenging task. The study was conducted cautiously and with vigilance, carefully selecting examples to encompass various forms of literature in different circumstances. It includes explicit and symbolic writings, ranging from poetry to short stories, reflections, and articles. Emphasis is placed on highlighting the distinction between those who approached critique of the situation, influencing people's perspectives, and those whose contributions went unnoticed, achieving no significant change.

Keywords: Political writings, Libya, revolution, Muammar Gaddafi

مثل كل الثورات، لا أحد يتنبأ لها ببداية، والسيل الجارف لا تنقصه إلا قطرة من ماء ليهدم السد. وإلى وقت قريب جدا من هذه الثورات كان موقف الناس مبهما وغير واضح، ويختلط أمرهم ما بين فرصة النجاح وخيبة الفشل، أما الشعور الأكثر ظهورا فكان فقدان الأمل في التحرك الفعلي، ومدى قابلية الناس للتحرك من الأساس، مقارنة بالنموذجين التونسي والمصري ولو من الجانب الاقتصادي والمعيشي على أقل تقدير.

في ليبيا ظل الناس حائرين مترددين في تشخيص حالتهم، وما إذا كانوا مهيين لمثل هذا التحرك فكان كلامهم همسا واستشاراتهم ألغازا، ودعواتهم اقتصرت على مصطلح هنا وتعليق هناك، وغالب ما نشر عن الثورة كان في طريق مواقع الإنترنت الافتراضية، والموعود لم يكن سرا بقدر ما كان تحديدا لوقت يثير الأسئلة ولا يخلق الأجوبة، ولم تكن مواقع التواصل الاجتماعي في ذلك الوقت تحظى باهتمام كل الليبيين، والمدونات الخاصة اقتصرت على النخب المثقفة أو النشطاء المهتمين بمواضيع أخرى غير سياسية وغير مهتمة بالشأن السياسي الليبي العام.

هذه الحال المتردية في الأدب الليبي هي ما حفّزني إلى محاولة فهم تلك العلاقة بين الأدب والسياسة في بلد يحكمه الفكر العسكري، ولا فرق عنده بين الرأي والخيانة.

لم يكن هذا الأمر سهلا بالمطلق ولا صعبا أيضا، لكن الإشكال يكمن في جمع ما يمكن التعويل عليه لدعم رأي أو تأكيد مشاركة فاعلة في هذا المجال، فكل المنشورات السابقة نشرت في مواقع الكترونية وهي مغلقة الآن، ولا مجال للكشف عن توثيق دقيق لتاريخ النشر أو ظروفه، وبقيت تلك المنشورات في أجهزة أصحابها؛ مما صعب المهمة في استخراج شيء موثق وغير قابل للتغيير والتبديل وقلّ أيضا من المراجع التي تدعم البحث وتشير إلى أصوله.

لذلك انتهج البحث صبغة التحليل والمقارنة والحديث تمحور حول الكليات والنظرة العامة لحال الأدب والسمة الغالبة في أسلوب الكتابة والتعامل مع السلطة، وهذا لا يعتمد على مراجع بل على المزاج العام السائد.

لكن الاستثناء يخرج دائما من رحم الخوف , فأطلّت الكتابة عالية النبرة برأسها من خلال كتابات بعض الأدباء ويشكل يقترب من المغامرة غير المحسوبة التي لا تستند إلى أي جدار يحميها ولا يفصلها عن العقوبة إلا خيط رفيعٌ عدم فهم المكتوب أو دلالة ألفاظه وتخريج مقاصده .

لهذا بدأتُ الحديث عن هذه الحال بحذر وترقّب واختيرت النماذج بعناية لتشمل أنواعا مختلفة من الأدب وفي ظروف مختلفة , مع أنماط من الكتابات الصريحة والرمزية, وأيضا تنوعت بين شعر وقصة وخاطرة ومقالة, مع التأكيد على إظهار الفارق بين من اقترب من نقد الوضع وأثر في رؤية الناس وبين من جاءت مساهمته دون ضجيج ولم تحقق شيئا من التغيير , وغاصت في الرمزية المقيدة الخادعة.

أرجو أن أكون بهذا قد بدأت شيئا يبني عليه غيري, علّه يكون نواة لدراسة أكثر تفصيلا وبشواهد متنوعة وأدباء لم يشملهم هذا البحث .

الأدب في ليبيا قبل الثورة :

الأدب في ليبيا - وهو المعني بالبحث هنا - كان جزءا من هذا الإرباك , فلم يستطع الأدباء ولا الشعراء أن يستخدموا كلماتهم في العلن , ولم يبينوا موقفا واضحا من أمر الثورة وظلت علاقتهم بالسلطة القائمة رهنا بالأحوال وغلب عليها الجمود والمجاملة ورفع العتب في جل مراحلها

الأدب - في الداخل الليبي تحديدا - لم يستوعب مقدار الاحتقان الشعبي الكامن , ولم يتفاعل مع إحساس غامر بالتغيير , وظل مراوحا بين انتقاد السلطات من الجانب الإداري مرة وبالجانب التنظيمي مرة أخرى , وأحيانا ينتقد تصرفا شخصيا في فترات متفرقة , دون اقتراب من المواجهة بشكلها الواضح والصريح , ولم يحاول المساس برموز النظام أو يطعن في شرعية وجوده من الأساس .

وعلى الرغم من خوفه المبرر إلا أنه يظل أدبا متمردا بطبعه , واحتوت كل كلمة منه على إشارة إلى رفض ما, فالكلمات الأدبية أكثر دلالة من غيرها وأكثر وقعا في النفوس وتحقق قدرا من التأثير ولو بكمية أقل من الوضوح والبيان .

كان الأدب في تلك الفترة الحرجة قابلا للتأويل وحَمَّالٌ أَوْجِه , ملاحظاته لاذعة دون تحديد المتهم ومقالاته مشاكسة بروح المهادنة , ساعدته على ذلك تقنيات اللغة , واللعب على المعاني والمقاصد ودائما ما كان الكاتب يمنح لمقالاته طريقا يخرج من أزمته إن عرَّض للتضييق أو المساءلة وفي المجمل لم يكن هنالك بطل يحمل القضية الليبية إلى فضاء محدد , بل كان الأمر عبارة عن مجموعة من الإسقاطات والملاحظات التي شكلت رأيا عاما رافضا أو ممتعضا أو متطلعا إلى شكل أفضل للحياة في ليبيا .

وسواء علم الناس بما يكتبه الكتاب أم لم يعلموا وسواء تأثروا بكم المقالات والملاحظات أو رفضوا الكلام , فلا طريق نجده في ذلك الوقت ليثبت أو ينفي هذه العلاقة وهذا الرابط , وإنما هي مجموعة الضغوطات المعاشة وما عبر عنها الأدب في جوانب مهمة منها , ومقدار الانتقاد الذي يخلق الشعور العام بوجوب التغيير دون تحديد وقت أو إطار , والكتابات الأدبية مهدت بكل تأكيد لمثل هذا الشعور في الوجدان الليبي .

هذه الثقافة التي تمزج ما بين شجاعة الرفض وخوف العقوبة جعلت الأدباء في حالة من التوتر الذهني ولم تخلق صفا موحدا في تناول الحدث المرتقب , ونأى الكثير من الأدباء بأنفسهم عن الخوض في هذا الموضوع ومنهم من تأخر كثيرا عن اللحاق بركب المتأملين , ولم يظهر في كتاباته أي دليل أو تلميح يفيد بمعرفة تامة أو شعور خفي بضرورة الثورة , وحملت تعليقاته الخاصة في المنتديات كَمَا لا بأس به من السخرية واللامبالاة, وبالتالي لم يكتب شيء في هذا المجال , وأصيب بصدمة من ظهورها وتوقف في وقتها عن الكلام واكتفى بالمتابعة ليكتب بعدها في وقت لاحق .

أما من تجرأ على الكتابة فلم يتمكن من الانتقاد الصريح لرموز النظام أو الهرم العالي للسلطة وتحول بدلا من ذلك إلى جانب التذمر من تصرفات فردية من أشخاص أقل قيمة , وجل ما كتبه يقع في جانب اللواحق وما ينبغي أن يكون جيدا في إطار الحكم الحالي المسكوت عنه .

ومن المفارقات أيضا والمفاجئ للمتابعين أن جزءا كبيرا من جراك الأدب المنتقد والمعارض قبل الثورة كان بتشجيع صريح من قبل (النظام ذاته) أو من طرفٍ داخله يسعى إلى الإصلاح ويرفع شعار الغد الأفضل , فمكَّن المواقع الالكترونية والمجلات المكتوبة من الخوض في الممنوعات والحديث بجراً عن الأخطاء وربما السخرية منها والتدليل على فشلها .

هذا السلوك من قبل النظام جاء لهدف يخص أهل السلطة وفي إطار تصفية حسابات داخلية, وربما لأسباب استخباراتية ودراسات نفسية ممنهجة .⁽¹⁾

وإلى وقت قريب من الثورة ظهرت عدة مواقع ليبية تنتهج هذا الطريق وتقبل كل مقال أو قصة تهاجم الوضع القائم , وتدعو للإصلاح وتسخر من الحالة الليبية , كل ذلك كان بتمهيد مفاجئ من أروقة السياسة ؛ لتكتمل صورة النقد الذاتي وليمهد لما يسمى (ليبيا الغد) التي تنتقد ذاتها لتصل بقياداتها الجديدة إلى قلوب الناس وتمسح الصورة السلبية عن نظام طويل وعتيق .

استخدم النظام هذه المواقع لهذا الغرض تحديدا , ولكنها كانت قفزة في الفراغ ؛ لأن هذا السلاح كان ذو حدين والفوارق بين المقال الداعم للتغيير والمؤيد للإصلاح وبين الآخر المحرك لمشاعر الرفض والداعي للثورة تكاد لا تتضح للقارئ , وحقق الأدباء تقدما طفيفا نحو حرية التعبير دون رقيب هذه المرة , وتقبل الأخطاء من قبل النظام والتأكيد عليها في المنابر المقروءة والمسموعة شجّع شخصيات أدبية عامة على نشر غسيل الأخطاء وفضح بعض الممارسات , وربما دعا إلى التغيير المدروس والمقنن والمشروط .

هذه المواقع فهمت اللعبة واستمرت لأكثر من خمس سنوات في حالة شد وجذب بين من يؤيدها ومن يحاربها , واستطاعت أن تستمرّ بحماية طرف يريد التغيير ويدعو له , وكل ذلك على مرأى ومسمع من القارئ والمشاهد الذي يحلل هذا التغيير وهذه الجرأة في الطرح المخالف , ليتكون لديه شعور عام أن ثمة خطأ ما في النظام وإن محاولة الإصلاح لا تنفي عنه عيوبه المخفية ولن تصلح من قُبِح منظره القديم .

تلك كانت مقدمة عامة لحالة الأدب في ليبيا تكاد وهي لا تخرج عن إطارها العام الذي يلقي بظلاله على الشأن الخاص أو المكان المحدد أو التجمع السكاني المحلي, فذلك الخوف من سطوة النظام والتحايل على النقد واستخدام التورية والبعد عن المواجهة الصريحة كانت شيئا معروفا في أروقة الأدب وعلى جدول المقالات السياسة الكثيرة .

⁽¹⁾ من هذه المواقع يبرز كل من - موقع السلفيوم - فيلادلفيا - الإجابي - قورينا . على فترات متقاربة نسبيا

الحالة الأدبية في البيضاء :

مدينة البيضاء وضواحيها في ذلك الوقت ملكت أقلاما كثيرة محترمة ومحترفة , وحملت الكثير من النتاج الأدبي , الذي ينتظر الإذن للظهور والتصريح لينطلق , وإن كان جلّ المكتوب يحتفظ كما أسلفنا بنقطة الرجوع إلى مربع البداية, وانحصر النتاج الأدبي في جانبين مهمين هما: (الصحافة المكتوبة والمواقع الالكترونية المحلية) بالإضافة إلى بعض التجمعات الأدبية التي لا تملك آلية للنشر إلا من خلال المدونات الخاصة للأفراد أو المؤسسات .

الصحافة في البيضاء :

لم تكن الصحافة في البيضاء صناعة حقيقية , حالها كحال المدن الصغيرة في ليبيا, ولم تحمل رصيда أو تقاليد معروفة , كان الاجتهاد يغلب على صفحاتها , وتداولُ المشرفين عليها وقلة إمكانياتهم جعلتها تقترب كثيرا من صحافة الشؤون الاجتماعية , تملؤها أحاديث المناسبات الفنية والرياضية و الأدبية المتفرقة .

أما حديث الأدب السياسي , فكان محجوزا لفكرة واحدة ومنصباً على ترسيخ وضع قائم , ولا بد من الإشارة إلى أن من كتب في جانب السياسة الموجهة لم يكن صاحب قلم أو يملك الحس الإبداعي بقدر ما كان راوية للأحداث ومنسقا للمقالات وجامعا لها , لذلك ظهرت المقالات بأسلوبها الصنمي الجامد ولم تكن تحظى بمتابعة أو تفاعل لغلبة الأسلوب البارد ووجهة النظر الأحادية المفروضة على قائمة الاهتمامات الصحفية , والداعمة لنظرية الدولة .

وتبرز (صحيفة الجبل الأخضر)⁽²⁾ كنموذج واضح ويكاد يكون الوحيد في منطقة الجبل الأخضر في ذلك الوقت , هذه الصحيفة الأسبوعية اهتمت كثيرا بتغطية النشاط العام داخل المنطقة وواكبت العديد من النشاطات الاجتماعية والأدبية والفكرية , أما دورها السياسي فكان محددا ومرسوما ومفروضا حالها في ذلك كحال كل المنشورات الليبية .

تداول العديد من رؤساء التحرير على هذه الصحيفة, وحاولوا التغيير في نمطية الصحيفة , واستثمار صفحاتها وبعث الحياة فيما تبقى من مجال حر للتعبير, ولكنها ظلت إلى وقت قريب من

⁽²⁾ بدأت الصحيفة في التسعينات وكانت تصدر كل أربعاء وبثمن رمزي جدا .

توقفها مجرد صحيفة محلية تحمل أخبارا جامدة، ولا تكاد تجد متنفسا لقول شيء اللهم إلا في صفحتها الأخيرة التي نشرت مقالات وأشعار تحمل القليل من النقد والكثير من الأدب .

وعلى الرغم من كل ظروفها المالية والأمنية كانت صحيفة الجبل الأخضر محط أنظار الناس ، وموعدها منتظر كل أربعا وأعدادها تنفذ بسرعة وفي اليوم نفسه تقريبا .

هذا الإقبال عكس رغبة لدى الناس لمعرفة ما يحدث في عقل وذهن الطبقة المثقفة وما تحمله من جديد ، مع يأسهم الشديد من أن تكون لهذه الصحيفة دور ما في تنشئة الناس أو تهيئتهم للتغيير أو دعوتهم لشيء ، لذا ظلت صحيفة أسبوعية اجتماعية لا تلقي للسياسة بالا ، وهي على حالها هذا تتعرض لمراقبة صارمة من أجهزة الدولة وكل حرف فيها كان محسوبا ومتابعا ، والحرية متوفرة فقط للإعلانات والندوات التي تفيد السياسة العامة للدولة القائمة .

منتدى أماسي الثقافي :

أنشئ هذا المنتدى بجهود الأدباء والفنانين والمتقنين في مدينة البيضاء ، وكان نتيجة الرغبة الغامرة في الاجتماع والتحاور ، واختلفت توجهات أفرادها في صياغة الشكل النهائي له ، ولكن أوجه الاتفاق كانت كثيرة واستطاع المنتدى أن يجسد حالة من التنظيم الجيد لبرامجه، وأن ينجز الكثير من خطته ومهرجاناته .

مارس المنتدى أسلوبا جديدا في نشاطاته، وتناول الأحداث بشكل مختلف ، وكل نشاط أو حدث أو استقبال ضيف مميز كان تعقبه حلقة نقاش وندوة حافلة تكون غالبا أفضل من العرض نفسه من حيث حرية النقد وتداول الأفكار .

واجهت المنتدى مشكلة في الإشهار والتبعية ولكنه ظل يمارس نشاطه وإن على نطاق ضيق وبحضور ضعيف أحيانا ، وتمكن من تحديد مقر مؤقت له ⁽³⁾

لم يكن المنتدى تحت النظر كثيرا ولم يراقب بشكل واضح فكان المجال مفتوحا لأعضائه أن يمارسوا حرية الرأي من خلف الجدران المغلقة وأن يتنفسوا قليلا من حرية النقد دون ذكر أسماء .

⁽³⁾ كان مقر المنتدى عبارة عن صالة للسينما تقع خلف البريد القديم للمدينة .

وما كان يميز هذا المنتدى هو النبذة العالية للانتقاد , وأسلوب المجتمع المدني التي يتبعها المنتدى في توجيه الفكر وتعديل الآراء كانت مفيدة جدا لأعضائه ؛ فاستخدموا لغة جديدة في توصيف الحالة الليبية , وكل نشاط أيا كانت أهميته يحوّر تلقائيا إلى نقد الوضع ولو من الجانب الفكري والاقتصادي .

ترأس المنتدى الشاعر الغنائي (عبدالسلام الحجازي) كان همه تحريك الراكد في الشأن الثقافي وجمع المبدعين في مكان واحد , واستطاع أن يخلق نشاطات متنوعة في الفكر والثقافة والشعر والموسيقى واستضاف العديد من النشطاء وأهل الفن وعرض نتاجهم على خشبة مسرحه الصغير , واستمر هذا المنتدى إلى وقت قريب من ثورة فبراير , وشارك معظم أعضائه بشكل فعال بعدها .

موقع السلفيوم الالكتروني

شكّل ظهور موقع السلفيوم الالكتروني في أوائل الألفية , بداية عهد جديد من الأداء الأدبي والفكر السياسي الصريح , فقد اتخذ من أول ظهوره سياسة الكلام في الممنوع وتجراً على توصيف الحالة الليبية بتجرد , وحملت المقالات والقصص المنشورة فيه انتقادا لاذعا للأوضاع في المجتمع والتي حاول التحدث عنها بجرأة وحرية .

سمح الموقع بالمشاركة للجميع لأول مرة , ولم يمارس المشرفون عليه أية رقابة تذكر , وحظي بمتابعة واسعة من المتصفحين في البيضاء وغيرها من المدن , ولعله كان الموقع الوحيد الذي يزار بشكل يومي .

لكن الموقع أثار لغطا وحيرة من بداية ظهوره , واستغرب الناس من كم الحريات غير المقيدة فيه , فقد استمر دون ملاحظات وحظي بحماية من جهات غير معلومة , والدعم المادي كان سخيا ومكافأته مجزية, ولم يُسأل أي كاتب عن محتوى مقالاته ولم يتعرض للإيقاف .

هذه الحيرة استمرت مع الموقع , وتعامل الناس مع منشوراته بشي من التشجيع الحذر والتفاعل المدروس , فلم يكن أحد يتصور موقعا يحمل هذا المقدار من حرية التعبير في زمن لا يسمح بالكثير ويعاقب على الكلمة , ومكافأته الكثيرة لا تتحملها ميزانية الموقع الضعيفة أصلا مع انعدام سياسة الإعلان والرعاية .

" قد يقول أحدهم إنها سياسة الدولة , تتركُ الناسَ يروّحون عن أنفسهم , ويتحاورون فيما يؤلمهم , فيرتاحون لذلك , ولا ينفجر منهم أحد , قد يقال إن أشخاصًا نافذين في الدولة يريدون هذا الموقع لأغراض أخرى وغايات محدّدة , قد يقال إن المواقع الالكترونية المحلية ليست بتلك الجرأة التي تدعيها , وحرية الرأي فيها غيرُ كاملة وغير مكفولة " (4) .

قد يقال كلُّ ذلك , ولكنَّ بقاء صفحةٍ واحدةٍ وإن كانت فارغة تنتظر التعبير عن الرأي , هي كافية ليستغلها الكتاب ويتعاملوا مع هذا البراح المصطنع ليحققوا غايتهم وبشبعوا رغباتهم في الانتقاد والتصحيح , صفحة واحدة كانت كافية , فما بالك بمئات من المقالات الناقدة لممارسات كانت الإشارة إليها بالأمس القريب محرمة .

لم يصنّع موقع السلفيوم الكتاب ولم يعلمهم الكتابة , وإنما استطاع أن يمنحهم براحا ليقولوا ما بداخلهم , وأن يبينوا للناس عمق مشاكلهم دون خوفٍ من زوار الليل , وأشعرهم بالأمان في بلادهم وأنها أقرب إليهم مما يتخيلون .

بمعنى آخر , لم تكن تبعية الموقع أمرا مهما للمتابعين وللمشاركين بقدر ما اهتموا باستمراره على نهج معاند وأسلوب معارض , استمر الكتاب في نشر مقالاتهم دون خوف الملاحقة ودون أي ضمانات لعدم الملاحقة .

كان الموقع مليئًا بالأخبار والنشاطات الاجتماعية , وتتصدره المقالات الناقدة والقصص القصيرة الجيدة , والمقالات السياسية اللاذعة , وكان نافذة مهمة للمغتربين في الخارج حيث وجدوا فيه إطلالة حقيقية على الأوضاع في بلادهم دون تزيين أو تلميع , وشاركوا بتعليقاتهم من خلال أسماء مستعارة , ولم تكن تتعرض هذه التعليقات للحذف إلا ما يخرج عن حدود الأدب والذوق العام .

ولكن الموقع لم يسلم من بعض التوقفات المفاجئة لأسباب مادية في أغلب الأحيان ولتوقف الدعم عنه , ولكنه حين يعود لا يتنازل عن نهجه وأسلوبه الناقد والساخر .

ظل الناس يتابعون الموقع إلى أن توقف نهائيا في وقت سابق من الثورة , بعد أن حقق نجاحا وانتشارا كبيرين , وترك أثرا لا يمحي في ذاكرة القراء .

(4) جزء من مقال لصاحب البحث في نفس الموقع العام 2010

وعلى الرغم من تبعيته الإدارية للدولة والنظام إلا أنه تمكن من تغيير الكثير من الأفكار النمطية لدى الناس , وأكسبهم جرأة أكثر في طرح أفكارهم والتعليق على مشاكلهم , وفقا لخطة الدولة في الإصلاح الإعلامي والتطهير الداخلي .

وكان وجود الأستاذ (الناجي الحربي) مديرا لهذا الموقع من أسباب انتشار الموقع واتساع رقة متابعيه ؛ لما يحظى به من قبول واسع ودبلوماسية اجتماعية كبيرة في التعامل مع كمية المقالات وتوزيعها واختيار الجيد منها والأكثر تأثيرا , بالإضافة إلى تشجيعه الدائم للكتاب وحثهم على الاستمرار في الكتابة .

وليس من قبيل المبالغة القول بأن موقع السلفيوم كان نواة الكتابة المعارضة للأوضاع القائمة وخروجه من عباءة السلطة لم تكن نقیصة فيه بل إنه استخدم هذا الوضع في الانتقاد دون اتهام بخيانة أو ملاحقة بتهمة التآمر .

المدونات الخاصة :

جانب آخر من حراك المدينة يرتكز على التقنية الالكترونية , تمثل في المدونات الخاصة لكل أديب وشاعر , أو موثق وباحث , هذه المدونات لقيت إقبالا في فترات وتراجعت في أوقات أخرى ؛ نظرا لطابعها الشخصي ولعدم سهولة التعامل مع الجانب التقني بها , والمشاركة تكاد تكون محدودة لاشتراك المادة مع مساهمة الأديب في صفحات التواصل الأخرى , كصفحات الفيس بوك وتويتر أو المواقع المحلية , كانت المدونة بيت الأديب الخاص وحافضة كبيرة لمجمل نتاجه , يرجع إليها عند الحاجة .

لكنها كانت تمنح صاحبها القدرة على النشر دون إذن خاص وبدون ترتيب مع إمكانية الحذف والتعديل . من هذه المدونات برزت كل من :

(الخروبة) لأحمد يوسف عقيلة .. (أصابع المطر) لنورا إبراهيم .. (أنفاس) للشاعر مفتاح ميلود (الفريكة) للشاعرة سعاد إبراهيم .. (المظلال) للشاعر الغنائي سالم الكواش .. (براح الأفكار) للكاتب سعد الحمري .. (تفاصيل) للشاعر عبدالباسط أبوبكر .. (شبوب) للقصص فتح الله

المجذوب .. (مطرالكلام) للقصص الصديق بودواره .. (هديل) للشاعر الغنائي عبدالسلام الحجازي
(5)

هذه المواقع الالكترونية كانت ملجأ الناس ومحط متابعتهم , وأثرت إلى حد ما في قناعاتهم وتواصلهم , والرود على الرغم من حرصها ورمزيتها , منحت جانبا لافتا لا يخفى من التذمر وعدم الارتياح لأوضاع بائسة عاشتها البلاد , والتعليقات الساخرة استخدمت بكثرة للتعبير عن حالة الانزعاج ودعوى الرفض ومحاولة التغيير ..

كان هذا تأصيلا لحالة الأدب في مدينة لا تقع تحديدا ضمن اهتمامات الدولة , ولم تكن السلطات تنتبه كثيرا لما يكتب فيها , ولم تشكل مصدر إزعاج أمني كالمدن الكبرى في ليبيا .

لكن - من وجهة نظر الباحث - فإن ما نشر في هذه المدينة كان مؤثرا بلا شك , والهدوء الذي حظيت به المدينة لم يمنعها من الثورة في بداية الأمر , واستطاع أهلها تحقيق الانطلاقة المبكرة للتغيير وظل الأدب طيلة السنوات السابقة يلوّن المشهد البيضاوي ويثير الرغبة في نفوس الناس لضرورة الثورة ولو بعد حين .

نماذج ..

لم تكن الكتابة على نسق واحد واقترب الكتاب من مشاعر الناس أدبيا كان متفاوتا , قياسا إلى تحريكهم سياسيا أو دعوتهم إلى تبني موقف معين , تراوحت الكتابة في الشأن السياسي بين الرمزية المفرطة , التي تكاد تبتعد عن الفهم الحقيقي للمراد وإمكان صاحبها أن يسحبها حيث يريد مستعينا بقدرته على صوغ الدلالات وتوظيفها .

هذا الجانب الرمزي ادخل الكتاب في أزمة الكتابة به وتركيزهم عليه حتى طغى على مجمل كتاباتهم لا حقا وفي ظروف أفضل , فلم يقدروا على التخلص من نمط الكتابة المليئة بالألغاز والصور الخاصة .

⁵ (المدونات من مدونة (الخروبة) لأحمد يوسف عقيلة

لكن الكتابة مع الوقت حررت البعض وشجعتهم على التصريح بالمراد بصيغة أدبية ساحرة , وبهامش العودة والتفسير لكل كلمة إن اضطر لذلك , لكن الكتابة كانت واضحة ولا تحتمل أسلوباً آخر غير النقد .

هذا عن المنشور والمعلن أما الكتابات غير المنشورة فقد ظهرت لاحقاً وفيها الكثير من الدلالات والرموز المعارضة , لكن قسوة النشر وضغط الرقابة منعها من الظهور والانتشار .

في هذا البحث يصعب الإحاطة بكل كتاب المنطقة ومن غير المنطقي جلب كل نتائجهم وحشره في بحث قصير , ولكن الأمر سيقصر على حالات تعكس كل واحدة منها ظرفاً خاصاً ووسيلة محددة للتعبير , بالإضافة إلى مدى تأثيرها على القراء وانتشار خبرها في الصفحات , وكذلك شجاعة كاتبها في تحمل مسؤولية نشرها وعرض أفكاره فيها.

1. الكاتب : جابر سعد سليمان : (6)

انتهج جابر مسلك المباشرة في طرحه للفكرة , عرضة ذلك للتحقيق المباشر وإلى السجن أيضاً , تعكس كتاباته بداية الصدام غير المدروس مع الجماعة الحاكمة , وقبل التفكير في منح الحرية لبعض الكتابات .

كتب جابر مقالاً بصحيفة الفجر الجديد بتاريخ 12-2-1999 وذكرت فيه (إن تملك الشركات والوحدات الإنتاجية يضر الصالح العام ولا يخدمه , بدليل إن الشركة تنهار فور تملكها) فكان أن تم القبض عليه وإيداعه سجنًا احتياطياً مفتوحاً لمدة ثلاثة عشر شهراً بتهمة الإساءة لسياسة الدولة .

ولكنه عاد بعد ذلك بشكل طبيعي ليكتب في الشأن العام بصيغ أكثر ميلاً للتعميم , وركز على حياة المواطن ومعاناته فنجدته في قصة بعنوان : " الكتاب الصريح في وصف رقادة الريح " يقول بعد إن سرد معاناة رجل واحد في المجتمع الليبي ينهي معاناته بالقول :

⁶ (كاتب ومدون وعضو مؤسس في منتدى السلفيوم الإخباري .

"مثالنا يا سادة , مواطن خارق للعادة , أبى إن يسرق كمن سرق , ورفض السباحة خلف من في الحرام غرق, بل تعلم أن القناعة كنز لا يفنى, ففنييت القناعة وما حقق ما تمنى, وتعلم أن الإنسان يملك سبع أرواح كالهرة, لأنه يموت كل يوم ألف مرة ومرة , مات يوم عجز عن شراء الدواء, لطفته التي أصابها عضال داء , مات ألف مرة ومرة , يوم لم يجد ثمن رغيف خبز ذات مرة , مات بكافة الأنواع والطرق العديدة , بيوم عيد لا يملك لصغاره ثمناً لملابس جديدة , مثالنا يا سادة مواطن كالعادة , لا يملك مركوباً ولا يجرو أن يفكر فيه.. لكونه ما وجد منزلاً عن ذل الإيجار يحميه ... لكن ... لا بأس فمثلك كثيرون ... تحت الخط والريح راقدون ... لا يملكون إلا انتظار تصريحات المسؤولين ... لعل وعسى قد تأتى يوماً بما تتمنون وتشتهون ... و" إنا لله وإنا إليه راجعون ... " (7)

2. الشاعرة : سعاد يونس .

نموذج نسائي بارز في مدينة البيضاء , وشعرها الحر غير المقيد كان يأتي تباعاً في مدونتها الخاصة التي أطلقت عليها اسم (الفريكة) بدأت سعاد في انتهاج الأسلوب الرمزي الصارم , واستطاعت إخفاء ما تريده من إشارات في متون قصائدها , وقد نختلف معها في جدوى الرمزية ودلالاتها الحقيقية لكن شيئاً من الرفض يبرز في مجمل نتاجها وإن لم تكن القصيدة بمفرها مفتاحاً لتمير موقفها .

قد نقف عند قصيدة كتبها للحديث عن سجناء (أبو سليم) على حسب قولها , وهذا كان من المحرمات في ذلك الوقت والقضية من أكثر الأمور حساسية في وجدان الدولة وأجهزتها الرقابية , هذا ربما جعل القصيدة تأخذ عنواناً مختلفاً عن الموضوع , وسارت القصيدة برمتها في طريق رمزية حادة يصعب الربط بين الكلمات ومعانيها إلى لمن عاش فكرة التأليف أو تأثر بأسلوب الشاعرة

تقول سعاد في قصيدة : (رجماً بالسؤال)

عجبا يا أمي عجبا

إني أراك في منامي

(7) نشرت في موقع السلفيوم بتاريخ 27-07- 2009

تقرئين قصائدي كلها
وجميعنا يعلم أنك لا تجيدين القراءة
وأراني أتوسد خبز الغائبين
(البائتين)* من غير ليل
أنبش في مراقدهم
بحثا عن بوصلتهم الضائعة
في بلاد الله
وأرى بجوارك يا أمي
أربعين بقرة وبقرة
ترقص في عيد ميلاد "سيفيروس"
الميت عام وصوله إلينا
بالساحة الخضراء
والغريب أني يا أمي
أنني أحدثك عن المنام
في أوج منامي
وأنني أصير بعضا
من رائحة وطني
أزرعها بجوار خيامي
وأنني أراك

وَأَنْ لَا صَمْتُ وَلَا كَلَامَ

والغريب يا أُمِّي

أُنِي أَحَدْتُكَ

رجما بالسؤال (8)

فالرمز يظهر دون شك في مقابل حجم المأساة لهؤلاء الضحايا . وقد نتلمس إشارات كثيرة تصنع الهدف وتشير إلى الدلالة كمثل قولها : وأراني أتوسد خبز الغائبين ... البائتين من غير ليل . أنبش في مرأدهم .. بحثا عن بوصلتهم الضائعة , أو إشارتها إلى سنوات الحكم الماضية في قولها : وأرى بجوارك يا أُمِّي ... أربعين بقرة وبقرة...ترقص في عيد ميلاد "سيفيروس"الميت عام وصوله إلينا بالساحة الخضراء

لم تحدث إشارة إلى مجزرة ولا تحديد لحادثة , ولكنها تسجّل موقفا عاما وخلفية واضحة لإمكانية ذلك الحدث ولتأكيد حصوله في وضع رسم بعناية .

3. الشاعر والكاتب : عبد الباسط أبو بكر :

كان عبدالباسط أبو بكر من أكثر الشعراء نتاجا في الوسط البيضاوي . وكتب الكثير من القصائد الفاخرة التي حظيت باهتمام كبير في ليبيا وخارجها , ولعل التكريم الخارجي كان أكثر إنصافا له من الداخل , كتب الشاعر الكثير من قصائد الحب والوطن , وإن لجأ في بعض أوقاته إلى التعبير بالمقالة عن وضع البلاد ونظرته الوجلة لأوضاعه .

⁸ (نشرت قصيدة (رجما بالسؤال) بتاريخ 12 مايو 2010م في مدونة الفريق الخاصة بالشاعرة

كتب عبدالباسط قصة (الطابور) بشكل أدبي راق، جمع بين القصة والشعر والحدوثة وزينها بشيء من داخله الشعري الرومانسي .

وعلى الرغم من رومانسية الشاعر إلا أنه عاش تجربة مريرة من نتائج السياسات الخرقاء للدولة , فكان الطابور الطويل إشارة غير سارة إلى حال غريبة في الوطن، ونقص في إمكانية الوفرة والرفاه المنشود .

يقول في جانب من قصته معبرا عن كم الألم في مشاهداته :

" أيُّ وجعٍ هذا الذي يرغمني صديقي على مشاركته فيه .. (طابور من الأرقام) .. آه من لعنة المشاغل .. كيف تُصَيِّرُ الإنسان إلى قطعةٍ من أفكار جامدة ؟!

يبدو أنني أسرفتُ في الهذيان طويلاً .. حتى تكالبت عليَّ (التوافه المهمة) على حسب قول الشاعرة الكويتية (بثينة العيسى) .. وأنستني موعداً مهماً معها بعد الظهر

يا الله .. لماذا هذا العناء المقيت ؟ ! كلمةٌ واحدةٌ فقط .. بل ثلاث كلمات لا أكثر ولا أقل .. بعدها سأنتظر فترة من الزمن الطويل الممل ..

اليوم عموماً يوم الطوابير , في صباح هذا اليوم التقينا في أول طابور أمام شباك جباية الهواتف . وحين تلفت لم أجدّها , كان الطابور طويلاً , قضيتُ فيه نصف ساعة بالتمام والكمال .. يا الله ما أبخس قيمة الوقت عندنا !! بعدها تلاقينا في طابور الخبز .. هذه المرة بسحنةٍ مختلفة .. تبدو مرهقة أكثر من أي وقت مضى . . فقدت أيضاً الكثير من بريقها وتوهجها .. لذلك تعرفت عليها بصعوبة !! تلاقينا أكثر من مرة .. من بعيد .. دون أن أغوص في تفاصيلها .. كبلي الاشتاء .. وأفقدني بهاء رؤيتها .. أيُّ مرارةٍ أتجرعها الآن !! (9)

هذا نصٌّ يمزج بين حالة الناس في مجتمع محبط وبين حالة الكاتب الخاصة التي بنيت على الانتظار والترقب والتوق إلى الجديد ولو من خلال الوقوف في طابور الانتظار , الزخرفة الفنية تغطي كثيراً على المباشرة وسرد المشكلة بشكلها القبيح , وحاول الكاتب أن يدخل بها عالماً من

⁹ (من قصة الطابور مدونته (تفاصيل)

التأويلات وضمن الكثير من المعلومات التي تخرجك عن حالة الطابور التقليدية , ومحاولته توظيف المشهد لبناء القصة على نمط فلسفي .

4. الكاتب والقاص : أحمد يوسف عقيلة .

عرف القراء أحمد يوسف من خلال كتاباته في الكثير من الصحف ومن خلال المقالات النقدية التي كتبت عنه محليا وخارجيا فهو " نافذة نطل من خلالها على مشهد واسع، يكاد يكون (بانوراما) لكل زوايا الحياة وأبعادها ومشكلاتها، وبخاصة ذلك الارتباط الوثيق بين البشر والطبيعة، في منطقة تتميز بعمق حضاري عريق" (10)

ولأحمد يوسف العديد من القصص المنشورة قبل الثورة منها

(الخيول البيض , غناء الصراصير , الجراب , عناكب الزوايا العليا , حكايات ضفدزاد الحرياء , خرايف ليبية غراب الصباح , درب الحلازين)

وفي قراءة دقيقة لقصص عقيلة، نكشف عن ملامح أسلوبه السردية، المتمثلة في استخدام اللغة العربية الفصحى المبسطة في الوصف، بمهارة عالية، إلى جانب اللهجة المحلية التي تظهر في الحوارات القليلة التي تتضمنها بعض القصص , وكذلك استخدامه عبارات متقطعة، كأنها لقطات، من أجل تكوين مشهد أو موقف، وهو نوع من السرد الذي يشبه لغة السينما لا يزال الكاتب يجد في عالم القرية بيئة خصبة لمروياته، لكنه أصبح يقترب من صخب المدينة، في قصص عديدة (11)

أما الثورة فكانت هاجسا لا يمكن إخفاؤه في كتابات أحمد , وما نشره قبل الثورة كان جريئا ومباشرا، وانتقاده كان بنبرة عالية ومتحدية، بدا ذلك في الكثير من كتاباته وقصصه وتصاعدت وتيرتها عبر صفحته الخاصة (الخروبة) فكانت جدارا يكتب فيه قصصه ومقالاته بشكل لافت ومشاغب , اختلطت فيه القصص العادية مع القصة الساسية المعارضة , بدون حسابات كثيرة , يظهر ذلك في الكثير من قصصه ومقالاته فنجد في مقالة (اللغة على وطن) يقول :

10 (د. محمد فليحي - مجلة ميدل إيست أونلاين - 25-06-2010

11 (د. محمد فليحي - المصدر نفسه

" اللعنة على وطن يجعلنا نتلقى أحذية العساكر في مؤخراتنا.. اللعنة على وطن يبذرنا في المنافى.. اللعنة على وطن يتحول إلى غول تتشطر أجسادنا من أجله دون أن يشبع.. اللعنة على وطن يُصنع فيه بائع الخضار لأن عربته التي أكلها الصدا مرت من أمام مبنى الحكومة الصدئة.. اللعنة على وطن يحارب فقراؤه فقط من أجل رفاه أغنيائه.. وألف لعنة على وطن يلتهم ولا يعطي... ورغم هذا.. فإننا نموت عشقاً لوطننا.. فنحن من سلالة أناس تشظت أجسادهم من أجل هذا الوطن اللعين.. وورثونا جيناتهم.(12)

ثم يصرح بغضبه في مقالة نشرها قبل الثورة بثلاثة عشر يوما بعنوان : (رفقا بليبيا) يقول فيها بكل حدة :

" رفقا بالشباب الليبي المحروم ورغم ذلك لا يمد يده.. ولا يعتدي على الممتلكات.. استجيبوا لمطالبه الأساسية.. دون تفضّل أو منة.. قبل أن يرفع سقف هذه المطالب.. وتفقد البلاد الأمن والأمان.. الشباب الليبي لا يؤمن بأي شكل من أشكال العنف.. فلا تجبروه على فعل شيء لا يؤمن به.. هل تعتقدون أن الشباب الليبي لا يسمع ولا يرى؟ من هو الذي لا يتفرّج على قناة الجزيرة؟ حتى الذين يلعنونها لا يفوتهم حصاد اليوم..!! (13)

لكن ذروة ما قدمه أحمد يوسف في سلسلة انتقاداته كان قبل ذلك بكثير حين جاءت مجموعته القصصية (درب الحلازين) المنشورة سنة 2010 م بقصة ساخرة عن حدث مشهور لا يحتمل تأويلا , فكتب أحمد قصة (ما وراء الخبر) عام 2007م وتمكن من إدراجها في مجموعته القصصية دون أن ينتبه لها أحد , وأعاد نشرها في مدونته قبل الثورة أيضا في 2011.1.18 .

ما وراء الخبر قصة تحكي حالة من اليأس من خطاب سيف القذافي حين استمع الناس إلى كلامه الطويل عن إمكانية التصحيح والإصلاح فكانت المفاجأة أن قال في نهاية خطابه : إن القائد (يقصد القذافي) هو خط أحمر ومن لم يعجبه ذلك فليشرب من البحر المتوسط .

كتب أحمد قصته في نمط ساخر ليرد بأسلوب مغاير ورسم صورة للشعب في حالة عدم الإعجاب , فأخذهم في صفه جميعا باعتبار أن المسألة محسومة والنتيجة واضحة وإن كان الحل مضحكا .

¹² (مدونة الخروبة - أحمد يوسف عقيلة - 2011.2.1م

¹³ (مدونة الخروبة - أحمد يوسف عقيلة - 2011.2.4م

لم ينتهج أحمد طريق الرفض للخطاب من باب السياسة بل من باب العصيان المدني , فصور الناس كلهم بعد الخطاب يتجهون إلى البحر ليشرخوا منه حسب ما طلب منهم .

فيقول في البداية :

في إحدى الليالي .. الأمير ببذلته السوداء الأنيفة , وصراحته الجارحة أحياناً .. يختم حديثه قائلاً: واللي ما يعجبه يشرب من البحر.. من أطول ساحل على البحر المتوسط ! على الرغم من ظاهر العبارة إلا أن الأمير قد قالها دون غضب.. حتى إن ابتسامته ملأت وجهه .

قبل استيقاظ الغربان في وادينا.. كان أهل القرى التي تقع في مجملها على الساحل يتجهون ناحية البحر . (14)

بهذا الأسلوب بدأت السخرية إلى آخر القصة لا وجود لحل آخر في بلد يحكمه العسكر إلا التعبير بشكل مسالم عن عدم القبول , فيقول في جانب منها :

" عند ارتفاع الضحى كانت الحركة باتجاه البحر ظاهرة.. على الأرجل.. في السيارات.. تزدهر تجارة البراميل والجالونات البلاستيكية.. من ذوات سعة اللتر الواحد.. إلى (القالين) الكبيرة التي لا يمكن حملها إلا في السيارة.. تظهر إعلانات من قبيل: (تخفيضات هائلة في ثمن القالين).. (إذا كنت غير قادر على الذهاب إلى البحر.. فسنجلب لك البحر إلى بيتك).. تغزو الأسواق زجاجات شراب البحر بأحجام عائلية .

ويستمر في سخريته ليقول :

على الطرق الإسفلتية المؤدية إلى البحر تنبت البوابات والحواجز الأمنية.. يظهر المهربون.. وتجار الأزمات.. يبرز الحمار كأفضل وسيلة للسير في الطرقات الجبلية الوعرة التي تمر عبر الغابة.. تظهر مقولة: (حيث تقف السيارة يبدأ الحمار).. تصدر صُحف يومية وبعض المطويات لمواكبة الحدث.. يغلب على أغلفتها اللون الأزرق.. تبرز مؤسسات خيرية لجلب شراب البحر إلى ذوي الاحتياجات الخاصة !

¹⁴ (قصة ما وراء الخبر - مدونة الخروبة - 2011. 1.18

ويختتم الأمر بشي من التهكم الممزوج بالمرارة وبطعم الملح :

... في قراءة لما وراء الخبر: (إن بعض الوافدين والمقيمين من العرب والأجانب والسّياح قد شربوا من البحر أيضاً.. لم يتسنّ تأكيد الخبر من مصدر مستقلّ.. أو ربما يكون بعض السكان المحليين قد شربوا من البحر أكثر من مرّة!).

فُبيل المغرب.. حَطّ البحر يشطر الشمس.. الأمير يقف وحيداً.. حافياً على حافة الموج.. يُحسّ بخدر المياه تلمس ساقيه.. الرذاذ ينقُط بذلته السوداء الأنيقة.. يبّل وجهه.. يُخرج لسانه مستشعراً طعم الملح.⁽¹⁵⁾

كانت هذه نماذج قليلة من مشهد كبير، لا يتسع البحث لسردها جميعاً، والتنوع فيها يبيّن أن الكتابة عبرت بجميع أنواعها عن الحالة المتردية للبلاد، ورغبة التغيير واردة مع انعدام البدائل، والشعور بأن ثمة شيء أفضل لليبيا من هذا الموضع.

خاتمة

في هذا البحث حاولت إظهار الأدب في البيضاء في أشكاله الكثيرة وبتعبيراته المتفاوتة، في وقت لم يكن يعي الكتاب فيه أهمية ما يكتبون ولا دلالاته ولا تأثيره.

كانت مجرد ضربة في فراغ السلطة القائمة للحريات، وكان الحظ وحده كفيلاً بمرور مثل هذا النتاج، وكان يمكن للحظة من لحظات المزاجية الفكرية أن يؤوّل كل ما كتبوه إلى وضع آخر، وأن تقتل كل كلمة وليدة باعتبارها مسيئة أو مهينة للدولة، وفي غالب الأمر يلجأ إلى شناعة الإساءة للفكر الجماهيري القائم.

¹⁵ (قصة ما وراء الخبر - مدونة الخروبة - 2011. 1.18

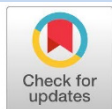
من أجل ذلك قلّت الكتابات الناقدة , وظلت معظمها حبيسة الأدراج وفي أجهزة أصحابها لم يجرؤوا على إظهارها .

ولأجل ذلك كان البحث حريصا على تسجيل تلك المحاولات الجريئة والمغامرة على الرغم من قلتها وخبثها .

والتوثيق يحفظ للكاتب حقه الأدبي وتكريمه المعنوي ولو في بحث بسيط كهذا , في انتظار جهد آخر أكثر شمولية وأوسع إدراكا لقيمة هذه الأعمال وتأثير نشرها في الوجدان المحلي .

هذا لا يعني أن البحث شامل لكل ما كتب ولكن تنويع الأعمال من حيث الشعر والنثر , ومن حيث الأسلوب الروائي أو الفن القصصي وسرد المقالة هو ما كان مهماً في هذا البحث ومحفزا للكثير من الأقلام لتكتب فيه .

أسأل الله أن أكون قد أطلقت بداية هذا المجال , ووضعت قدرا من الإضاءة على أدباء مدينتي وأعتذر بشدة لكل من ساهم في هذا الجانب ولم يذكره البحث ؛ لمحدودية أوراق البحث المعتمدة . ما أدى إلى اختصار النماذج .



حفريات قسم الآثار بمدينة بلاغري خلال الموسمين ربيع 2009 م وخريف 2009م

محمد التواتي بوشاح^{1*}

قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة عمر المختار

Doi: <https://doi.org/10.54172/da0rva82>

المستخلص: تقدم المقالة تقرير عن اعمال الحفريات التي قام بها قسم الآثار بكلية الآداب جامعة عمر المختار في مدينة بلاغري خلال الموسمين: ربيع 2009 وخريف 2009. التقرير يوضح أماكن هذه الحفريات ومجريات العمل ويبرز الأهداف التدريبية والأكاديمية المرجوة من هذه الاعمال. هو أيضا يبين اهم الحفريات التي تم اكتشافها ويبرز أهميتها الاثرية والتاريخية.

الكلمات المفتاحية: حفريات، بلاغري، الآثار

Excavations of the Archeology Department in the city of Balagrae during the seasons of spring and autumn 2009

Mohamed Touati Boushah

Department of Archaeology, Faculty of Arts, Omar Al-Mukhtar University

Abstract: This article provides a report on the excavation activities conducted by the Department of Archaeology at the Faculty of Arts, Omar Al-Mukhtar University, in the city of Balagrae during the seasons of spring and autumn 2009. The report outlines the locations of these excavations, the progress of the work, and highlights the training and academic objectives sought through these activities. It also details the significant discoveries made during the excavations, emphasizing their archaeological and historical importance.

Keywords: Excavations, Balagrae, archaeology

الموقع :

تقع مدينة بالاغراي¹ Balagrae على بعد خمسة عشر كيلو متراً إلى الغرب من مدينة كيريني Cyrene (شحات الحالية) وتشغل حالياً الرقعة المسيجة الواقعة إلى الشرق من منطقة الزاوية القديمة (دنقرا) والتي تخلع اسمها في الوقت الحالي على المنطقة الأثرية وما حولها.

في الواقع لا يوجد تاريخ محدد لإنشاء مستوطنة بالاغراي حتى الآن، ولكن علماء الآثار يرجحون تاريخها بالعصر الهلنستي، وهي الفترة التي أصبحت فيها منطقة كيرينايا (Cyrenaica)، تابعة لحكم الإسكندر الأكبر، ملك مقدونيا والبطالمة من خلفه، وذلك ما بين العامين 331-97 قبل الميلاد، ومما يدعم هذه الفرضية هو أن لفظة بالاغراي مقدونية الأصل ، ومما اكسبها أهمية وشهرة إقامة معبد اسكليبيوس Aesclepius أعلى التل، وذلك على غرار نظيرة في مدينة ابيداروس ببلاد اليونان على نحو ما يشير إليه الكاتب اليوناني صاحب كتاب وصف بلاد اليونان باورنياس Pausanias في منتصف القرن الثاني للميلاد ،وتأتى مكانة المعبد في انه كان مشفى للتطبيب والتداوي وذلك بناء على ما أمدتنا به المصادر الأدبية وزودتنا به الأدلة الأثرية ، الإشارة الثانية في المصادر الكلاسيكية كانت لأسقف إقليم كيرينايا سنسيوس Synesius في نهاية القرن الرابع ميلادي والذي لم يذكر المدينة نفسها وإنما ذكر في الرسالتين 104، 132 الجنود المقاتلين الأشداء من سكان مدينة بالاغراي والذي كان يعتمد عليهم في حربه على القبائل الليبية جنوب إقليم كيرينايا.²

لقد شهد الموقع في منتصف القرن التاسع عشر (1843م) عملية سلب لحجارته واستخدامها في بناء زاوية البيضاء وتزامن ذلك مع مرور الرحالة هاملتون Hamilton الذي صادف وأن شاهد بقايا أساسات دفعته إلى القول أن هذا الموقع يمثل مدينة بالاغراي ومعبد اسكليبيوس.

وفى عام 1915 حدثت عملية سلب أوسع للحجارة من قبل القوات الإيطالية وذلك لتشييد حصن في الجوار. وخلال الخمسينيات تأثر بعض الشيء الجزء الواقع جنوب المعبد من جراء تشييد

¹: اسم بالاغراي Balagrae يعتقد انه اسم علم متداول عند المقدونيين سكان مقدونيا شمال بلاد اليونان وان هذا الاسم جاء مع سيطرة الاسكندر المقدوني على مصر و إقليم كيرينايا في نهاية القرن الرابع ق.م. انظر الى.

- P. Kenrick. *Libya Archaeological Guides Cyrenaica, Silphium Press, 2013, p117*

لا يوجد إلى الآن دليل مادي يؤكد فرضية أن بالاغراي أسست في الفترة الهلنستية وقد يكون أنها قد أسست خلال الفترة الإغريقية المبكرة حيث أسست مدن عدة في إقليم كيرينايا خلال فترة قصيرة من تأسيس كيريني عاصمة الإقليم ، ومن المحتمل ان يكون قد تم تغيير اسمها إلى بالاغراي خلال العصر الهلنستي وذلك على غرار يوسفريديس التي أصبحت برنيقي ، وتوخيرا التي سميت ارسنوى وذلك خلال العصر الهلنستي..

²: Ahmad Buzaian & Fuad Bentaher, *Excavation at Balagrae, Cirenaica : studi, scavi*

e scoperte. A cura di . E. Fabbricotti , O. Menozzi. *Atti del x Convegno di Archeologia Cirenaica, Chieti 2003. BAR2006, p153; G.R.H. Wright , Architectural details from the Asklepieion at Balagrae (Beida), Libyan studies 23 , 1992 pp45-48.*

نصب تذكاري، وفي ستينيات القرن الماضي مدت الطريق المؤدي إلى بنغازي ونتج عن ذلك تدمير للطرف الجنوبي للموقع الأثري.³

تاريخ الكشف الأثري للموقع:

قام سينزو كاتاني Sensio Catani بأول حفريات بعد أعمال السلب التي حدثت ما بين الأعوام 1915-1918م ومن الواضح أن هذه الحفريات كانت تهدف بالدرجة الأولى إلى إثبات أهمية المنطقة ووضع حد لعملية قلع الحجارة. جاءت هذه الحفريات على شكل اسبار نفذت في أماكن مختلفة من الموقع الأثري أفضت في مجملها إلى وجود مبنى عام له خصوصيته لم يتمكن من توضيح ملامحه وتحديد ماهيته إلا بعد نحو ثلاثة عقود لاحقة . وفي عام 1920م قام سيلفيو فيري Silvio Ferri بعمل مجسات لا تكاد تختلف عن ما قام به سينزو، وإن كانت هاتين الحفريتين لم تتسما بالطابع المنهجي فانه لا ينكر فضلها في حماية الموقع الأثري من التدمير. استؤنفت أعمال الكشف بين الأعوام 1956-1958م على يد جودتشايلد Good child وقدر لها أن تميّط اللثام عن بقايا حرم اسكليبيوس و الاوديون (مسرح صغير يستخدم للمحاضرات والحفلات) التابع له ، ومن أهم اللقي التي تم العثور عليها في هذه الحفيرة هو كنز العملة المكون من 259 قطعة عملة برونزية والتي وجدت متناثرة على أرضية منزل متأخر بني لاحقاً في الممر المسقوف Ambulacrum للاوديون ، وقد أرخت العملة إلى القرن الرابع الميلادي واستشف من خلالها التغير الوظيفي للاوديون ، وتوثيق الزلزال العارم لسنة 365م الذي دمر اغلب مدن الإقليم بشكل كامل.⁴

استؤنفت أعمال الكشف عام 2001م بعد فترة انقطاع طويلة في الطرف الشرقي من الموقع بإشراف الأستاذ احمد بوزيان والدكتور فؤاد بن طاهر واستمرت سبع مواسم نتج عن هذه العمل الكشف على منشأة صناعية لصناعة النبيذ ومقصرة لعصر الزيتون إضافة إلى فرن لإنتاج الجير، ومن خلال هذا الكشف أمكن تكوين فكرة مهمة لا بأس بها عن النشاط الاقتصادي والنظام الغذائي والنمط المعيشي لبالاغراي.

³: Ahmad Buzaian & Fuad Bentaher op .cit, pp153-154;G.R.H. Wright. Op.cit . p.48

⁴: Ahmad Buzaian & Fuad Bentaher op .cit, pp153-154;
ر.ج.جودتشايلد، دراسات ليبية، ت عبدالحفيظ الميار و احمد اليازوري، مركز جهاد الليبيين 1999، ص ص 364،365.



شكل 1: حوض الهرس والخابية لمعصرة العنب (تصوير احمد بوزيان)



شكل 2: صورة لفرن الجير (تصوير احمد بوزيان)

بعد ذلك استمرت أعمال المسح والحفر في هذا الموقع (موقع مدينة بالاغراي) وبالتحديد في منزل فيري والذي يقع شرق الاوديون مباشرة وكانت تحت إشراف أ: محمد التواتي وذلك خلال المواسم ربيع 2009 - خريف 2009 و ربيع 2010 وخريف 2012 و ربيع 2013 و ربيع 2014 .

أهداف هذه الحفريات :

1. **جانب تدريبي:** يعد هذا الجانب الحافز الأساسي لهذه الحفريات. معروف أن بلادنا الحبيبة تزخر بالآثار التي تغطي مختلف العصور بدءاً من عصور ما قبل التاريخ وتستمر من دون انقطاع إلى أواخر العهد التركي في مطلع القرن العشرين، وما من شك أن دراسة هذا التراث الإنساني الهائل والحفاظ عليه يتطلب برنامجاً طموحاً تتبناه مؤسسات تتولى من خلاله نقل الخبرات والتقنيات جيلاً بعد جيل، ويعد التدريب على عملية المسح والتنقيب الأثري أهم الأسس التي يقوم عليها التدريس في علم الآثار.

2. **جانب أكاديمي:** يتم من خلاله إلقاء الضوء حول تطور بالاغري خلال العصور القديمة وذلك من خلال إجراء بعض الحفريات الانتقائية التي تضع في الاعتبار النظر إلى طبيعة العمارة وتخطيط الموقع والنشاط الاقتصادي والعائدي للموقع.

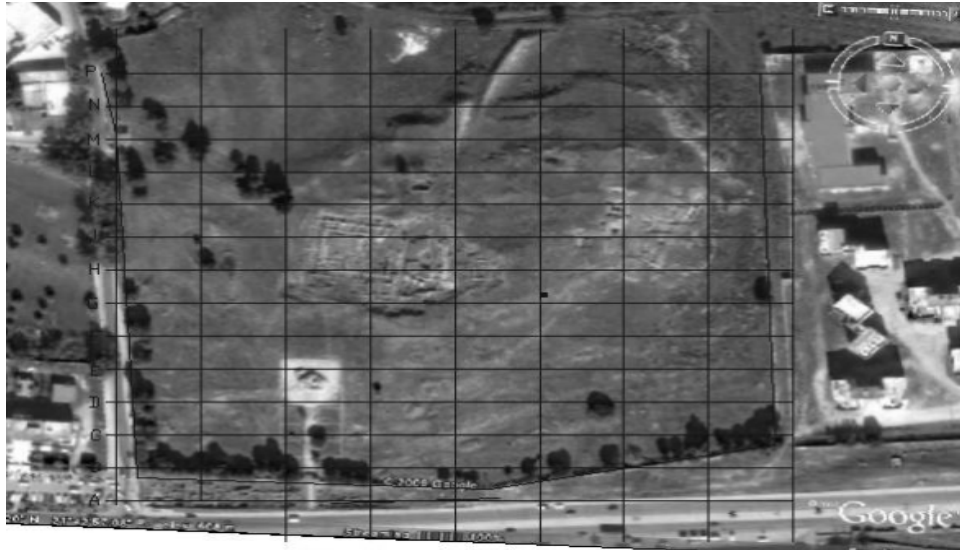
أعمال المساحة وإسقاط الشبكية:

تم وضع شبكية للموقع بالكامل في أول موسم حفريات لقسم الآثار جامعة عمر المختار وذلك لتنظيم عملية التوثيق والتسجيل كما حددت أيضاً نقطة الإحداثية الرئيسة Datum Point وذلك عند الحافة الشرقية للتل ويمكن ربطها مؤقتاً بالسور الشرقي للموقع حيث تبعد عنه بمسافة 40متر أما عن السور الجنوبي فقد بلغت المسافة 103متر ، وإلى الغرب بزاوية قائمة من الإحداثية الرئيسة وعلى مسافة 72.50متر وضعت إحداثية أخرى مساعدة على خط القاعدة Base Line باتجاه الشمال ليس مطابق تماماً للشمال الجغرافي ، وتم تحديده بجهاز المزواة Theodolite ويبلغ ارتفاع الإحداثية الرئيسة 600 متر عن مستوى سطح البحر.

الشبكية:

وهي عبارة عن خطوط رأسية وأخرى أفقية تتقاطع فيما بينها في مسافات ثابتة مكونة مستطيلات أو مربعات يتم ترقيمها ، للشبكية خطان رئيسيان وهما رأسي من الشمال إلى الجنوب يمر على نقطة الإحداثية الرئيسة، وأفقي من الشرق إلى الغرب يتقاطع مع الخط الرأسي عند نقطة الإحداثية الرئيسة، وتوجد خطوط رأسية فرعية موازية لهذا الخط الرأسي يفصل بينها مسافة 40متر ، أما الخطوط الأفقية الفرعية تكون المسافة الفاصلة بينهما 20متر ، ينجم عن هذا التقاطع مستطيلات ذات أبعاد ثابتة 40 x 20متر ، ويبدأ الترقيم برقم 1 على طول الخط الأفقي ويتغير الرقم عند كل نهاية 40متر ، ويقابل ذلك عند الخط الرأسي أحرف لاتينية تبدأ

بحرف A ويتغير الحرف مع نهاية كل 20 متر (منعاً لحدوث أي لبس الغي الحرفان I.O) ترقيم هذه المستطيلات يأتي من معرفة الحرف المقابل للمستطيل (رأسي) والرقم المتفق معه (أفقي) ، هناك ضرورة تملئها ظروف التنقيب وشروط التسجيل والرسم حيث تقضي بأن يقسم كل مستطيل من مستطيلات الشبكية إلى مربعات أبعادها 5x5 متر وينتج عن هذا التقسيم 32 مربعاً يبدأ ترقيمها من رقم 1 عند الركن الشمالي للمستطيل باتجاه ركنه الغربي حتى الرقم 8، ويستمر الترقيم في الصف الثاني للمربعات أسفل رقم 1 رقم 9، من رقم 1 إلى 9 يسبقه رقم 0- حتى الرقم 32 وهو آخر مربع عند الركن الجنوبي للمستطيل ، ويعقب ترقيم كل مربع شرطة - ورقم المستطيل الذي يقع ضمنه المربع ، مثال على ذلك G4-O6 أي المربع السادس من المستطيل G4.



شكل 3: صورة للشبكية التي أسقطت على الموقع.

مجريات العمل للموسم ربيع 2009:

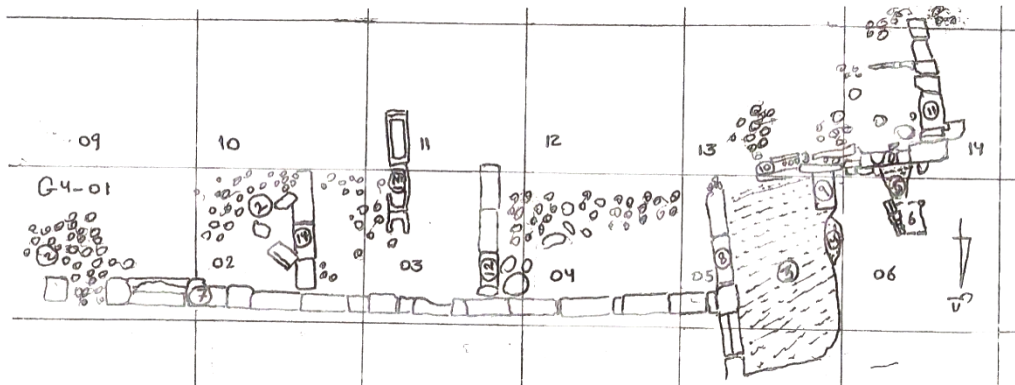
إن الهدف من اختيار المكان الذي أقيمت فيه الحفريات في هذا الموسم والذي يقع جنوب شرق الاوديون ؛ هو استكمال التنقيب في الجزء الجنوبي للمنزل الذي كشف عنه Silvio Ferri عام 1920 م، حيث تبدو سقيفة واضحة عند منتصف الرواق الجنوبي ويبدو أنها تقود إلى المدخل الرئيسي للمنزل، ومن المحتمل انه يوجد صف من الحجرات على هذا الجانب وذلك من خلال العتبات أو بقايا المداخل الموجودة على الجدار الرئيسي للرواق الجنوبي

، ومن بين هذه الحجرات تلك التي تفتح على النهاية الغربية للرواق الجنوبي حيث تبدو أجزاء من أرضياتها الملاطية واضحة في طرفها الشمالي .

شهدت هذه الحجرة تقليص في حجمها بدليل وجود بقايا جدار من كتل مشذبة يعلو مباشرة أرضية الملاط وذلك عند الركن الجنوبي الغربي للحجرة. خلف هذا الجدار المتأخر مباشرة من ناحية الغرب يبدو دليل علي تدمير هذه الأرضية واضح لفسح المجال من إقامة نشاط صناعي تمثل في أرضية ملاط لغرض الهرس عليها متصلة بحوض مبطن، وهذا التركيب على الأرجح مرتبطاً بصناعة النبيذ، لذا من المهم إجراء المزيد من أعمال التنقيب والتقصي للتأكيد على وظيفة التركيبين وعلاقته بالظواهر الأخرى أهمها الخابية القريبة من ناحية الشمال الغربي ، وأيضاً محاولة التنقيب في الحجرة الواقعة مباشرة شرق الممر حيث كشفت الحفريات السابقة على جانبها الشمالي.

يقع هذا المكان المستهدف من أعمال التنقيب وذلك حسب تقسيم الشبكية الخاصة بالموقع في البقعة G4 والتي يبلغ أبعادها 40متر X 20متر مقسمة من الداخل إلى 32مربع تبلغ أبعاد كل مربع 5 X 5متر وتم تنظيف المربعات 01-02-03-04-05-06-09-10-11-12-13-14. كما تم تنظيف الجزء المكتشف من المنزل وذلك لتوضيح الارتباط بين المنزل والجزء المستهدف من أعمال التنقيب، بعد ذلك شرع في عملية التقاط سطحي للقي الأثرية وأعطى لها رقم محتوي + وتمثلت اللقى في كسر من الفخار الخشن وقرميد.

بداية الحفر كانت مع التربة السطحية والتي منحت رقم محتوي (1)، وقد تميزت باللون البني المائل إلى السمرة ، متماسكة بعض الشيء وتتضمن نسبة من الحجارة الصغيرة مع وجود بعض المخلفات الحديثة إضافة إلي كثرة وجود كسر القرميد والقليل من كسر الفخار، ومن غير المستبعد إن هذه التربة استغلت للزراعة الموسمية. (شكل 4)



شكل 4: الموقع G4 المخطط العام للحفريات ربيع 2009 . مقياس الرسم 1: 20

من ضمن الظواهر التي تؤكد هذا النشاط الزراعي المتأخر للموقع هي وجود كومات من الحجارة ناتجة من عملية تنظيف الأرض قبل عملية الزراعة وقد منحت هذه الكومات المنتشرة في الموقع محتوى رقم (2) كما أعطى للأرضية الملاطية في المربع G4.05 محتوى رقم (3) والتي يتراوح أبعادها 2.40 متر x 4.70 متر ، والأرضية أسفل منها محتوى رقم (4) (شكل 5).



شكل 5: الأرضية الملاطية 3 وتحتها الأرضية (4) توضح الجدران من الشرق جدار (8) ، ومن الجنوب جدار (10) ومن الغرب الجدار (9) نحو الجنوب. الشاخص 1 متر

وقد منحت أرضية الهرس الموجودة في المربعين 05-14 محتوى رقم (5) التي يبلغ أبعادها 1.15 متر x 1.15 متر، وهذه الأرضية متصلة بحوض مبطن مستطيل الشكل تقريباً يبلغ أبعاده 70 سم x 80 سم، ومنح هذا الحوض محتوي رقم (6) . (شكل 6)



شكل 6: بقايا أرضية الهرس (5) ، والحوض المبطن (6) ، كما تظهر الجدار (11) . نحو الجنوب. الشاخص 1 متر.

من الظواهر المعمارية التي كشفت عنها أعمال التنقيب في الحفريات السابقة هو الجدار الممتد ما بين الشرق والغرب والذي نعتقد انه الجدار الجنوبي للممر والذي يحوى على ثلاث عتبات أبواب للحجرات المراد الكشف عنها . ويوجد هذا الجدار في المربعات 01-02-03-04-05 ويبلغ متوسط أبعاد كتل هذا الجدار 1.20 متر وقد أعطى محتوى رقم (7). (شكل 7)



شكل 7: الجدار (7) والعتبة الأولى من الغرب. نحو الشرق . الشاخص 1متر

ينتهي هذا الجدار بتقاطع مع جدار متجه من الجنوب إلى الشمال مبني بنفس حجم الكتل المبنية منه الجدار رقم (7) تقريباً، ويقع هذا الجدار في المربع 05، وأعطى محتوى رقم (8) مرتبط بالأرضية الملاطية رقم (3) ويحدها من جهة الشرق والشمال ، كما أعطى محتوى رقم (9) للكتلة الموجودة فوق الأرضية الملاطية (3) وهي موجودة في المربع 05. كم تم الكشف عن جدار يوجد في المربعين 13-14 يختلف في أسلوب البناء عن سابقه أي مبني بأسلوب البناء المكون من وجهين ولب وأعطى له محتوى رقم (10) ، وهو يحد الأرضية الملاطية (3) من الجنوب (انظر شكل 2).

وقد كشف أيضاً في المربع 14 عن جدار يتجه من الشمال إلى الجنوب وأعطى له محتوى رقم (11) وحجارة هذا الجدار متباينة في الحجم والشكل (انظر شكل 3)، كما أعطى محتوى رقم (12) للجدار الموجود في المربع 03 والمتجه أيضاً من الشمال إلى الجنوب ومكون هذا الجدار من حجارة مشذبة ومن المحتمل أنها متزامنة مع الجدار (7) ، وتم الكشف أيضاً في المربعين 03، 11 عن ثلاث أحواض مصنوعة من الحجر الجيري ويبلغ أبعاد الواحد منها 50 سم x 1.20 متر، وبعمق 15 سم، وأخذت محتوى رقم (13) (شكل 8).



شكل8: العتبة الثانية من الغرب في الجدار (7) ، والجدار(12) والأحواض (13) ، التي يعلوها محتوى رقم (2) المكون من الحجارة غير المشذبة. نحو الجنوب. الشاخص 1متر.

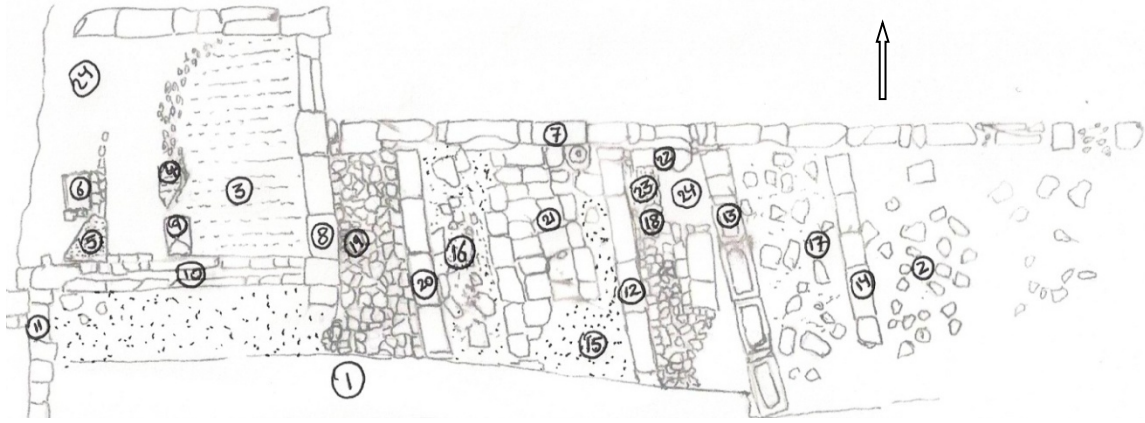
وفي المربع 02 يوجد جدار آخر يتجه من الشمال إلى الجنوب ومنح محتوى رقم14وهو مكون من كتل من الحجر الجيري مشذبة الشكل.(شكل9)



شكل9:العتبة الثالثة من الغرب في الجدار (7) ، والجدار(14) الذي يعلوه المحتوى (2) .نحو الجنوب. الشاخص 1 متر.

مجريات العمل لموسم خريف 2009م:

تم تركيز العمل في هذا الموسم بالمستطيل G4 في المربعات 02، 03، 04، 10، 11، 12 وكانت البداية في استكمال إزالة المحتوى (1) والمحتوي رقم (2) من هذه المربعات وكان الغرض من ذلك تتبع الجدران (8)، (12)، (13)، (14)، والتي تم الكشف عن أجزاء منها في الموسم السابق. وأيضاً استكمال العمل في المجس أ (شكل 10)



شكل 10: المخطط العام لموقع الحفريات موضح عليها أرقام المحتويات. مقياس الرسم 1: 100

باستمرار أعمال التنقيب في المربعات السالفة الذكر وبشكل أفقي تم الكشف عن الأرضية رقم (19) والتي تقع في المربعين 04، 12 وبالتحديد بين الجدارين (8)، (20) ويبلغ أبعادها 4.50x 1.50 م وهي عبارة عن أرضية معمولة من حجارة جيرية يبلغ متوسط أطوالها 30سم ومرصوفة بجانب بعضها البعض ، ولقد تم الكشف عنها بعد إزالة توضع من تربة طينية برتقالية تحتوى على كتل حجرية متباينة في الشكل والأحجام وكسر من الفخار الخشن والقرميد ،ومن المرجح أنها تمثل انهيارات أو ردميات، وأعطى لها رقم محتوى (16) ، وتم العثور في أسفل هذا التوضع على تسعة قطع عملة منتشرة فوق الأرضية (19) مباشرة.

من الظواهر المعمارية المميزة التي نجمت عنها أعمال التنقيب الكشف عن جدار رقم (20) مكون من كتل مشذبة متوسط أطوالها 1.20م وتم الكشف عنه بعد إزالة المحتوى (1)، (2) ولا يعلوه المحتوى (16) كما في الأرضية (19)، وهذا يبين بأن الكتل العلوية من هذا الجدار تم سلبها في فترة لاحقة أي بعد حدوث الانهيارات (16) التي تغطي الأرضية (19) والأرضية (21) (شكل 11).



شكل 11: صورة للأرضية رقم (19)، وللجدار رقم (20) وتوضح أيضا بقايا الانهيارات التي تمثل المحتوى رقم (16). الشاخص 1 متر نحو الجنوب.

أسفرت أعمال التنقيب الكشف عن أرضية حجرية أخرى وذلك في المربعين 03، 11 وبالتحديد بين الجدارين (20) و (12) وهي معمولة من كتل من الحجر الجيري متوسط أبعادها يبلغ حوالي 1.50م x 4.50م وتم الكشف عنها بعد إزالة المحتويات (1) و (2) و (16) وأسفل هذا الأخير وفوق الأرضية (21) تم العثور على 13 قطعة عملة مصنوعة من البرونز (شكل 12).



شكل 12: صورة للأرضية رقم (21)، وللجدار رقم (20) و الجدار رقم (12) وتوضح أيضا بقايا الانهيارات التي تمثل المحتوى رقم (16). الشاخص 1 متر نحو الجنوب.

المجس أ :

ينحصر بين الجدارين (12) والجدار (13)، وبالتحديد في النصف الشمالي من المربع G4.11، وقد شرع العمل في هذا المجس في الموسم السابق ، وكان الغرض منه محاولة قراءة التسلسل الطبقي للموقع ، و كذلك تتبع استمرارية الجدارين (12)، (13) ، وعلى عمق 87سم تم الكشف على أرضية حجرية منحوت رقم (18) ويبلغ أبعادها 1.70م x 4.50م وتم رصفها فوق الأرض الصخرية مباشرة، ومتوسط أطوال حجارة هذه الأرضية يتراوح ما بين 50 سم إلى 20 سم ، كما تبين أن الجدار رقم (12) مازال مستمر باتجاه الجنوب ، كما أوضح هذا المجس تسلسل طبقي مكون من محتويين وهما محتوي رقم (1) وتحتة المحتوي رقم(15) والذي يمثل توضع من تربة طينة بنية اللون متماسكة تحوى القليل من الكسر الفخارية والحصى الصغير ، وتم العثور في هذا المحتوي على قطعتين من العملة مصنوعة من البرونز. ومن خلال هذا المجس أيضا تبين أن الجدار رقم (13) مكون من ثلاثة صفوف فوق بعضها ، والكتل في الصف العلوي تم نقرها في فترة لاحقة وذلك لاستخدامها كأحواض ، ومن الواضح أيضا أنها مازالت مستمرة باتجاه الجنوب(شكل 13)



شكل13: صورة للأرضية رقم (18)، وللجدار رقم (12) و الجدار رقم (13) وتوضح أيضا المسقط الراسي للمجس أ. الشاخص 1 متر نحو الجنوب.

استهدفت خطة عمل هذا الموسم التنقيب في المكان المحصور بين الجدار (13)، والجدار (14)، وبعد أزالته المحتوي (1) والمحتوي (2) تم الكشف عن توضع مكون من تربة طينية فاتحة ومفككة تتخللها كتل حجرية متباينة في الأشكال والأحجام وكذلك كسر من الفخار الخشن

والقرميد ومنح هذا التوضع رقم محتوى (17) ، ومن المحتمل أن هذا التوضع يمثل انهيارات تشبه كثيرا الانهيارات التي وجدت فوق الأرضيتين (19)، (21) والتي منحت محتوى رقم (16)، ومن خلال بعض الكتل الحجرية المنتشرة في هذا التوضع (17) تم الكشف عن أجزاء من عناصر معمارية لقوس منهار (شكل 14).



شكل 14: صورة للتوضع رقم (17) المحصور بين الجدارين (13) ، (14) يوضح الردميات التي تمثل انهيارات .الشاخص 1 متر نحو الشرق.

اللقى الصغيرة والمميزة:

في هذا الموسم تم الكشف عن 24 قطعة عملة وكلها مصنوعة من البرونز ثمانية منها غير واضحة الملامح و16 بحالة جيدة نسبياً وهي كالتالي :
العملات التي عثر عليها فوق الأرضية (19) يبلغ عددها 9 قطع عملة 7 منها بحالة جيدة ، و2 منها غير واضحة الملامح ، ووجدت على ارتفاع 619.60 متر عن مستوى سطح البحر وفوق الأرضية رقم (19) مباشرة (شكل 15).



شكل15: نموذج من قطع العملة التي وجدت فوق الأرضية (19) يحتوى المركز على صورة لرأس الإمبراطور قسطنطينوس الثاني ويتوج رأسه عقد من اللؤلؤ، وظهر العملة يتوسطه أحرف وأرقام في أربعة اسطر مطوقة بإكليل من الغار. وتؤرخ هذه القطعة ما بين 341-346م⁵

أما بالنسبة للعملة التي عثر عليها فوق الأرضية (21) فيبلغ عددها 13 قطعة ثلاثة منها في حالة سيئة، ووجدت على ارتفاع 619.40 متر عن مستوى سطح البحر وفوق الأرضية رقم (21) مباشرة (شكل 16).



شكل16: نموذج من قطع العملة التي وجدت فوق الأرضية (21) يحتوى المركز على صورة نصفية لامرأة -ترمز للعاصمة الجديدة القسطنطينية - وترتدي درعاً وعلى رأسها خوذة ، ويظهر بجانب كتفها الأيسر صولجان متجه إلى اعلي ، وظهر العملة تتوسطه آلهة النصر ، وتؤرخ هذه العملة إلى الفترة ما بين 331-334م.⁶

كما عثر أيضاً في المحتوي رقم (15) على قطعتي عملة، واحدة منها في حالة جيدة والأخرى متحللة تماماً، ووجدت على ارتفاع 619.10 متر على مستوى سطح البحر (شكل 17).



شكل17: نموذج من قطع العملة التي وجدت في المحتوي (15) يحتوى المركز على صورة نصفية للإمبراطور قسطنطينوس الثاني CONSTANTIUS II، وظهر القطعة صورة لجنديين متقابلين تغطي

⁵ -P.V.Hill&J.P.C.Kent, Late Roman Bronze Coinage , London1960, p29; S.W.Stevenson. Dictionary of Roman coins, Republican and Imperial, London1889.pp 262-264; رج.جودتشايلد، المرجع السابق، ص 366.

⁶ -P.V.Hill&J.P.C.Kent, op.cit ,p93; S.W.Stevenson.op.cit,pp260,

رأس كل منهما خوذة عسكرية وتظهر بينهما راية الجيش Standard ويحمل كل منهما رمحاً، وتؤرخ هذه العملة إلى الفترة ما بين 336-337م⁷

وقد تبين من خلال الدراسة المبدئية لكل القطع التي عثر عليها في هذا الموسم أنها تؤرخ بالنصف الأول من القرن الرابع الميلادي وان غالبيتها ضربت إبان حكم أباطرة الأسرة القسطنطينية وبالتحديد في الفترة ما بين 313-364م. وبعد ذلك تعزيزاً للأدلة التي قدمها جودتشايلد أثناء حفرياته التي أجريت في الجوار وكشفت عن حرم اسكليبيوس والمسرح. وقد عثر ضمن أنقاض هذا الأخير في الدهليز المقنطر الملتف خلف المدرجات على كنز من العملة مكون من 259 قطعة عملة وواضح أنها طمرت قبيل الانهيار الذي خلفه زلزال عام 365م.⁸ من اللقي المميزة أيضاً العثور على مشبك لتثبيت الملابس في المحتوي (16) وفوق الأرضية (21) وعلى نفس الارتفاع تقريباً (شكل 18)



شكل 18: صورة لمشبك لتثبيت الملابس عثر عليه في المحتوي (16) وفوق الأرضية (21) مباشرة

من خلال ما تقدم يمكن أن نميز ثلاث مراحل زمنية مر بها هذا الموقع وهي كالتالي : المرحلة الأولى : يمثلها الأساسات أسفل الجدار (7) والجدار (20) والجدار (13) والجدار (14) وذلك من خلال التماثل في أسلوب البناء ومواد البناء التي بنيت بها هذه الجدران. المرحلة الثانية : ويمثلها الجدار (7) بعباته والأرضيات (19) و (21) و (18) ومن المحتمل أنها تؤرخ إلى فترة ما قبل زلزال 365م، وذلك بناء على الترابط والتناسق بين الأرضيات الحجرية والجدار (7) ويعزز ذلك العثور على العملة سالفة الذكر منتشرة فوق هذه الأرضيات والتي تبين أنها قد تبعثرت عليها عندما انهار البنيان الذي كان يضمها اثر حدوث زلزال 365م . المرحلة الثالثة: ربما يمثلها التركيب المعماري الخاص بصناعة النبيذ وهي الأرضيتين (4) و (3) وأرضية الهرس (5) والحوض المنقور في الصخر (6)، والجدران (11) و (10) و (9) و (8)، وهذه الفترة تؤرخ إلى ما بعد زلزال 365م، ومن المحتمل أن هذا المبنى

-P.V.Hill&J.P.C.Kent, op.cit,p94;

رج. جودتشايلد ، المرجع السابق، ص366

⁸: -R.G.Goodchild,A coins hoard from Balugre (El-Beida) and earthquake 365 A D , Libya :
Antique ,Tripoli 1968, vol.III- IV,1966-67,p. 205; P. Kenrick,op.cit, p119;

رج.جودتشايلد، المرجع السابق، ص367.

قد تم تغيير نشاطه في هذه الفترة من مكان سكني إلى منشأة لصناعية النبيذ بعد أن دمر الزلزال هذا المبنى.

لابد من الإشارة في نهاية التقرير أن عملية التنقيب لازالت في طور البداية وبالتالي فإن التفسيرات والتواريخ المقترحة ليست بالضرورة حاسمة ونهائية وربما يطرأ عليها تنقيح أو تغيير كلي بناء على ما تقدمه الحفريات المستقبلية في هذه المستوطنة الواعدة من نتائج. إننا نتوقع أنها تخبئ في ثناياها إرث حضاري عريق ومعلومات غاية في الأهمية ربما تعيد كتابة تاريخ الإقليم خاصة لما انفردت به من أهمية دينية/طبية وموقع استراتيجي يسر لها سبل الشهرة والازدهار.

المراجع

ـ ر.ج.جودتشايلد، دراسات ليبية، ت عبدالحفيظ الميار و احمد اليازوري، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية 1999 م

- Ahmad Buzaian & Fuad Bentaher, Excavation at Balagrae, Cirenaica : studi, scavi e scoperte .A cura di . E .Fabbricotti , O.Menozzi. Atti del x Convegno di Archeologia Cirenaica, Chieti 2003. BAR2006,

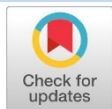
-G.R.H. Wright , Architectural details from the Asklepieion at Balagrae (Beida), Libyan studies23 , 1992

-R.G.Goodchild, A coins hoard from Balugre (El-Beida) and earthquake 365 A D , Libya Antique , Tripoli 1968, vol.III- IV, 1966-67

- P. Kenrick. Libya Archaeological Guides Cyrenaica, Silphium Press, 2013

-P.V.Hill&J.P.C.Kent, Late Roman Bronze Coinage, London 1960

- S.W.Stevenson. Dictionary of Roman coins, Republican and Imperial, London 1889.



دراسة اتجاهات معلمي مرحلة التعليم الأساسي نحو المعوقين

علي عمر ابوالطيعة عطية^{*1}

قسم النفس، كلية الآداب، جامعة عمر المختار

Doi: <https://doi.org/10.54172/jn1arh78>

المستخلص: إن تحسين حالة التعليم يتطلب فحص كفاءة المعلمين باعتبارهم جوهر العملية التعليمية. يلعب المعلمون دورًا حاسمًا في التنمية النفسية والاجتماعية للأفراد الذين ينمون بشكل طبيعي، ويصبح هذا الدور أكثر أهمية عند التعامل مع الأفراد ذوي الاحتياجات الخاصة. ومن هنا تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على اتجاهات معلمي التعليم الابتدائي نحو الأفراد ذوي الإعاقة في ضوء متغيرات الدراسة مثل الجنس، والعمر، والتخصص، والخبرة التدريسية.

الكلمات المفتاحية: معلمين، ذوي الاحتياجات الخاصة، التعليم، الاتجاهات

A study on the attitudes of basic education teachers towards people with disabilities

Ali Omar Abu Latia Attia

Department of Psychology, Faculty of Arts, Omar Al-Mukhtar University

Abstract: Improving the state of education requires an examination of the effectiveness of teachers since they constitute the essence of the educational process. Teachers play a crucial role in the psychological and social development of typically developing individuals, and this role becomes even more significant when dealing with individuals with special needs. Thus, the current study aims to identify the attitudes of primary education teachers towards individuals with disabilities in light of study variables such as gender, age, specialization, and teaching experience.

Keywords: Teachers, disabled, education, trends

مشكلة الدراسة

ان المعوقين كغيرهم من أفراد المجتمع لهم الحق في الحياه والنمو الي أقصى ما تمكنهم قدراتهم وطاقاتهم وميولهم إلى جانب ان تغيير نظرة المجتمع الي هذه الفئة من اعتبارهم علي مجتمعاتهم حيناً الي النظرة إليهم كجزء من الثروه البشرية الفاعلة حيناً آخر .

وتعتبر الاتجاهات احدي المحددات الأساسية للسلوك فأنماط السلوك المتوقعة من الآخرين نحو المعوقين تتأثر بشكل كبير بطبيعة الاتجاهات السائدة نحو المعوقين من الأفراد العاديين حيث ان ذلك يؤثر على الفرص المتاحة للمعوقين للتفاعل مع المجتمع ومؤسساته المختلفة وازاء الاهتمام بتطوير الخدمات التربوية والتأهيلية تظهر الحاجة الي التعرف على الاتجاهات السائدة نحو المعوقين .

وفي هذا يشير القريطي 1992 إلى أن الاتجاهات الايجابية نحو المعوقين يمكن أن تهئئ المناخ لتخطيط البرامج اللازمة لرعايتهم وتطويرها .

كما إن تحسن موقف التعليم يتطلب الوقوف على فاعلية المعلمين لان المعلم جوهر العملية التعليمية وله دوره الفاعل في النمو النفسي والاجتماعي للعاديين ويتعاطم هذا الدور الذي يلعبه المعلم حين يكون الفرد من ذوي الاحتياجات الخاصة وبذلك تتحدد مشكلة الدراسة الحالية في التعرف على اتجاهات معلمي مرحلة التعليم الأساسي نحو المعوقين في ضوء متغيرات الدراسة المتمثلة في (النوع - العمر - التخصص - مدة الخبرة) .

اهمية الدراسة :

ترجع أهمية الدراسة الي :

الاهتمام بفئة المعاقين والتعرف علي اتجاهات المعلمين نحوهم وذلك في سبيل رفع كفاءتهم ودمجهم في المجتمع ورفع البرامج التأهيلية والنفسية والاجتماعية المناسبة لهم .

يمكن الاستفادة من نتائج الدراسة الحالية في توفير برامج الرعاية التربوية للمعوقين .

الاتجاهات نحو المعوقين ينعكس اثرها علي الفرص المتاحة للمعوقين في المجتمع بصفة عامة وعلي شخصية المعاق واتجاهه نحو اعاقته .

التعرف علي اتجاهات المعلمين نحو المعوقين وذلك لوضع البرامج التأهيلية والنفسية والاجتماعية المناسبة لهم ليتعلمو كيفية التفاهم مع المعوقين وكيفية قيام تواصل معهم بشكل سليم خصوصا وان المعلمين هم اباء وامهات واخوه قد يتعرضون في أي وقت لمجئ طفل معوق في

اسرتهن وبتالي تكون لهم ارضيه صلبه ينطلقون منها لموائمة الوضع الجديد.

اهداف الدراسة

تحدد أهداف الدراسة الحالية بالإجابة علي التساؤلات الآتية :

- ما اتجاهات عينة الدراسة نحو المعوقين.
- ما اتجاهات عينة الدراسة نحو كل فئة من فئات المعوقين الذين شملتهم الدراسة الحالية.
- هل توجد فروق ذات دلالة احصائية في الاتجاهات نحو المعوقين بين عينة الدراسة وفقا لمتغير النوع .
- هل توجد فروق ذات دلالة احصائية في الاتجاهات نحو المعوقين بين عينة الدراسة وفقا لمتغير العمر.
- هل توجد فروق ذات دلالة احصائية في الاتجاهات نحو المعوقين بين عينة الدراسة وفقا لمتغير التخصص.
- هل توجد فروق ذات دلالة احصائية في الاتجاهات نحو المعوقين بين عينة الدراسة وفقا لمتغير مدة خبره .

إطار نظري

اولا : الاتجاهات :

تعريف الاتجاهات :

عرف آلبرت (1970) الاتجاه على انه " الاستعداد العقلي والعصبي الذي تكون خلال التجربة والخبرة والمواقف التي ترتبط بهذا الاتجاه " (عويس ، ابوحطب : 158).

ويعرفه (دوب) بأنه استجابة مضمرة غير صريحة تتميز بأنها استباقية ومتوسطة بالنسبة لأنماط المثيرات وبأنها دلالة اجتماعية في بيئة الفرد الاجتماعية (مخول، 1985: 170).

أنواع الاتجاهات :

الاتجاهات العامة والاتجاهات النوعية :

يتناول الاتجاه العام الظاهرة التي تعتبر موضوع الاتجاه من جميع جوانبها حيث يشملها كلية دون التعرض لجزئيتها ولا البحث في تفصيلاتها وبصرف النظر عن أي خصائص أخرى

تميزها عن غيرها ، فمثلا يكون الفرد اتجاها عاما نحو التفرقة العنصرية على جميع المستويات وفي كل المجتمعات واتجاها عاما نحو شعب معين بكل فئاته وأفراده ومؤسساته واتجاها عاما نحو الحرية والاستقلالية بكل خصائصها وسماتها وهكذا .

يتناول الاتجاه النوعي (الخاص) جزئية واحدة فقط من جزئيات ظاهرة تعتبر موضوع الاتجاه حيث يركز عليها وحدها فقط دون التعرض للظاهرة ، فمثلا قد يكون الفرد اتجاها خاصا نحو الاستعمار العسكري فقط واتجاها نوعيا نحو التفرقة العنصرية بين البيض والزنج فقط .

الاتجاهات الفردية والاتجاهات الجماعية :

يرتبط الاتجاه الفردي بذاتيه الإنسان حيث يتعلق به وحده دون ان يكون له تأثير على اتجاهات غيره نحو ظاهرة معينة لذلك يتناول الاتجاه الفردي ظاهرة أما من إطار الإنسان المرجعي المتضمن الأسلوب لحياته الخاص به والمميز له عن غيره من البشر .

يرتبط الاتجاه الجماعي بما يشارك فيه عدد من الأفراد من اتجاهات متشابهة نحو ظاهرة معينة بذاتها حيث لا يختلف أي منهم فيما يفكرون فيه ويشعرون به حول خصائصها من جميع جوانبها (عمر ، 1988 : 218).

الاتجاهات العلنية والاتجاهات السرية :

ترتبط الاتجاهات العلنية عند الفرد بما يؤمن به عادة من نظام للقيم السائدة في مجتمعه بحيث يكون مقبولا من عامة الناس . ومتفق عليه فيما بينهم مما يجعل الفرد لا يتعرض لأية ضغوط قهرية تتسبب في إحراجه أو الإضرار به عند إعلان اتجاهه او إظهاره على الملا من الناس (عمر ، 1988 : 220).

الاتجاهات السرية هي التي لا يمكن للفرد ان يبوح بها ويحاول ان يخفيها لانها لا تتفق مع معايير الجماعة (محمود ، 1994 : 177)

الاتجاهات القوية والاتجاهات الضعيفة :

ترتبط الاتجاهات القوية عند الافراد نحو ظاهرة ما بشدة بتأثيرها على احداث التغيرات المطلوبة فيها مما ينعكس أثارها بالضرورة على سلوكياتهم ، مما لاشك فيه ان السلوكيات الحادة التي تسهم بدرجة كبيرة في احداث تأثير ما على ظاهرة معينة تدل على قوة اتجاههم نحوها فمثلا يتكون اتجاه قوي عند المواطنين نحو أي عدوان عسكري يقع عليهم وعلى مجتمعهم من اية دولة اجنبية ذلك بدافع الغيرة الوطنية عندهم .

تتصف الاتجاهات الضعيفة المتكونة عن الافراد نحو ظاهرة ما بقلة تأثيرها في احداث اية تغييرات تذكر أي هي التي يكون تأثيرها على الفرد قليل الاهمية ويكون التعبير عنها قولا فقط ومن السهل التخلي عنها وتغييرها (عمر ، 1988 : 220)

الاتجاهات لاجابية والاتجاهات السلبية :

. الاتجاهات الايجابية وهي التي يتحزب فيها الفرد الى موضوع معين ويقوم بتأييده والدفاع عنه والدعوة اليه .

اما الاتجاهات السلبية هي التي يبتعد فيها الفرد عن موضوع معين ويقوم بمعارضته وعدم الموافقة عليه . (المخزومي ، 1995 : 18)

عوامل تكوين الاتجاهات :

لايمكن لاي اتجاه نفسي ان ينمو ويتطور مالم يكن هناك عدد من العوامل التي يجب توافرها حتى تسهم في احداث نموه وتطوره وفيما يلي ذكر لبعض هذه العوامل :

1- الاسرة : تعد الأسرة من العوامل الهامة التي تلعب دورا كبيرا في تكوين الاتجاهات فالاسرة تغرس في الطفل اتجاهات أساسية خلال سنوات تربيته الاولى وذلك من خلال عملية التنشئة الاجتماعية فالطفل يتاثر في بداية حياته بالاتجاهات السائدة داخل الاسرة نحو موضوعات او افراد او اعمال معينة مما يؤدي الى اكتسابه الاتجاهات او بعضها عن طريق التوليد والتعلم (علي، 1998 : 221).

2- المدرسة : يتضح دور المدرسة كعامل من عوامل تكوين الاتجاهات بأعتبارها مصدرا من مصادر التفاعل بين الافراد والبيئة الاجتماعية بما تحتويه من مكونات فلسفية ودينية ومعرفية وعلمية (امير ، 1998 : 107)

3- المجتمع : يلعب المجتمع دورا في تكوين اتجاهات وميول افرادة بما يستند عليه من ثقافة ولغة وعادات وتقاليد يبدأ منها الفرد في تكوين اتجاهاته نحو الاشياء او الافراد المحيطين به.

4- وسائل الاتصال : يتم خلال وسائل الاتصال وتناول الكثير من الحقائق والآراء والمعلومات عن اغلب موضوعات الحياة واحوال الناس وظروفهم ووقوف الفرد على ذلك يساهم في تكوين الاتجاه لديه (العديلي ، 1995 : 134).

5- شخصية الفرد : تلعب سمات الشخصية عند الفرد دورا كبيرا في تكوين اتجاهاته ، حيث يميل الانسان عموما الى تقبل الاتجاهات التي تتجانس مع سمات شخصيته وابعادها مما يجعله

ينميها ويطورها ويدعم وجودها باستمرار في مواجهة اية اتجاهات مضادة لها (عمر ، 1998 : 217)

خصائص الاتجاهات :

الاتجاهات تشمل مكونات وخصائص معرفية وعاطفية وسلوكية وهي :

1- المكون المعرفي : يتكون من كل ما يوجد لدى الفرد من معتقدات وافكار ومعلومات وحقائق تتعلق بموضوع الاتجاه ، فما يتوفر لدى الفرد من معلومات وخبرة وتعليم يساعد على تكوين معتقداته وافكاره ومعارفه تجاه موضوع معين ، ويمثل هذا المكون القاعدة المعلوماتية للفرد عن موضوع الاتجاه بالتفصيل بين موضوع واخر يستند الى جوانب معرفية او عقلية مثل الفهم والاستدلال (الزغبى ، 2001 : 170) .

2- المكون العاطفي : بناء على مايتوفر لدى الفرد من معارف ومعتقدات تتكون مشاعر الفرد التي تظهر في شكل تقبل او عدم تقبل او حب او كراهية اواعجاب او عدم اعجاب، وهذه المشاعر والرغبات يستدل على المكون العاطفي للفرد (ماهر،1997:177).

3- المكون السلوكي : يدل المكون السلوكي على قبول الفرد او رفضه للاتجاه وذلك بناء على افكاره او احساسه ومشاعره التي كونها حول موضوع الاتجاه ، ويعد هذا المكون بمثابة المحصلة النهائية لتفكير الانسان وانفعالاته والتي يترجمها على شكل سلوك اجرائي لفظي او حركي مكونه الاتجاه العام الايجابي (الزغبى، 2001 : 172، 173).

طرق قياس الاتجاهات :

مقياس بوجاردوس :

ويطلق عليه أيضا مقياس المسافة الاجتماعية ، حيث انه يقيس بوضوح اتجاه التعصب العنصري من قبل الأمريكيين نحو المقيمين على الأرض الأمريكية من الجنسيات الأخرى ومدى تقبلهم او نبذهم . ويتكون هذا المقياس من سبع استجابات متدرجة تبدأ بأقصى درجة من التقبل والتقارب الاجتماعي تمثلها الاستجابة (1) التي تتضمن عبارة "الارتباط باحد افراد جنسيه منهم عن طريق الزواج" وينتهي بأقصى درجة من النبذ والتباعد الاجتماعي تمثلها الاستجابة رقم (7) التي تتضمن عبارة "الرغبة في طرد أفراد جنسية من هم خارج الوطن" وينحصر بين هاتين الاستجابتين استجابات متدرجه من قمة التقبل والتقارب الاجتماعي الى قمة النبذ والتباعد الاجتماعي ممثلة في خمس عبارات اخرى متتابعة من الرقم (2) الى الرقم (6) ويمكن عرض استجابات هذا المقياس فيما

يلي :

1. الصداقة الشخصية لاي فرد منهم عن طريق الزمالة في النادي .
2. الإقامة مع أي منهم في شارع واحد عن طريق الجوار بالسكن.
3. الزمالة المهنية لاي فرد منهم للمشاركة في المواطنة في البلاد .
4. تجنب أي منهم للمشاركة في المواطنة في البلاد .
5. الزيارة العابرة لأي منهم للوطن .
6. الرغبة في طردهم من الوطن .

ومن ثم يقيس هذا المقياس المسافة التي يريد المواطن الأمريكي ان يحتفظ بها بينه وبين افراد أي جنسية من الأقليات المقيمة على الارض الامريكية مما يوضح درجة التقبل والتقارب الاجتماعي او درجة التباعد الاجتماعي بينه وبينهم عن طريق استخراج النسب المئوية لاستجابات المفحوصين الموجبة لكل عبارة (عمر ، 1988 : 255)

مقياس ثيرستون :

نشر ثيرستون مقالة بعنوان " الاتجاهات يمكن قياسها " حيث اعتبرت الاساس الأول لكل مانشر بعد ذلك من مقاييس لقياس الاتجاهات . ويتضمن هذا المقياس مجموعتين من الأسئلة :
أحدهما : الأسئلة المفتوحة ذات الإجابات المحددة ويتيح هذا المقياس الفرصة للمبحوثين بان يجيب كل منهم على الأسئلة المفتوحة بحرية تامة حيث يمكنهم وصف مشاعرهم ووجهات نظرهم وآرائهم حول الظاهرة المراد قياس الاتجاهات نحوها بكلماتهم الخاصة وفق رغباتهم وأحاسيسهم .

وثانيها : الأسئلة المقفلة حيث يجبر المبحوثين على اختيار واحد فقط من عدة اختيارات حددها لهم المقياس .

ويمكن تلخيص طريقة ثيرستون في قياس الاتجاهات والتي استخدمها لأول مرة في قياس الاتجاه النفسي نحو المؤسسات الدينية التي تمثلها الكنائس في ذلك الوقت على النحو التالي : (عمر ، 1988 : 257)

1. تجميع عدد كبير من العبارات المختلفة التي تمثل لدرجات متفاوتة من الاتجاه النفسي نحو المؤسسات الدينية (الكنائس) حيث تم كتابة كل منها على بطاقة خاصة بها .

2. عرض هذه العبارات على عدد كبير من المحكمين لتصنيفها الى إحدى عشر درجة حيث تمثل مقياسا متدرجا من التأثير المطلق للكنايس بأقصى درجة للتأييد تحتل احد طرفي المتدرج بينما تحتل اقصى درجة للرفض الطرف الآخر وينحصر بين الطرفين الأوزان التي تدل على التدرج في التصنيفات بين قمة التأييد الى قمة الرفض ويتمثل الوزن (صفر) اقصى درجة للرفض ، ويمثل الوزن (10) اقصى درجة للتأييد (عمر ، : 339) .

3. استبعدت البطاقات التي اختلف المحكمون على تقديرها والتي رأى بعضهم انها تنتمي للدرجات المتدرجة اعلى من الوزن الأوسط للمقياس بينما رأى البعض الاخر انها تنتمي للدرجات المتدرجة اقل من الوزن الأوسط للمقياس .

4. اختيرت بطاقة واحدة من مجموعات البطاقات التي تحمل عبارات تكررت اوزانها بناء على اتفاق المحكمين حولها فليس هناك مبرر للاحتفاظ ببقية البطاقات التي تحمل كل منها عبارة تمثل وزنا مساويا لغيرها وليكن وزن (0) مثلا.

5. رتب هذه العبارات ترتيبا عشوائيا بغض النظر عن اوزانها حيث يطلب من المفحوصين ان يؤشروا على العبارات التي تثير استجاباتهم مما يدل على اتجاهاتهم نحوها ثم تعادل باوزانها وتجمع كلها لتشكل وتكون في النهاية اتجاه المفحوص .

6. يتصف هذا المقياس بتساوي الاوزان وتدرجها من قمة التأييد الى قمة الرفض للظاهرة المراد قياس الاتجاهات نحوها مما يحدد درجة معينة ومحددة للرفض .

7. ينتقد هذا المقياس في انه لايعطي فكرة محددة عن شدة الاتجاه ومداه (عمر ، 1988: 257)

مقياس ليكرت :

يعتمد على تدرج العبارات الواحدة ، بدلا من استخدام العبارات المتدرجة، وهو أكثر المقاييس شيوعا لسهولة تطبيقه وتصحيحه ويتكون المقياس من عدد فردي من الأوزان المتدرجة لاتقل عن ثلاثة ولاتزيد عن احد عشر وزنا، وهي متدرجة من الموافقة المطلقة الى المعارضة المطلقة مروراً بنقطة الحياد مثل (أوافق بشدة . أوافق . غير متأكد . ارفض . ارفض بشدة) (السيد ، عبدالرحمن ، 1999: 268 ، 269)

ثانياً الإعاقة :

تعريف الإعاقة: مصطلح الإعاقة يشير إلي اضطراب أو ضعف جسمي أو عضوي قابل للقياس، ويمكن للأطباء وصفه.

وبالتالي فالمعاق هو كل فرد يختلف عن يطلق عليه (عادي) في النواحي الجسمية أو العقلية أو المزاجية أو الاجتماعية إلى الدرجة التي تستوجب عمليات التأهيل الخاصة حتى يصل إلى استخدام أقصى ما تسمح به قدراته ومواهبه. المليجي، ب.ت: 250

تعريف المعاق في القانون الليبي رقم (5) لسنة 1987 :

المعاق هو (كل من يعاني من نقص دائم يعيقه عن العمل كلياً أو جزئياً أو من ممارسة السلوك العادي في المجتمع سواء كان النقص في القدرة العقلية أو النفسية أو الحسية أو الجسدية وسواء كان خلقياً أو مكتسباً) .

تصنيف المعاقين في القانون الليبي لسنة 1987 رقم (5) :

(مجموعة التشريعات الخاصة بالمعاقين بدولة ليبيا)

1. المتخلفون عقلياً.

2. المصابون بعاهة تعيقهم عن ممارسة السلوك العادي في المجتمع ولو لم يقترن ذلك بعجز ظاهري عن أداء العمل وهم (المكفوفون . الصم . البكم . خفاف البصر . خفاف السمع . مبتور بأحد الأطراف أو المشلولون . المقعدون).

3. المصابون بأمراض مزمنة التي تعيقهم عن ممارسة العمل والسلوك العادي في المجتمع.

أولاً : المتخلفون عقلياً :

وفيما يلي انواع الاعاقات التي شملتها الدراسة الحالية :

1- الإعاقة العقلية :

ظهرت عدة تعريفات للإعاقة العقلية قديمة وحديثة ونذكر منها :

التعريفات القديمة :

أ. تعريف تريده جولد : التخلف العقلي هو حالة عدم اكتمال النمو العقلي الى درجة تجعل الفرد عاجز عن موائمة نفسه مع العاديين ويكون بحاجة دائمة الى اشراف ودعم خارجي . (الروسان ، : 75)

وعلى ذلك يكون الفرد معوقاً عقلياً اذا فشل في القيام بالمتطلبات الاجتماعية .

ب. تعريف دول : التخلف العقلي هو الذي تتوفر فيه الشروط التالية :

عدم الكفاية الاجتماعية بشكل يجعل الفرد دائماً غير قادر على التكيف الاجتماعي.

. عدم الكفاية المهنية . عدم الكفاية الشخصية.
. انه دون مستوى الفرد العادي من الناحية العقلية.
. وان تخلفه العقلي قد بدأ منذ الولادة او في سنوات عمره المبكرة.
وانه سيكون متخلفا عند بلوغه مرحلة النضج . وان تخلفه يعود الى عوامل تكوينية وراثية.
وان حالته غير قابلة للشفاء . (عبد الحميد ، 1999 : 18)

(ب) التعريفات الحديثة :

ا . تعريف هيبير : هو أداء وظيفي عقلي يقل عن متوسط الذكاء بانحراف معياري واحد ويصاحبه خلل في السلوك التكيفي ويظهر منذ الميلاد وحتى سن ستة عشر .
ب . تعريف جروسمان : في العام 1973 ونتيجة للانتقادات التي وجهت الى تعريف هيبير والتي خلاصتها ان نسبة التخلف العقلي عالية 15.86% ظهر تعريف (جروسمان) الذي ينص على ان التخلف العقلي هو أداء وظيفي عقلي يقل عن متوسط الذكاء بانحرافين معياريين ويصاحبه خلل في السلوك التكيفي ويظهر منذ الميلاد وحتى سن الثامنة عشر .

وللمقارنة بين تعريفي (هيبير 1959) و (جروسمان 1973) نجد للآتي :

1. الدرجة التي تمثل الحد الفاصل بين العاديين والمتخلفين عقليا حسب تعريف هيبير هي :

85 على مقياس وكسلر ، 84 على مقياس ستانفورد بينيه .

في حين أصبحت الدرجة التي تمثل الحد الفاصل بين العاديين والمتخلفين عقليا حسب

تعريف جروسمان هي :

70 على مقياس وكسلر ، 68 على مقياس ستانفورد بينيه .

(وذلك لان الانحراف المعياري عند وكسلر 15 ، و ستانفورد بينيه 16) (الروسان ،

1998 : 76)

2 . نسبة المتخلفين عقليا في المجتمع حسب تعريف هيبير 15.68 % وكانت هذه النسبة اكبر عقد

وجه لتعريف هيبير . في حين ان نسبة المتخلفين عقليا في المجتمع عند جروسمان 2.27 %.

3 . كان سقف العمر النمائي حسب تعريف (هيبير) هو سن السادسة عشر .

في حين اصبح سقف العمر النمائي حسب تعريف (جروسمان) هو سن الثامنة عشر .

(الروسان ، 1998 : 76)

خصائص المتخلفين عقلياً :

من الملاحظ أن المتخلفين يختلفون فيما بينهم ومع ذلك توجد خصائص عامة مميزة لهم من بين هذه الخصائص:

أ- الخصائص الجسمية :

- 1- أصغر حجماً من العاديين.
- 2- أكثر عرضة للإصابة بالأمراض من غيرهم.
- 3- القصور الحسي والحركي.
- 4- عيوب النطق والكلام.
- 5- عدم التوافق العضلي والعصبي والحركي.
- 6- النشاط الزائد.

ب- الخصائص الانفعالية :

- 1- عدم الثبات أو عدم الاتزان الانفعالي ، لذلك يغلب على سلوكهم التبدل الانفعالي واللامبالاة.
- 2- الانسحاب والانعزال من المواقف الاجتماعية، وعدم الاكتراث بالمعايير الاجتماعية.
- 3- سهولة الانقياد والاستهواء والقلق والسرхан (العزة ، : 2001 : 29) .

ج- الخصائص الاجتماعية :

- 1- سوء التكيف.
 - 2- عدم القدرة على التركيز والانتباه.
 - 3- ضعف الذاكرة.
 - 4- تأخر النمو اللغوي وقصور في اللغة اللفظة.
 - 5- قصور في القدرة على الملاحظة وأدراك العلاقات.
 - 6- قصور في الفهم والاستيعاب وتدني التحصيل الدراسي.
 - 7- القصور في تكوين المفاهيم والتفكير المجرد والتخيل والإبداع.
- ويمكن أن ننظر إلى الخصائص العقلية بشيء من التوضيح فمثلاً :

1- التعلم: وهذه الخاصية من أكثر الخصائص وضوحاً لدى الأطفال المعوقين عقلياً، حيث يظهر عليهم النقص الواضح في القدرة على التعلم مقارنة مع الأطفال العاديين المناظرين لهم في العمر الزمني ، وتشير كثير من الدراسات والبحوث أن الفروق بين تعلم كل من الأطفال العاديين والأطفال المعوقين والمتماثلين في العمر الزمني هي فروق في الدرجة والنوع من حيث التعلم .

2- الانتباه: يواجه الأطفال المتخلفين عقلياً مشكلات واضحة في القدرة على الانتباه والتركيز، خاصة فيما يتعلق بالمهارات التعليمية ، إذا تتناسب تلك المشكلات طردياً كلما نقصت درجة الأعاقة العقلية، وفي هذا الخصوص أوضحت الدراسات والبحوث ما يلي:

* يعاني المتخلفون عقلياً من نقص واضح في الانتباه والتعلم التمييزي بين المثيرات من حيث: شكلها ولونها ووصفها، خاصة لدى فئة الإعاقة العقلية "المتوسطة والشديدة"

* يعاني المعوقين عقلياً من فئة الإعاقة العقلية " المتوسطة والشديدة" من فرص الإحباط والشعور بالفشل، لذا يبحث المعاق عقلياً عن فرص النجاح وعلاماته من خلال التركيز على وجه المعلم أكثر من تركيزه على المهمة المطلوبة منه.

* يعاني المعوقين عقلياً من مرحلة استقبال المعلومات في سلم تسلسل مراحل التعليم والتذكر، فيستقبلون المعلومات بصورة خاطئة، ولذلك يميل هؤلاء المعاقين إلى تجميع الأشياء أو تصنيفها بطريقة غير صحيحة، فمن الواجب على معلم التربية الخاصة، أن يساعد هؤلاء المعاقون على استقبال المعلومات بطريقة سهلة ومنظمة.

3- التذكر: ترتبط درجة التذكر بدرجة الإعاقة، إذا تزداد درجة التذكر كلما زادت القدرة العقلية، والعكس صحيح، ومن خلاصة الدراسات حول التذكر نرى أنه:-

* تقل قدرة المعاق عقلياً على التذكر مقارنة مع الفرد العادي المناظر له في العمر الزمني، ويرجع السبب في ذلك إلى: ضعف قدرة المعاق عقلياً على استعمال وسائل أو استراتيجيات أو وسائط للتذكر، كما يقوم بذلك الفرد العادي.

* ترتبط درجة التذكر بالطريقة التي تتم بها عملية التعلم، فكلما كانت الطريقة أكثر حسية كما زادت القدرة على التذكر والعكس صحيح.

* تضمن عملية التذكر ثلاث مراحل رئيسية وهي: الأولى: استقبال المعلومات، الثانية: تخزينها، الثالثة: استرجاعها وتبدو مشكلة المعاق عقلياً الرئيسية في مرحلة استقبال المعلومات، وذلك بسبب ضعف درجة الانتباه لديه.

4- انتقال أثر التعلم: يعاني المعاقون عقلياً من نقص واضح في نقل أثر التعلم من موقف لأخر ويبدو السبب في ذلك، فشل المعوق عقلياً في التعرف على أوجه الشبه بين الموقف المتعلم السابق والموقف الجديد.

هـ- الخصائص اللغوية :

تعتبر هذه الخصائص مظهراً مميزاً للإعاقة العقلية، فالمعاقون عقلياً يعانون من مشاكل لغوية متعددة من بينها مشكلات النطق، قلة عدد المفردات اللغوية لديهم، وضعف بناء القواعد اللغوية، ومن الملاحظ وكما تشير كثير من الدراسات أن: النمو اللغوي لدى "المعاقون عقلياً" ينمو وفقاً لأسس ومراحل متشابهة مع نظرائهم العاديين ، إلا أن الاختلاف يكون في معدل النمو، حيث أن المتخلفين عقلياً، أبطأ من العاديين في اكتسابهم للغة. (الروسان ، : 99 . 103)

تصنيف التخلف العقلي :

يشير التصنيف في العادة إلى وضع الفرد ضمن فئة معينة بناء على توفر أو عدم توفر الخصائص الشخصية والمعرفية والوجدانية والحركية لديه، فالإعاقة العقلية تصنف إلى فئات حسب معايير مختلفة، فقد تصنف الإعاقة العقلية: بحسب العلة أو الأسباب التي أدت إليها- أو بحسب الشكل أو المظهر الخارجي أي التصنيف "الأكلينيكي" - أو بحسب نسبة الذكاء أو بحسب القدرة على التعلم "التصنيف التربوي" - أو بحسب التوافق الاجتماعي.

1- التصنيف على أساس العلة أو الأسباب:

يميل إلى هذا التصنيف الأطباء وعلماء البيولوجيا لاعتقادهم أن التخلف العقلي يحدث نتيجة اضطرابات مرضية بيولوجية ولا ينظر هذا التصنيف إلى مستويات أفراد التخلف العقلي من حيث القدرة على التعلم والتدريب والتكيف، ومن أمثلة هذا التصنيف تصنيف "تريد جولد" حيث رأي أن التخلف العقلي بحسب الأسباب التي تؤدي إليه قد يكون:

أ- تخلف عقلي أولي: ويعود إلى عوامل ما قبل الولادة أي العوامل الوراثية

ب- تخلف عقلي ثانوي: ويعود إلى عوامل ما قبل الولادة أو أثنائها أو بعدها إلى العوامل البيئية.

ج- تخلف عقلي مختلط: أي عوامل وراثية بيئية.

د- تخلف عقلي غير محدد الأسباب . (الروسان ، 1998 ، 80)

2- التصنيف بحسب الشكل الخارجي "التصنيف الإكلينيكي" :

ويمكن اعتبار هذا التصنيف نوعاً من الأنواع المعتمدة على مصدر العلة، غير أن ما يميز هذا التصنيف هو نظرته إلى ما بين الفئات من تجانس في مظهرها الحس الخارجي، إضافة إلى وجود بعض الخصائص الجسمية والتشريحية والفيسيولوجية المميزة لكل فئة، ومن أهم أنماط هذا التصنيف:

أ- متلازمة داون :

نسبة إلى الطبيب الإنجليزي "داون" وكانت تسمى "بالمغولية" نسبة إلى ملامح الجنس المغولي ولكن سميت " بمتلازمة داون" وقد لاقى هذا الأسم ترحيباً بين أواسط المهتمين بالإعاقة العقلية وتشكل المغولية حوالى (10%) من حالات الإعاقة العقلية المتوسطة والشديدة. ويمكن التعرف على هذه الحالة قبل عملية الولادة وأثنائها، والسبب في هذه الحالة هو طفرة في الكروموسوم رقم (21) حيث يصبح هذا الكروموسوم ثلاثياً لدى الجنين، وبذلك يصبح عدد الكروموسومات (47) بدلاً من (46).

وترتبط هذه الحالة كذلك بعمر الأم خاصة بعد عمر (35 سنة) (باظة، 13، 2003).

ب- القماءة أو القصاع :

وتتدرج ضمن التصنيف الإكلينيكي كمظهر من مظاهر التخلف العقلي، وهي حالة ناتجة عن أعدام أو نقص في إفراز هرمون " الثيروكسين" الذي تفرزه الغدة الدرقية، ومن مميزات هذه الفئة: قصر القامة بحيث لا يتجاوز طولها (90سم) نسبة الذكاء لا تتجاوز (50)، التأخر في النمو، خشونة الشعر، غلظ الشفتين، تضخم اللسان، قصر الرقبة وسمكها، قصر الأطراف والأصابع، بطء في الحركة عدم نمو الأسنان وتساقطها. (الروسان ، 1998 ، 83)

ج- حالات استسقاء الدماغ :

وهي تشير إلى كبر أو تضخم الرأس وبروز الجبهة، والسبب هو زيادة السائل المخي الشوكي بشكل غير عادى ويسبب ضغط هذا السائل على الدماغ تلفاً فيه وتضخماً في الجمجمة ويتراوح محيط الجمجمة ما بين (55-75سم)

ويبدو شكل الرأس على شكل كمثرى مقلوبة، وما يميز هذه الفئة: اضطراب في الحواس البصرية والسمعية، وعدم التوافق الحركي، ونوبات صرع. والسبب في هذه الحالة هو أنها قد تكون

نتيجة: للعدوى أثناء الحمل مثل: مرض الزهري، الالتهاب السحائي، ويكون العلاج عن طريق الجراحة.

د- حالات كبر حجم الدماغ: "ماكروسوفالي"

من مظاهرها كبر حجم محيط الجمجمة، وكبر الدماغ خاصة حجم المادة البيضاء، مقارنة بالمعدل الطبيعي.

والأغلب في هذه الحالة أنها ، غير محدودة الأسباب ، وأكثر أسباب هذه الحالة ترجع إلى عوامل وراثية.

وتتراوح القدرة العقلية لهؤلاء ما بين الإعاقة العقلية المتوسطة والشديدة (25-50).

هـ- حالات صغر الدماغ "ميكروسوفالي"

من مظاهرها صغر حجم محيط الجمجمة، وصغر الدماغ، وتكون واضحة منذ الميلاد مقارنة بالمعدل الطبيعي، صعوبة التأزر البصري والحركي، ضعف النمو اللغوي، زيادة النشاط.

أسباب هذه الحالة تبدو في تناول الكحول والعقاقير أثناء فترة الحمل، وتعرض الأم الحامل للأشعاع

وتتراوح القدرة العقلية لهؤلاء ما بين الإعاقة العقلية البسيطة والمتوسطة (50-70) .

و- حالات اضطرابات التمثيل الغذائي "الفينيل كيتون يوريا" phenyl-ke-ton-uria p.k.u

مكتشفه الطبيب النرويجي "قولنج" 1934، فقد لاحظ هذا الطبيب أثناء كشفه الروتينى لأحد الأطفال، تغير لون " بول الطفل" عند إضافة حامض الفيريك" من اللون الأحمر البنّي إلى اللون الأخضر فعزا هذا الطبيب حدوث الإعاقة العقلية لدى هؤلاء الأطفال إلى: اضطرابات في التمثيل الغذائي لحامض " الفينيل لانين" (الروسان ، 81، 1998)

3- التصنيف على أساس نسبة الذكاء:-

وهنا تنقسم الإعاقة العقلية إلى فئات حسب نسبة الذكاء المقاسة، ففي ضوء نتائج اختبارات الذكاء يصنف التخلف العقلي إلى المستويات التالية؛ وهذا هو " تصنيف الجمعية الأمريكية للتخلف العقلي":

أ- التخلف العقلي البسيط: "القابلون للتعليم":

وتتراوح نسبة الذكاء ما بين (50 أو 55-75) ويتراوح العمر العقلي لهذه الفئة ما بين (7-10)

سنوات.

ب- التخلف العقلي المتوسط: "القابلون للتدريب"

وتتراوح نسبة الذكاء ما بين (35 أو 40-55) ويتراوح العمر العقلي لهذه الفئة ما بين (3-7) سنوات.

ج- التخلف العقلي الشديد:

وتتراوح نسبة الذكاء ما بين (20 أو 25-40) ويكون العمر العقلي لهذه الفئة أقل من (3) سنوات.

د- التخلف العقلي الشديد جداً:

نسبة ذكاء هذه الفئة (25) فأقل. * (الروسان، 1998، 83، 84).

4- التصنيف بحسب القدرة على التعلم: "التصنيف التربوي":

وينظر إلى فئات المتخلفين عقلياً من حيث قدرتهم على تعلم المهارات الأكاديمية الأساسية والمهارات المهنية، بالإضافة إلى نسبة الذكاء، ويشمل هذا التصنيف:

أ- فئة القابلين للتعلم أو التعلم:

وتشمل الأفراد القابلين لتعلم المهارات الأكاديمية الأساسية كالقراءة والكتابة والحساب، والذين تتراوح نسبة ذكائهم من (50 أو 55-75) وقابليتهم للتعلم ليس في الفصول العادية بل عن طريق التربية الخاصة، فهم يستطيعون تحصيل الحد الأدنى لتعلم في المواضيع الأكاديمية في المدرسة، ولديها القدرة على التكيف الاجتماعي، مما يساعد على الاعتماد على النفس، ولديها حد أدنى من الكفاية الاجتماعية.

ب- فئة القابلين للتدريب :

وتشمل الأفراد غير القادرين على التعلم، وتتراوح درجة ذكائهم ما بين (35 أو 40-55)؛ ويمكن لهذه الفئة تعلم المهارات اللازمة للاعتماد على النفس أو ما يسمى المهارات الاستقلالية، إضافة إلى المهارات المهنية

ج- فئة الاعتماديين:

وهذه هي الفئة غير القادرة على التعلم، ولا على التدريب؛ وهم من تقل نسبة ذكائهم عن (25) غير أنه ويتطور أسلوب تعديل السلوك أمكن تدريب هذه الفئة على بعض مهارات الاعتناء

بالذات. (باظة ، 2003 ، 13).

5- التصنيف بحسب التوافق الاجتماعي: "التصنيف الاجتماعي" :

وهذا التصنيف يأخذ في الاعتبار عوامل النضج والتعلم والتكيف الاجتماعي، بالإضافة إلى نسبة الذكاء ويستخدم نفس مستويات التصنيف على أساس نسبة الذكاء.. (العزة ، 2001 : 42)
تشخيص وقياس التخلف العقلي:

ويعتبر تشخيص التخلف العقلي أمراً مهماً بالنسبة للمشتغلين في مجال هذه الإعاقة، حيث يساعدهم على تحقيق البرامج والخدمات المناسبة لهذه الفئة من حيث إمكانياتهم وقدراته.

ومما هو ملاحظ أن فئة المتخلفين عقلياً تختلف فيما بينها من حيث القدرة والإمكانيات حسب شدة ودرجة الإعاقة، ويجب أن يأخذ التشخيص في الاعتبار:

(الفرد، بكل خصائصه ، والبيئة التي يعيش فيها بكل عواملها، أي الاتجاه التكاملي في تشخيص الإعاقة) بمعنى أن: حصول الفرد على درجة منخفضة في مقاييس الذكاء، لا يعني أن الفرد متخلف إذا أظهر الفرد قدرة على التكيف الاجتماعي، فظهر بذلك مقياس للسلوك التكيفي وظهرت مقاييس التحصيل ومقاييس المهارة ويعتبر الاتجاه التكاملي في تشخيص الإعاقة العقلية من الاتجاهات المقبولة في التشخيص، الاتجاه التكاملي يجمع بين الخصائص الأربعة، الرئيسية وهي: التشخيص (الطبي- السيكومتري- الاجتماعي- التربوي) بمعنى أن هناك عدة أنماط للتشخيص اعتماداً على وجهة النظر العلمية التي تدرس التخلف العقلي.

1- التشخيص الطبي :

يقوم به عادة أخصائيو طب الأطفال، ويركز على الكشف على نواحي النمو بشكل عام، والتاريخ الصحي للفرد والأمراض والحوادث التي تعرض لها أثناء طفولته
كما تشمل دراسة الأم أثناء الحمل وظروف الولادة والتاريخ الصحي للأسرة كذلك، وفحص الجهاز العصبي والغدي.

2- التشخيص السيكومتري : " النفسي "

ويقوم به أخصائي القياس النفسي ويتضمن:-

أ- قياس القدرة العقلية العامة "الذكاء" وذلك باستخدام المقاييس المحددة لهذه القدرة مثل:
اختبار بينية أو كسلر أو مقاييس الذكاء المصورة ب- الكشف عن سمات الشخصية. ج- الكشف

عن جوانب النمو العاطفي والانفعالي. (الروسان ، : 96 . 98)

لقد كانت المسميات السابقة لهذه المستويات هي: المأفون- الأبله- المعنوه، غير أنها استبدلت بمسميات: البسيط- المتوسط- الشديد. لماذا هذا الاستبدال. وذلك لما توحىه المسميات السابقة من ناحية سلبية تجاه هذه الفئات.

3- التشخيص الاجتماعي :

ويقوم به أخصائي اجتماعي وكذلك أخصائي في التربية الخاصة، ويهدف إلى تقدير درجة السلوك التكيفي للمفحوص، انطلاقاً من أهمية الصلاحية الاجتماعية، كمعيار في تحديد التخلف العقلي، ويكون ذلك باستخدام إحدى مقاييس السلوك التكيفي ومقاييس النضج الانفعالي أو التوافق الاجتماعي.

ويتضمن هذا التشخيص قدرة الفرد على إنشاء علاقات اجتماعية فعالة ومشاركة الآخرين في علاقاتهم الاجتماعية، وكذلك التركيز على نمو الفرد مع أسرته وفي بيئته المحلية. ومن الملاحظ أن كلاً من التشخيص النفس والاجتماعي لا يقيس ألا جانب واحد، لذلك يفضل استخدام التشخيص النفسي الاجتماعي الذي يركز على النضج والتعلم والنمو.

4- التشخيص التربوي :

ويقوم به أخصائي في التربية الخاصة، منطلقاً من أن التخلف العقلي تنعكس آثاره السلبية على قدرة الفرد على التعلم والتحصيل، حيث نقل عن مستوى الفرد العادي، ويشمل هذا التشخيص معرفة التاريخ التربوي للفرد وقدرته على التعلم ومستوى تحصيله المدرسي.

5- التشخيص التطوري :

وبيعني دراسة تاريخ نمو الفرد في مختلف الجوانب، والتعرف على مظاهر التأخر الذي حصل في مراحل النمو المختلفة. (الروسان ، 1998 : 96 . 98).

2. الإعاقة الحسية :

أولاً : السمع :

هو إحدى الحواس التي وهبها الله للإنسان، وعن طريق هذا الجهاز الحاسي يستطيع الإنسان أن يحس بالمشيرات من حوله وأدراك وفهم ما يحيط به، وبالتالي يستطيع التكيف مع البيئة بما تتضمنه من وقائع وأحداث اجتماعية وطبيعية، وكذلك حاسة السمع تمكن الفرد من اكتساب

الخبرات عن طريق التفاعل الاجتماعي.

فالسمع والبصر هما نافذة الإنسان على العالم الخارجي، وبدونهما يعيش الإنسان في ظلام.

وفي القرآن الكريم وصِفَ الله سبحانه وتعالى بأنه (السميع البصير) وفي ذلك إشارة إلى هاتين الحاستين، ومن المعلوم أن الطفل يستجيب للمثيرات السمعية من حوله استجابات بدائية تتمثل في فتح العينين واغماضهما، ثم يأخذ في الانتباه للأصوات من حوله تدريجياً، وفي ذلك أهمية خاصة بالنسبة له، لأن في سماعه لهذه الأصوات والتمييز بينها وفي قدرته على إصدارها إشباع لحاجاته الفسيولوجية، فمع نمو الطفل يتزايد نموه اللغوي حتى تصبح لغته مقاربة للغة الكبار، وعملية الكلام عملية مكتسبة تعتمد على التقليد والمحاكاة الصوتية وتعتمد بدرجة الأولى على حاسة السمع.

وإذا كانت اللغة والكلام هما وسيلة الفرد للتفاهم وتناول المعلومات والتعبير عن الأفكار والمشاعر والأحاسيس، فإن عدم القدرة على اللغة والكلام يعنى انعدام هذه الخصائص، ويعنى كذلك أن الفرد يعاني من التعوق السمعي الذي يحد من قدرة الطفل على المشاركة الإيجابية في الحديث واكتساب اللغة، وتؤثر على نموه العقلي والمعرفي كما يؤدي إلى إعاقة نموه الاجتماعي. (حسن ، 199: 9)

ويمكن تصور عالم فاقد السمع أو (الصمم) بأنه عالم السكوت التام الخالي من الأصوات .

تعريف الإعاقة السمعية:

هناك عدة تعريفات للإعاقة السمعية من بينها أن الإعاقة السمعية تعني:

"انحراف في السمع يحد من القدرة على التواصل السمعي اللفظي"

ويمكن أن نعرف الإعاقة السمعية من خلال: ("درجة فقدان السمع" فقد يكون هذا الفقدان شديد يعيق تعلم الكلام واللغة، وقد يكون هذا الفقدان خفيفاً، لا يعيق استخدام الأذن في فهم الحديث وتعلم الكلام واللغة) . (الداهري ، 2005 : 82)

وفي الحديث يمكن التعرف على نوعين من المعوقين سمعياً وهما:

1- الأطفال الصم :

وهم أولئك الذين لا يمكنهم الانتفاع بحاسة السمع في أغراض الحياة اليومية، سواء من ولدوا فاقد السمع أو من أصيبوا بالصمم في طفولتهم المبكرة قبل أن يكتسبوا الكلام واللغة، أو من

أصيبوا بفقدان السمع بعد تعلمهم الكلام واللغة مباشرة.

وهذا النوع من الصم قد يكون خلقي فطري أو عارض مكتسب، ويكون في الثلاث أو الخمس سنوات الأولى ، فهذه هي الفترة التي يوصف بها الفرد بأنه أصم. (القريطي ، 2005 : 299).

2- ثقلو السمع :

هم أولئك الذين لديهم قصور سمعي أو بقايا سمع، ومع ذلك فإن حاسة السمع لا تؤدي وظيفتها، ويمكنهم تعلم الكلام واللغة إما باستخدام المعينات السمعية أو بدونها. (حسن، 99 : 126)

تصنيف الإعاقة السمعية:

هناك عدة تصنيفات للإعاقة السمعية من بينها:

1- التصنيف الطبي:

وفيه تصنف على أساس التصنيف الطبي وتبعاً لطبيعة الخلل الذي يصيب الجهاز السمعي ويتمثل في:

أ- الصمم التوصيلي:

ويحدث هذا النوع عندما تعوق اضطرابات قناة أو طبلة الأذن الخارجية أو إصابة الأجزاء الموصلة للسمع بالأذن الوسطي "المطرقة والسندان والركاب" عملية نقل الموجات أو الذبذبات الصوتية إلي يحملها الهواء إلى الأذن الداخلية ومن ثم عدم وصولها إلى المخ. ومن أمثلة هذه الاضطرابات حدوث ثقب في طبلة الأذن، ووجود التهابات صديدية وغير صديدية في الأذن الوسطي، وتكدس المادة الشمعية الدهنية.

ب- الصمم الحسي العصبي:

ينتج هذا النوع عن الإصابة بالأذن الداخلية أو حدوث تلف في العصب السمعي الموصل إلى الأذن مما يستحيل معه وصول الموجات الصوتية إلى الأذن الداخلية مهما بلغت شدتها، وبالتالي عدم إمكانية قيام مراكز الترجمة في المخ بتحويلها إلى نبضات عصبية سمعية.

ومن بين أهم أسباب هذا النوع الحمى الفيروسية والميكروبية واستخدام العقاقير الضارة بالسمع وهذا النوع قد يكون وراثياً عن الوالدين أو تكوينياً أو خلقياً، نتيجة إصابة الأم بالحصبة الألمانية أو الالتهابات أثناء الحمل أو نقص الأكسجين أثناء الولادة. (دبانه ، 1996 : 26).

ج- صمم مركزي:

ويرجع إلى إصابة المركز السمعي بخلل-ما- لا يتمكن معه من تمييز المثيرات السمعية أو تغييرها وهو من الأنواع التي يصعب علاجها. (جابر ، كفاني ، 1989 : 552)

د- صمم مختلط أو مركب :

وهو خليط من كل الأعراض السابقة .

هـ- صمم هستيري:

ويرجع هذا النوع إلى التعرض لخبرات وضغوط انفعالية حادة وغير طبيعية. (دبابنه ، 1996 : 26).

2- التصنيف الفسيولوجي:

ويكز على درجة فقدان السمعي لذلك الفرد والتي يمكن قياسها بالأساليب الموضوعية أو المقاييس السمعية لتحديد عتبة السمع التي يستقبل المفحوص عندها الصوت.

وعلى ضوء ذلك يمكن تحديد ودرجة الإعاقة السمعية، ويستخدم هذا التصنيف ما يسمى بالوحدات الصوتية "الديسبل" أو "هرتز" أو ترددات الصوت لقياس مدى حساسية الأذن للأصوات، ويستدل من عدد الوحدات الصوتية على مدى ارتفاع الصوت، كلما زاد عدد الوحدات الصوتية كان الصوت عالياً وقوياً والعكس صحيح.

ويشمل هذا التصنيف ما يلي:

أ- فقدان سمعي خفيف بسيط:

تتراوح درجته ما بين 20-40 ديسبل، ومن يعانون من هذه الدرجة من القصور السمعي هم فئة بينية أو حدية بين العاديين في السمع وثقلوا السمع، ويمكنهم تعلم اللغة والكلام، عن طريق الأذن بالطريقة الاعتيادية. (الروسان ، : 142 ، موسى ، 1993 : 183).

ب- فقدان سمعي هامشي:

تتراوح نسبة فقدان من 30-40 ديسبل، ومع أن هذه النسبة من فقدان تسبب مصاعب في سماع الكلام، إلا أن هذه الفئة يمكنها تعلم الكلام واللغة بطريقة اعتيادية.

جـ - فقدان سمعي متوسط:

تتراوح نسبة فقدان من 70 . 90 ديسبل، ويعاني أصحاب هذه الفئة من صعوبات أكبر

من الاعتماد على أذانهم في تعلم اللغة، ما لم يعتمد على استخدام حاسة البصر أو استخدام بعض المعينات السمعية.

د- فقدان سمعي شديد:

وتتراوح نسبة ما بين 60-75 ديسبل، ويحتاج أفراد هذه الفئة إلى خدمات خاصة لتدريبهم على الكلام واللغة، لأنه يصعب عليهم سماع الأصوات وتمييزها ولو من مسافة قريبة، إضافة إلى عيوب النطق، وتعد هذه الفئة من الناحية التعليمية من فئة الصم.

هـ- فقدان سمعي شديد جداً أو "عميق":

وتبلغ درجة فقدان 75 ديسبل فما فوق، وأفراد هذه الفئة لا يمكنهم من أغلب الأحوال فهم الكلام واللغة سواءً بالاعتماد على أذانهم أو بالاعتماد على المعينات السمعية. (الروسان ، : 142 ، موسى ، 1993 : 183)
خصائص المعوقين سمعياً :

ينعزل الطفل الأصم عن العالم الخارجي خاصة العالم الصوتي، ويلاحظ ذلك جلياً واضحاً منذ بداية النصف الثاني من العام الأول، وهذا حتم على الأسرة أو الأهل ضرورة ملاحظة أطفالهم للتأكد من أنهم يستجيبون للمثيرات السمعية وقد أجريت عدة دراسات لمقارنة المعوقين سمعياً مع أقرانهم العاديين في مختلف جوانب الشخصية، وخلاصة هذه الدراسات تشير إلى أن الطفل المعوق سمعياً لا يختلف من حيث النمو الجسمي عن الأطفال العاديين بينما يقل النمو اللغوي عنده وما يصاحبه من نمو عقلي وتزايد في الخبرات وكذلك النمو الانفعالي.

يحصل الطفل الأصم على تعبير لسلوك من حوله سواء اتجاهاً أو اتجاه الآخرين من حوله دون الكلام وفي الإطار خبراته المحدودة وفيما يستطيع ملاحظته من تعبيرات الوجه وقد أوضحت الكثير من الدراسات عدم اختلاف الأطفال الصم عن الأطفال العاديين من حيث المهارات الحركية التي لا ترتبط بعامل الصوت، بينما يقل معدل الذكاء لدى الأطفال الصم عن أقرانهم العاديين، (الروسان ، : 145 ، ابراهيم ، 2002 : 455 ، 456) ومن الملاحظ أيضاً أن الصم وضعاف السمع والمصابين "بالأفيزيا" مرض احتباس الكلام، يعانون عبر مراحل نموهم وتربيتهم من مشكلات تتعلق بالتبول اللاإرادي والحركات العصبية وقضم الأظافر والخوف وضعف الثقة بالنفس والميل إلى الاعتداء والتشاجر ونوبات الغضب كما يوجد دليل من الدراسات حول الصم على أنهم أقل توافقاً من غيرهم سواء كان ذلك في الجانب المدرسي أو العائلي.

كما أوضحت بعض الدراسات ارتفاع درجة الصم في مقاييس العصابية وعدم الثبات الأنفعالي، وأشارت دراسات أخرى إلى تذبذب مستوى الطموح عند الصم فهو إما عالي جداً أو منخفض جداً.

ويتصف الصم أيضاً بالجمود أي عدم المرونة في الأعمال إضافة إلى عجزهم الواضح في تحمل المسؤولية والنضج الاجتماعي. (العزة ، 2001 : 116 ، البسطامي ، 1995 : 159)
ثانياً : البصر :

تعتبر وظيفة الأبصار التي تقوم بها العين من الوظائف المهمة للكائن الحي ويشعر الفرد بقيمة هذه الوظيفة حين تتعطل القدرة على الرؤية لسبب ما- يتعلق بالعين نفسها أو بالعوامل الخارجية المؤثرة على الأبصار كالظلام مثلاً في حالة انقطاع التيار الكهربائي أو في الليل. (الروسان ، : 113).

آلية الأبصار :

تتمثل آلية الأبصار في انتقال المثير البصري إلى الشبكية ومن ثم إلى الجهاز العصبي المركزي بواسطة العصب البصري، حيث يعمل الجهاز العصبي المركزي على تفسير المثيرات البصرية (فهمي ، 1999 : 50).

تعريف الإعاقة البصرية :

هناك عدة تعريفات للإعاقة البصرية أهمها :

1- التعريف القانوني :

وبشير إلى أن المعاق بصرياً أو "الكفيف" هو الشخص الذي لا تزيد حدة أبصاره عن

$\frac{20}{200}$

قدم في أحسن العينين أو حتى باستعمال النظارة.

2- التعريف التربوي :

وبشير إلى أن المعاق بصرياً "الكفيف" هو الشخص الذي لا يستطيع أن يقرأ ويكتب إلا

بطريقة (برايل)

3- التعريف الاجتماعي :

ويعرف المعاق بصرياً "الكفيف" بأنه الشخص الذي لا يستطيع أن يجد طريقة دون قيادة

في بيئة غير معروفة لديه، ويعجز على مراجعة عمله العادي.

وبشير القانون رقم (3) لسنة (1981) بشأن المعاقين في ليبيا إلى أنه:-

" يعتبر معاقاً كل من فقد بصره كلياً أو ضعف بصره لدرجة لا يجدي معها تصحيح النظر "

مظاهر الإعاقة البصرية :

1- حالة قصر النظر: وتتمثل في صعوبة رؤية الأشياء البعيدة لا القريبة، وسبب كرة العين أطول من طولها الطبيعي.

2- حالة طول النظر: وتتمثل في صعوبة رؤية الأشياء القريبة لا البعيدة، وسبب هذه الحالة سقوط صور الأشياء خلف الشبكية وذلك لأن كرة العين أقصر من طولها الطبيعي.

3- حالة صعوبة تركيز النظر: وتتمثل في صعوبة رؤية الأشياء بشكل مركز، أي الصعوبة في رؤيتها بشكل واضح، والسبب هو الوضع غير الطبيعي لقرنية العين أو العدسة. (فهمي ،

(1995 : 50)

تصنيف الإعاقة البصرية :

يصنف المعاقون بصرياً ضمن مجموعتين رئيسيتين هما :

الأول : مجموعة المعاقون بصرياً كلياً:

وهي تلك المجموعة التي ينطبق عليها التعريف القانوني والتربوي للإعاقة البصرية.

الثانية : مجموعة المعاقون بصرياً جزئياً:

وهي تلك المجموعة التي تستطيع أن تقرأ الكلمات المكتوبة بحروف مكبرة أو باستخدام

$\frac{20}{70}$ إلى $\frac{20}{200}$ قدم النظارة الطبية أو أي وسيلة تكبير، وتتراوح حدة إبصار هذه المجموعة ما بين $\frac{20}{70}$ إلى $\frac{20}{200}$ قدم في أحسن العينين أو حتى باستعمال النظارة الطبية وهذا يدل على أن القدرة على الرؤية لمسافة (20 قدم) باستخدام الوسائل المساعدة للعين مثل النظارات الطبية والعدسات اللاصقة، وذلك لما يراه الشخص العادي على بعد (70 قدم) أو (200 قدم) (الروسان ، 1998 : 114 ، 117).

الخصائص السلوكية للمعوقين بصرياً :

أ- الخصائص العقلية:

تتأثر عمليات النمو العقلية العليا حيث أنها تعتمد على البصر .

ب- الخصائص اللغوية:

يعاني المعاق بصرياً من مشكلات في تكوين المفاهيم ذات الأساس الحسي البصري مثل

مفهوم المساحة أو المسافة أو الألوان. ولا توجد فروق بين الكفيف والعادي في اكتساب اللغة المنطوقة فكل منهما يسمع اللغة المنطوقة ولكن توجد فروق بينهما في طريقة كتابة اللغة، فالفرد العادي يكتب اللغة بالحروف الهجائية بينما يكتبها الكفيف بطريقة برايل.

ج- الخصائص الأكاديمية :

هناك خلل في استقبال المعلومات خاصة المعلومات المكتوبة بالطريقة العادية لذلك يعتمد المعاق بصرياً إلى الحصول على معلومات مسموعة أو منطوقة، ولكن الفرد العادي يتفوق على الفرد المعوق في هذه الخصائص.

د- الخصائص الاجتماعية والمهنية :

يشعر المعاق بصرياً بفقدان الثقة بنفسه والإحساس بالفشل والإحباط واتجاه الآخرين نحوه قد يكون مليئاً بالشفقة عليه أو بالرفض وهذا له تأثير على شخصيته. (الروسان).

3 - الإعاقة الحركية :

"وهي الإعاقة التي تتصل بالعجز في وظيفة الأعضاء الداخلية للجسم سواء كانت أعضاء تتصل بالحركة كالأطراف أو المفاصل أو أعضاء تتصل بعملية الحياة كالقلب مثلاً، وحتى الأمراض المزمنة التي يترتب عليها عجزاً حقيقياً في قدرة الإنسان الطبيعية على أداء دوره الاجتماعي" (الخطيب ، 1997 : 109).

مظاهر الإعاقة الحركية :

1- الشلل الدماغي:

تمثل حالات الشلل الدماغي مظهراً رئيسياً من مظاهر الإعاقة الحركية، وهذه الحالات مرتبطة بتلف الدماغ، والشلل الدماغي نفسه له عدة مظاهر مشتركة منها. الشلل الحركي - ضعف التأزر الحركي - الاضطراب الحركي كالحركات غير الإرادية .

تصنيف "هلهان وكوفمان" للشلل الدماغي:

يصنف "هلهان وكوفمان" الشلل الدماغي حسب المظهر الخارجي لحالة الشلل الدماغي إلى

:

أ- الشلل النصفي الطولي: أي شلل النصف الأيمن أو الأيسر من الجسم.

ب- الشلل النصفي العرضي: أي شلل النصف العلوي أو السفلي من الجسم

ج- الشلل النصفي السفلي: أي شلل الرجلين من الجسم.

د- شلل الأطراف: أي شلل الأطراف الأربعة.

هـ- شلل ثلاث أطراف: أي شلل ثلاثة أطراف فقط من أعضاء الجسم.

ح- شلل طرف واحد: أي شلل طرف واحد من أطراف الجسم.

ط- الشلل الكلي: أي شلل نصفي الجسم معاً (الروسان).

2- البتر:

وينقسم إلى بتر الأطراف العلوية أو السفلية، وهو حالة يفقد فيها الفرد أحد أطرافه أو جزء منها.

3- اضطرابات العمود الفقري :

وهو ذلك الخلل الذي يصيب النمو العادي للعمود الفقري من منطقة الرأس وحتى نهاية العمود الفقري، ويذكر "بليك 1975" مظاهر هذا الاضطراب فيما يلي:

أ- تباعد فقرات العمود الفقري عن بعضها.

ب- بروز نتوء في العمود الفقري المملؤ بسائل النخاع الشوكي ولا يحتوي على أنسجة عصبية.

ج- بروز نتوء في العمود الفقري المملؤ بسائل النخاع الشوكي، والذي يحتوي على أنسجة عصبية .

4- وهن أو ضمور العضلات :

"ويقصد بها الضعف العام الذي يصيب الجسم والذي يبدأ من القدمين ويستمر تدريجياً نحو منطقة الرأس أو العكس"

وتبدو مظاهر هذه الحالة في ضعف العضلات وضمحلها التدريجي، والتي قد تظهر منذ العام الأول للولادة، وقد تصاحب هذه الحالة حالات من الإعاقة العقلية .

ويذكر "بليك 1975" عدة مظاهر لهذه الحالة منها:-

صعوبة الوقوف، كثرة الوقوع على الأرض عند المشي، صعوبة الوقوف على رؤوس أصابع القدمين .

5- التصلب المتعدد :

من مظاهرها: ضعف العضلات وتشنجها وصعوبة المشي والكلام، وتصيب هذه الحالة الأفراد من عمر المراهقة وما بعدها.

6- الصرع:

مظاهرها: عدد من الأعراض المفاجئة غير الإرادية والتي تظهر على الفرد، مثل: شحوب الوجه، اختلال توازن الجسم، الوقوع على الأرض، الارتعاش، صعوبة التنفس، خروج الزيد من الفم، صعوبة ضبط عملية التبول، النوم العميق.

والصرع له نوعان :

أ- حالات الصرع الكبرى: وتستمر لمدة تتراوح من دقيقتين إلى خمس دقائق

ب- حالات الصرع الصغرى: مدتها أقل من ذلك.

7- شلل الأطفال:

يحدث نتيجة فيروس يصيب الدماغ أو الخلايا الحركية في العمود الفقري ومن مظاهره: ضعف عام في الجسم وتشنجات، وفيروس المرض قد لا يؤدي إلى إعاقة عقلية، لذلك يلتحق الأطفال المصابين بشلل الأطفال بالمدارس العادية، وهذا المرض تتناقص بسبب التطعيمات الدورية ضده .

8- مظاهر أخرى للإعاقة الحركية:

أ- السكري: مرض وراثي، يعاني فيه المصاب من ارتفاع السكر في الدم بسبب نقص هرمون "الأنسولين" الذي يساعد خلايا الجسم على امتصاص السكر في الدم ومن مظاهره: الكسل، ضعف النشاط الحركي، عدم التئام الجروح

ب- التهاب المفاصل: ومن مظاهره ألم المفاصل والأطراف والتهابها وتشنجها ويصيب الأفراد في أي عمر.

ج- الربو: مظهره: صعوبة عملية التنفس .

د- مرض السل: تسببه بكتيريا السل ويصيب الأفراد في أي عمر، ومن مظاهره: إصابة

الرئتين. (شقير 2002 : 126)

منهج الدراسة:

استخدم في هذه الدراسة المنهج الوصفي ومن المتعارف عليه في هذا المجال ان الهدف من الدراسة الوصفية هو التأكد من معلومات معينه كانت موجوده في مجتمع محدد او اكتشاف معلومات جديدة لتصبح حقائق رسميه او نظريات جديدة .

مجتمع الدراسة:

في ضوء مشكلة البحث وأهدافها فان مجتمع الدراسة يتكون من المعلمين والمعلمات العاملين بالتدريس الفعلي في فصول التعليم الأساسي بمدارس منطقة مسه بليبيا للعام الدراسي 2012 / 2013 حيث شمل مجتمع الدراسة مدارس (فارس الصحراء . مسه المشتركة . خولة بنت الازور . سليون . بوشلوع . عمر عصر) حيث بلغ عدد مجتمع الدراسة (227) معلم ومعلمه والجدول (1) يوضح ذلك:

ت	المدرسة	تخصص المعلمين					المجموع
		اللغة العربية	عام	علوم ورياضيات	اجتماعيات وانجليزي	ل . آداب	
1	سليون	6	5	5	4	3	23
2	حمد شلوع	7	5	5	4	4	25
3	عمر عصر	6	4	7	6	4	27
4	خواة بنت الازور	5	12	19	18	14	68
5	مسه المشتركة	12	6	3	15	10	46
6	فارس الصحراء	5	4	7	7	15	38
المجموع		41	36	46	54	50	227

عينة الدراسة:

تم اختيار بطريقة العينة العشوائية الطبقية وذلك لان العينة العشوائية الطبقية يتم من خلالها تحديد عينات صغيرة جزئية يكون حجمها متناسب مع مفردات المجتمع الاصلي ويتم اختيار العينة داخل كل طبقة على حدة عشوائيا وهذا يزيد من مقدار تمثيل العينة لهذا المجتمع وفي استخراج عينة الدراسة اكد الهمالى 1988 وداوود وآخرون 1991 عل قانون ثابت هو إن:

ط

حجم العينة = $l \times \frac{X}{N}$ —

ن

حيث ان : l = الحجم الكلي المقترح للعينات ، $ط$ = العدد الكلي لكل طبقة ، $ن$ = حجم المجتمع الاصلي

جدول (2)

يوضح استخراج العينة من مدرسة سليون

التخصص	العينة	المجموع
اللغة العربية	$= 23/6 \times 20$	5
عام	$= 23/5 \times 20$	4
علوم ورياضيات	$= 23/5 \times 20$	4
اجتماعيات وانجليزي	$= 23/4 \times 20$	4
ل. آداب	$= 23/3 \times 20$	3
المجموع		20

جدول (3)

يوضح استخراج العينة من مدرسة حمد شلوع

التخصص	العينة	المجموع
اللغة العربية	$= 25/7 \times 20$	6
عام	$= 25/5 \times 20$	4
علوم ورياضيات	$= 25/5 \times 20$	4
اجتماعيات وانجليزي	$= 25/4 \times 20$	3
ل. آداب	$= 25/4 \times 20$	3
المجموع		20

جدول (4)

يوضح استخراج العينة من مدرسة عمر عصر

المجموع	العينة	التخصص
4	$= 27/6 \times 20$	اللغة العربية
3	$= 27/4 \times 20$	عام
6	$= 27/7 \times 20$	علوم ورياضيات
4	$= 27/6 \times 20$	اجتماعيات وانجليزي
3	$= 27/4 \times 20$	ل. آداب
20	المجموع	

جدول (5)

يوضح استخراج العينة من مدرسة خولة بنت الازور

المجموع	العينة	التخصص
1	$= 68/5 \times 20$	اللغة العربية
4	$= 68/12 \times 20$	عام
6	$= 68/19 \times 20$	علوم ورياضيات
5	$= 68/18 \times 20$	اجتماعيات وانجليزي
4	$= 68/14 \times 20$	ل. آداب
20	المجموع	

جدول (6)

يوضح استخراج العينة من مدرسة مسة المشتركة

المجموع	العينة	التخصص
5	$= 46/12 \times 20$	اللغة العربية

3	$= 46/6 \times 20$	عام
1	$= 46/3 \times 20$	علوم ورياضيات
7	$= 46/15 \times 20$	اجتماعيات وانجليزي
4	$= 46/10 \times 20$	ل. آداب
20	المجموع	

جدول (7)

يوضح استخراج العينة من مدرسة فارس الصحراء

المجموع	العينة	التخصص
2	$= 38/512 \times 20$	اللغة العربية
2	$= 38/4 \times 20$	عام
4	$= 38/7 \times 20$	علوم ورياضيات
4	$= 38/7 \times 20$	اجتماعيات وانجليزي
8	$= 38/15 \times 20$	ل. آداب
20	المجموع	

جدول (8)

يوضح توزيع عينة الدراسة من حيث التخصص

النسبة	المجموع	اناث	ذكور	التخصص
% 19.2	23	13	10	اللغة العربية
% 16.7	20	12	8	عام
% 20.8	25	14	11	علوم ورياضيات
% 22.5	27	11	16	اجتماعيات وانجليزي
% 20.8	25	18	7	ل. آداب
% 100	120	68	52	المجموع

جدول (9)

يوضح توزيع عينة الدراسة من حيث مدة الخبرة

الخبرة	ذكور	اناث	المجموع	النسبة
اقل من 8	16	18	34	% 28.3
من 8 - 13	18	20	38	% 31.7
اكثر من 13	18	30	48	% 40.0
المجموع	52	68	120	% 100

جدول (10)

يوضح توزيع عينة الدراسة من حيث الجنس

الجنس	العدد	النسبة
ذكور	52	% 43.3
اناث	68	% 56.7
المجموع	120	% 100

جدول (11)

يوضح توزيع عينة الدراسة من حيث العمر

الفئة العمرية	ذكور	اناث	المجموع	النسبة
24 - 29	16	25	41	%34.2
30 - 35	12	13	25	%20.8
36 - 41	8	9	17	%14.2
42 - 47	10	9	19	%15.8
48 - 53	6	12	18	%15.0
المجموع	52	68	120	%100

إدارة الدراسة:

استخدم في الدراسة الحالية لقياس اتجاهات المعوقين الذي اعدده عبد العزيز الشخص (1987) ويتكون المقياس من (36) عبارة تقيس الاتجاهات نحو المعوقين في أربع مجالات التعليم

والعمل والمهنة والحياة الأسرية والاجتماعية وخصائص المعوقين وقد صيغة عبارات القياس بحيث تكون ناقصة وتحتاج إلي تكميل ويتم تكملة واحدة من بين ثلاث مكملات مميزة بحروف (أ) ، (ب) ، (ج) ، التكملة .

(أ) تمثل الاتجاه السلبي وتعطي درجة واحدة التكملة .

(ب) وتمثل الاتجاه المحايد وتعطي درجتان التكملة.

(ج) وتمثل الاتجاه المحايد وتعطي ثلاث درجات وبناء علي ذلك يمكن أن يحصل الفرد علي درجات في المقياس تتراوح ما بين (36-108) .

وتعتبر الدرجة (72) هي درجة الاتجاه المحايد نحو المعاقين وتمثل الدرجة الاعلى من (72) الاتجاه الايجابي نحو المعوقين وكتبت إمام كل عبارة أنواع الإعاقة في أعمدة وأنواع الإعاقة هي (المعوقين بصرياً - المعوقين سمعياً - المعوقين عقلياً - المعوقين حركياً) بحيث يقوم الفرد بوضع علامة (صح) تحت كل إعاقة يري في العبارة التي أختارها تنطبق عليها .

وهكذا يمكن حساب خمس درجات لكل فرد علي المقياس أحدهما خاص بالدرجة الكلية التي تعبر عن اتجاه الفرد نحو المعوقين بصورة عامة (مجموعة درجات الجزء الأيمن من القياس) وتمثل الأربع درجات الأخرى

اتجاه نحو كل إعاقة من الإعاقات التي يمثلها القياس (مجموعة درجات الفرد في الأعمدة الأربعة الموجودة بالجزء الأيسر من القياس) .

طريقة الإجابة علي المقياس:

أ - يقرأ كل فرد من أفراد الدراسة كل عبارة من العبارات المكتوبة في الجزء الأيمن من المقياس ويحدد تكملة حولها دائرة إلي أن يقوم الفرد بأختيار تكملة واحدة لكل عبارة ثم يرسم دائرة حول المقابل لها (أ) ، (ب) ، (ج) .

ب- ينظر كل فرد من أفراد الدراسة في الأعمدة الخاصة بأنواع الإعاقة ويحدد أي أنواع الإعاقة تنطبق عليها التكملة التي أختاره للعبارة فإذا كانت تنطبق في رأيه علي المعوقين بصرياً ويستطيع أن يضع علامة (صح) تحت أكثر من نوع من الإعاقة الأخرى.

(سمعياً عقلياً بصرياً حركياً) إذا رأي أن التكملة التي أختارها تنطبق علي أكثر من نوع من أنواع الإعاقة.

3- صدق المقياس :

الصدق الظاهري :

حيث تم عرض المقياس علي مجموعة من المحكمين من أساتذة التربية وعلم النفس لمعرفة مدى مناسبة عبارات الاتجاهات نحو المعوقين للبيئة الليبية وصلت نسبة الاتفاق على صلاحية المقياس الى 80%.

ب - الصدق التلازمي :

ويكون ينطبق أداة تقيس الظاهرة التي تقيسها أداة الدراسة ثم يتم استخراج العلاقة بين درجات العينة في أداة الدراسة والأداء الأخرى ويكون المقياس صادقاً صدقاً تلازمياً عندما تكون الدرجة الارتباطية عالية بين الأدوات (إبراهيم، 1999 ص31).

لذلك نطبق مقياس آخر يقيس الاتجاهات نحو المعوقين وهو (مقياس القريطي 1992) علي عينة تكونت من (40) معلم ومعلمة ثم تم حساب معامل الارتباط لإيجاد العلاقة بين أداة الدراسة والأداة الأخرى وكان درجة العلاقة بينها (0.59) وهي دالة عند مستوي دلالة (0.05) وهذا يشير إلي أداة الدراسة تتمتع بصدق تلازمي .

ثبات المقياس :

تم التأكد من ثبات المقياس بطريقة إعادة التطبيق على العينة الاستطلاعية التي تكونت من (40) معلم ومعلمة مرتين بفاصل زمني مدته (21) يوما ثم حساب معامل الارتباط بين التطبيقين الأول والثاني وكانت معامل الثبات (0.86) وهذا يدل على ان المقياس يتمتع بدرجة عالية من الثبات.

الأسلوب الإحصائي:

من أجل تحليل البيانات والمعلومات فقد استخدمت الوسائل الإحصائية الآتية :

النسب المئوية . مربع كاي

أولا : فيما يخص الهدف الأول (ما اتجاهات عينة الدراسة نحو المعوقين عموما) الجدول رقم 4 - 1 يوضح تحليل نتائج هذا الهدف.

جدول رقم (4 - 1)

توزيع درجات افراد عينة الدراسة على مقياس الاتجاهات نحو المعوقين

الفئات	التكرار	النسبة المئوية
51 . 47	12	% 10
61 . 57	9	% 7.5
66 . 62	9	% 7.5
72	27	% 22.5
77 . 73	11	% 9.2
82 . 78	16	%13.3
87 . 83	36	% 30
المجموع	120	% 100

يتضح من الجدول (4 - 1) ان المعلمين والمعلمات عينة الدراسة الحاصلين على درجات تمثل الاتجاه السلبي نحو المعوقين يمثلون نسبة (16%)، وان المعلمين والمعلمات الحاصلين على درجات تمثل الاتجاه المحايد نحو المعوقين (22.5 %)، وأن المعلمين والمعلمات الحاصلين على درجات تمثل الاتجاه الايجابي نحو المعوقين يمثلون نسبة (52.2%).

وهذا يشير إلى أن اتجاهات المعلمين والمعلمات عينة الدراسة نحو المعوقين تتسم بالايجابية .

ثانيا : فيما يخص الهدف الثاني (مآتجاهات عينة الدراسة نحو كل فئة من فئات المعوقين " بصريا . سمعيا . عقليا . حركيا " والتي تشملها الدراسة الحالية) الجداول رقم () توضح تحليل نتائج هذا الهدف .

(أ) اتجاهات المعلمين والمعلمات عينة الدراسة نحو المعوقين سمعيا :

جدول (4 - 2)

توزيع درجات افراد عينة الدراسة على مقياس الاتجاهات نحو المعوقين سمعيا

الفئات	التكرار	النسبة المئوية
51 . 42	4	% 3.3

66 . 61	7	% 5.8
71 . 67	5	% 4.2
72	23	% 19.2
77 . 73	25	% 20.8
82 . 78	34	%28.4
92 . 83	22	% 18.3
المجموع	120	% 100

يتضح من الجدول (4 - 2) ان المعلمين والمعلمات عينة الدراسة الحاصلين على درجات تمثل الاتجاه السلبي نحو المعوقين سمعيا يمثلون نسبة (13.3 %) ، وان المعلمين والمعلمات الحاصلين على درجات تمثل الاتجاه المحايد نحو المعوقين سمعيا (19.2 %) ،وان المعلمين والمعلمات الحاصلين على درجات تمثل الاتجاه الايجابي نحو المعوقين سمعيا يمثلون نسبة (67.5 %) وهذا يشير الى ان اتجاهات المعلمين والمعلمات عينة الدراسة نحو المعوقين تتسم بالايجابية .

(ب) اتجاهات المعلمين والمعلمات عينة الدراسة نحو المعوقين بصريا :

جدول (4 - 3)

يوضح توزيع درجات افراد عينة الدراسة على مقياس الاتجاهات نحو المعوقين بصريا

الفئات	التكرار	النسبة المئوية
51 . 42	3	% 2.5
66 . 61	5	% 4.2
71 . 63	3	% 2.5
72	17	% 14.2
77 . 73	33	% 27.5
84 . 78	21	%17.5

31.6 %	38	95 - 85
100 %	120	المجموع

يتضح من الجدول (4 - 3) ان المعلمين والمعلمات عينة الدراسة الحاصلين على درجات تمثل الاتجاه السلبي نحو المعوقين سمعيا يمثلون نسبة (9.2%)، وان المعلمين والمعلمات الحاصلين على درجات تمثل الاتجاه المحايد نحو المعوقين سمعيا (14.2%)، وان المعلمين والمعلمات الحاصلين على درجات تمثل الاتجاه الايجابي نحو المعوقين سمعيا يمثلون نسبة (76.6 %) وهذا يشير الى ان اتجاهات المعلمين والمعلمات عينة الدراسة نحو المعوقين تتسم بالاجابية .

(ج) اتجاهات المعلمين والمعلمات عينة الدراسة نحو المعوقين عقليا :

جدول (4 - 4)

يوضح توزيع درجات افراد عينة الدراسة على مقياس الاتجاهات نحو المعوقين عقليا

النسبة المئوية	التكرار	الفئات
21.7 %	26	61 - 52
25 %	30	66 - 62
20.8 %	25	71 - 67
9.2 %	11	72
5.8 %	7	77 - 73
7.5 %	9	82 - 78
10 %	12	87 - 83
100 %	120	المجموع

يتضح من الجدول (4 - 4) ان المعلمين والمعلمات عينة الدراسة الحاصلين على درجات تمثل الاتجاه السلبي نحو المعوقين عقليا يمثلون نسبة (67.5%)، وان المعلمين والمعلمات الحاصلين على درجات تمثل الاتجاه المحايد نحو المعوقين عقليا (9.2%) ، وان المعلمين والمعلمات الحاصلين على درجات تمثل الاتجاه الايجابي نحو المعوقين عقليا يمثلون نسبة (23.3 %) وهذا يشير الى ان اتجاهات المعلمين والمعلمات عينة الدراسة نحو المعوقين تتسم بالسلبية .وهذه النتيجة تتفق مع دراسة قشقوش.

(د) اتجاهات المعلمين والمعلمات عينة الدراسة نحو المعوقين حركيا :

جدول (4 - 5)

يوضح توزيع درجات افراد عينة الدراسة على مقياس الاتجاهات نحو المعوقين حركيا

الفئات	التكرار	النسبة المئوية
61 . 57	5	% 4.1
66 . 62	4	% 3.3
71 . 67	3	% 2.5
72	17	% 14.2
77 . 73	23	% 19.2
82 . 78	51	%42.5
78 . 83	17	% 14.2
المجموع	120	% 100

يتضح من الجدول (4 - 5) ان المعلمين والمعلمات عينة الدراسة الحاصلين على درجات تمثل الاتجاه السلبي نحو المعوقين حركيا يمثلون نسبة (9.9 %) ، وان المعلمين والمعلمات الحاصلين على درجات تمثل الاتجاه المحايد نحو المعوقين حركيا (14.2 %) ، وان المعلمين والمعلمات الحاصلين على درجات تمثل الاتجاه الايجابي نحو المعوقين حركيا يمثلون نسبة (75.9 %) ، وهذا يشير الى ان اتجاهات المعلمين والمعلمات عينة الدراسة نحو المعوقين تتسم بالايجابية .

جدول (4 - 6)

يوضح تكرار القيم المشاهدة والمتوقعة للاتجاهات لاتجاهات عينة الدراسة نحو المعوقين وفقا

لمتغير التخصص

التخصص الاتجاه	أدبي	علمي	المجموع
السلبي	29	4	33
	27.2	5.8	
المحايد	23	4	27
	22.3	4.7	

60	13	47	الايجابي
	10.5	49.5	
120	21	99	المجموع

يتضح من الجدول (4 - 6) ان قيمة مربع كاي المحسوبة (1.52) وان قيمة مربع كاي الجدولية عند درجة حرية (2) ومستوى دلالة (0.5) تساوي (5.99) وعليه يتضح ان قيمة مربع كاي الجدولية اكبر من قيمة مربع كاي المحسوبة مما يدل على انه لا توجد فروق في اتجاهات عينة الدراسة نحو المعوقين وفقا لمتغير التخصص.

جدول (4 - 7)

يوضح تكرار القيم المشاهدة والمتوقعة للاتجاهات لاتجاهات عينة الدراسة نحو المعوقين وفقا لمتغير الجنس

المجموع	انثى	ذكر	التخصص الاتجاه
28	10	18	السلبى
	14.7	13.3	
27	11	16	المحايد
	14.2	12.8	
65	42	23	الايجابي
	34.1	30.9	
120	63	57	المجموع

يتضح من الجدول (4 - 7) ان قيمة مربع كاي المحسوبة (8.53) وان قيمة مربع كاي الجدولية عند درجة حرية (2) ومستوى دلالة (0.5) تساوي (5.99) ، وعليه يتضح ان قيمة مربع كاي المحسوبة اكبر من قيمة مربع كاي الجدولية مما يدل على وجود فروق في اتجاهات عينة الدراسة نحو المعوقين وفقا لمتغير الجنس، وهذه النتيجة تتفق مع دراسة حسين وتختلف مع الدراسات المذكورة الاخرى.

جدول (4 - 8)

يوضح تكرار القيم المشاهدة والمتوقعة للاتجاهات لاتجاهات عينة الدراسة نحو المعوقين وفقا لمتغير العمر

الفئة العمرية الاتجاه	35 - 24	47 - 36	48 - فمافوق	المجموع
السلبى	15	16	13	44
	17.6	16.1	10.3	
المحايد	-	-	-	-
	-	-	-	
الايجابى	33	28	15	76
	30.4	27.9	17.7	
المجموع	48	44	28	120

يتضح من الجدول (4 - 8) ان قيمة مربع كاي المحسوبة (1.71) وان قيمة مربع كاي الجدولية عند درجة حرية (4) ومستوى دلالة (0.5) تساوي (9.49) وعليه يتضح ان قيمة مربع كاي الجدولية اكبر من قيمة مربع كاي المحسوبة مما يدل على انه لا توجد فروق في اتجاهات عينة الدراسة نحو المعوقين وفقا لمتغير العمر ، اختلفت هذه النتيجة مع دراسة حسين محمد 1988 التى اشارت الى فروق لصالح الاكبر سنل حيث اكانوا اكثر ايجابية فى الاتجاه نحو الاعاقة .

جدول (4 - 9)

يوضح تكرار القيم المشاهدة والمتوقعة للاتجاهات لاتجاهات عينة الدراسة نحو المعوقين وفقا لمتغير الخبرة

مدة الخبرة الاتجاه	اقل من 8 سنوات	13 - 8	اكثر من 13	المجموع
السلبى	6	12	7	25
	5.8	7.9	9.2	
المحايد	8	8	10	36

	13.2	11.4	8.4	
59	27	18	14	الايجابي
	21.6	18.7	13.8	
120	44	38	28	المجموع

يتضح من الجدول (4 - 9) ان قيمة مربع كاي المحسوبة (4.98) وان قيمة مربع كاي الجدولية عند درجة حرية (4) ومستوى دلالة (0.5) تساوي (9.49) وعليه يتضح ان قيمة مربع كاي الجدولية اكبر من قيمة مربع كاي المحسوبة مما يدل على انه لا توجد فروق في اتجاهات عينة الدراسة نحو المعوقين وفقا لمتغير مدة الخبرة . وتتفق هذه النتيجة مع دراسة عائشة الهني 1989 ودراسة من خلال عرض النتائج وتحليلها توصلت الدراسة الى النتائج التالية :

1. تتسم اتجاهات عينة الدراسة نحو المعوقين عموما بالايجابية .
2. تتسم اتجاهات عينة الدراسة نحو المعوقين سمعيا بالايجابية .
3. تتسم اتجاهات عينة الدراسة نحو المعوقين بصريا بالايجابية .
4. تتسم اتجاهات عينة الدراسة نحو المعوقين عقليا بالسلبية .
5. تتسم اتجاهات عينة الدراسة نحو المعوقين حركيا بالايجابية .
6. لا توجد فروق في اتجاهات عينة الدراسة نحو المعوقين وفقا للعمر
7. لا توجد فروق في اتجاهات عينة الدراسة نحو المعوقين وفقا لمدة الخبرة
8. لا توجد فروق في اتجاهات عينة الدراسة نحو المعوقين وفقا للتخصص.
9. توجد فروق في اتجاهات عينة الدراسة نحو المعوقين وفقا للجنس .

الدراسات السابقة

دراسة ماكي فوي وآخرون (1984)

تحت عنوان أحكام معلمي الفصول العادية وفصول التربية الخاصة حول الأطفال المعاقين عقلياً في نظام متكامل " الدمج " ثلاثة تصميمات مختلفة لتحديد ما اذا كانت أحكام المعلمين حول الأطفال أم ألا ، وبالسماوات المميزة للمعلم ، والسماوات المميزة لنظام اللعب الحر في ضوء الدمج ، وكانت المتغيرات المستقلة في حدود نسبة التكامل، مجال تخصص المعلم ، والطفل المستهدف ، وكان المتغير التابع هو أحكام المعلم حول الأطفال المعاقين عقلياً من مكان الدمج " التكامل " وقد

تكونت عينة الدراسة من 52 معلماً بفصول التربية النظامية العادية ، 15 معلماً بفصول التربية الخاصة ، وكان جميعهم يدرسون بمدارس المرحلة الابتدائية . وكانت الأحكام الصادرة منها تقدر وتقيم عن طريق معلمين محكمين يعملون في فصل التربية النظامية العادية ، اعتماداً علي كل من السمات المميزة للطفل المستهدف ونسبة التكامل في نشاط اللعب الحر ، وقد أسفرت نتائج الدراسة عن أن أحكام معلمي التربية الخاصة تتأثر أيضاً بالسمات المميزة للطفل الملاحظ في حين أن لا تتأثر بنسبة التكامل " الدمج " .

دراسة بانيتو وآخرون (1987)

هدفت الدراسة إلي التعرف علي الوظائف المختلفة للقوة البدنية للمعاقين واتجاهات المعلمين نحوهم ، وتكونت عينة الدراسة من مجموعة من الأطفال تراوحت أعمارهم ما بين 3-6 سنوات من الجلوس " الذين يعانون من تقاعس بدني " عبر ثقافات مختلفة ، واستخدمت الدراسة الأدوات التالية " استمارات الملاحظة مقياس الاتجاهات نحو الأسئلة المطروحة من قبل المعاقين " وأسفرت الدراسة عن النتائج التالية أن أسئلة الأطفال المعاقين كانت تحتاج إلي عاطفة المعلم ، وأن الاتجاهات الايجابية للعاطفة اعتبرت كعامل هام اعتبارات خاصة بالمعاقين والتي تمثلت في مدي حاجة المعلم لفهم التدريبات والعمليات الرئيسية للمعاقين ، كما أوضحت النتائج مدي حاجة المعلم للتدريب ، وذلك لفهم خصائص الطلاب واتجاهاتهم نحوه بغرض تقديم الخدمات التي تلائم المهارات المختلفة لمستويات الإعاقة وضمان النجاح لتحقيق جوانب التوافق للمعاقين .

دراسة ميلفين والسيونج (1992)

هدفت هذه الدراسة إلي المعرفة اتجاهات المعلمين نحو المعوقين ومدي ارتباطها بالعمر الزمني وتكونت عينة الدراسة "127" معلماً وأسفرت النتائج علي أن هناك ارتباط بين العمر والاتجاهات الايجابية من المعلم نحو الاعاقة كما أظهرت النتائج عدة تصنيفات من قبل المعلمين والطلاب المعاقين وذلك تبعاً لحجم الإعاقة .

دراسة صالح هارون (1881)

هدفت الدراسة إلي التغيير الذي يمكن أن يطرأ علي اتجاهات المعلمين ومعلوماتهم عن المتخلفين عقلياً من خلال تفاعلهم مع برامج التدريب التي تعد بقصد تأهيلهم تربوياً وتكونت عينة الدراسة من 37 " معلماً ومعلمة من أفراد البعثة الداخلية قسم التربية الفكرية بمعهد معلومات العباسية بالقاهرة بالاضافة إلي 37" مما أمضوا في التدريب خمس سنوات بمدارس التربية الفكرية

نحو المتخلفين عقلياً يتكون من " 85" عبارة وأشارت النتائج إلي وجود زيادة إيجابية في اتجاهات معلمي ومعلمات التربية الفكرية نحو المتخلفين عقلياً نتيجة لاعداد التريوي ، إلا أن هناك فروقاً بين الجنسين من المعلنين اتجاهاتهم نحو المعوقين عقلياً في صالح الطالبات .

دراسة عبد العزيز الشخص (1986)

هدفت الدراسة إلي معرفة بعض العاملين في مجال التعليم نحو المعوقين بفئاتهم المختلفة ، وتكونت عينة الدراسة من " 144" فرداً " 98" ذكور " 46" إناث من المديرين والوكلاء والعاملين في المدارس العادية التي الا تضم معوقين والبعض يعمل في المدارس العادية التي تضم معوقين ، والبعض يعمل في مؤسسات رعاية المعوقين ، وقام الباحث بإعداد استبيان للاتجاهات نحو المعوقين يتكون من " 56" عبارة تقيس الاتجاهات نحو المعوقين في أربعة مجالات في مجال التعليم ، ومجال العمل و المهنة ومجال الحياة الاسرية والاجتماعية ، وخصائص المعوقين ، وأشار النتائج إلي تمييز اتجاهات العاملين في مجال التعليم بصورة عامة بالإيجابية نحو المعوقين ، بين العاملين في المدارس العادية التي لا تضم معوقين ، والعاملين مع المعوقين سمعياً ، وأشار النتائج أيضاً إلي عدم وجود فروق في الاتجاهات نحو المعوقين بين العاملين في المدارس العادية التي لا تضم معوقين والعاملين مع المكفوفين والعاملين مع الصم أكثر إيجابياً نحو المعوقين بالمقارنة باتجاهات العاملين مع المتخلفين عقلياً .

دراسة حسين محمد (1988)

هدفت الدراسة إلي الكشف عن اتجاهات المعلمين والمعلمات في مديرية أريد بالأردن نحو المعوقين حركياً ، وأثر بعض المتغيرات مثل النوع والعمر والمؤهل العلمي ونوع التخصص ووجود فرد معاق في الأسرة علي تكوين الاتجاهات نحو أفراد المعاقين حركياً ، وتكونت عينة الدراسة من " 450" فرداً يمثلون " 230" معلماً " 220" معلمة ، ولدي بعضهم " ت = 30" حالة إعاقة حركية واستخدام استبيان طوره الباحث لمعرفة الاتجاهات نحو المعوقين حركياً يتضمن أربع مجالات المجال المعرفي ، و المجال الاجتماعي ، والمجال النفسي ، و المجال الجسمي والحركي ، وأشارت النتائج إلي وجود فروق دالة إحصائية علي مقياس الاتجاهات تعزي لمتغير النوع لصالح الإناث والعمر والمستوي التعليمي ولم تظهر الدراسة أثر باقي المتغيرات علي مقياس الاتجاهات .

دراسة عائشة الهني (1989)

هدفت الدراسة إلي الكشف عن اتجاهات مديري ومعلمي المرحلة الابتدائية نحو دمج الطلبة

العاقين حركياً في المدارس العادية وأثر كل من متغيرات النوع والمؤهل العلمي وسنوات الخبرة ونمط الوظيفة علي تكوين الاتجاهات نحو دمج الطلبة المعاقين حركياً في المدارس العادية في محافظة الزرقاء بالأردن ، وتكونت عينة الدراسة من "234" معلماً ومعلمة و "66" مديراً ومديرة ، وأستخدم مقياس لقياس النتائج إلي أثر المتغير النوعي ونمط الوظيفة علي اتجاهات مديري ومعلمي المدارس الابتدائية نحو دمج الطلبة المعاقين حركياً في المدارس العادية ولم يكن لمتغيرات المؤهل العلمي وسنوات الخبرة ، والتفاعل بين متغيرات النوع والمؤهل العلمي وسنوات الخبرة ونمط الوظيفة أثر ذا دلالة إحصائية علي مقياس الاتجاهات .

دراسة أبراهيم قشقوش (1991)

هدفت الدراسة إلي معرفة أثر التدريب أثناء الخدمة علي اتجاهات معلمي ومعلمات المدرسة التربية الخاصة نحو المعوقين عقلياً في دولة قطر ، وتكونت عناية الدراسة من " 49 " فرداً من المدرسين والمدرسات وقام الباحث باستخدام مقياس اتجاهات معلمي التربية الفكرية نحو المتخلفين عقلياً الذي قام بإعداده صالح هارون عام " 1981 " وقام الباحث بتطبيق الأداة علي العينة التي تشارك في دورة التدريب التجديدية المكثفة التي عقدتها وزارة التربية والتعليم في دولة قطر لمعلمي ومعلمات التربية الخاصة ، وكانت هذه المجموعة الكلية " 49 " تتضمن مجموعتين فرعيتين الأولى تتكون من " 25 " مدرساً والثانية تتكون من " 24 " مدرساً من التربية الخاصة وجميعهم ممن يعملون في هذا المجال مدة تزيد عن خمس سنوات ، وتم تطبيق الأداة قبلي وبعدي ، وأشارت نتائج الدراسة إلي حدوث تغيرات في اتجاهات أفراد العينة نحو المعوقين في تطبيق بعد الأداة ، ألا أن التغيير كان منصباً علي البعدين الأول والثالث وللأداة وهما اتجاهات المعلمين نحو تقويم المتخلفين عقلياً واتجاهات المدرسين نحو طريقة تدريس المعوقين عقلياً ، وطراً أيضاً الاتجاه نحو المعوقين لدي المدرسات دون المدرسين في البعد السادس ، وهو الاتجاه نحو بعض خصائص المعوقين عقلياً وتقبلهم لهم .

وفي دراسة أخرى أجراها ستيفنز وبراون (Braun , 1980 & Stephens) هدفت إلي قياس اتجاهات معلمي الصفوف العادية نحو الأطفال المعوقين ، وشملت العينة 1430 معلماً ومعلمة ، وقد تم التعرف إلي اتجاهات معلمي الصفوف العادية نحو الأطفال المعوقين باستخدام مقياس مؤلف من 20 فقرة ، وأشارت النتائج إلي 61% من المعلمين يريدون دمج الطلبة المعوقين في الصفوف العادية ، في حين أشارت النتائج إلي أن 39% من المعلمين يرفضون فكرة الدمج .

كما أجرى ستين باك وزملائه (Stain back et al , 1985) دراسة هدفت إلي دراسة

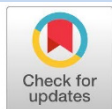
فعالية برامج الدمج ، ومدى نجاحها ، حيث أشاروا إلى أن نجاح برامج دمج الأطفال المعوقين إعاقة بسيطة ممكن أن يعتمد على تمكن معلمي المدرسة العادية من تعديل أساليب تدريسهم بحيث تخدم حاجات الأطفال المعوقين ، وإن أسباب فشل برامج الدمج تكمن في صعوبة تعديل المعلمين لأساليب تدريسهم . (الروسان ، 1998) .

قائمة المراجع

1. أمير ، محمد حمزة (1998) : اتجاهات طلبة جامعة اليرموك نحو مادة الثقافة الإسلامية وعلاقتها ببعض المتغيرات ، مجلة اتجاه اليرموك .
2. أباطة ، أمال عبدالسميع (2003) : سيكولوجية غير العاديين ، ط 1 ، مكتبة الانجلو المصرية .
3. البسطامي ، غانم جاسر (1995) : المناهج والأساليب في التربية الخاصة ، ط 1 ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع .
4. حسن ، عبدالمحي محمود (1999) : متحدوا الإعاقة من منظور الخدمة الاجتماعية ، ط 1 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية .
5. الداهري ، صالح حسن (2005) : سيكولوجية رعاية الموهوبين المتميزين وذوي الاحتياجات الخاصة، دار وائل للنشر ، عمان .الأردن .
6. حسن ، عبدالمحي محمود (1999) : متحدوا الإعاقة من منظور الخدمة الاجتماعية ، ط 1 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية .
7. الخطيب ، جمال محمد (1993) : تعديل سلوك الأطفال المعوقين دليل الآباء والمعلمين ، ط 1 ، دار الشروق ، عمان .الأردن .
8. الخطيب ، جمال محمد (1998) : مقدمة في الاعاقات الجسمية والصحية ، ط 1 ، دار الشروق ، عمان .الأردن .
9. العديلي ، ناصر محمد (1995) : السلوك الإنساني للأطفال المعوقين ، دار غريب للطباعة والنشر .
10. الروسان ، فاروق (1998) : سيكولوجية الأطفال غير العاديين مقدمة في التربية الخاصة ن ط 1 ن دار الفكر ، عمان .الأردن .

11. الزغبى ، احمد محمد (2001) : أسس علم النفس الاجتماعي ، دار الزهراء للنشر والتوزيع ن عمان .الأردن .
12. سليمان ، عبدالرحمن سيد (2001) : الاعاقة البدنية المفهوم التطبيقات الأساليب ، ط1 ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة .
13. عبدالحميد ، محمد ابراهيم (1999) : تعليم الأنشطة والمهارات لدى الأطفال المعاقين عقليا ، ط1 ، دار الفكر العربي . القاهرة .
14. عويس ، خيرالدين علي احمد (1984) : علم النفس الاجتماعي والنشاط الرياضي ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة .
15. العزة ، سعيد حسن (2001) : الاطفال ذوي الاحتياجات الخاصة ، ط1 ، دار الثقافة للنشر ، عمان . الاردن .
16. علي ، صالح محمد (1998) : سيكولوجية التنشئة الاجتماعية ، دار المسيرة ، عمان . الاردن .
17. عمر ، ماهر محمود (1998) : سيكولوجية العلاقات الاجتماعية ، ط1 ، دار المعرفة الجامعية . ، الإسكندرية.
18. فان دالين ، دبويولد (1979) : مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، ترجمة نوفل ن نبيل ، والشيخ، سليمان الخضري ، وغبريال ، طلعت منصور ، ط3 ، مكتبة الانجلو المصرية .
19. فهمي ، محمد ، السيد ، رمضان السيد (1999) : الفئات الخاصة من منظور الخدمة الاجتماعية ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية .
20. القانون الليبي رقم (5) لسنة (1997) بشأن المعاقين في ليبيا .
21. القريطي ، عبدالمطلب امين (2001) : سيكولوجية ذوي الاحتياجات الخاصة وتربيتهم ، ط3ن دار الفكر العربي ، القاهرة .
22. ماهر ، احمد (1997) : الاختبارات واستخدامها في إدارة الموارد البشرية للأفراد ، الدار الجامعية، الاسكندرية
23. محمود ، عبدالفتاح (1994) : علم النفس الاجتماعي أصوله ومبادئه ، دار النهضة العربية ، بيروت .

24. مخول ، مالك عبدالفتاح (1985) : علم النفس الاجتماعي.
25. المخزومي ، أمل علي (1995) : دور الاتجاهات في سلوك الأفراد والجماعات ، مجلة رسالة الخليج العربي ت العدد 15 .
26. المليجي ، إبراهيم عبدالهادي (1991) الرعاية الطبية والتأهيلية من منظور الخدمة الاجتماعية ، ط 1 ، المكتب الجامعي الحديث .
27. موسى ، رشاد علي (2002) : علم النفس الإعاقة ، ط 1 ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة .
- 28- الهجاني ، عبدالله عامر (1988) : أسلوب البحث الاجتماعي وتقنياته ، ط 1 ، منشورات جامعة قاربيونس .



دور النماذج الثقافية الاستعمارية في إعاقة التنمية

الشيخ أحمد الجيلاني^{*}

قسم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم (القبة)، جامعة عمر المختار

Doi: <https://doi.org/10.54172/n5pmw050>

المستخلص: يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على دور "آلية النماذج الثقافية" التي أسستها القوى الاستعمارية كصفة أو هوية للعالم الثالث. لقد أصبحت متأصلة لدرجة أنها تنسب سماتها المتخلفة المتصورة إلى نفسها، وتدافع عنها وتعتبرها صفات جوهرية. علاوة على ذلك، فهي تنظر إلى الآخرين على أنهم مرفوضون بطبيعتهم وتحرمهم من الحق في هوية متميزة. وقد حالت هذه العوامل دون اعتماد مرجعية فلسفية وتربوية مستمدة من تراث وتاريخ وقضايا الحاضر للأمم التي وقعت ضحية للاستعمار أو منحت نفسها نصيباً من الاستقلال. يرى الباحث أن المستعمر مُدان بسبب قضايا أعمق بكثير مما يمكن تقييمه مادياً. لقد أنتج الإرث الاستعماري إعاقات ثقافية ونفسية لا تزال تؤثر على أمم بأكملها، وتقوض جهودها في تنظيم العمل التنموي والإبداعي، وفهم هويتها، وتحديد معايير العلاقات المتبادلة، والتغلب على المرجعيات الاستعمارية التي قسمتها واستهزأت بسيادتها.

الكلمات المفتاحية: المستعمر، الثقافة، التنمية، الهوية

The Role of Colonial Cultural Models in Hindering Development

Sheikh Ahmed Al-Jilani

Department of Sociology, College of Arts and Sciences (Al-Qubba), Omar Al-Mukhtar University

Abstract: This research aims to shed light on the role of the "Cultural Models Mechanism," established by colonial powers as a characteristic or identity for the Third World. It has become so ingrained that it attributes its perceived backward traits to itself, defending and considering them as intrinsic qualities. Moreover, it views others as inherently rejected and denies them the right to a distinct identity. These factors hindered the adoption of a philosophical and educational reference derived from the heritage, history, and present issues of nations that fell victim to colonization or granted themselves a share of independence. The researcher argues that the colonizer is condemned for much deeper issues than can be simply evaluated materially. The colonial legacy has produced cultural and psychological disabilities that continue to influence entire nations, undermining their efforts in organizing developmental and creative actions, understanding their identity, establishing criteria for interrelations, and overcoming the colonial references that divided them, mocking their sovereignty.

Keywords: Component; Colonizer, culture, development, identity

مقدمة

تتطلب مصداقية الالتزام بمعطى "أن أسوأ شيء أن يناضل المرء عن قضية عادلة بعقل مغفل" مزيدا من مسئولية تذكير أنفسنا أنه من السهل وأحيانا من المريح أن يجلس المرء في مقعده ويأخذ في كيل الاتهامات للآخر "ككبح فداء" ليشبع نهم الحاجة إلى تبرئة ذاته دون مبرر، و بالمجارة لذلك، فإن ما نقوم به مجرد فصل أو عدم خلط بين الأشياء؛ تجنبنا للوقوع في التفسير التآمري للتاريخ، لكن دون الارتهان أيضا للتآمر على فكرة التآمر، اللتين تستدعيهما آليات التفكير الكسولة، والبحث عن شماعة نقلية عليها تخلفنا. و لكن و من باب أولى تجنب الإذعان لآلئتي التوحد مع المعتدي أو القوي. وآلية الوصم للأضعف وإلقاء الغسيل في سلته. وتجنبنا للوقوع في أي من دينك الهوتين السحيقتين، لابد من استحضار المقولة الشهيرة للمفكر الجزائري مالك بن نبي حول "قابليتنا للاستعمار" وتعامل بعضنا معه، بسوء نية أو بعامل تدني الوعي بالأسئلة المتعددة لتحقيق الهوية، كإطار مرجعي تاريخي...

ينطلق هذا تناول من أنه إذا كان العنصر البشري يمثل أكثر من (60%) من عناصر التنمية الشاملة، متقدما على رأس المال المالي و الإدارة. كما يرد في تقارير التنمية الدورية. فمن المسلم به أن أي إعاقة لفاعلية ذلك العنصر، تعتبر أكثر خطورة على التنمية من أي عامل آخر، وببنفس النسبة أو التناسب بين عناصرها، وليس خافيا أن إنسان الأمم المستعمرة تعرض لعملية هدر مبرمجة على يد المستعمرين الغزاة، الذين أصابهم فيروس العنف في بنية عصبيتهم إلى حد أغلق إنسانيتهم عن إمكانية الاعتراف بإنسانية الآخر، بل واعتبار التضحية به دلالة للعمل النبيل، و نوع من القضاء على الشر، حيث حرر الغرب سلوكه من إدانته بازواجية المعايير، بوضع الأمم الأخرى خارج القانون، كنوع من العقل التصنيفي بين البشر وأشباه البشر، ليطلق غرائزه الهوجاء باتجاههم لإخضاعهم لمشينته، و تعريض بُناهم الثقافية للهدر، رغم خطورة ما تحدثه تلك العملية من انشطار للإنسان، بين ما هو عليه، وما يعتقد أنه يجب أن يكون عليه، و التي قد تظهر في شكل "اضطراب" يتكرر فيه لمظاهر أساسية من شخصيته أو يتخلل عنها، في صورة تشبه الثقوب في كيانه، التي يحاول سدها من خلال تماهيات نابعة من معايير مفروضة من الخارج، واستخدامها كقناع لشعوره بخوائه وتدهور وجوده، وذعره من حالة اللاكيان (حجازي، 2005، 298).

و بناء على خطورة إعاقة العنصر البشري في عملية التنمية، يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على دور "آلية النماذج الثقافية" التي رسخها المستعمر كخاصية أو كهوية للعالم الثالث في ذلك، إلى حد أصبح ينسب خصائصها المتخلفة إلى نفسه ويدافع عنها ككيانه، ويعتبر غيرها حكرا على

الغريب . المرفوض لاشعوريا . ولا تحقق لغيره، مثل تكوين دولة الأمة، والأهلية في إعمال العقل لتفسير الظواهر المختلفة... الشيء الذي أعاق اعتماد مرجعية فلسفية تربوية مستخلصة من تراث و تاريخ و حاضر قضايا الأمم التي كانت ضحايا للاستعمار(انظر، فخرو، 2008، 27) أو منح نفسها قسما من الاستقلال و الثقة في الهامش المنطقي لثقافتها، لتخفيف التبعية للآخر "حتى في التدريب على الهولة وراء كرة القدم".

تعود دواعي التركيز على النموذج الثقافي بالذات، إلى ما انتبه إليه الأقدمون من أهميته، مثل الحكيم (بوذا) من أنه ما دام "العقل هو كل شيء ... فإنك ستصبح على ما تفكر فيه" و ما توصل إليه الانثروبولوجيون المعاصرون، (الفريد كروبر، و كلايد كلاكهون) من أن الثقافة بالمعنى الانثروبولوجي، بمثابة متغير لتفسير الظواهر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية تفسيراً شاملاً أو جزئياً(انظر، كوبر، 2008)، باعتبار الثقافة "هي أسلوب الحياة الإنسانية" وما البشر سوى كائنات مرمزة فيها، نظراً لما تشكله لهم من مجال نفسي أو بيئة نفسية، التي من خلالها يدرك الشخص نسق قيمه و إدراكاته وتوقعاته . فبحسب نظرية "المجال" لـ (كيرت ليفن). فإن سلوك الشخص في سعيه لتحقيق أهدافه، يتوقف على البيئة النفسية "الثقافة" من خلال ما تحدده من نسق القيم والتوقعات الاجتماعية المتضمنة في اللغة، بل و اعتبر البنيويون أن كل المنتجات الإنسانية أشكالاً لغوية، فأى حديث نستخدم فيه مصطلحات ذات معاني عامة مسبقة، ثم نخلع عليها معاني معينة ترتبط بالسياق، وهذه المعاني تشكل مجالا من الواقع الاجتماعي، أي أن البنى الكامنة للفكرة تحيلنا إلى دمي، فالكلام كإشارات ذات معنى، يشير إلى وجود آليات تحدد التفكير- حسب(شترأوس)- و من ثم، فإن الكشف عما هو ثابت وسط المتغيرات السطحية في مجال المعرفة، يستلزم الكشف عن جذور الثقافة البشرية في "الأسطورة" كبنية أساسية لاشعورية للعقل الإنساني، أو بمعنى آخر، فإن اللغة . كحاوية للثقافة . مزودة بموجهات أولية أو منهجية للذهن . حسب الانثروبولوجي النفسي (كروبر) . أي أنها غير محايدة، ومن ثم فإن "من يصنع الرموز أو النماذج الثقافية ويتمثل حيازتها أولاً، يسيطر" أكثر من أي قوة أخرى على المناحي المختلفة للآخرين، بما في ذلك الفاعلية التنموية...

يحيلنا ترابط الأشياء عندئذ، إلى ضرورة إلقاء نظرة على الاعتبارات التالية للتنمية . على سبيل المثال لا الحصر . لتوضيح خطورة "إعاقة العمق الانثروبولوجي أو الثقافي لها" باعتبارها عملية لا تتجزأ من النسق الثقافي الاجتماعي الشامل، فحين اعتبارها "تغيير قوي وكبير يحرك الأمة نحو ذلك النوع من الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية التي تقررها وتحددها لنفسها" فسيظهر أهمية حرية

الابتكار في تحديد النظم التنموية للأمم، واعتباره شرطا أساسيا لتطورها وتميزها، وبمعنى آخر، أنها فعل إنساني جماعي إبداعي، غير قابل للنقل والتكرار، حسب التجارب التنموية الناجحة (عبد المعطي، 1990، 387). و من ثم، فعلى كل أمة أن تبتكر ضمن النطاق المنطقي لثقافتها سياقها التنموي، طبقا لهويتها المتفردة.

كما أن اعتبارها "ذلك التغيير نحو الأنماط المجتمعية التي تسمح للمجتمع، ليس فقط بتحقيق القيم الإنسانية الأفضل، بل وأيضا بزيادة قدرته على التحكم والسيطرة على بيئته ومكانته السياسية وبزيادة مدى سيطرة أفرادها وتحكمهم في توجيه أمور شؤونهم" يعني أن توافر "القدرة والإرادة والحرية في اتخاذ القرار التنموي المناسب" يمثل العنصر الأكثر عمقا لمفهوم التنمية. ما يعنى أنه إذا كان الاعتبار السابق قد أظهر أهمية الابتكار والتفرد في عملية التنمية؛ فإن هذا الأخير يتركز حول السيطرة على المصير وتجاوز مشكلة اضطرابات الديمومة الوجودية، كشرط أساسي للتنمية، سواء كان ذلك ناتجا عن الماضي أو الحاضر أو المستقبل، نظرا للعلاقة الجدلية لأبعاد الزمن، التي تظهر أنه غير متسلسل، أو ذاهب ببساطة من الماضي باتجاه المستقبل، بقدر ما أن الحاضر يُلوّن التجربة التاريخية ويصبغ استشفافا معيناً للمستقبل، كما يؤثر استشراف المستقبل على نوع التجربة الحاضرة وكذلك التجربة الماضية وإدراكها، فالكل يؤثر في أبعاد الديمومة الأخرى، وهذا يحيلنا إلى التجربة الاستعمارية وما أحدثته من تشوهات وانقطاعات أعاقَت ترابط أو تشكل التجربة الوجودية التاريخية للأمم وتكامل اختراعاتها، التي كانت ستؤدي لمزيد من الاختراعات وتطورات الأسس الثقافية للتنمية، التي تتيح مزيدا من معدلات براءات الاختراع، وإمكانية إثراء التوليف بينها (رمزي، وأبو طاحونة، 1992، 50) بدلا من الانطلاق الأهوج في شكل دويلات رخوة في المضمار، للمنافسة في المغامرة الحضارية والتنموية، وهم مكبلون بمعوقات التبعية الثقافية "اللغوية" و التجزئة السياسية و النفسية وغيرها.

كما أن اعتبارها "انبثاق نمو الإمكانيات الكامنة، ثم وجود مؤسسات تساعد على نمو هذه الإمكانيات" (انظر، رمزي وأبو طاحونة، 1992)، يؤكد أيضا على مبدأ الانبثاق والابتكار الذي يتطلب الحرية الشخصية والاجتماعية، وعدم تعريض البناء الثقافي . الاجتماعي للتفكك، أو عدم محاولة نقل النظم الاجتماعية الغربية التي لا تحقق أهداف هذا البناء، و التي غالبا ما تتناقض مع المكونات الاجتماعية والثقافية للمجتمعات النامية (غامري، 1989، 186) نظرا لأن أي تغيير يحدث في أي مجتمع يصاحبه تعديل في نسق العلاقات بتناسب معين، كما أن محاولة تقييم أي ثقافة في

ضوء المعايير الغربية يؤدي إلى الإحلال في سجيته الإدراكية، ومن ثم تولد المشاكل في عملية التكيف الايكولوجي مع غيرها (نفسه، 179).

أما الآليات التي اعتمدها المستعمر في سبيل ترسيخ التبعية لنماذجه المعيقة للتنمية في العالم الثالث، فمن أخطرها ما يستعصي على فهم الكثيرين، مثل "منهج التكريس" القائم على مبدأ زحزحة اليقينيات، أي على التشكيك في المقولات اليقينية، باستخدام عملية الطرق، التي تمهد للقبول بالطرح، و التي تتيح بدورها الفرصة لملء الفراغ، و من ثم سهولة ترميز هوية جديدة، أو فرضها، بحيث يصبح صاحبها شيئاً آخر يظن أنه هو، من خلال إفقاده هويته الثقافية "إطاره المرجعي" فيصير يمارس ما ينافيها تماماً ويعتقد أنه لا يفعل ذلك، وبعد هذا أقصى أنواع العنف، إلى حد أن شبيهه البعض بما يحدث مع الضحية في حالات الاغتصاب، حيث يغرس المعتدي النشوة البدنية في جسدها كرها، لتتبدل هويتها في نظر نفسها بتدنيها وانتهاك خصوصيتها المقدسة (فيرونيك، 2002، 185)، أو تزيف وعيها بذاتها سواء كانت شخصا أو جماعة. حيث يعيق أو يشل فاعلية هويتها عن إمكانية مواجهة الفضاءات النسبية في بيئتها، نظرا لتعرضها للتفكك، أو تعريض جزء من تاريخها للإعتام، ومن ثم إلحاق العجز بها عن إمكانية إحداث التنمية، من خلال التباين البنائي الوظيفي للنظم الاجتماعية وتطويرها نحو مستويات أعلى وأكثر تخصصا وقدرة على الأداء، وظهور ميكانيزمات وظيفية تحقق التكامل أو التنسيق بين الوحدات الاجتماعية المتباينة نحو التحديث، ابتداء من نطاق الأفكار والقيم، مروراً بتغيير قواعد المعايير الثقافية السلوكية الموجهة للدور. حسب رأي (بارسونز). الذي انطلق فيه من مفهوم الفعل الاجتماعي (الفيري) الذي اعتبره سلوك ينطوي على معنى ذاتي، ليؤكد على أنه كذلك طالما أن التفاعل تحركه أهداف لتحقيق بعض الغايات في موقف أو بيئة معينة، بما في ذلك "فعل التنمية" ولذلك يهتم علم اجتماع التنمية. حسب رأيه. بأنساق الفعل بمعناها الواسع، كأنساق شخصيات الأفراد. الأنساق الاجتماعية الناشئة عن التفاعل الاجتماعي. الأنساق الثقافية وما يرتبط بها من معان ودلالات. والأنساق العضوية وما يرتبط بها من اشباعات فسيولوجية.

و ترجع أهمية النماذج الثقافية لدى أنصار الاتجاه النسقي. الوظيفي هذا، إلى أن النسق يعمل دائما من أجل المحافظة على نمطه وصيانة هويته؛ ما يعني أن نموذج الفعل أو السلوك ذو المعنى الذاتي "المركب المعاني الثقافية الرمزية" يبعده النفسي الموجه نحو الهدف، هو القادر على استيعاب مركب المفاهيم الكامنة خلف الفعل الاجتماعي، الذي يمكن استنباطه واستنتاج دوافعه من خلال المشاركة الوجدانية. على عكس النموذج السلوكي، الذي لا يصلح إلا لتفسير الاستجابات

الفسولوجية "المثير الخارجي" في البيئة، ولا يمكن تعميمه إلا على السلوكيات غير الإنسانية. ولذلك، قبل (بارسونز). أبرز أنصار الاتجاه النسقي. المنظور التطوري (الفيري) على المستوى الحضاري فقط، باعتباره يدل على الوسائل، "جهاز الحياة" ورفضه على المستوى الثقافي، أي الدلالة على الغايات "التعبير عن الحياة" وذلك على اعتبار أن الثقافة مجال مفتوح للعواطف وطابعها نسبي ذاتي واضح، يتعذر تقييمها موضوعيا، أما منتجات الحضارة فيمكن إخضاعها لمعيار الكفاءة؛ مما يسهل مقارنة منتجات الحضارات، ولهذا كلما تميز الإنسان أو المجتمع بالمعقولية والرشد، كلما كان أقدر على اختيار المنتجات الحضارية الأكثر كفاءة. و شاطره العلامة (مكيفر) الرأي، من حيث أن المنتجات الحضارية يمكن استعارتها دون أي تغيير أو فقدان للهوية، لكن ذلك لا ينطبق على منتجات الثقافة الرمزية "الدين . الفن . اللغة . نظم السياسة و الترويج..." (غيث و محمد، 1986، 174، 177).

تؤشر تلك المطارحات إلى أهمية النماذج الثقافية "عموما" في عملية التنمية وعدم حياديتها من ناحية، ما يسوغ من ناحية أخرى ضرورة التركيز على تلك التي رسخها المستعمر "تحديدا" لإعاقة فعل التنمية في العالم الثالث، وذلك لاعتبارات تتعلق بأنساق هذا الفعل أو مكوناته الثقافية الاجتماعية الشخصية و العضوية، و صلتها بالمفهوم الشامل للتنمية الثقافية الاجتماعية السياسية الاقتصادية التقنية... و على هذا الأساس يمكن اعتبار أن من أخطر ما رسخه الاستعمار لإعاقة عملية التنمية، يتمثل في النماذج التالية: اختراق الهوية . السخرة الدولالية . ممارسة السلطة بالتعالي و العجرفة و التحكم في المحلي . تدمير الأطر المرجعية . حرمان الأمم من تطوير تجاربها. كأطر مرجعية نموذجية موجهة للفعل في العالم الثالث، و لذلك، يسعى هذا العمل إلى تحقيق فك بعض الالتباسات إزاء هذه النماذج على النحو التالي:

أولا: نموذج اختراق الهوية:

بدأت محاولات المستعمر في السيطرة على الأمم الأخرى بالتلاعب الثقافي، عبر إعادة تحديد "مفهوم الهوية" على أسس اصطناعية أو غير طبيعية، وأكثر ما ارتبط ذلك التلاعب بالاستعمار الفرنسي دون غيره، الذي ارتبطت به وصمة الاستعمار الثقافي، أو الاستعمار القائم على الأطماع الثقافية، حيث تبلورت نظرية الفرنسيين في القرن التاسع عشر حول مفهوم الأمة مصبوغة بالطابع الاستعماري، أو الطابع الذي يراعي المصالح الاستعمارية للأمة الفرنسية فقط، التي لم تكن تعاني آنذاك من التجزئة. و قد اعتبر المفكر الفرنسي الاستعماري (رينان) أبا لهذه النظرية، من خلال نظريته القائمة على "أن الأساس في تكوين الأمم هو الإدارة، أي الدولة" ما ينفي "صفة الأمة" عن كل

الشعوب المستعمرة، لأنها لم تنشئ دولا مستقلة على غرار فرنسا (سعدي، 1998، 114)، ليترك بذلك أثرين، الأول اعتبار فرنسا أنموذج، رغم "كل جرائمها" والتي على رأسها استعمارها للأمم الأخرى، والثاني تزييف الوعي الذاتي لدى الأمم الأخرى، وحرمانها من إدراك نفسها مصنفة تحت اسمها بكل صفاته الثقافية أو اللغوية، الفيزيائية، التاريخية، الإنتاجية، و النفسية...؛ لما يعطيه الاسم من قيمة للمكان والمجتمع الذي يحمله، و ما يترتب على ذلك من توجيهه نحو أفعال معينة تتسق مع الاسم الذي يفرد تصنيفها، نظرا لأن الاسم هو المعطى الأول للهوية المحصلة لكل الانتماءات الاجتماعية والشخصية، من خلال ما يحمله من معاني اجتماعية وسياسية أو شخصية فريدة، متى ما كان حائزا على احترام حامله والآخرين، وكلما عجز الاسم عن أن يعكس ذلك، فإنه يتسبب في إشكالات ويعطل قدرات التواصل، سواء مع الخبرات الذاتية أو مع الآخرين (الجيلاني، 2008، 377) و بكل ما يترتب على ذلك من ظهور "أميمات" اصطلاحية متنافية أو متعادمة، مثل، الأمة الموريتانية . الأمة المغربية . الأمة التونسية أو البحرينية أو الرواندية... كل منها تسعى إلى احتكار رموز وتاريخ "الأمة الأم" لملء هويتها الخاصة التي لم تنتج سوى مزيد من التجزؤ الأولى "القبلي أو الطائفي..." السابق على وجودها، و الناتج عن عجز هذه "الأميمات" القومية عن تشكيل بيئة أو موضوع بديل لإشباع الحاجة إلى الانتماء إلى "الأمة الأم" كما في الحالة العربية.

وعلى العكس من الكتاب الفرنسيين وبعض الإفريقيين أو العرب المتأثرين بالفاعلية الفرنسية في تزييف مفهوم الأمة، كان للمنظرين الوجوديين الأوروبيين المنتمين إلى أمم أوروبية أخرى، كانت ما زالت تعاني من التجزئة ولم تكن لها ممارسات استعمارية، تعريفات مختلفة، مثل تعريف المفكر الإيطالي (ماتسيني) للأمة عام 1851 أثناء تجزئة إيطاليا، حين اعتبرها "مجتمع طبيعي من البشر يرتبط بعضها ببعض بوحدة الأرض والعادات واللغة من جراء الاشتراك في العادات والشعور الاجتماعي". وكذلك فعل الألماني (فخته) في تعريفه للأمة الألمانية عام 1808 أثناء تجزئتها إلى أكثر من 200 دويلة حين اعتبر أنها "تتكون من جميع الذين يتكلمون الألمانية" (سعدي، 1998، 117، 118).

ما يعني أن التلاعب الثقافي بمفاهيم الهوية نجح في تشكيل اختراق مستويات مختلفة لكيان المجتمعات التي تعرضت للاستعمار، ترتب عليه اضطراب حصرها بين خيارات التشكل الشوفايني الغارق في المحلية القبلية أو الطائفية أو الجهوية، أو التحلل القومي العدمي الهارب من إدراج سؤال الهوية ضمن مربع المفكر فيه، وذلك خلال فئتين، تضم إحداها، أولئك الذين يسعون إلى الاندماج في هوية بديلة، تضمن لهم الأمان الموهوم، ويظهرون سعيهم للانندماج من خلال التماهي مع

طقوس و أسماء و مناسبات الغالب... بحسب وصف العلامة ابن خلدون . وتضم الأخرى، أولئك الذين يناصرون الثقافة الاثنية السرية، أو الهاجعة تحت سطوة النظم الشمولية، التي تشكل المجال الأنسب للإصابة (بشيزوفرينيا) الهوية أو انفصامها، بحيث يصبح أشخاصها مختلفون في ليلهم الخاص عن ما هم عليه في نهار الجميع(منصور، 2014) الذي يعاني من تضخم الهوية، الذي تظهر أعراضه بدوره في تورم النشيد الوطني، في شكل حشوه بمزاعم الفاعلية المزيفة، بما يتناسب مع الشعور بالعجز عن استحقاقات اختكاراتها المفترضة.

الشيء الذي يظهر أن المفاهيم أداة فعالة في حمل الآخرين على التفكير بما يريد لهم المتحكمون فيها التفكير به، و يتم ذلك باستخدام الدلالات الملتبسة، بحيث تبدو و كأنها تعبر عن جزء من الحقيقة، بما يسمح بتمرير ما هو مضاف إليها، سياسيا كان أو ثقافيا .. كأن يكون مبتدأ الجملة في خدمة الخبر المضاف إليه . حسب تعبير الكاتب(منصور، 2014) . الذي يورد مفهوم "النكبة" كأشهر الأمثلة المضللة عربيا، بعد احتلال فلسطين عام 1948م، لربط دلالاته بعوامل الطبيعة، كالبراكين و الزلازل، في صياغة تغيب الفاعل، و تصير الفعل مبنيا للمجهول، أو منسوباً للطبيعة في أحسن الأحوال، لصرف الانتباه عن اعتباره من إفرازات التاريخ البشري، و من ثم، يصعب إمكانية ضبط الآثم فيه مهما كان متلبسا بالجرم المشهود، و ما زالت فاعلية النمذجة المفاهيمية على أشدها، و ربما يكون آخر فصولها كتاب "الحرب مع غزة" الذي أصدرته إسرائيل أثناء عدوانها في منتصف عام 2014م على قطاع غزة، بحيث يوحي بالتكافؤ و الندية في الجيوش و العتاد ... بين الضحية و المعتدي.

ثانيا: نموذج السخرة الدولاتية:

من المعروف أن المستعمرين كانوا مصاصي دماء بكل ما في الكلمة من معنى، واستخدموا في ذلك أظافرهم و أنيابهم، وكل الوسائل التي أتاحت لهم في نهب الثروات الطبيعية والقوى العاملة البشرية، واستخدام ذلك في بناء وتعمير أمهم، وبعد أن زادت أطماعهم مع نمو خبراتهم في (استخرا ب) الأمم الأخرى، انتقلوا إلى مرحلة ممارسة السخرة الدولاتية، فيما يصوره المفكر الكيني المزروعي بأنه "أقسى أضحوكة فعلها الغرب على حساب إفريقيا، وهي إنشاء سجنين متناقضين أحدهما قطري بشكل واسع و صلد، والآخر يمتد عبر القوميات بشكل لا يقاوم، الأول هو سجن الدولة ذات السيادة، وهو قلعة للسيادة السياسية والعسكرية، والثاني هو سجن الرأسمالية، وهو يمتد عبر القوميات بشكل إلزامي، ويهزأ باستمرار من مبدأ السيادة القطرية ذاته"(سلامة وآخرون، 1989، 52) وتتجلى هذه السخرة الدولاتية في مجالات كثيرة من أبرزها:

1- فرض التجزئة من خلال مفهوم أو نموذج الدولة الوطنية الغريب على المنطقة، والقائم أصلاً على توليفة من (الهيراركية الكنسية) والإقطاعية الزراعية الأوروبية، ليحل محل المفاهيم الجامعة للأمم الأخرى، سواء كانت قائمة على أسس دينية مثل الخلافة الإسلامية، أو أسس إثنية أو قومية أخرى.

لقد بدأ المستعمر ذلك بتزييف الوعي بمفهوم الأمة . كما سبقت الإشارة . وباستخدام منهجية الطرح وملء الفراغ، فأخذ بفرض مفاهيم تنظيمية غريبة على المجتمعات، بحيث تتأسس هويتها أو تتشكل بطريقة "غيبوبوية" مشوشة أو ملتبسة، أو شبه مدنسة، يلاحقها الشعور بالفرض القسري من الخارج، وهكذا، فقدت نماذج السلطة لدى هذه الدول شرعيتها والثقة فيها والإجماع حولها، وصيرت خطابات الوطنية . القومية معرة وتهمة، تطاردها أجهزة الدولة المسخرة لتكريس مبدأ محنة أن "الدولة / ضد الأمة".

2. الدولة الوطنية لم تشكل مشاريع منافية للاستعمار، فمن المفارقات التي تستعصي على الفهم والاستيعاب، أن بناء الوعي الوطني بالدولة، لم يتشكل على أسس موالية أو مواتية لمبررات ظهورها، لذلك ظلت عاجزة أو متكاسلة أو "مسخرة" عن أن تنتج وعياً يبرر النضال لإخراج الاستعمار، ومن باب أولى تجريم فعلته ومحاولة معاقبته، وبدلاً من القيام بذلك اعتبرت النضال من أجله نوعاً من العبيثية، وقفز البعض إلى ما يدعو للعجب، حيث أرّخ لبداية التحديث في مصر- مثلاً- ببداية الاستعمار أو الحملة الفرنسية(أنظر، الجنابي، 1998) وهكذا، تكرست الاتجاهات غير المواتية للدولة الوطنية، بما صاحبها من مظاهر العداء الرمزي لها، والمتمثل في استباحة حرمانها وممتلكاتها، بل واعتبار عدم احترام قوانينها في حيازة سيادتها أو إشارات المرور وغيرها، درياً من البطولات التي تجلب العزة والجاه؛ لأنها لا تتال الوعي الجمعي بها "المشاعر الأولية المشتركة بين مواطنيها بها" على عكس الحيازات الجماعية القبلية أو غيرها من التنظيمات المعترف بها جمعياً، وذلك لأن الدولة بمفهومها المفروض هذا، لم تكن استجابة للمتطلبات الخاصة بالبنية السياسية لمجتمعها في تلك المرحلة من تطوره، إما لأنه ما زال يمر بمرحلة ما قبل الدولة، أو أنه يتطلع إلى دولة منسجمة مع وعيه القومي و موجهاته الثقافية، وتجربته التنظيمية وتطلعاته الأيديولوجية غير الموالية قطعاً لمن اغتصبوا كرامته، مما يظهر درجة تنافي أو تنافر السياق الذي ظهرت فيه الدولة "السخرة" مع فكرتها التي يفترض أنها "محكومة بالتطور النفسي والاجتماعي للجماعات الوطنية التي تولد شكلاً غير معروف للسلطة، بغرض فصلها عن الذين يمارسونها، لكي تتجسد في مؤسسة للسيطرة على مصيرها"(بورديو، 2002، 14) أو أنها وجه آخر للاستعمار "مُسخرة لخدمة مصالحه" ولا تحظى

بتطلع مواطنيها إليها في حل مشكلاتهم أو تحقيق وجودهم، وعاجزة عن توفير الشعور بالأمان لهم في كنفها اجتماعيا، نفسيا، اقتصاديا، عسكريا، وصحيا... و المعضلة أن هذا التخليق المشوه المفروض من المستعمر بإيجاد الدولة بمظاهرها الحسية، كان سابقا على تجسيد المعتقدات التي تدعم تأسيسها بصلابة كافية لانفصالها عن التمثلات التي أودت إلى ولادتها، أي شروط وجودها، (انظر، بوردو)، أي أن النتيجة سبقت المتسبب "المولود قبل المخاض" و بهذا نجح المستعمر في تكوين حواجز نفسية بين المجموعات القبلية الرحل والمستقرين في الأمة العربية مثلا، وأحال وضعها إلى ما يشبه "آلية الشعور بالعار" بما يترتب على تلك الآلية من تجمد في وضع محاولة إخفائه وعدم انكشاف خبيته، و من ثم مزيد من تعميق الشعور بالعار والاختباء فيه، عند مقارنة ما آل إليه من فشل في تحقيق الاعتراف به من جماهيره، أو فشل في تحقيق رفاهية أو حماية لهم، مع "دولة القبائل" الأخرى المجاورة، مما يحجب عنه إمكانية الخروج من مأزقه النفسي...

3- الدولة الوطنية لم تقم في كثير من البلدان على تاريخ الأحداث التي أسست لها "المقاومة"، فتأمل بسيط لمسلكيات كثير من الدول الوطنية التي كانت خاضعة للاستعمار، يكشف أنها تؤسس لتاريخ العمالة والاتصال بالأجنبي وأجندته في المنطقة، أكثر مما تؤسس للأحداث الوطنية ضد الاستعمار ورموزها، ففي موريتانيا . مثلا . مازال المجندون السابقون عند المستعمر، الذين كانوا مكلفين بقمع أي مظهر للتمرد عليه في سبيل الاستقلال ينالون التمجيد الرسمي، ويخصص لهم يوما وطنيا باعتبارهم مجاهدون أوائل، إلى جانب مخصصات مالية وامتيازات في فرص العمل والترقية والجاه... من الدولة الوطنية، التي كانوا يكرسون حياتهم لمنع تحقق قيامها، وكذلك حال جامعي الضرائب و الجواسيس "شيوخ القبائل" في عهد الاستعمار، والتي كان يفترض بهذه الدولة معاقبتهم والتشهير بهم، لكي تبدو منافية للاستعمار و منسجمة مع نفسها كدولة، تنسب إلى نفسها صفة الوطنية، التي من شروط تحققها الأولى، مناهضة الاستعمار و عملاته، والانحياز لسكان المنطقة، لتكتسب شرعية وجودها من خلال انتمائها إلى سكانها، وتجاوز الاتفاقات المخجلة التي أبرمتها مع المستعمر الفرنسي فور إعلان ما يسمى بالاستقلال و التي نصت عام 1961 على ما يلي:

أ- تعتبر اللغة الفرنسية لغة رسمية للبلدين.

ب- يحق للسفن الموريتانية أن تمارس الصيد والنقل التجاري بحرية في المياه الإقليمية الفرنسية، وللصن الفرنسية نفس الحق في المياه الإقليمية الموريتانية، رغم أن موريتانيا لا تمتلك سوى سفن الصحراء "الجمال".!

ج- تشرف فرنسا على تنظيم العدالة في موريتانيا(انظر , موريتانيا، كتاب مقرر التاريخ، السنة السادسة، ثانوي، د، ت، 120).

تجدر الإشارة إلى أن هذه الاتفاقية التي استمرت سنتين، وضعت لمجتمع لا يزيد عدد حاصلين منه على شهادات جامعية أثناء ذلك على أصابع اليد الواحدة، والناطق الوحيد باللغة الفرنسية بينهم، هي الفرنسية زوجة المستلم الأول للسلطة فيه. ما يظهر بجلاء كيف أن "الدولة الوطنية" مجرد أداة مسخرة من قبل القائمين عليها لتبني وجهة نظر المستعمر و الدعاية لتكريس هيمنته "بالنيابة" على المجتمعات الخاضعة "لوهم وجودها" ما كرسها كحاضنة أساسية لحلقة الفصل بين الجمهور والحكام، حسب رأي خليل في كتابه "سوسيولوجيا الجمهور السياسي الديني في الشرق الأوسط" حيث أن الحكام العرب . مثلاً . يتفوقون في جامعة الدول العربية على الفصل، ثم يجتمعون في مؤتمر للعالم الإسلامي، ويعودون منه بفصل آخر للفصل، وحين يلجأون إلى الأمم المتحدة يكتشفون هناك مدى فشلهم على الصعيد الدولي، فيعززون فشلهم إلى فوضى الجمهور العربي، فيعاودون محاصرته و حبسه وكبته و إخراجهم من عصره، كما خرجوا هم منه أيضاً، و راحوا يكررون أمسهم في غدهم.

ثالثاً: نموذج السلطة القائم على التعالي واحتقار المحلي والتحكم فيه:

عمل المستعمر من خلال آليات عديدة على توطين أسلوبه المتعالي في التعامل مع المواطنين المحليين، ما ترسخ كنموذج إرشادي جاهز لكل من يشغل مركزاً في السلطة الوطنية، ليتم الاعتراف به ليس فقط من الخارج، بل حتى من الضحايا من أبناء البلد أنفسهم أيضاً، ابتداء من الشرطي البسيط فصاعداً، فمن لم يمارس العجرفة والتعالي، ويستخدم أساليب المستعمر "كحامية عسكرية" ومفاهيمه وزيه وأخلاقه، يشكك الناس في مدى حيازته للسلطة، و استحقيقه لها، وخير مثال معاش على معاناة من يخالف ذلك، ما تعرضت له سلطة حركة حماس، التي يخطب رئيسها في صلاة الجمعة، ولا ينزّ فرط أثر التنعم من خدود وزرائها أو بذلاتهم... ولا يشعر المواطن البسيط بالغربة معهم، مما يذكر بنموذج الخلافة المتتالي تماماً مع ما يريد الاستعمار ترسيخه من نموذج لـ "سلطة المعسكر التي تخيف الناس وتقهرهم" علماً أن ممارسة المستعمرين في بلدانهم عكس هذا "قالطفل يشعر بأمان بحضور الشرطي" على عكس حالتنا، حيث يرتعش الكبار قبل الصغار من رؤية شارات سلطاتنا، إلى حد يزعم فيه مخيالنا الشعبي أن الطبيعة تكفر في وجهها، الشيء الذي زاد من عزلة القائمين عليها و عمق عدم شعورهم بالاستحقاق و الأمان الاجتماعي، و كرس لديهم فكرة الانتهازية

والشراهة في حجم الفساد، بل و اعتبار ممارسة الفساد المحك أو المقياس الأساسي لدرجة السلطة و النفوذ نسبة وتناسبا!.

و يرجع البعض فساد الطبقة الحاكمة في المجتمعات الثالثة، إلى أن النموذج الارستقراطي الذي رسخه المستعمر كان مشوها عن ذلك الذي يميزه في أوروبا من محافظة وقيم الفروسية... حيث ارتبطت الارستقراطية لدى المستعمرات بقيم الحثالة لدى المستعمرين الغزاة، مثل العريضة والحسية والانتهازية والتعالي على ما هو محلي، والعجرفة وعدم الأصالة وسمسرة الأوطان والولاء للأجنبي بقيمه ولغته وزيه، واعتبار الاستغراق في النزعة الاستهلاكية و الانحطاط الأخلاقي، هو المؤشر الأساسي على الحداثة، فأنتج التماهي الشعبي معها (التبلة) والاعتماد على الأجنبي لتحقيق قيمة الوجود، بدلا من مبدأ الإنجاز والعمل الجدي، و قضت على مبدأ "من جد وجد" وأحلت بدله "من تواطأ مع المستعمر و سايره وعمل لصالحه وجد"، رغم ما توصل إليه ابن خلدون منذ 6 قرون من أن "هزيمة الأمم إنما تبدأ من داخلها، عندما تشرع في تقليد عدوها" كأن ترضى بالتميط الثقافي لها، سواء على مستوى المقولات الثقافية القيمية أو العقائدية أو الفنية أو الإيديولوجية أو الشعور بالهوية أو وسيلة نقل أنماط العلاقات و المعاني و الخبرات و الإبداع والابتكار و الإنتاج بين الأجيال، عبر حاضنة الثقافة المتمثل في "اللغة" حسب نظريات الثقافة(علي، 2001، 265).

وهكذا، من خلال نماذج القوة الناعمة، رسخ الاستعمار الاستزلام والاعتمادية وقيمة تمجيد العمالة، وزاد الخلط بين العبادة الغابرة واللاواعية للسلطة بالحاجة إلى الاعتقاد بأن المصير غير غامض، أو ليس متروكا للصدفة، أو ما تجود به الطبيعة، بدلا من الأصالة والاستقلال والابتكار من صميم عبقرية الثقافة، التي تضمن استمرار احتضان المجتمع للتنمية، وعدم اعتبارها عملية مفارقة لحضارته ولا مبرر لمناصبته العداء.

كما تسبب الاستعمار من خلال ممارساته الخشنة في تشوهات أخلاقية ونفسية، سوغت للبعض استخدامها لحيازة السلطة أو الثروة دون وجه حق، كما عمقت أيضا (فوبيا) الاغتصاب أو السبي التي مازالت تكبل مشاركة المرأة بصورة سوية في العلم والعمل إلى جانب الرجل لدى البعض الآخر.

رابعا: نموذج تدمير الأطر المرجعية أو الخرائط الإدراكية:

لا جدال أن المستعمر الغربي . على اختلافه . مارس صنوفا شتى من تدمير مرجعيات الأمم التي أخضعها لسلطانه، مما تسبب في شل نظامها الحيوي الثقافي، الذي يشكل كل منه زاوية معرفية "تراكم خبرات" تطورت عبر الحقب الزمنية استجابة لمتطلبات التكيف مع المجال في الإنتاج والتوزيع والتنظيم الاجتماعي السياسي وفض النزاعات وتطوير الإنشاءات العمرانية... وكل الأنساق الداخلية

والخارجية لها، وحتى معايير تحقيق الوجود، رغم ما يترتب على الفشل المزمن في تحقيقها، من انتشار الإدمان واللامبالاة والاكتئاب و الميل الامتثالي أو اللافاعلية، وغير ذلك من مظاهر متلازمة التخلف الثقافي والاجتماعي والنفسي، كسلسلة مترابطة، وأشهر مثال لها ما حدث مع إفريقيا و هنود شمال أمريكا ... على يد المستعمر الفرنسي. فما فرضه المستعمر من احتلال وتسلط واستبداد وتحكم في مقدرات الشعوب المقهورة، أحالها إلى أكوام من المستجدين والشحاذين لا قيمة لهم إلا بمشيئة الطرف المستبد وتكرما منه، ولم يترك للمقهور سوى الرضوخ والتبعية والشعور بالدونية، و بهكذا نموذج تترسخ نماذج التخلف الفاسد، كوسيلة أساسية للتكيف أو الحصول على المصالح المشروعة.

ومن أبرز أعراض عملية التدمير القهري لمرجعيات تحقيق الوجود، اجترار و استندماج عملية التبخيس الذاتي التي غرسها المستعمر في كيان المقهور، فأصبح يزدري خصائصه ويخجل منها ويهرب من مواجهتها ويكيل لها النعوت السيئة، بحيث تترسخ كاتجاه اجتماعي نمطي، يصعب تغييره أو تلوينه في الذاكرة الجماعية، ليستمر خارج المفكر فيه لدى هذه الجماعة.

مثل هذه الاتجاهات بدلالاتها الاجتماعية، تتشكل عندما تترابط الأفكار والمعتقدات والمشاعر الانفعالية في شكل نزعات سلوكية متسقة في ردود فعلها مع موضوع الاتجاه، وتصبح غير مرنة، أي نمطية التكرار، كلما زادت الشجاعة مع مرور الزمن على رد الفعل اتجاه الأحداث والجماعات بطريقة مقننة . حسب صبغة متحيزة . لصالح نموذج يحتكر بأدواته الثقافية "اللغوية" فرص الحياة "العمل" لكسب لقمة العيش فصاعدا.

و تظهر وظيفة هذه الاتجاهات التي رسخها المستعمر، من خلال تحديدها لسلوكنا، عبر تحديدها لإدراكنا للآخرين ولأنفسنا، ومن ثم تحديد و سرعة كفاءة تعلمنا، والجماعات التي نرتبط بها، والمهن التي نختارها، وفلسفة حياتنا، على قاعدة "أن تكوين الاتجاه الايجابي أو السلبي، يجعل صاحبه متحيزا لمن كانت صفاته مواتية لاتجاهه".

ومن أشهر الأمثلة على خطورة ترسيخ مثل هذه الاتجاهات، دراسة (مجرى بيركس) حول تأثير الاتجاهات على الأحكام الاجتماعية، التي توصلت إلى أن نظرة الأكثرية سواء الديمغرافية أو الاجتماعية "بالإيثار"، تؤثر في نظرة "الأقلية بالحرمان" لخصائصهم ففي المواقف الاجتماعية للأكثرية التي تنظر إلى اليهود أو السود أو النساء . مثلا . على أنهم ذو مكانة متدنية، اعتنق فيها هؤلاء تلك الاتجاهات المعادية لهم، وكذلك الحال بالنسبة للملونين و غيرهم من المهمشين.

ويرجع ذلك إلى أن أعضاء الأقلية أو الخاضعين لتقييم غيرهم، يتوحدون أثناء سعيهم لتحسين مكانتهم وتدعيم إحساسهم بالقيمة، مع الاتجاهات النمطية المتحيزة للجماعة المسيطرة، ويقومون باستدخالها بدون وعي، ويستعصى عليهم تغيير ذلك.

و خير مثال على الاستدماج الذاتي للنماذج النمطية، دراسة حول الاتجاهات النمطية بين الناطقين باللغتين الفرنسية والانجليزية في مدينة (مونتريل) حيث تبين أن تقييم القراء بالانجليزية، حاز على أفضلية في سمات الشخصية المخمنة، مثل طول القامة وحسن المنظر والذكاء والقابلية للثقة والطموح... ولم يحظ القراء بالفرنسية بأكثر من سمة واحدة مفضلة، هي الحس الفكاهي، لدى كلا الجماعتين؛ مما يعني أن الشباب الكنديين الناطقين بالفرنسية، ينظرون إلى جماعتهم الثقافية كمثير للشعور بالدونية، فهم يلاحظون أن كلتا الجماعتين تتقبلهم بأهمية أكثر عندما يتحدثون بالانجليزية (انظر، لامبرت، 1989). و هذا ما لا تخطئه الملاحظة في أرجاء المجتمعات الثالثة العربية و الإفريقية، ابتداء من التطفل اللغوي فصاعدا.

خامسا: نموذج حرمان الأمم من تطوير تجاربها:

مارس المستعمرون أيضا أساليب شتى في محاولة حرمان الأمم التي أخضعوها لسلطانهم من تطوير تجاربها في مجالات عديدة، ابتداء بالألعاب الرياضية المحلية إلى غاية اللغة القومية، التي استهدفت بالدرجة الأولى باعتبارها حاضنة المضامين الثقافية، ووسيلة التواصل بين الأجيال، وذلك لإعاقة استمرار نقل التجارب والخبرات الحياتية التي ابتكرتها عبقريتها أثناء محاولات التكيف التكنولوجي عبر التاريخ، سواء كانت دينية أم تنظيمية أم صحية أم ترويحية... و ذلك لفسح المجال أمام التأثير الاستعماري، وضمان التبعية المعرفية والإيديولوجية... ومن ثم الاقتصادية والسياسية و حتى الرياضية له. إذ يبدو أن المستعمرين الأوروبيين عموما والفرنسيين خصوصا، قد انتبهوا إلى ما توصل إليه (فروم) من أن "أي خبرة لا تستطيع أن تتسرب إلى الشعور الاجتماعي، إلا إذا كان بالإمكان الانتباه إليها وربطها وتنظيمها في نسق من المفاهيم مع المقولات الثقافية للمجتمع" (فروم، 1996 ، 116. 119) ومن ثم إلى أهمية البعد اللغوي في بسط السيطرة على عقول ووجدان المجتمعات، فقد أكد تقرير فرنسي عام 1848 "إن الجزائر لن تصبح فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا الفرنسية لغة قومية فيها... وعلينا السعي وراء جعل الفرنسية اللغة الدارجة بين الأهالي، إلى أن تقوم مقام اللغة الأم، وهذا هو السبيل لاستمالتهم إلينا وتمثلهم بنا وإدماجهم فينا وجعلهم فرنسيين" (عثمان، د.ت، 18)، واستخدمت فرنسا لتحقيق ذلك أساليب مختلفة ابتداء من إغلاق المعاهد الدينية واللغوية، وانتهاء باشتراط تعلم اللغة الفرنسية للحصول على فرصة عمل "تحويلا للغتهم إلى لغة الخبز أو

نحو التوحد مع المعتدي الفرنسي بعقائده المسيحية ولغته الفرنسية لأنها "الدين الإسلامي واللغة العربية" خاصة أنهما شكلا أكثر القواعد الاجتماعية استعصاء على الاختراق (الكولنيالي).

2. أما السلوك الضمني للثقافة المغلوبة، فينتج عن عملية التفاعل غير المتكافئة حضاريا وأيديولوجيا مع المستعمر، و يتخذ شكل تحقير ذاتي أو استلاب حضاري، يترتب عليه الشعور بالتهميش وعجز آليات الثقافة عن إشباع حاجيات حاملها، واضطرارها للتطفل على ثقافة غيرها، ومن ثم تغيير أساليب تحقيق الذات، أو التطلع إلى تحقيقها بمعايير مغايرة، ومن ثم أيضا سيادة ازدياد المثل، والتندر على رموز الأمة وأبطالها، وغالبا ما يصاحب ذلك انتشار الشعوذة والإدمان والشجار ومظاهر اللامبالاة و اللامعيارية... وهذا ما آلت إليه حالة الهوية المغاربية . مثلا . حيث أخذ جزء من المجتمع بأسباب تحقير ذاته من خلال تحقير قيمه، حتى المقدس منها، مقارنة باعتداده بقيم الأجنبي، حتى الساذج منها والرديء، وبالتالي تحقير التراث، واعتبار أي جهد في ترشيده عبارة عن هدر للوقت والجهد. وذلك على عكس كثير من الأمم الأخرى التي نهضت حديثا، التي أحرزت تقدمها من خلال إعادة الاعتبار إلى لغاتها وثقافتها القومية (نفسه، 176.168). وقد نحت العلامة الذوادي لذلك مفهوم "الانحراف اللغوي" توصيفا لمظهر (الفرانكوأراب الأنثوية) التي تبرز فيها اللغة العربية في المغرب العربي باللغة الفرنسية، ملاحظا أن هذه المظهر من "التخلف الآخر" أكثر انتشارا بين التونسيات منه بين التونسيين، نظرا لما تتعرض له المرأة من عوامل نفسية و اجتماعية مختلفة عن الرجل (الذوادي، 2010، 96)، ثم حدد مظاهر من انحرافات التخلف الآخر التي يعيشها المغاربة و التي تزعزع أمنهم الثقافي بأمتلة حرمانهم من استيراد الهواتف النقالة و أجهزة الحاسوب المحمول بلوحات تشغيل معربة، و في كثير من الأحيان دون برمجة اللغة العربية، ما يضطرهم إلى حفظ التعابير اللازمة للتشغيل، و كتابة لغتهم بالحروف اللاتينية (نفسه، 204). حيث يضطرون لطرح أو تشويه هويتهم، عبر المرور بهوية أخرى لمخاطبة بعضهم البعض الكترونيا أو مباشرة!.

أما في إفريقيا جنوب الصحراء و أستراليا، فقد كان الحرمان أشد وأعمق، حيث تعامل المستعمر مع سكان هذه المناطق باعتبارهم كائنات أقل مرتبة من الإنسان، حسب ما عبر عنه أحد المستوطنين البيض و المستعمر (سي . لوكهارت) عام 1849م، في مقولته المشهورة: "لا شيء سوف يحول دون انقراض عنصر الـ (أبوروجينز) الذين شاءت الإرادة الإلهية أن تسمح لهم بالاحتفاظ بالأرض ريثما يجئ عنصر أفضل يحل محلهم".

إنه يعبر بذلك عن المبرر الأساسي للاستعمار الأوروبي، القائم على أن الأجناس "الهمج" أو غير الأوروبيين، ليسوا بشرا، و يمكن اعتبارهم غير موجودين، وأن الحيز الذي يشغلونه على

الأرض، هو في الحقيقة خالي من السكان، وجعلوا هذا الصلف العرقي قانونا إلهيا، و أضفوا عليه مبررا أخلاقيا يتذرعون به للسيطرة على الآخرين، و فلسفة مادية تعتبر الأرض مجرد شيء يحق للإنسان الحقيقي الذي اختارته العناية الإلهية، و قوانين التمييز الطبيعية و الاستثناء به، ليكون خليفة الله في الأرض، وذلك بالاستناد إلى القوة والتفوق التكنولوجي في البارود الذي كان يتميز به الأوروبيون.

ولذلك عندما رست سفن البيض مثل (الكابتن فيليب) على شواطئ استراليا، لم يعتبروا ما قابلهم من أفراد قبيلة (أيورا) بشرا، و إنما هم مجرد شخوص مثل الأشباح التي لا تمثل شيئا في اعتقادهم، و إنما هم مجرد كائنات تلمع أجسادهم من الدهن اتقاء الحشرات و في أنوفهم أشياء مثل الزمام... (صالح، 13 ، 9، 2014) و وظف المستعمرون لذلك نظريات الغرس الثقافي أو التلاعب بالعقول، الذي تلعب فيه وسائل الإعلام دور التنشئة الاجتماعية، أو التعلم العرضي، إلى حد قارن فيه البعض بين قوته في التأثير في المجتمعات المعاصرة بقوة الدين في الأزمنة السابقة، فالإعلام يزرع في عقول المشاهدين منذ الصغر الصور الذهنية ، التي تستعمر عقولهم بإطارها المرجعي أو القيمي الموجه نحو استثمار الوقت في ترفيه مشاهد العنيفة بدل التحصيل...، ما ينتج شخصية استهلاكية، أنانية و عدوانية...، حيث يسود العنف حوالي 80% من البرامج الترفيهية للأطفال . حسب دراسة البيروفي (جوركي تابيا) (انظر، الموسوعة الحرة ويكيبيديا)، كما وظفوا لذلك نظريات التطور البيولوجية والانثروبولوجية وغيرها من الأفكار التي ارتبطت بتصنيفات عصر التنوير الهرمية، مثل تصنيفه لما هو عقلي وغير عقلي، معرفي وغير معرفي، وحين طور مصنفو ما بعد الحداثة ذلك إلى ما هو أوسع، وجدوا أن هناك صلة بين إقامة التصنيفات الهرمية للمعرفة، وإقامة التصنيفات الهرمية الاجتماعية، على اعتبار أن عقلانية التنوير هي عقلانية الرجل الأبيض، كمظهر من مظاهر اضطهاد المرأة و الآخرون من غير البيض على حد سواء (الخوري، 1985، 38) وذلك ليبرروا لأنفسهم ممارساتهم الشنيعة من جهة، وليوغلوا في تبخيس ليس فقط الخصائص المكتسبة إلى حد ما للآخرين، مثل الثقافة والسمات النفسية، من جهة أخرى، وإنما أيضا الخصائص الجبلية (الفيزيائية) مثل لون البشرة الأسود، ليشعر الإفريقي بالدونية والشذوذ عن الناس الآخرين... فينشأ متمردا على خصائصه، وهكذا، تم استغلال ذلك رأسماليا بتركيب سلع تفتيح البشرة، وترطيب الشعر "كنوع من التدخل بين المرء ورغباته" لاستمرار التحكم فيه من خلال إعادة تحديد وتوجيه هذه الرغبة نحو منتجات استهلاكية جديدة، واستنزاف فائضة الإنتاجي والعقلي، "كم تلازمة للشعور بالدونية ونبذ الذات"، حيث لا مخيال لدى هؤلاء إلا ما فرضته الهمجية الرأسمالية بدعايتها

الإعلانية، و تقبلوه بوهم يا نصيب النجاح السهل، كبعد من أبعاد هدر الذات بحقوقها و مصائرهما، و التباهي البويهيمي بتخلفهم، بما يشبه ما يسميه (أفلاطون) "تلذذ الأجر بالحقاك"، كإفرازات للعقل البدائي، الذي يمنح صاحبه "الوهم" بأنه متحكم في الكون، و بناء على ذلك لا يشعر بأية ضرورة لتنمية قدراته، و من ثم، تقتصر مساعيه إلى محاربة الجهل، بمجرد استخدام جهل آخر ممنهج، لكنه فقط يحظى بالعناية الرسمية، يكتفي فيه الطالب العربي . مثلاً . باستهلاك مقولات جاهزة "أن العرب منحوا أوروبا العقل التنويري، من غير أن يعرف حتى معنى التنوير الذي يزعم انه علمه لغيره!..

الخلاصة: أن المستعمر مدان بقضايا أعمق بكثير من إمكانية تقديرها مادياً، حيث أنتج عاهات ثقافية ونفسية، مازالت تسيطر على فاعلية أمم بكاملها وتطيح بمحاولاتها في تنظيم أفعالها التنموية والإبداعية عموماً، وإدراكها لكيانها، ووضع معايير لتعاملها مع بعضها، وتجاوز المرجعية الاستعمارية في تجزئتها، وممارسة السخرة الفردية والجماعية، بما فيها سخرة الدولة والسخرية من سيادتها باستمرار، إضافة إلى جرائمه في تدمير التنوع الثقافي الحيوي لكثير من كنوز الخبرات التي راكمها فريق من البشر عبر مسيرتهم التاريخية، أثناء محاولات التكيف البيئي والاجتماعي، و المتضمنة في لغتهم التي تعرضت للتدمير أو التشويه، مما حرم البشرية من الاستفادة من خلاصة تجاربها. رغم التسليم أن كل لغة تحمل رؤى أو تصورات أو فلسفات مختلفة للوجود الإنساني والفيزيقي، باختلاف الزوايا التي تنظر منها للكون، أو المعطى الغائي الذي تنطلق منه، والقيمة الأخلاقية التي تستهدفها، ويقدر ما تتاح الفرص لتنمية الرؤى المتعددة بقدر ما يكون تكاملها ثرياً وخلاقاً.

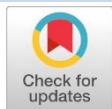
التوصية: بما أن المشكلة ثقافية بامتياز، فلعل الرهان الثقافي كأهم وسيلة لمواجهتها، يكمن في التوصية بوضع خطة لمشروع حضاري، ينهض ببناء مؤسسات ثقافية وطنية، لديها الكفاءة و القدرة على حماية الشخصية القومية، و تأهيلها للصمود أمام الاختراقات و الترميزات المختلفة، وذلك عبر تطوير النظم التعليمية و الإعلامية... كمؤسسات ووسيلة لها أهداف محددة قابلة للقياس الإجرائي، وليست مجرد ديكورات فارغة من المضمون، تقلد بتشوهات شكلية مؤسسات المستعمر الذي يسخرها لإعادة إنتاج الجهل الرسمي المعيق لإمكانية البحث الواعي بآلية التسخير ذاتها؛ نظراً لغربة معارفها عن الواقع الحضاري والثقافي لحاجات مجتمعاتها الملحة، و التحرر من استمرارها مجرد آلة ثقافية مصنوعة لتلبية متطلبات الإنماء في بلدان إنتاجها بالدرجة الأولى، و لا قيمة لها إلا في دورة الحياة المرتبطة بالجهات المصدرة لها، ما كرس العجز في المجتمعات الثالثة عن إنتاج التنمية المعرفية الجادة في توصيف و تحليل معوقات المجتمع في مواجهة نماذج اختراق الهوية الجامعة، و تسخير

الدولة لخدمة مصالح الاستعمار عبر وجوه وطنية، و استمرار إعاقة الإحياء الثقافي الفلسفي و العلمي و الفني و التروحي المتنور و الرشيد، النابع من العبقريّة الثقافية المتفردة المتراكمة عبر التاريخ. و لا يتأتى ذلك التطوير إلا عبر تأسيس مراكز بحثية جادة، قادرة على وضع مفاهيم و تصورات تساعد على تشكيل نخب لها وعي و أهداف مشتركة، قادرة على تجاوز التجزئة القبلية و الطائفية... باتجاه "هوية عاصمة أو شبه محصنة" بحجم دائرة الخصائص الثقافية و الجغرافية و التاريخية القادرة على لملمة "الهويات القاتلة المتصارعة" لتوفير فائض العقل و الجهد الذي تستنزفه دوافعها من توترات، لإمكانية استغلاله لصالح الهوية المشتركة المدركة الحائزة على التقدير الجمعي، القادرة على مواجهة النماذج العدمية التجزئية المعيقة للتنمية.

المراجع:

1. بوردو جورج، الدولة، ترجمة، سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2002.
2. الجيلاني الشيخ أحمد، الهوية والانتماء في المجتمع الموريتاني، دراسة انثروبولوجية، دار بن تاشفين، العين، 2008.
3. حجازي مصطفى، الإنسان المهدور، دراسة نفسية اجتماعية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005.
4. الخوري فؤاد، نشأة الانثروبولوجيا ولاتجتماع، وتطورهما، الفكر العربي، ع، 37، 1985.
5. الذواودي محمود، التخلف الثقافي النفسي، كمفهوم بحث في مجتمعات الوطن العربي والعالم الثالث، نحو علم اجتماع عربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1989.
6. الذواودي محمود، المقدمة في علم الاجتماع الثقافي برؤية عربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، 2010.
7. رمزي نبيل وأبو طاحونة عدلي، التنمية كيف ولماذا؟، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 1992.
8. كروبر آدم، الثقافة، التفسير الانثروبولوجي، عالم المعرفة، الكويت، 2008.
9. منصور خيري، الهوية بين الفائض و النقصان، القدس العربي، 5، 9، 2014.
10. منصور خيري، حرب المصطلحات، القدس العربي، 8، 8، 2014.
11. صالح الطيب، مخلوقات دمرت الحلم الجميل، القدس العربي، 13، 9، 2104.
12. سعدي عثمان، البربر الامازيغ، عرب عارية، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 1998.

13. سلامة غسان وآخرون، الأمة والاندماج في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1989.
14. علي نبيل، الثقافة العربية و عصر المعلومات، س سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2001.
15. عبد المعطي عبد الباسط، في التنمية البديلة، دراسات وقضايا، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990.
16. غامري محمد حسن، مقدمة في الانثروبولوجيا العامة، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، 1989.
17. غيث عاطف ومحمد علي، دراسات في التنمية والتخطيط، الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، 1986.
18. فخرو علي محمد، تحديث التعليم وتطوير المناهج، ندوة، مركز الإمارات للدراسات الإستراتيجية، 2008.
19. فروم أريك، ما وراء الأوهام، ترجمة، صالح حاتم، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، 2002.
20. فيرونيك ناحوم جراب، انثروبولوجيا العنف المفرط، جريمة التدنيس، ترجمة، أسعد حليم، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، 2002.
21. وليم و. لامبرت، وولاس إ. لامبرت، علم النفس الاجتماعي، ترجمة سلوى الملاح، دار الشروق، القاهرة، 1989.



عملات بطلمية من مدينة قوريني

محمد مفتاح فضيل^{*1}

قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة عمر المختار

Doi: <https://doi.org/10.54172/m8a7ds97>

المستخلص: تحمل العملات النقدية القديمة مدلولات تاريخية واقتصادية مهمة، والمدقق فيها سيجد أنها تحمل معالم جغرافية وتاريخية كثيرة. في هذا المقال يقدم الباحث دراسة حول العملات البطلمية التي تم سكها في مدينة قوريني، حيث يستعرض تاريخ سكها ويصف معدنها وشكلها والنقوش التي طبعت على جانبيها.

الكلمات المفتاحية: قوريني، عملة، بطليموس الأول، بطليموس الثاني

Palmyrene Coins from the City of Cyrene

Muhammad Muftah Fadil

Department of Archeology, Faculty of Arts, Omar Al-Mukhtar University

Abstract: Ancient coins bear significant historical and economic connotations, and a careful examination reveals that they carry numerous geographical and historical characteristics. In this article, the researcher presents a study on Palmyrene coins minted in the city of Cyrene. The study delves into the history of their minting, describes their metal composition, shape, and the inscriptions engraved on both sides.

Keywords: Cyrene, coin, Ptolemy I, Ptolemy II

مقدمة:

عندما جاء الاسكندر الأكبر إلى مصر (331-323 ق م) وهي في محنة حكم الفرس اعتبره المصريون مخلصا لهم. وعندما قام بزيارة معبد آمون بواحة سيوه لقبه الكهنة بابن آمون. ولذلك نجد على العملات التي ضربت بعد وفاته رأس الاسكندر وعليها قرنا آمون الذي كان الكبش حيوانه المقدس. وقد أدمج اليونانيون الإله آمون في إلههم زيوس وأطلقوا عليه اسم الإله زيوس آمون.¹

وعقب وفاة الاسكندر الأكبر (323 ق.م)، استطاع بطليموس بن لاجوس أن ينفرد بحكم مصر حيث أعلن إقامة النظام الملكي بها وإقامة المملكة البطلمية عام 305 ق.م ولقب نفسه ببطليموس الأول.

وصار بطليموس الأول ملكا علي مصر وقد ضرب أولى العملات للمملكة البطلمية المستقلة في مصر من الذهب والفضة والبرونز وكان علي وجه العملات الذهبية والفضية رأس الملك بطليموس الأول متعصبا وعلي الظهر صور نسر واقف علي حربة ثلاثية وأحيانا صورة حربة ثلاثية بمفردها إلي جانب النقش الإغريقي وهما رمزان للإله زيوس وحولهما نقش باللغة الإغريقية يشير إلي اسم الملك بطليموس في حالة المضاف إليه. وقد ادعى بطليموس انه من سلالة الإله زيوس ليعطي نفسه قداسة تسانده في حكمه فيدين اليونانيين من رعاياه له بالطاعة. أما العملات البرونزية فتحمل على وجهها رأس الإله زيوس-آمون مكللا بالغار عليها قرنا آمون وهي للمصريين واليونانيين في وقت واحد. ويكاد يكون استعمال المصريون للعملات في ذلك الوقت مقصورا على البرونز، أما الذهب والفضة فمقصوران على التجارة الخارجية. وتحمل العملات البرونزية علي الظهر نفس صورة النسر والحربة الثلاثية والنقش الإغريقي كما هو علي العملات الذهبية والفضية ولكن شكل النسر يختلف أحيانا في وضعه علي البرونز.²

ولكي يحافظ بطليموس الأول على النظام النقدي في مصر أصدر عملة خاصة بها وأضاف اسمه على ظهر العملة بجانب اسم الاسكندر ليكون بهذا الشكل □□□□□□□□□□، حيث يصور على وجه العملة صورة الاسكندر بقرون الكبش آمون الإله المصري، وعلى الظهر تصوير الإلهة أثينا واقفة وتحمل درعها ورمحها والى اليمين نجد تصوير النسر رمز القوة والسيطرة.³

أما التغير الجذري في العملات البطلمية فقد حدث منذ عام 305 ق.م حين استطاع بطليموس أن ينصب نفسه ملكا منفردا على مصر وبدلا من صورة الاسكندر بدأت صورة بطليموس الأول هي التي تظهر

¹ سيد محمد عمر، محاضرات في الآثار اليونانية، بدون دار نشر، القاهرة، 2001، ص. 135.

² سيد محمد عمر، مرجع سابق، ص. 137.

³ عزت زكي قادوس، العملات اليونانية والهليلنستية، مطبعة الحضري، الاسكندرية، الطبعة الثالثة، 2001، ص 194 .

وبدلاً من تصوير أثينا بدأ تصوير طائر النسر الذي يقف شامخاً مؤكداً على قوة و عظمة المملكة البطلمية الذي اتخذته رمزاً لها وبدلاً من اسم الاسكندر وجانبه بطليموس بدا يظهر اسم بطليموس وجانبه لقب الملك □□□□□□□□⁴. ومنذ ذلك الحين بدأ خلفاء بطليموس الأول في سك العملات الخاصة بهم والتي تحمل صورهم الشخصية، إلى جانبهم رموز المملكة البطلمية و أسمائهم إلى جانب اللقب الملكي. حيث أصدرت المملكة البطلمية العملات عن فئات متعددة من الدراخمة من معدني الفضة والذهب إلى جانب الالكتروم والبرونز على النحو التالي:

أولاً : تصوير الملك بطليموس الأول

القطعة رقم (1)

وجه العملة: obverse

صور على وجه العملة الفضية شكل (1) رأس الملك بطليموس الأول متجهاً جهة اليمين بحيث تظهر تصفيفه الشعر مقترية إلى طريقة تصفيف شعر الاسكندر الأكبر في شكل لبدة الأسد ذات الخصلات القصيرة المتداخلة مكللاً بإياه بعصبة الملوك diademed التي تضيء على الشخصية المصورة الوقار والعظمة وهو عبارة عن شريط علي هيئة إكليل من قماش⁵ يمتد من فوق الجبين ويعلو الشعر حتى يعقد من خلف الرأس، وتظهر عظمة الأذن من خلال خصلات الشعر، وملامح الوجه تصور شخصاً قوياً إلا أنه متقدم في السن، حيث تظهر العين في تصوير جانبي يعلوها الحاجب، ثم الأنف المعقوفة في نهايتها فتحة الأنف كبيرة إلى حد ما فوق الشفاه المضمومة للقم الصغير الذي يعلو الذقن الدائرية، ويرتدي الدرع المعروف aegis والذي يظهر بوضوح في أسفل رقبته القصيرة⁶.

ظهر العملة: reverse

صور على ظهر العملة طائر النسر متجهاً بنظره جهة اليسار بينما الجسد في وضع تصوير الثلاث أرباع الذي انتشر استخدامه في العصر الهلنستي، حيث تظهر تفصيلات ريش الطائر في الرقبة والجناحين والجسد بالكامل حتى الأرجل التي تقبض بقوة على حربة ذات ثلاث أطراف مدببة من كلا جانبيها وهو ما يرمز إلى قوة عظمة المملكة البطلمية، ويحيط بتصوير النسر من الجانبين الأيسر والأيمن لقب الملك

⁴، المرجع نفسه، ص ص 194- 197

⁵ فؤاد حمدي بن طاهر ، العملات البطلمية ، مجلة قاريونس العلمية، السنة الأولى، العدد الأول، منشورات جامعة قاريونس، 1988، ص 106 .

⁶ المرجع نفسه، ص 106 .

تأريخ العملة:

القطعة رقم (2)

reverse ظهر العملة:

519

ΠΤΟΛΕΜΑΪΟΥ (Β) ἈΣΙΛΕ(ΩΣ)

الملك بطليموس

التأريخ:

وجود رأس بطليموس الأول سوتير إلى جانب صاعقة الإله زيوس آمون ورمز ماجاس يشير إلى المصالحة بين بطالمة مصر وماجاس حاكم قوريني وعودته للتبعية البطلمية في مصر ومحاولته القيام بوضع صورة بطليموس الأول و صاعقة الإله زيوس وختمه الخاص لإرضاء ملوك البطالمة في مصر. وهذا يشير إلى الفترة ما بين 261 – 258 ق.م⁽¹⁰⁾.

مميزات التصوير على عملة بطليموس الأول:

- 1- استمرار استخدام طريقة تصفيف الشعر التي عرف بها الإسكندر الكبير على العملة خلال العصر الهلينيستي.
- 2- ظهور عصابة الشعر أو الشريط الملكي فوق الجبين ممسكا بالشعر ومعقودا من خلف الرقبة.
- 3- استخدام طائر النسر كرمز للمملكة البطلمية دليلا على قوة المملكة وسيطرتها.
- 4- ظهور لقب الملك على ظهر العملة إلى جانب اسم الملك.
- 5- استخدام الحربة الثلاثية كرمز على قوة المملكة البطلمية وسيطرتها.
- 6- ظهور رمز مكان و دار السك علي ظهر العملات.
- 7- ظهور رمز ماجاس يشير إلى فترة المصالحة بين بطالمة مصر وماجاس حاكم قوريني وعودته للتبعية البطلمية

ثانيا : تصوير الملكة برنيكي:

أما التغيير الثاني الذي حدث في عملات المملكة البطلمية، فقد حدث في عملات الملك بطليموس الثاني، وهو ظهور عملات خاصة بصورة الملكة وقرن الخيرات الذي يدل علي الخصوبة والرخاء.¹¹ وهي أولى العملات التي حملت تصويرا للمرأة في العصر الهلينيستي علي النحو التالي :

وجه العملة: obverse

¹⁰ Buttrey T.V,op.cit,p.19,pl.6,figs.208-209

¹¹ عزت زكي قادوس,مرجع سابق.ص. 198 .

صورت الملكة برنيكى على وجه العملة الذهبية شكل (3) بالوضع الجانبي ، متجهة بنظرها جهة اليمين، ويغشى شعرها شالا يظهر من أسفله تصفيفه للشعر في شكل جدائل كبيرة متراسة بعناية بجوار بعضها البعض، ويلتف الشعر في شكل عقدة تظهر من أسفل الشال خلف الرأس، بينما يغشى الشال الأذن بالكامل، وتظهر الجبهة صغيرة من أسفلها تصوير للعين في وضع جانبي يحدها من أعلى حاجب طويل ورفيع، وتظهر جفون العين واضحة، بينما يصور الأنف بصورة واقعية بشكل طويل مدبب تظهر في نهايته السفلى فتحة الأنف، ومن أسفلها فم صغير ذو شفتان مضمومتان، يليهما ذقن صغيرة دائرية حتى الرقبة الطويلة، وتظهر على ملامح الوجه بصفة عامة مسحة من الهدوء والسكينة.

ويلاحظ على وجه العملة أنها كاملة الاستدارة، ويظهر تصوير لإطار في شكل حبات منفصلة ومتراسة بجانب بعضها البعض في شكل دائري عند حافة الإطار الخارجي لوجه العملة، إلا أن هذا الإطار غير مكتمل في النصف السفلى من الوجه.

ظهر العملة: reverse

صور على ظهر العملة قرن الخيرات بالوضع الأمامي المقابل للمشاهد ، وهو من إحدى رموز الخير والرخاء للمملكة البطلمية، حيث يعلوه أشكال مختلفة من الثمار والفاكهة، ويأخذ في شكله زهرة اللوتس المصرية، مربوط بشريط عريض يتدلى من على جانبية¹²، كما يحيط بقرن الخيرات من على الجانبين كتابات باللغة الإغريقية بحروف كبيرة بحيث يظهر اسم برنيكى على الجانب الأيسر بهذا الشكل □□□□□□□□□□ وعلى الجانب الأيمن لقب الملكة بهذا الشكل □□□□□□□□□□، ويلاحظ على ظهر العملة أنها كاملة الاستدارة تقريبا، ويبدو أنه كان هناك إطار في شكل حبات منفصلة ومتراسة بجانب بعضها البعض وهو ما يظهر في الجزء المتبقي من الجانب الأيسر العلوي من ظهر العملة.

تأريخ العملة:

يؤرخ هذه العملة العلامة Comstock¹³ بالفترة ما بين 246 – 221 ق م ويؤيده Jenkins¹⁴ في هذا التاريخ (246 ق م).

¹² عزت زكى قادوس، المرجع نفسه ، ص. 202

¹³

Mary Comstock, Cornelius Vermeule, Greek Coins, Boston, 1964, p.72, pl.xxix, fig, 322.

Jenkins. G.K, ((Some Ancient Coins of Libya)) , The Society for Libyan Studies. Fifth Annual Report, 1973 – 74, p.36, pl.xvii, fig.8. ¹⁴

مميزات التصوير على عملات بطليموس الثاني:

- 1- استمرار استخدام خاصية التصوير الواقعي لملامح الشخصية المصورة، وهو من أهم مميزات الفن في العصر الهلنستي.
- 2- تصوير المنظر على وجه العملة داخل إطار زخرفي في شكل حبات صغيرة منفصلة ومتراصة بجانب بعضها البعض.
- 3- بداية ظهور تصوير المرأة وخاصة زوجات الملوك على وجه العملة، منذ بداية ظهور العملات الخاصة بالملكة برنيكى الأولى.



شكل (1)

الظهر: نسر يقبض على صاعقة	الوجه: بطليموس الأول
نوع العملة: عملة فضية فئة دراخما	مكان سك العملة: مدينة قوريني
قطر العملة: 0.02 سم	وزن العملة: 6.78 جم
التاريخ: 261 - 258 ق م .	



شكل (2)

الظهر: صاعقة الإله زيوس

الوزن: 5.08 جم

السّمك: 0.04 مم

نوع العملة: برونزية

الوجه: بطليموس الأول

رقم التسجيل: 6612 بمخازن آثار مدينة شحات

القطر: 1.08 سم

مكان السك: قوريني Cyrene.

الفئة: وحدة برونزية Bronze Uni التاريخ: 258-261 ق

٠٢



شكل (3)

الظهر: قرن الخيرات

الوجه: الملكة برنيكي

مكان سك العملة: أفسوس
نوع العملة: عملة ذهبية
وزن العملة: 2.00 جم
قطر العملة: 1.09 سم
التاريخ: 246 - 221 ق م .

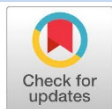
قائمة المراجع العربية والأجنبية

أولاً: المراجع الأجنبية:

- Buttrey.T.V, ((The Coins)) The Extramural Sanctuary of Demeter and Persephone at Cyrene , Libya Final Reports, (Philadelphia 1997.
- Jenkins. G.K,((Some Ancient Coins of Libya)), The Society for Libyan Studies. Fifth Annual Report, 1973 – 74.
- Mary Comstock, Cornelius Vermeule, Greek Coins, Boston, 1964
- Michele Asolati, Monete Greche di Provenienza Cirenaica Nelle Collezioni del Museo Bottacin di Padova, “BMCP” Annata.xcvii,2008.
- Svoronos,J.N,Τα νομίσματα Του Κρατους Των Πτολεμαίων,Athens,1904,Translate d.byRegling K,Thompson. M, New York, 1961.

ثانياً: المراجع العربية:

- عزت زكى قادوس,العملات اليونانية والهلينستية,مطبعة الحضري,الإسكندرية ,الطبعة الثالثة, 2001
- سيد محمد عمر,محاضرات في الآثار اليونانية.القاهر, 2001
- فؤاد حمدي بن طاهر,العملات البطلمية ,مجلة قاريونس العلمية,السنة الأولى,العدد الأول,منشورات جامعة قاريونس,1988



مشكلة الأمية في العالم العربي "معدلاتها وسبل علاجها"

عبد الكريم علي مصطفى^{1*}

قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة عمر المختار

Doi: <https://doi.org/10.54172/kgj4gs92>

المستخلص: يتناول هذا البحث قضية الأمية خاصة في الوطن العربي، حيث يتناول مفهومها، تعريفاتها، أنواعها، العوامل التي أدت إلى ظهورها، وأسباب انتشارها. وتستكشف الدراسة العلاقة بين الأمية والتنمية، والتخلف، والفقر، وعدم المساواة بين الجنسين. وسيتم توفير الإحصائيات والبيانات ذات الصلة بالاعتماد على التقارير الرئيسية حول التنمية البشرية الصادرة عن الأمم المتحدة.

الكلمات المفتاحية: الأمية، الوطن العربي، التنمية، الفقر، التخلف

The Issue of Illiteracy in the Arab World: Rates and Remedies

Abdul Karim Ali Mustafa

Department of Sociology, Faculty of Arts, Omar Al-Mukhtar University

Abstract: This research addresses the issue of illiteracy, particularly in the Arab world, covering its concept, definitions, types, factors leading to its emergence, and reasons for its prevalence. The study explores the relationship between illiteracy and development, underdevelopment, poverty, and gender inequality. Relevant statistics and data will be provided, relying on key reports on human development issued by the United Nations.

Keywords: Illiteracy, the Arab world, development, poverty, backwardness

مقدمة

إن الجهل بالقراءة، والكتابة في هذا الوقت أصبح هاجساً كبيراً يؤرق الأفراد، والمجتمعات على حد سواء فقد تحولت الأمية في العصر الحديث إلى عائق يحول دون استجابة الناس لمتطلبات الحياة العصرية، ودون بلوغ المستوى الذي يؤدي بالمجتمعات إلى الرقي والتقدم، لأن الأمية والجهل إذا ما انتشرا على نطاق كبير، وواسع فأن ذلك سيؤدي بالمجتمعات إلى التخلف الاجتماعي، والثقافي، والعلمي فالتعليم، والأمية يشكلان أهم مؤشرات التنمية، والتخلف. بل وتعدى الأمر ذلك إلى انتشار أنماط جديدة من إشكال الأمية تمس حتى المتعلمين كالأمية الحضارية والالكترونية والمهنية والاقتصادية وغيرها.

لذلك سنتطرق في هذا البحث لمشكلة الأمية وبشكل خاص في الوطن العربي من حيث مفهومها وتعريفاتها وأنواعها والعوامل المؤدية إلى ظهورها وأسباب انتشارها، وعلاقة كل ذلك بالتنمية، والتخلف، والفقر، والتفرقة بين الجنسين، وسوف نورد لبعض الأرقام والإحصائيات معتمدين في ذلك على أهم تقارير التنمية البشرية الصادرة عن الأمم المتحدة.

تحديد المشكلة

تُعد مشكلة الأمية متعددة الجوانب ومتشابكة من الناحية الاجتماعية والثقافية والسكانية والصحية، مما يؤثر على مستوى الأفراد وعجزهم عن التفكير في حل مشاكلهم وضيق أفقهم، ولذا فإن الاهتمام بمشكلة الأمية ذاتها إنما هو علاج أيضاً للمشاكل الجانبية التي تتأثر بها أو تنجم عنها، إذ أن الأشخاص المتعلمين أكثر تقبلاً وتفهماً للتغيير والتقدم والطموح، ويستطيع أن يفهم ويتدرب ويستوعب كل وسائل الإرشاد والتوجيه في المجالات المختلفة⁽¹⁾.

عند الحديث عن الأمية بشكل عام، يمكن القول بأن هذا المفهوم قد تغيرت مضامينه واتجاهاته في عالمنا اليوم؛ وذلك من خلال المعايير الجديدة المرتبطة بها لا تقاس فقط بمستوى أو قدرة الإنسان على القراءة والكتابة⁽²⁾ ما يعرف بالأمية الأبجدية، لأن هذا المعيار أصبح من المعايير القديمة التقليدية، مع ظهور مقاييس أخرى لقياس الأمية؛ مثل الأمية الإلكترونية والمعلوماتية، وانتشار وسائل التقنية والاتصالات الحديثة، كل ما تتضمنه من معارف وخبرات، كل ذلك جعل الأشخاص المتعلمين والمتقنين مجبرين على اللحاق بهذا الركب والتوجه المعرفي الحديث، فما بالك بالأميين في ظل هذا العالم المتسارع تكنولوجياً وتقنياً وفكرياً.

إن قياس الفقر البشري، وهو مفهوم أشاع استخدامه برنامج الأمم المتحدة الإنمائي للتعبير عن حرمان المرء من القدرات والفرص باستخدام "دليل الفقر البشري"، هذا الدليل . وهو مجموعة مركبة من

المعايير . قوامه ثلاثة مكونات: أ - طول العمر ب- مستوى المعيشة ج - المعرفة، ولعل المكون الثالث هو الذي يهمننا في هذه الدراسة، وهو المعرفة، يشير خصوصاً إلى عدم إلمام المرء بالقراءة وأساليب التواصل، ويقاس بمعدل الأمية بين البالغين.

ولعل المشاكل التي نود طرحها هنا، خاصة بالعالم العربي، والذي تغلغت فيه هذه الآفة، نتيجة لظروف وعوامل متعددة، كال فقر والبطالة، والتخلف، وأنظمة الحكم الفاسدة، والتي عمل بعضها على تجهيل أفراد مجتمعاتهم؛ ومن أبرز هذه الأمثلة ما قام به النظام السابق في ليبيا بعمله على إلغاء تدريس مقررات اللغة الإنجليزية من المدارس في الجامعات في كافة المراحل لهو دليل واضح على التجهيل الممنهج.

وعندما نطرح مشكلة الأمية في العالم العربي لا نقصد بها فقط أمية الكبار والبالغين والمرأة؛ ولكن المسألة تتعدى ذلك فنسبة التحاق الأطفال بالمدارس الابتدائية ومستوى متابعتهم الدراسة بعد مرحلة التعليم الابتدائي في مصر تقل بين الأطفال الفقراء المنتظمين في المدارس الابتدائية بنسبة (7%) عن أقرانهم الميسورين، وتقل 12% في مرحلة الدراسة المتوسطة، و24% في مرحلة التعليم الثانوي، كذلك نجد ربع الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين عشر سنوات وخمسة عشرة سنة، في المغرب العربي، لم يكملوا التعليم الابتدائي، وتتسرب أعداد كبيرة من الأطفال الفقراء من المدارس لمزاولة العلم في سن مبكرة لمساعدة أهلهم⁽³⁾ ويمكن لنا من خلال هذه الأرقام أن نعمم ذلك على العديد من دول العالم العربي الأخرى، ولذلك سنقوم بدراسة مشكلة الأمية في العالم العربي، أسبابها، وأبعادها، وأشكالها ومعدلاتها، وآثارها على المجتمعات، وسبل علاجها.

أهداف الدراسة:

1. التعرف على ماهية الأمية وأنواعها والمتغيرات المرتبطة بها.
2. محاولة الوصول إلى الحقائق المتعلقة بالظاهرة وأسباب انتشارها ومعدلاتها ومؤشرات حسب الإحصاءات والتقارير العربية والعالمية .
3. الوصول لأهم المقترحات وسبل العلاج الكفيلة للتصدي لهذه المشكلة.

تعريف الأمية:

"هي عدم معرفة القراءة والكتابة وتقابلها المعرفة بها". ويمكن أن نقول بأن الأمية: "عدم القدرة على القراءة والكتابة بالنسبة لشخص بالغ متمكن من استخدام لغته بكفاءة". وتقاس نسبة الأمية في كل سنة في المجتمع عن طريق عدد مجموع السكان الكلي للفئة العمرية من 15 فما فوق مطروحاً منه عدد المتعلمين للفئة نفسها مقسومة على عدد السكان الكلي⁽⁴⁾ .

ولكن مع التغيرات المستمرة والسريعة التي تشهدها كافة المجتمعات، وعلى وجه الخصوص انتشار التقنية والتكنولوجيا وعالم والاتصالات وشبكات المعلومات، أصبحت التعاريف السابقة ينقصها الكثير من الدقة والشمول والعمق؛ لأن تعريف الأمية بأنها مجرد عدم معرفة القراءة والكتابة أو ما يعرف بالأمية الأبجدية، لم يعد تعريف جامع مانع، لأن هناك أنواع أخرى من الأمية منها المعلوماتية والإلكترونية والحضارية والمهنية، يجب محوها، والقضاء عليها، وذلك من أجل مواكبة ومسايرة كل ما يوجد في حياتنا من تطور وانتشار سريع لوسائل تكنولوجيا، وثقافية، وإعلامية، و أيولوجية مختلفة.

والشخص الأمي حسب ما هو محدد في أغلب الدول العربية هو الذي لا يستطيع القراءة والكتابة، وهذا ما يطلق عليه الأمية الأبجدية، ويُعرّف " بأنه ذلك الشخص الذي تجاوز عشر سنوات فما فوق، ولم يتمكن من القراءة والكتابة"، وعرفته المملكة العربية السعودية بأنه "الذي لا يجيد القراءة والكتابة، وتجاوز أعلى حد لسن القبول بالمدارس الابتدائية، ولم يبلغ سن الخامسة والأربعين"، وعرفته سوريا في قوانينها بأنه: "المواطن الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة ولا إجراء العمليات الحسابية الأربع، وغير منتسب لإحدى المدارس"، وعرفته ليبيا في قوانينها بأنه: "الذي لم يبلغ في مستواه الدراسي مستوى الصف الرابع الابتدائي أو ما يعادله في مواد القراءة والكتابة والحساب والمعلومات العامة"⁽⁵⁾

إن المفهوم الجديد لمحو الأمية يجب أن يقابله تحوّل في مفهوم المناهج ذاتها؛ حيث ينبغي النظر إلى مفهوم المنهج على أنه ليس مجرد مجموعة من المقررات الدراسية أو المعلومات التي تقدم للدارسين؛ وإنما هو مجموعة الخبرات الهادفة وأوجه النشاط التي تنظمها مؤسسات التربية والتعليم للدارسين، والتي تشمل على المعلومات والمعارف والمهارات العلمية والقيم والاتجاهات وطرق التفكير والسلوك التي يراود للمتعلم اكتسابها، بحيث يتفاعل بها مع المجتمع.

وفي ضوء هذا المفهوم ينبغي أن يتجه برنامج محو الأمية نحو الاهتمام بالفرد، بحيث تتجلى مواهبه وتزداد قدراته وإمكاناته، نحو الاهتمام بالمجتمع، بحيث يزداد إنتاجه، ويحقق وحدته وتكامله، ويغلب على ما فيه من مشكلات⁽⁶⁾.

ويمكن تعريف مفهوم محو الأمية من خلال هذه المحاولات لبعض المهتمين في هذا المجال ؛ فهذا (محمد منير) يعرف محو الأمية بأنها: "التعليم الهادف المنظم الذي يقدم إلى البالغين أو الراشدين أو الكبار غير المقيدون في مدارس نظامية من أجل تنمية معارفهم ومهاراتهم وتغيير اتجاهاتهم وبناء شخصياتهم".

ويعرفها (عايف حبيب) الخبير ببرامج محو الأمية بأنها: "أية خبرة تعليمية مصممة وموجهة إلى الكبار، بغض النظر عن المحتوى والطرق المستخدمة، وقد يكون هذا التعليم نظامياً أو غير نظامي أو عرضياً بطبيعته" (7) .

أنواع الأمية

عندما نتحدث عن الأمية يمكن لنا القول بأنها ذات أوجه وأشكال مختلفة، وأنها تأتي وتذهب وفق الظروف والتغيرات التي تفرضها الضرورة والأحكام، لكن نستطيع أن نعرفها وفق الآتي:

1- الأمية الأبجدية:

وهي أول الأشكال والمراحل التي مر بها تطور مفهوم محو الأمية وتعليم الكبار في العالم العربي في القرن العشرين، وهي ما يسمى بالمفهوم الأبجدي، والذي كان الهدف الأساسي والأولي من تعليم الكبار والراشدين فيه هو محو وإزالة الأمية الأبجدية، وذلك عن طريق تعلم أهم مبادئ وطرق القراءة والكتابة والعبادات والدين والحساب، ومعرفة بعض المبادئ الأساسية الصحية والسطحية في حدود معينة.

2- الأمية الوظيفية:

حيث يركز هذا المفهوم الوظيفي لمحو الأمية وتعليم الكبار وبشكل خاص في عالمنا العربي على أهم المتغيرات والمستجدات والتقدم الهائل والسريع والزيادة المتنامية في التخصصات المهنية ودخول المرأة مجال العمل بشكل كبير، كل ذلك حتم على الكبار والراشدين ربط التغيرات التي تحدث من حولهم بمستقبلهم الوظيفي، ويقصد بالتعلم الوظيفي رفع الكفاءة والخبرة العملية في الحياة للمتعلمين وتزويدهم بالمهارات والاتجاهات والحاجات الملحة للعمل المريح والمرض والمثمر والمشاركة الجدية في الحياة العامة والمهنية.

3- الأمية الحضارية:

عرفت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة UNESCO الأمية الحضارية في الأنواع الآتية:-

- أ - الأمية السياسية: ويقصد بها الجهل في النواحي السياسية بالرغم من تعلم الفرد القراءة والكتابة والحساب، وأغلب القول أن هذا النوع هو ما ينتشر في ليبيا بعد قيام ثورة 17 فبراير، وذلك نظراً لما قصده النظام الشمولي السابق من تجهيل وتهميش لكافة شرائح المجتمع.
- ب- الأمية الدينية: ويقصد بها الجهل بالشعائر الدينية اللازمة للإنسان.

- ج - الأمية الاجتماعية: ويقصد بها الجهل بالمشكلات التي يعاني منها المجتمع.
- د - الأمية العلمية: ويقصد بها الجهل بالنواحي العلمية وأسباب الوقاية والعلاج.
- هـ - الأمية الاقتصادية: ويقصد بها الجهل في الناحية الاقتصادية دولياً وعملياً وأسرياً⁽⁸⁾

4- الأمية المهنية:

ويقصد بها عدم تكوين المهارات التي تساعد على حل المشكلات سواء في العمل أو الحياة بالرغم من اكتساب الإنسان قسط وافر في التعليم.

5- الأمية المعاصرة:

ويقصد بها التخلف عن ركب الحضارة والانعزال عن الأحداث العالمية، فالحروب والمخترعات والاكتشافات لم تعد حبيسة الدول المكتشفة أو الناتجة، بل أصبحت ملك البشرية، وهذا يتطلب من الفرد الاندماج ومعايشة العالمية في المجالات كافة⁽⁹⁾.

وبهذا يتضح لنا أن مفهوم الأمية تطور من مجرد النظر إليها فقط على أنها مجرد عدم القدرة على القراءة والكتابة والحساب، بل تعدت ذلك بكثير بحيث أصبحت ذات أوجه عديدة كعدم معرفة استخدام الحاسوب والإنترنت واللغات الحية وثقافة المجتمعات الأخرى، بل والتعامل مع كافة وسائل التكنولوجيا والتقنية الحديثة.

عوامل انتشار الأمية في العالم العربي

هناك مجموعة من العوامل التي ساهمت بشكل كبير في ارتفاع معدلات الأمية في الوطن العربي يمكن إجمالها في الآتي:

1- عوامل تاريخية:

لعل التخلف الذي فرضه الاستعمار والحكم الأجنبي على الدول العربية كان له دور كبير في توسيع الفجوة بين هذه الدول والبلدان المتقدمة، إن تعرض البلاد العربية إلى العديد من الحروب كغزو المغول ثم سيطرة الأتراك، فالاستعمار الحديث ... كل ذلك أدى إلى نهب ثروات البلاد العربية وخيراتها على حساب تخلف شعوب هذه البلاد، وبالتالي أميتهم نتيجة عدم الاهتمام بالتعليم.

2- العوامل الاقتصادية:

وهي من أهم العوامل التي تؤثر في انتشار الأمية في البلاد العربية، ذلك أن مستوى المعيشة المنخفض في هذه البلاد والدخل المحدود، وبالتالي فإن أهم ما يشغل الإنسان في هذا المجتمع هو تحصيل

قوته اليومي؛ ولذلك فإن تسمية الأموال الموجهة أو المرصدة إلى التعليم تكون بسيطة جداً مما يعني انتشار الأمية وبشكل كبير.

3-العوامل السياسية:

وذلك بأن تعمل الجماعات التي تصل إلى الحكم على تجهيل شعوبها قصداً؛ لأن وعي الناس يشكل خطراً حقيقياً على سلطتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، لذلك عملت الطبقة الحاكمة على إبقاء الأغلبية في حالة جهل وفقير دائم.

4-العوامل الاجتماعية:

إن اعتماد الغالبية العظمى من الناس والسكان في البلدان العربية على حرفتي الرعي والزراعة، وذلك بالاعتماد على الأبناء في الحقل والمرعى، وأيضاً الترحال المستمر للبدو لا تترك لأصحابها فرصة للالتحاق بالتعليم، لذلك نجد أكثر الأميين من سكان البدو، وبدرجة أقل القرى، وبدرجة أقل المدن.

معدلات الأمية في العالم العربي

وكانت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الألييسكو، قد قدمت تقديرات بداية هذا العام لأعداد الأميين في العالم العربي، وصلت إلى ما بين 60 و70 مليون أمي وأمية، وذلك رغم الجهود التي ظلت تبذل لعقود لمكافحتها، وأشار تقدير معهد اليونسكو للأمية بين الكبار لمجموعة مختارة من الدول العربية لعام 2000 إلى تسجيل نسبة عالية للأميين في موريتانيا وصلت 60%، وبنسبة (50% للذكور و70% للإناث)، وتلاها المغرب بمعدل 51% تقريباً (38% للذكور، 64% للإناث)، ثم مصر بمعدل 44% (32% للذكور، 56% للإناث)، ثم السودان بنسبة 42% (31% للذكور، 53% للإناث)، والجزائر 33% (24% للذكور، 42% للإناث)، وتونس 29% (19% للذكور، 39% للإناث)⁽¹⁰⁾.

كما أورد معهد اليونسكو رسوماً تخطيطية لمعدلات الأمية في أربع دول خليجية: هي السعودية وقطر والكويت والبحرين. ووفق التقديرات فإن المعدل في السعودية لعام 2000 وصل إلى نحو 24% (16% للذكور، 32% للإناث)، وفي قطر 19% (18% للذكور، 20% للإناث)، والكويت 18% (16% للذكور، 20% للإناث)، وأخيراً احتلت البحرين أفضل مواقع الدول العربية بمعدل أمية وصل إلى 13% (8% للذكور، 18% للإناث)⁽¹¹⁾. للمزيد من الإيضاح أنظر الجدول الآتي

جدول رقم (1) يوضح معدلات الإلمام بالقراءة والكتابة والالتحاق

الدولة	معدل الإلمام بالقراءة والكتابة للبالغين (%) من العمر 15 وأكثر		صافي الالتحاق بالمدارس الابتدائية		نسب الالتحاق المدراس الإعدادية		الأطفال الذين يصلون إلى الصف الخامس (%) من تلاميذ الصف الأول	
	1985-1994	1995-2005	1991	2005	1991	2005	1991	2004
الكويت	74.5	93.3	49	87	..	78	..	..
قطر	75.6	89.0	89	96	70	90	64	..
الإمارات العربية المتحدة	79.5	88.7	99	71	60	57	80	97
البحرين	84.0	86.5	99	97	85	90	85	99
ليبيا	74.7	84.2	96	..	..	..	..	..
المملكة العربية السعودية	70.8	82.9	59	78	31	66	83	96
الأردن	..	91.1	94	89	..	79	..	96
تونس	..	74.3	94	9.7	..	6.5	86	97
الجزائر	49.6	69.6	89	97	53	66	95	96
الأراضي الفلسطينية المحتلة	..	92.4	..	80	..	95	..	..
الجمهورية العربية السورية	..	80.8	91	95	43	62	96	92
مصر	44.4	71.4	84	94	..	82	..	94
المغرب	41.6	52.3	56	86	..	35	75	79
موريتانيا	..	51.2	35	72	..	15	75	53
السودان	..	60.9	40	43	..	..	94	79
اليمن	37.1	54.1	51	75	..	..	..	73
العراق	..	74.1	94	88	..	38	..	81

المصدر: برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية 2008/2007 بتصرف.

بالنظر للجدول السابق نجد أن دول الخليج العربي تأتي في مقدمة الدول العربية في معدلات الإلمام بالقراءة والكتابة والالتحاق بالدراسة في سن مبكرة، بالإضافة إلى ليبيا، وذلك يؤشر لوجود علاقة طردية بين ارتفاع المستوى الاقتصادي والقضاء على معدلات الأمية وذلك نظراً للقدرة على الإنفاق على البرامج والخطط التعليمية وفتح المدارس وتوفير المناهج والكتب وكافة المستلزمات المتعلقة بهذه العملية. وفي الاتجاه الآخر نجد دول مثل مصر وموريتانيا والصومال والمغرب والسودان تعاني من ارتفاع معدلات الأمية وعدم التحاق الكثير مما هم في سن الدراسة لسباب تتعلق بالفقر والجهل وتشغيل الأطفال للحصول على المال لمساعدة أسرهم الفقيرة، ولا يعني ذلك أن نربط ارتفاع معدلات الأمية بالمستوى الاقتصادي على وجه الإطلاق؛ فهناك بعض الدول التي قطعت مسافة كبيرة في زيادة أعداد المتعلمين والقضاء على الأمية

رغم فقرها وقلة مواردها مثل تونس والأردن من خلال وضع خطط قومية تهتم ببناء الإنسان والاعتماد على رأس المال البشري.

الأمية والتميز:

عادةً يستقبل الوليد الذكر في العائلات العربية بصورة خاصة بالابتهاج والترحاب، أما مولد الأنثى فقد يعد حادثاً يحزن العائلة بأكملها، ويترك الأم ضحية لشفقة الأقارب والجيران، ويدل مثل هذا الاستقبال السلبي للوليدة على موقف ذي دلالة قد يفضي إلى إهمال وتجاهل قاسيين من جانب الأبوين في سنوات الطفولة الأولى، وما بعدها، ومن بين جوانب هذا التمييز الذي ينطوي على نتائج ذات تأثير سلبي كبير في صحة المرأة الموقف الشائع الذي يرى أن تعلم الفتى أهم من تعليم الفتاة، ومن النتائج الصارخة على مثل هذا التحيز أن ثلثي الأميين هم من الإناث، في منطقة فيها الأمية تمثل واحد من كل ثلاثة أشخاص، وفي عام 2005م كان ما يقدر بنحو 40% من النساء العربيات لا يعرفن القراءة والكتابة، والأمية تقوض صحة النساء لأنها تحول دون إطلاعهن على المبادئ الأساسية للصحة والنظافة والنظام الغذائي، وهذا يضع عافية المرأة وأسرتها في وضع حرج، يضاف إلى ذلك أن الأمية ودرجة المعرفة المتدنية تساهم في ترسيخ العادات والممارسات المضرة بالصحة التي قد تقضي إلى الوفاة، هذه العادات والممارسات تشمل على سبيل المثال: الحمل في مرحلة مبكرة جداً أو متأخرة جداً من العمر، مما يهدد بمخاطر جدية على صحة المرأة وأطفالها الذين قد يولدون بعيوب خلقية⁽¹²⁾.

جدول رقم (2) دليل التنمية المتعلقة بقضايا النوع

الترتيب دليل البشرية	حسب التنمية	الدولة	نسبة محو الأمية لدى البالغين (%) ممن تزيد أعمارهم عن 15 عاماً 2005-1995		معدل الالتحاق الإجمالي التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي (%) 2005	
			رجال	نساء	رجال	نساء
تنمية مرتفعة	بشرية					
33		الكويت	91.0	94.4	79	71
35		قطر	88.6	89.1	85	71
39		الإمارات العربية المتحدة	87.8	89.0	68	54
41		البحرين	83.6	88.6	90	82
56		ليبيا	74.8	52.8	97	91
58		عمان	73.5	86.9	67	67
61		المملكة السعودية	76.3	87.5	76	76
تنمية بشرية متوسطة						
86		الأردن	87.0	95.2	79	77
88		لبنان	93.6	93.6	86	83
91		تونس	65.3	83.4	79	74

73	74	79.6	60.1	الجزائر	104
81	84	96.7	88.0	الأراضي الفلسطينية المحتلة	106
67	63	87.8	73.6	الجمهورية العربية السورية	108
..	..	83.0	59.4	مصر	112
62	55	63.9	39.6	المغرب	126
50	42	65.7	63.9	جزر القمر	134
47	45	59.5	43.4	موريتانيا	137
39	35	71.1	51.8	السودان	147
29	22	79.9	79.9	جيبوتي	149
67	43	73.1	34.7	اليمن	153
أخرى					
67	51	84.1	64.2	العراق	
..	..	..	..	الصومال	

المصدر: برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية 2008/2007.

يؤكد لنا الجدول السابق على حقيقة مفادها أن هناك نوعاً من التمييز بين الجنسين يحدث فمن خلال البيانات التي تم عرضها مسبقاً نجد أن نسبة الملتحقين من الإناث أقل منها في معظم الدول مقارنة بالذكور، وذلك مؤشر يؤكد أن المجتمعات العربية مجتمعات ذكورية بامتياز باستثناء بعض الدول التي أصبحت المرأة تحظى باهتمام مثلها مثل الرجل، ونستطيع القول بأن الكثير من العادات والتقاليد مازالت تقف عائقاً أمام تعليم الإناث.

الأمية والتنمية

إن ارتفاع حجم مشكلة الأمية على هذا النحو في العالم العربي، يلعب دوراً خطيراً في تعويق عملية التنمية والتخطيط، لذلك يُعد محو الأمية ضرورة تفرضها متطلبات النمو الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والتربوي، فمن الناحية الاجتماعية تتوقف المشاركة الاجتماعية والوعي السياسي بصفة عامة على معدل ارتفاع أو انخفاض معدلات الأمية، ومن الناحية الاقتصادية يلاحظ أن إنجاز تصنيع سريع شامل للزراعة وارتفاع بمستوى الخدمات بشكل عام لا يمكن أن يتحقق بمعدلات مرتفعة في ظل أمية تسود بين العاملين في هذه القطاعات، خاصة إذا ما اعتبرنا التدريب في هذه المجالات مطلب ضروري لرفع مستوى الأداء، أما من الناحية السياسية فإن المشاركة في العملية السياسية والتصويت والانتخاب والنقد والتحليل وتكوين الرأي وصنع القرار، أمور لا يمكن أن تتحقق عند الأميين، ولهذا فمن حق الجماهير أن تعمل الدولة على تعبئة كافة إمكاناتها لمواجهة الأمية، أما من الناحية التربوية فمن الملاحظ أنه يتعذر نشر التعليم في مناخ أو بيئة لم تتل أي قسط منه، إذ من المسلم به أن الأسرة الأمية تستهين أحياناً بتعليم أبنائها، وهي إطار اجتماعي لا يساعد الطفل على الدراسة والتحصيل، ومن ثم يزيد من العبء الواقع على المدرسة، ويبرز ذلك بشكل واضح وجلي في المجتمع الريفي حين ترتفع معدلات هجر التعليم في القرية، ويضعف المستوى

العام للتلاميذ، كما أن ارتفاع معدلات الأمية بصورة ملحوظة بين الإناث يشكل معوقاً خطيراً للأدوار التنموية التي ينبغي أن تضطلع المرأة بأدائها في إطار التنمية الشاملة للمجتمع، ومن ثم يتعين دعم السياسة التعليمية لتتقيد المرأة ومحو أميتها لتصبح عضواً فعالاً في بناء المجتمع⁽¹³⁾.

ومن الأشياء التي كثيراً ما تثير الأسف أن الناس في بلدان العالم الثالث - وفي الوطن العربي - خصوصاً أنهم لا يملكون فرصة المشاركة الكاملة في صنع القرار، وأن ذلك يرجع في الأساس إلي نقص تعليمهم. لذلك يتعين أن يتمثل أحد أهم أهداف التعليم في تمكين المواطن من صنع قرارات صائبة، وليس مجرد أن يصبح عاملاً ماهراً في أحد مواقع الإنتاج. فالاستخدام الأمثل للتعليم يتمثل في تعزيز حرية الفرد، وتمكينه من التعبير عن فرديته، ومن أن يصبح منتجاً، ويعيش في انسجام مع الآخرين. إن الواجب الأول للتعليم هو أن يزود الفرد بفرصة ترقية وضعه الاجتماعي/الاقتصادي، إلا إن عليه أيضاً أن يدرجه على مهنة نوعية¹⁴.

الأمية والفقر

يؤثر الفقر البشري، بصورة خاصة، في التحاق الأطفال بالمدارس الابتدائية وبمستوى متابعتهم الدراسة بعد مرحلة التعليم الابتدائي ففي مصر تقل نسبة الأطفال الفقراء المنتظمين في المدارس الابتدائية 7% عن أقرانهم الميسورين، وتقل 12% في مرحلة الدراسة المتوسطة، و24% في الدراسة الثانوية. كذلك نحو ربع الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين عشر سنوات وخمس عشرة سنة، في المغرب، لم يكملوا التعليم الابتدائي بسبب الفقر. وتتسرب أعداد كبيرة من الأطفال الفقراء من المدارس لمزاولة العمل في سن مبكرة لمساعدة أهلهم، وفي هذه الحالات جميعاً يؤدي الانقطاع عن التعلم في المدرسة دوراً أساسياً في إطالة حالة عدم انعدام الأمن بالنسبة إلى الفقراء.

تضم البلدان العربية التي تسجل نسبة 30% أو أكثر بمعيار دليل الفقر البشري ثلاثة بلدان من فئة الدخل المنخفض، وواحد من فئة الدخل المتوسط: السودان (34%)، اليمن (36.6%)، موريتانيا (35.9%)، المغرب (31.8%). وفي كل هذه البلدان تقريباً تسجل درجة كبيرة من فقدان الأمن في مكون التعليم ممثلاً بمعدل الأمية بين البالغين بقيمة تتجاوز (30%)، وإضافة إلى ذلك، يؤدي انعدام الأمن الناجم عن الافتقار إلى المياه النظيفة وتغذية الأطفال دوراً مؤثراً في السودان واليمن وموريتانيا.

أداء الهبوط في معدلات الفقر المدقع ينخفض بمرور الوقت، كذلك انعدام الأمن الناجم عن الفقر البشري. ففي الفترة ما بين العامين 1996 و 1998، وفي العام 2005 انخفضت نتيجة (دليل الفقر البشري) في كل البلدان العربية بنسبة الثلث تقريباً، وتدنّت قيمته من (33%) إلى (22.2%) ويعكس هذا الشكل 5 - 8 الانجازات التي حققتها كل بلد وأسهمت في هذا الاتجاه الإقليمي. وكما يبين لنا هذا الشكل،

فإن بلدان الدخل المرتفع والدخل المتوسط المرتفع هي التي أنجزت الجانب الأكبر من هذا الانخفاض. ومع ذلك تظهر مقارنة البلدان العربية بالبلدان النامية الأخرى، إن المجموعة الأولى كان يمكن أن تقدم أداء أفضل فيما يتعلق بدليل الفقر البشري بما لديها من مستوى الناتج المحلي الإجمالي ومستوى التنمية البشرية. فالإمارات العربية المتحدة على سبيل المثال تحتل المرتبة (31) على دليل التنمية البشرية، غير أنها تقل بثلاثة أضعاف عن هنغاريا في مجال الفقر البشري، علماً بأن الأخيرة تحتل المرتبة (38) على (دليل التنمية البشرية) ويصح ذلك على أكثر البلدان العربية الأخرى ما عدا الأردن وسورية ولبنان. ويعزى أداء البلدان العربية الضعيف نسبياً في هذا المجال مقارنة ببلدان أخرى في وضع مماثل على (دليل التنمية البشرية) إلى معدلات الأمية المرتفعة بين الفقراء.

جدول رقم (3) الفقر البشري وفق الدخل: البلدان النامية

نسب الأمية لدى البالغين (% من عمر 15 وأكثر)		
2005-1995	الترتيب حسب دليل التنمية البشرية	
	تنمية بشرية مرتفعة	
6.7	الكويت	33
11.0	قطر	35
11.3	الإمارات العربية المتحدة	39
13.5	البحرين	41
15.8	ليبيا	56
18.6	عمان	58
17.1	المملكة العربية السعودية	61
	تنمية بشرية متوسطة	
8.9	الأردن	86
	لبنان	88
25.7	تونس	91
30.1	الجزائر	104
7.6	الأراضي الفلسطينية المحتلة	106
19.2	الجمهورية العربية السورية	108
28.6	مصر	112
47.7	المغرب	126
	جزر القمر	134
48.8	موريتانيا	137
39.1	السودان	147
	جيبوتي	149
45.9	اليمن	153
	أخرى	
25.9	العراق	
	الصومال	

المصدر: برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية 2008/2007.

تم الإشارة في الجدول السابق للعلاقة بين الدور الذي يلعبه انخفاض مستوى دخل الفرد في التأثير على مستوى الفقر البشري فنجد أن الإحصائيات تدل على أن الفقراء لا يتمتعون بفرص تعليم وتطوير أكثر من الأغنياء لأن الفرد في الدول ذات الدخل المرتفعة بإمكانه الاستمرار والترقي في سلم العملية التعليمية وأيضاً يمكن الحصول على وسائل التكنولوجيا الحديثة بسهولة بعكس الفقير المعدم والذي غالباً ما يترك المدرسة هذا إن لحق بها من الأساس ويذهب للعمل في سن مبكر بحثاً عن لقمة العيش

جدول رقم (4) تكنولوجيا: الانتشار والابتكار

الأهداف الإنمائية للألفية مستخدمو الإنترنت (لكل 1000 نسمة)			
2005-1990		الترتيب حسب دليل التنمية البشرية	
36	0	ليبيا	5
88	0	الدول العربية	

المصدر: برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية 2008/2007.

من خلال قراءتنا للجدول السابق يتضح لنا مدى ضعف انتشار التكنولوجيا، ولعل الأرقام المبيّنة أعلاه تعطينا مؤشر واضح على هذا الضعف حيث بلغت النسبة في بلد مثل ليبيا، ومعظم دول الوطن العربي أقل من 10%، ويمكن إرجاع ذلك لعوامل سياسية تتعلق بأنظمة الحكم الدكتاتورية والتي تعمل على كبح حرية الرأي والحريات وعوامل اجتماعية وثقافية واقتصادية كالجهل والأمية والفقر، والتي من شأنها الحد من انتشار واستخدام وسائل الاتصال والتكنولوجيا.

جدول رقم (5) عدم المساواة بين الجنسين في التعليم

إمام البالغين بالقراءة والكتابة		الأهداف الإنمائية للألفية إمام الشباب بالقراءة والكتابة		صافي الالتحاق بالتعليم الابتدائي	
نسبة الإناث (%) البالغين من العمر 15 وأكثر	نسبة الإناث إلى الذكور	نسبة الإناث (%) البالغين من العمر 15-24	نسبة الإناث إلى الذكور	نسبة الإناث (%)	نسبة الإناث إلى الذكور
1995-2005	1995-2005	2005-1995	2005-1995	2005	2005
74.8	0.51	96.5	0.97	..	..
59.4	0.88	79.5	0.88	77	0.92

المصدر: برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية 2008/2007.

بالنظر للجدول أعلاه أن كثير من الدول العربية وليبيا خُطت خطوات في الاتجاه الإيجابي نحو تصحيح المسار ولو بخطوات بطيئة نحو تشجيع تعليم الإناث للالتحاق بالدراسة وبشكل خاص في دول الخليج وتونس والجزائر ولكن هناك بعض العوامل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي لا تزال تقف عائقاً أمام تعليم الإناث في دول مثل مصر والمغرب وموريتانيا وهذا ما أكدته جداول سابقة.

الخلاصة

بعد استعراض كل ما ورد في هذه الدراسة من آراء وقضايا تتعلق بمشكلة الأمية وبشكل خاص في العالم العربي يمكن لنا القول أن هناك مجموعة من الاستنتاجات التي يمكن الوقوف عليها وتحديدها في النقاط الآتية:

1. إن انتشار الأمية في المناطق العربية يشكل مشكلة كبيرة، وذات اتجاهات متعددة، لأنها تشمل الغالبية العظمى من السكان من جميع الفئات، ومن الجنسين ومن جميع المناطق، ولكن بتفاوت النسب بينها.
2. يوجد تمييز كبير على مستوى الجنس فأن اغلب التقارير، والأرقام تؤكد انتشار الأمية بين الإناث اكبر منها بين الذكور، وهذا يؤكد ثقافة التمييز، والعزل السائدة في المجتمعات العربية.
3. الدول الأكثر فقراً تسجل النسب الأكثر لمعدلات تواجد الأمية، وذلك بسبب عدم قدرة الأسر على نفقات أبنائها من ناحية وتسرب الأطفال للعمل، وترك الدراسة في سن مبكرة.
4. الأمية مشكلة متواترة في الكثير من الأحيان لا يبالي الوالدين للذان لم يتلقيا تعليماً بعدم ذهاب، أولادهم إلى المدرسة.
5. أصبح يشكل مفهوم الأمية مؤشراً مهماً من مؤشرات التقدم، والتخلف والرقى ورفاه المجتمعات.
6. لم يعد مفهوم الأمية يقتصر فقط على عدم معرفة القراءة والكتابة (الأمية الأبجدية) بل تعدى ذلك إلى أنواع أخرى كالأمية الحضارية، والمهنية، والالكترونية، والسياسية، والاقتصادية، وغيرها.
7. هناك ارتباط قوي بين زيادة نسبة الأمية، وانتشار الأمراض، وارتفاع معدلات الوفيات، فالشخص الأمي لا يعرف الكثير من الأمور التي تتعلق بالصحة العامة، وأساليب الوقاية والعلاج.

بعض الحلول المقترحة لعلاج المشكلة

1. العمل على وضع الخطط، وبذل أقصى الجهود للقضاء على مشكلة الأمية الأبجدية، والتي مازالت تنتشر على مستوى كبير جداً في العالم العربي عن طريق الاستعانة بالخبراء والاستفادة من تجارب الدول المتقدمة في هذه المجال.

2. إقامة تنمية مستدامة وتحقيق التغير، والتحول المرغوبين فيهما على كافة المجالات، والانتشار الأفقي للتعليم، والمعرفة في الريف والحضر سيخلص المجتمعات الغربية من مرض الجهل، والأمية.
3. فتح مراكز تعليم الكبار والراشدين ممن حرموا لأي ظروف كانت من فرص الالتحاق بالمدارس والتعليم وزيادة الوعي الديني والثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي وزيادة وعيهم بالمشاكل المحيطة بهم.
4. القضاء على الفقر، والبطالة، وعمالة الأطفال، ونشر الرفاهية الاجتماعية يؤدي حتماً للحد من انتشار ظاهرة الأمية.

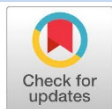
تتحدد حاجات التعليم بدرجة كبيرة بالعوامل الاجتماعية والبيئية، على الرغم من أن التحديث يميل إلى فرض نمط موحد. فالقرارات المتصلة بشكل ومحتوى ومدة التعليم أصبحت تمثل في الوقت الحاضر مسائل روتينية عند وضع السياسة التعليمية. وربما توضح النسب المئوية للأمية مقدار الجهد الذي ينبغي بذله للقضاء عليها. كذلك توضح النسب المئوية لعدد الأطفال الملتحقين بالمدارس الابتدائية إلى العدد الإجمالي للأطفال داخل فئتهم السنوية مقدار الجهد الذي ينبغي بذله لتحقيق استيعاب التعليم الابتدائي لكل الأطفال. وهذه المرحلة هي أقصى ما يمكن أن تقدمه بلدان نامية عديدة في مجال التعليم العام. ويمثل التعليم الثانوي والجامعي عنصراً مهماً فيما يتعلق باستمرار التطور التكنولوجي، وهما مجانيان في بعض بلدان المنطقة. وتدعو الحاجة إلى تحسين نوعية التعليم في كل المستويات¹⁵.

إن الإلمام بالقراءة والكتابة، ومراحل التعليم اللاحقة، يعززان إمكانية توفير الغذاء، والسكن، والخدمات الصحية، وبالتالي المستوى المعيشي بشكل عام؛ كما يؤديان إلى تعميق الوعي بنواحي القصور وإلى تعزيز فرص العمل. على أن الحاجة تدعو إلى المزيد من التكامل في مجال تعليم الكبار.

الهوامش

- (1) محمد أنور محروس، دراسات وقضايا في علم الاجتماع، المكتبة المصرية، الإسكندرية، 2004م، ص 93.
- (2) خالد خميس علي، "الأمية الحضرية والأبجدية في دول المغرب العربي"، مجلة الدراسات الاجتماعية، العدد الثاني، مركز الدراسات الاجتماعية، طرابلس، 2010م، ص 228ز
- (3) تقرير التنمية الإنسانية العربية. تحديات أمن الإنسان في البلدان العربية، المكتب الإقليمي للدول العربية، 2009 ص 116.
- (4) وفيق حلمي الآغا، "تخطيط لمشروع محو الأمية"، مجلة قاريونس العلمية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، العدد الثالث والرابع، 1996م، ص 19.
- (5) قدري حفني، "نحو مفهوم جديد للأمية بوصفها مشكلة حضارية، مجلة تعليم الجماهير، العدد التاسع، 1977م، ص 20-22.

-
- (6) عمر التومي الشيباني، التربية وقضايا والتنمية والتحديث في المجتمع العربي، الهيئة القومية للبحث العلمي، طرابلس، 1992م، ص22.
- (7) المرجع السابق نفسه، ص42.
- (8) فؤاد بسيوني متولي، مشكلة الأمية، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1998م، ص22.
- (9) المرجع السابق نفسه، ص22.
- (10) <http://www.aawsat.com/details.asp?Section=49&article=191357&gissuero=9048>
- (11) المرجع السابق نفسه.
- (12) الصحة وأمن الإنسان مقارنة جديدة، تقرير التنمية الإنسانية العربية، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، 2009م، ص145.
- (13) محمد علي محمد، الشباب العربي والتميز الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، 1985م، ص140.
- 14 حاجات الإنسان الأساسية في الوطن العربي "برنامج الأمم المتحدة، ترجمة: عبدالسلام رضوان، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1990، ص59.



نقد النقد بين الغزالي وكانط: مقدمة في تأسيس مقاربة جديدة

عبد ربه يوسف بوبريق^{*1}

قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة عمر المختار

Doi: <https://doi.org/10.54172/fa43f238>

المستخلص: في هذا المقال يقدم الباحث قراءة جديدة لدور العقل ومكانته عند كل من الغزالي وكانط، وذلك من خلال دراسة البنية الفكرية لدى كل من الرجلين والنسق الذي على منواله تسير منظومة فكريهما . يرى الباحث أن بنية الفكر ونسقه الذي على منواله تطورت أفكار كل منهما وشكلت نظرتهم إلى الكون و الإنسان والعقل والدين نجدها مختلفة تماما، فالغزالي الذي يلعب الدين الدور الرئيسي بنية افكاره ، جاء نقده انطلاقا بما يسلم به من حقائق الدين وبديهيته وعلومه وتعاليمه، بينما جاء نقد كانط، الذي انطلق من العقل من اجل تبرير التجربة العقلية دينا (كنقده لأدلة الفلاسفة العقلية في إثبات وجود الله مثلا ، وفي كشفه عن تناقضات العقل حينما يتعامل مع اللا مشروط)، نقدا للدين الذي قصر عن توفير البديهيات الكافية للعقل في معرفته.

الكلمات المفتاحية: الغزالي، كانط، البنية الفكرية، نقد

Critique of Criticism between Al-Ghazali and Kant: A Prelude to Establishing a New Approach

Abd Raba Yousef Boubriq

Department of Philosophy, Faculty of Arts, Omar Al-Mukhtar University

Abstract: In this article, the researcher provides a fresh perspective on the role and significance of reason in the philosophies of both Al-Ghazali and Kant. The study investigates the intellectual structures of each thinker and the framework guiding their thought systems. The researcher contends that the intellectual framework, which shaped the evolution of their ideas and framed their perspectives on the universe, humanity, reason, and religion, is fundamentally different. Al-Ghazali, where religion plays a central role in the structure of his ideas, critiqued it based on accepted truths, intuitive knowledge, sciences, and teachings of religion. In contrast, Kant, who embarked on the path of reason to justify intellectual experience religiously, (as in his criticism of the philosophers' rational evidence in proving the existence of God, and in his revelation of the contradictions of reason when dealing with the unconditional), critiqued religion for its failure to provide sufficient foundations for reason in knowledge.

Keywords: Al-Ghazali, Kant, intellectual structure, criticism

توطئة:

لقد تناولت العديد من البحوث والكتب فكر الغزالي وكانط ، لتأسيس مقاربات ما بين فكريهما تركز معظمها على دور العقل ومكانته ودوره لدى كلا المفكرين ، وحيث توافرت أواصر التشابه في تناول كل منهما لموضوع العقل خاصة في تعامله مع الماورائيات ، إلا أن معظم هذه البحوث والكتب ، إن لم تكن جلها ، قد اكتفت بالتشابه الظاهري ما بين تحليل وطرح كل من الغزالي وكانط لمشكلة العقل وحدوده ، وتعامله مع العلوم المختلفة وخاصة العلم الرياضي والعلم الطبيعي وما وراء الطبيعة ، وعن نقائضه وقصوره وحدوده التي لا يقدر على تجاوزها إلى غير ذلك ، ولكن لم تضع في اعتبارها ، كما يرى الباحث ، بنية الفكر لدى كل من الرجلين والنسق الذي على منواله تسير منظومة فكريهما .

حيث أن بنية الفكر التي على أساسها نمت أفكار الغزالي والتي يلعب الدين الدور الرئيسي فيها ومن ثم نسق الفكر الذي على منواله تطورت أفكار كل منهما وشكلت نظرتهم إلى الكون و الإنسان والعقل والدين نجدها مختلفة تماما ، فالغزالي الذي انطلق من الدين من أجل تبرير التجربة الدينية عقلا، جاء نقده انطلاقا بما يسلم به من حقائق الدين وبديهياته وعلومه وتعاليمه ، بينما جاء نقد كانط الذي انطلق من العقل من أجل تبرير التجربة العقلية دينا (وذلك في نقده لأدلة الفلاسفة العقلية في إثبات وجود الله مثلا ، وفي كشفه عن تناقضات العقل حينما يتعامل مع اللامشروط) بخلاف الغزالي نقدا للدين الذي قصر عن توفير البديهيات الكافية للعقل في معرفته .

لهذا(كما جاء في الدين في: حدود العقل الخالص . ونقد العقل العملي وتأسيس ميتافيزيقا الأخلاق) كان يهدف إلى إحلال الأخلاق محل العقل لتبرير الإيمان الديني . لهذا كله يجد الباحث نفسه مختلفا مع العديد من البحوث القيمة التي أعادت النباش في دور العقل عند الغزالي وكانط دون اهتداء أو استرشاد بهذين العاملين (البنية . النسق) وأشير هنا إلى العمل الممتاز الذي قدمه الدكتور عبد الله الفلاحي (العقل بين الغزالي وكانط) والذي اختلف معه الباحث في الرأي لهذا عنوان ورقته هذه والتي يقدمها هنا كمقدمة لتأسيس مقاربه جديدة بين الغزالي وكانط بأسم (نقد النقد بين الغزالي وكانط) على أساس من قراءة جديدة لدور العقل ومكانته عند كليهما.

لم يكن التفلسف يوما ترفا ذهنياً أو متعةً عقليةً يمارسها العقل من أجل إشباع نزعة زائدة فيه ، كما لم يكن إقحاما للعقل في قضايا غير ذات علاقة بمشاغل الذات وهمومها ؛ بل كان التفلسف دوما معاناة ومكابدة يواجهها المفكر من أجل جلاء مرآة العقل البشري الذي أرهقه التساؤل و الاستقصاء منذ أن دب دبيب البشر على أديم هذه المعمورة.

لهذا فإن التفلسف في حد ذاته هو (نقد) إزاء ما يصعب على عقل البشر فتح مغاليقه واستكناه كنهه ، ولكن ما أن يفوز العقل بهذا وتتجلي حقيقة ما أشكل عليه تتم المواجهة الأكثر تعقيدا ورهقا ، ألا وهي مواجهة العقل لذاته ، وهنا يبدأ (النقد) الحقيقي وهذا هو (نقد النقد) أي نقد العقل لنفسه ، ومن هنا ينتقل النقد من محض التفلسف إلى نقد قدرات العقل الذاتية وأمكاناته وحدوده ومعارفه .

لهذا كله كان للفلسفة النصيب الأكبر في هذا النقد ذلك أن الفلسفة هي طفل العقل المدلل وهي ثمرته ، إلا أن ذلك لم يكن ليتم بمناهج أرثوذكسية تقليدية ؛ بل تطلب الأمر التعالي على ما هو متبع ، واستشراف يكون العقل فيه محض أداة وليس هدفا ، وهذا هو ذات ما يجمع ما بين فلسفتي كل من الإمام الغزالي وعمانويل كانط اللتين تعالتا فوق العقل وأحكامه تحقيقا لنقد النقد الذي جعل في فلسفتيهما مرحلتين محوريتين للفكر الغربي مع كانط وللفكر الإسلامي مع الغزالي.

فإذا كان كانط هو من أسس الاستشراف و التعالي المعرفي في الفكر الفلسفي الغربي الحديث بتحقيق الحياد النقدي ما بين العقلانية القطعية والأمبيريقية الشكية في الغرب ، فإن الغزالي لم يكن يقل عنه في مطاردة العقل لكسر شوكة القطعية والأمبيريقية في الفكر الإسلامي وهو النبش في العقل الذي أثمر ذلك الفصل ما بين العلة والمعلول ، فإن أعمال الإمام الغزالي وفي مقدمتها (تهافت الفلاسفة) لم تكن نقدا للفلاسفة بقدر ما كانت نقدا لفلسفة العقل ، إنه " نقد العقل الخالص " ولكن كتب بلغة ذلك العصر وتناول مشكلاته المميزة ، فان نقد كانط لأدلة الفلاسفة في إثبات وجود الله حيث رفض كانط الدليل الأنطولوجي والكوني والفيزيقي اللاهوتي في نقد العقل الخالص⁽¹⁾ ولم يعترف إلا ببرهانه الوحيد وهو مأخوذ من البرهان الأنطولوجي ولكنه بدلا من أن يجعل الإمكانية في التصور يجعلها في الأشياء وهو الدليل القديم المعروف عند القديس أوغسطين والقديس توما الأكويني وفي العصر الحديث عند مالبرانش وفلنون وبوسوية ولينز والذي انتهى به إلى عبارة زين بها رسالته " الدين في حدود العقل الخالص " بأنه من الضروري أن يتعمق الإنسان في وجود الله ولكنه ليس من الضروري البرهنة على وجود الله⁽²⁾.

قد سبقته تجربة الغزالي في جداله لتلك المسائل الأربعة عشر التي قال بها الفلاسفة حول قدم العالم وعلم الله بالجزئيات والميعاد وغيرها من تلك المسائل التي نحى فيها الفلاسفة منحى عقليا صرفا ممهدا، أي الإمام الغزالي، لمنهج الاستشراف القائم على التعالي على العقل وتوضيح حدوده التي لا يقوى على تجاوزها.

لهذا فإن الباحث يختلف عن طرح الدكتور الفلاح في طرح المقاربة هنا ما بين كانط والإمام الغزالي فيما يتعلق بنقد كليهما لأدلة العقل على موضوعات العالم النومي بالمصطلح الكانطي في النفس وإثبات وجود الله⁽³⁾ فكثيرا ما تجرفنا المقارنات نحو نتائج احسب أن فيها

الكثير من التسرع أو التشابه الظاهري ففي رأي الباحث أن لب المسألة مختلف عند الإمام الغزالي فيما يتعلق بتعامل العقل مع موضوعات هذا العالم .

لقد وضع كانط شروطا يتعامل من خلالها العقل مع العلوم والتي تتلخص في قيام العقل بنشاط تركيبى (4) في مقولات هذا العلم أو ذاك، يؤهله في وضع هذا العلم في إطار من الفهم حتى يغدو علماً، ومن ثم بين كانط ، كما أسلف الباحث من قبل ، مقدرة العقل على التعامل انطلاقاً من هذا الشرط المعرفي مع موضوعات العلم الرياضي والطبيعي (5) على أساس أن الزمان والمكان وكذلك المقولات زكانات أو حدوسات ذهنية وصور تخطيطية لا علاقة لها بالخبرة ، أما فيما يتعلق بما وراء الطبيعة، وهي موضوع المقاربة هنا، فإنها تفتقد لهذه الشروط القائمة كلها على " البديهية " ومن ثم لا يمكن أن تؤسس علماً (6) لهذا نقد كانط تعامل العقل معها ، بينما الأمر عند الإمام الغزالي ينطلق من عكس هذا ، فهو يرى أنها " بديهية " فإن وجود خالق أمر قائم عند المسلم على الفطرة ، والفطرة تلك التي عثر عليها كانط في الأخلاق (7) حيث يكون العقل هنا مرادفاً للإرادة ، وهي كذلك أيضاً عند الإمام الغزالي فهي " الفطرة الغريزية والنور الأصلي الذي يدرك به الإنسان حقائق الأشياء " (8) فلقد انطلق الغزالي من فهم ديني لدور العقل قام على أمر نصي ينهى عن خوض العقل فيما يتجاوزه ، إذ أنه يتجاوز حدود العقل الذي يقصر عن هذا المجال ومن ثم لا يهدي بمفرده إلى الصواب كيف يهتدي إلى الصواب من اقتضى محض العقل من حيث يعتريه العي والحصر ؟ أو لا يعلم أن العقل قاصر وأن مجاله منحصر (9)

بينما كانط الذي وضع شرطاً جوهرياً لصحة العلم وصواب المعرفة أن يكونا مأخوذتين من التجربة (الخبرة) كما يطلق عليها في كتابه (نقد العقل المجرد) بدءاً من مقدمته "...ويتوجب ألا يلام العقل البشري فهو يبدأ بمبادئ يجب أن تتبع أو تنتابع في سياق الخبرة ، مبادئ تقرأها الخبرة إقراراً كافياً ووفقاً لضرورات طبيعية " (10)

عالم الخبرة هذا هو العالم الحسي الذي اتخذته كانط معياراً لصدق المعرفة ، ثم يأتي بعد ذلك دور العقل عن طريق ملكة الفهم بوصفها الملكة غير الحسية للمعرفة ولكن " لما كنا لا نستطيع أن نملك أية زكانة بدون الحساسية ، لذلك فإنه من الواضح أن الفهم ليس ملكة للزكانة، وعلى كل حال فإنه لا يوجد ما عدا الزكانة أي نوع آخر من المعرفة إلا بواسطة المعاني العامة ، لذلك يجب أن تكون المعرفة لكل فهم أو على الأقل للفهم البشري ثمرة المعاني العامة لا الحدسية بل الاستطردادية " (11)

من ثم فإن حدود العقل التي ينبغي ألا يتجاوزها عند كانط هي الخبرة أو التجربة ، بينما حدودها مع الإمام الغزالي هي الشرع الذي نسعى ألا يتناقض معه ، كما أن مقياس صحة العلوم التي حصرها الغزالي في ثلاثة أقسام :

1. عقلية محضة : مثل المنطق والحساب والهندسة والطب .
2. نقلية محضة : مثل الحديث والتفسير وليس فيها مجال للعقل .
3. وقسم يجمع فيه ما بين العقل والسمع مثل علم أصول الدين ، يظهر فيها إعجاب الغزالي بالرياضيات و العلوم الطبيعية ليس انطلاقا من الطرح الذي قال به كانط والذي على أساسه يرى كانط لهذين العلمين فيهما من البديهيات ما يحد من حركة العقل ويجعله مقيدا بها⁽¹²⁾ بل انطلاقا من الشرع والحقائق الدينية ، فيظهر بينا اختلاف الباحث مع أسس المقارنة التي أسسها الدكتور الفلاحي⁽¹³⁾ فان الرياضيات عند الإمام الغزالي (أمور برهانية لا سبيل إلى مجاهدتها) ولا يرى فيها خطرا ، إذ أن ليس فيها " ما ينبغي أن يُنكر ...ولا غبار عليها والدين لا ينكرها "⁽¹⁴⁾

وإذا كان كانط قد ربط ما بين صحة هذين العلمين واستبعاد الميتافيزيقا من دائرة العلم ذلك لأن العقل يكون بمقدوره القيام بنشاطه الأولي القبلي مع مكونات هذين العلمين ، فالزمان والمكان مكونا العلم الرياضي و المقولات مكونة العلم الطبيعي إنما هي حدوسات ذهنية صرفة لا علاقة لها بالواقع⁽¹⁵⁾ بينما هذه المقولات الثلاثة ، وكما يشير الفلاحي ، "تصورات يخلقها الله في عقولنا " ⁽¹⁶⁾ ولكنها ليست من خلق العقل ذاته ، يستوي الأمر معها مع ما وراء الطبيعة ، فعند الغزالي لا يتم استبعاد الميتافيزيقا من دائرة العقل (كما هو الأمر مع كانط) بل استبعاد العقل من دائرة اليقينيات والدخول في دائرة الوحي والإيمان وهي الثنائية التي رضي عنها مفكرا وضعيا مثل زكي نجيب محمود " لماذا لا يكون للمعرفة نطاقان لكل منهما وسيلته الخاصة ؟ فإذا كان الأمر أمر الحقيقة المطلقة جاءت المعرفة عن طريق ، وإذا كان الأمر يتعلق بأمور الطبيعة جاءت المعرفة من جهة أخرى ، ولا يجوز لأي من النظامين أن يزاحم الآخر في وسائله " ⁽¹⁷⁾

وهي الثنائية التي ترتبط بوجود علة حرة وأخرى طبيعية حيث يتفق الباحث مع ما جاء في كتاب الفلاحي من أن " كانط قد ميز هنا . مثل الغزالي . بين الفاعل بالطبع والفاعل بالإرادة ، والفاعل بالطبع منسوب إلى قوانين الطبيعة والفاعل بالإرادة منسوب إلى العلة الحرة التي هي الله بوصفها الشرط الدائم لكل الأفعال الإرادية " ⁽¹⁸⁾

هذا يجزئنا بدوره إلى الحديث عن موضوع العلية انطلاقا مما أسلفنا حول (البنية والنسق) كركنين لما وراء النقد عند كل من الغزالي وكانط ، فالغزالي من ناحيته مدفوعا بهذين العاملين ينطلق من أن الخالق جل شأنه قد سلب الأشياء فاعليتها فإنه " بعد انقطاع الوحي أظهر الله سبحانه خطابا لخلقه بأمور محسوسة نصبها أسبابا لأحكامه وجعلها موجبة ومقتضية للأحكام على مثال اقتضاء العلة الحسية معلولها " ⁽¹⁹⁾

ومن هنا يتكشف لنا سبب الاختلاف بين كانط و الإمام الغزالي في موضوع العلية فإذا كانت العلة مرتبطة ارتباطا ضروريا عند كانط مع معلولها أتى ذلك لإيمان كانط بأن العلية هي

مقولة عقلية ذهنية قبلية صرفة، وهي عند الإمام الغزالي مقولة بيد الخالق الذي يملك أن ينهي التسلسل ما بين العلة و المعلوم فيها " الاقتران بين ما يعتقد في العادة سببا وما يُعتقد مسببا ليس ضروريا عندنا بل كل شيئين ليس هذا ذاك ولا ذاك هذا ... أما هذا الاقتران فيعود إلى ما سبق من تقدير الله لخلقها على التساوي لا لكونه ضروريا في نفسه بل في مقدور الله أن يخلق الشبع بدون الأكل وأن يخلق الموت دون قطع الرقبة وهلم جرا " (20) وهذا ما اعتبره ابن رشد في رده على الغزالي معاندة سفسطائية لإبطال أدلة الفلاسفة وإبطالا للعلم (21)

صحيح أن الغزالي قد قال بنفي الاقتران بين العلة والمعلوم سابقا به ديفيد هيوم (22) من أجل تحرير الوجود من الغائية ونفي حق العقل أن يكون معيارا للكون حيث يكون الاعتقاد والعادة أساس العلم وليس الضرورة ، إلا أنهما يختلفان في الهدف ، فديفيد هيوم حسي تجريبي يهدف إلى إعلاء شأن التجربة على العقل الذي لا يملك عنده إلا وظيفة ثانوية في الكشف عن العلاقات الحسية بين الأشياء (23) بينما الغزالي روحاني يرى أن للعقل مهمة أساسية وجوهرية شريطة ألا تتخطى الإلهيات ، وهذا هو لب المقاربة بين الغزالي وكانط حول مقولة العلية التي سببت ذلك الفراق ما بين كانط وديفيد هيوم قبل أن تكون العلية عنده، وانطلاقا من تأثره بديفيد هيوم، رابطة (ذات طابع خاص يخرج بها من نطاق المنطق ومبدأ التطابق وذلك مادام أننا نتصور في العلية أنها مجرد وجود شيء ما من شأنه أن يترتب عليه وجود شيء آخر) (24)

كما نجد من ناحية أخرى اختلافا حول نفس المقولة بين الإمام الغزالي وديفيد هيوم انطلاقا مما سبق أن ذكرناه حول (البنية والنسق) فالإمام الغزالي لم يبلغ تماما هذا الارتباط الضروري كرابط عقلي بين العلة والمعلوم ، ففي حديثه في (الاقتصاد في الاعتقاد) يبين أن هذه العلاقة الضرورية توجد ما بين شيئين " احدهما: أن تكون العلاقة متكافئة كالعلاقة بين اليمين والشمال والفوق والتحت ... والثاني : أن لا يكون على التكافؤ لكن لأحدهما رتبة التقدم كالشرط مع المشروط ... الثالث : العلاقة التي بين العلة والمعلوم ، فيلزم في تقدير عدم العلة عدم المعلوم إن لم يكن للمعلوم إلا علة واحدة " (25)

وبذا يقف الغزالي ، في رأينا ، في منتصف الطريق ما بين ديفيد هيوم والأمبريقي الشاك وكانط المثالي النقدي ، حول تأكيد أو نفي ذلك الرابط العقلي الضروري ما بين العلة ومعلولها ، والمعلوم وعقله ، ليكون موقف الغزالي أكثر استشرافا في تقييد العقل وتعامله مع العالم الطبيعي من المشروع الكانطي .

إنه مهما تباينت السبل واختلفت المؤثرات يظل النقد هو الخيط الجامع والمفتاح الرئيسي لفهم اقتراب كل من الإمام الغزالي وعمانويل كانط من مسائل العقل حيث أخضعه كليهما لتلك الاستقصاءات القاسية المدققة والساخرة في كثير من الأحيان لكسر جمود التقليد المعرفي

والتعالي على مناهج المعرفة العقلية التقليدية ، وهذا ما يكشف عنه نصين قدم بهما كل من الغزالي وكانط عليهما (المنقذ من الضلال) و (نقد العقل الخالص) .

يقول الإمام الغزالي : " وقد كان التعطش إلى إدراك حقائق الأمور دأبي وديني من أول أمري وريعان عمري غريزة وفطرة من الله وضعتا في جبلتي لا باختياري وحيلتي حتى انحلت عني رابطة التقليد وانكسرت على العقائد الموروثة " (26) وهي ذاتها الروح التي يكشف عنها نص كانط الذي قدم به " نقد العقل الخالص " وكانت في الأصل خطاب إلى البارون فون تزيدلتس وزير الدولة الملكي في 29 آذار 1781 م " وأن أي أمرئ يغتبط بحياة تأملية يجد برغائب معتدلة استحسان قاض رئيس مستشار ، حافظا قويا على الدراسات التي تكون عظيمة النتائج لكنها بعيدة المنال عزيزة المجال لذلك تتجاهلها العيون الخسيسة تجاهلا كليا " (27)

ولكن إذا كان النقد الحقيقي هو الذي يدفع بصاحبه إلى قمة الاستشراق المعرفي و لا يكون فريسة لما ينقد ، فهل حقا كان الغزالي ومن بعده كانط قد وقعا في منزلق التفلسف بعد أن سئما العقل ؟ فكانط الذي توجه بالنقد لكل من التيار العقلاني القطعي خاصة مع ديكرت ، والتجريبي الشكي خاصة مع ديفيد هيوم ، قد تفلسف وهو بصدد نقد الفلسفة وهدف بعد نقد العقل المجرد ونقد العقل العملي ونقد ملكة الحكم إلى تأسيس الميتافيزيقا وجعلها علما في المستقبل .

وقد كان هو نفس الحكم الذي انطبق من قبل على فكر الغزالي الذي وهو بصدد نقد الفلسفة وعلم الكلام تفلسف وتكلم، يقول تلميذه أبوبكر بن العربي: " شيخنا أبو حامد الغزالي دخل في بطون الفلاسفة ثم أراد أن يخرج منها فما قدر " (28)

ويشير بدوي إلى ثلاثة من أهم كتب الإمام الغزالي التي يظهر فيها تأثره بالفلسفة اليونانية وهي تهافت الفلاسفة التي كان متأثرا فيها برد يحي النحوي على حجج برقلس في قدم العالم ، وفي إحياء علوم الدين تأثر برسالة هرمس المسماة معادلة النفس في الحقل الخاص بتوضيح النفس ومعانيها ، وفي مشكاة الأنوار تأثر بتساقيات أفلوطين (29)

إلا أن نفس هذا التوجه هو ما يعني به الباحث (نقد النقد) إي الالتزام باستعمال الفلسفة كأداة نقد ضد الفلسفة نفسها ، لهذا تكلم كلاهما بلغة الفلسفة ولكنها كانت الفلسفة الناقدة لذاتها وهو ما يتجسد في نقد الإمام الغزالي للفلاسفة خاصة في تهافت الفلاسفة ، وإلجام العوام عن الخوض في علم الكلام والاقتصاد في الاعتقاد ، ثم كانط ونقده للقطعية العقلانية والتجريبية الشكية في نقد العقل الخالص ونقد العقل العملي ، لهذا أيضا جاء موقف كليهما مشابها للآخر مع اختلاف المصطلحات والمفاهيم والخلفيات الدينية والزمانية فيما يتعلق بالعلوم المتعددة من رياضية وطبيعية ولاهوتية فإن ما لا يتعارض عند الإمام الغزالي مع أصل من أصول الدين كما هو الحال في المنطق والرياضيات (المنطق المتسامي بلغة كانط) هي أمور برهانية لا سبيل إلى مجاهدتها ولا يتعلقان بالدين نفيا أو إثباتا ، وبعض الطبيعيات (التحليل المتسامي عند كانط

(" إذا كانت بحثا في عالم السماوات وكواكبها وما تحته من الأجسام المفردة كالماء و التراب والهواء والنار ، وعن الأجسام المركبة كالحیوان والنبات والمعادن ، وعن أسباب تغيرها واستحالتها ، كذلك الطب كبحث عن جسم الإنسان و أعضائه الرئيسية فليس في شرط الدين إنكار هذا العلم إلا إذا تعارض مع ما جاء في الدين من مقدرة الله " (30)

هذه الشروط التي نصبها النص الغزالي الواجب توافرها ليكون العلم الطبيعي صالحا تقابل تلك (المقولات) من حيث الكم والكيف والعلاقة والجهة التي جعل منها كانط صورا بديهية عقلية في التحليل المتعالي مع الفارق أن كانط جعل من البداهة ومقدرة العقل على ممارسة نشاطه التركيبي الأولي السابق للتجربة عليها مرجعيته ، بينما مرجعية الغزالي هنا لم تكن منطقية بل مرجعية دينية يحكمها منطق الدين والقدرة الإلهية ، ولكن المنهج يظل واحدا .

وهذا ينطبق على الحساب والفلک فهذه علوم " حقيقية لا شك في صحة براهينها وفضل استنتاجاتها ولكن من الخطل إقامة العلم على الاعتقاد ، كما لا يجوز حصر الدين ضمن أحكام العقل وبراهين المنطق ، إذ لكل من الناحيتين مصدر خاص ، فأما العلم فانه يستند إلى العقل ، وأما الدين فينبعث من القلب " (31) فغاية الغزالي كانت نحو تدين الفلسفة ليجعلها تابعا للدين لا متبوعا به ، بينما كانط كان يرمي إلى الوصول إلى دين فلسفي ، أي توظيف الدين لخدمة العقل ، ويعبر عن هذا أميل بوترو بقوله " كانط لم يكن يقصد هدم العقيدة الكنسية هدمًا تامًا فهي يمكن دائمًا أن تكون نافعة من حيث هي أداة لعقيدة عقلية " (32) وهنا نستشهد بما قاله عبد الرحمن بدوي الذي يرى أن الغزالي " قد قال بالحجة المشهورة التي قال بها من قبله كل من فيلون اليهودي وأوغسطين المسيحي وهي أن الفلسفة اليونانية مأخوذة من صحف إبراهيم وموسى ، تعلمها حكماء اليونان من صحف إبراهيم وموسى وأعطوها أسماء أخرى ، ويعتبر الغزالي أول فيلسوف مسلم يقول بهذا الرأي " (33)

هذا يتفق مع منهج الغزالي في تقريب الفلسفة لعقول العامة من خلال استبدال بعض الألفاظ الفلسفية بألفاظ ذات صبغة دينية وهو ما فعله في كتابه (القسطاس المستقيم) حيث استبدل أسماء القياس المنطقي المعروفة في المنطق بأشكال القياس الأربعة واستبدالها بأسماء قال أنه قد أخذها من القرآن الكريم مستعملًا منهج الفلسفة دون أن يتورط في فلسفة بعينها "لهذا نجد أبا حامد في مناظرته للفلاسفة إنما يبطل طريقتهم ولا يثبت طريقة معينة ؛ بل هو كما قال ننظرهم بكلام الأشعري تارة ، وتارة بكلام المعتزلة ، وتارة بكلام الكرامية وتارة بطريقة الواقفة " (34)

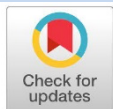
مما يؤكد على ما بنينا عليه في هذه الورقة حول أثر (بنية الفكر) لدى كل من الإمام الغزالي و كانط و (نسق) فكريهما في التمييز ما بين التجريبتين الفلسفتين لدى كل من الغزالي وكانط ويجعل ، من ثم ، من السمات المشتركة لفلسفتيهما النقديتين صفات عارضة لأسس بنائية

في فلسفتيهما تظل هي فيصل التفرقة ما بين فكر أقام العقل على الدين وآخر يريد تأسيس الدين على العقل مع عمانويل كانط .

هوامش البحث:

- ¹ .أنظر : حسن حنفي : في الفكر العربي المعاصر . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط4 ، 1990 ، ص ص 221 ، 222 .
- ² . أنظر كانط : نقد العقل المجرد . ترجمة احمد الشيباني ، دار اليقظة العربية ، بيروت ، ص 652 (في استحالة البرهان الأنطولوجي على وجود الله) المبحث الرابع ، ص 663 (في استحالة البرهان العالمي على وجود الله) المبحث الخامس ، ص 680 (في استحالة البرهان اللاهوتي على وجود الله) المبحث السادس .
- ³ . انظر الفلاحي : العقل بين الغزالي وكانط . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2003 ، ص ص 348 ، 383 .
- ⁴ . كانط : نقد العقل المجرد . مرجع سابق ، ص ص 53 ، 60 .
- ⁵ . المرجع السابق . ص ص 65 ، 85 .
- ⁶ . المرجع السابق . ص 345 وما بعدها .
- ⁷ . موضوعات تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق / ومقدمة لكل ميتافيزيقا مستقبلية ، هي حول إيجاد تلك الشروط القبلية الأولية السابقة على التجربة في مجال الأخلاق .
- ⁸ . الغزالي : إحياء علوم الدين . ج 1 ، مطابع مؤسسة دار الشعب ، القاهرة ، ص 145 .
- ⁹ . الغزالي : الاقتصاد في الاعتقاد . ط 2 ، مكتبة الانجلو المصرية ، 1980 ، ص 4 .
- ¹⁰ . كانط : نقد العقل المجرد . مرجع سابق ، ص 33 ، وأنظر : أميل بوترو : فلسفة كانط . ترجمة عثمان أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1972 ، ص ص 127 ، 134 .
- ¹¹ . كانط : نقد العقل المجرد . مرجع سابق ، ص 118 .
- ¹² . كانط : المرجع السابق ، ص 115 وما بعدها .
- ¹³ . الفلاحي ، د عبد الله محمد : مرجع سابق ، ص 104 وما بعدها .
- ¹⁴ . أنظر : الغزالي ، مقاصد الفلاسفة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1983 ، ص 350 ، والمنقذ من الضلال . تحقيق جميل صليبا وكامل عياد ، ط 5 ، دار الأندلس ، 1982 ، ص ص 104 ، 106 .
- ¹⁵ . أنظر : كانط ، نقد العقل المجرد ، مرجع سابق ص 65 ، 78 ، 127 .
- ¹⁶ . الفلاحي : العقل بين كانط والغزالي ، مرجع سابق ، ص 320 .
- ¹⁷ . محمود، د. زكي نجيب : تجديد الفكر العربي . تجديد الفكر العربي . ط 9 ، دار الشروق ، القاهرة ، 1993 ص 253 ، 283 ، وأيضاً المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري . ط 5 ، دار الشروق القاهرة ، 1993 ص 7 .
- ¹⁸ . الفلاحي : العقل بين كانط والغزالي . مرجع سابق ، ص 336 .
- ¹⁹ . الغزالي : المستصفى . دار الكتب العلمية بيروت ، 1996 ، ص 74 .

- 20 . الغزالي : تهافت الفلاسفة. تحقيق سليمان دنيا ،دار المعارف ، مصر، 1972 ، ص 239 وأنظر أيضا للغزالي كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ، مرجع سابق ، ص ص 139 ، 140 .
- 21 . أنظر لابن رشد : تهافت التهافت . المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1930 ، ص 919 .
- 22 . أنظر ارنست رينان : ابن رشد والرشدية ، ترجمة عادل زعيتير ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1957 ، ص 112 . وأنظر زكي نجيب محمود: نحو فلسفة علمية ، ط2، مكتبة الانجلو المصرية ، 1980، ص 282 ، وكذلك المعقول واللامعقول ، ط 5 ، دار الشروق ، القاهرة ، 1993 .
- 23 . الشيباني ، احمد : من مقدمته على ترجمته لنقد العقل المجرد ، ص 20 .
- 24 . انظر : أميل بوترو : فلسفة كانط . ترجمة د عثمان أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ، 1972 ، ص ص 111 ، 118 .
- 25 . الغزالي : الاقتصاد في الاعتقاد . مرجع سابق ، ص ص 139 ، 140 .
- 26 . الغزالي : المنقذ من الضلال . مرجع سابق ، ص 81 .
- 27 . كانط : نقد العقل المجرد . مرجع سابق ، المقدمة .
- 28 . ابن تيمية : موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول . تحقيق محمد محي الدين ومحمد الفقي . ج 2 ، ط2، مطبعة السنة المحمدية ، 1951 ، ص 2 .
- 29 . بدوي ، د عبد الرحمن : الغزالي مصادره اليونانية . ص ص 236 ، 237 . وأنظر النشار، علي سامي : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام . ج 1 ، ط 8 ، دار المعارف، الإسكندرية ، ص 179 ، حول رأي آسين بلاسيوس في أن تهافت الفلاسفة للإمام الغزالي لم يكن إلا ترديدا لآراء سكتوس أمبيريقوس ، و البيهقي أنه نفس الكتاب مستمد من كتاب يحي النحوي .
- 30 . أنظر : المنقذ من الضلال . ص ص 105 ، 106 .
- 31 . أنظر : الغزالي ، المنقذ من الضلال . مرجع سابق ، ص ص 100 ، 109 . ومقاصد الفلاسفة ، مرجع سابق ، ص 32 ، ص 51 .
- 32 . أميل بوترو : فلسفة كانط . مرجع سابق ، الفصل العاشر ، ص 380 .
- 33 . عبد الرحمن بدوي : الغزالي ومصادره اليونانية . مرجع سابق ، ص 236 .
- 34 . ابن تيمية : موافقة صحيح المنقول بصريح المعقول . ج 1 ، ص 94 .



وحدة الشهود وأفق التوحيد في الحب الصوفي، ابن عربي نموذجاً

آمال عامر^{*}

Doi: <https://doi.org/10.54172/aaydjs17>

المستخلص: يقدم هذا البحث مفهوماً للحب في معناه الصوفي، وفي بعده الروحي، ليكشف عن حالة من التحرر للنفس من عبودية الأنانية والشهوات، فيتحقق لها السمو والإرتقاء. وقد توخى الباحث تقديم هذه القراءة "للحب الصوفي"، من خلال السياق الصوفي، وفي إطار التجربة الصوفية، بما تتطوي عليه من روحانية، ليصل إلى المعاني الحقيقية لهذا اللون من الحب، الذي تجلت فيه إرادة السمو والإرتقاء لتلك الروح المتطلعة إلى مواطن القرب عبر مقامات حب التعظيم والإجلال لله تعالى.

الكلمات المفتاحية: التصوف، الحب، الروحانية، التعبد

The unity of witnesses and the horizon of monotheism in Sufi love: Ibn Arabi as a Model

Amal Amer

Abstract: This research presents a concept of love in its Sufi sense and spiritual dimension, aiming to unveil a state of liberation for the soul from the bondage of selfishness and desires, allowing it to attain elevation and spiritual ascent. The researcher seeks to offer this interpretation of "Sufi love" within the Sufi context and the framework of the Sufi experience, with its inherent spirituality. This approach leads to the genuine meanings of this type of love, wherein the will for elevation and ascent is manifested in the aspirations of the soul, seeking proximity to God through the stations of adoration and reverence.

Keywords: Sufism, love, spirituality, devotion

مقدمة:-

أسس الصوفية رؤيتهم للتوحيد من خلال تجربتهم الصوفية الذوقية، وتطلعوا إلى توحيد ينطوي على خصوصية تعكس تجربتهم الروحية وله ثمرته الخاصة؛ ومن هنا قسموا التوحيد إلى: توحيد عامة وتوحيد خاصة، ذلك لأن الخاصة لا يقفون عند حدود ما يقف عنده العامة، فكانت ثمرة توحيد الخاصة "الصوفية" هي فقد الإنسان لنفسه كدرجة من درجات الفناء؛ لأنهم يستشعرون أنهم في معية الله تعالى "كمحبوب".

فتوحيد الصوفية قائم على التنزيه والتجريد لكنهم أضافوا إليه مفهوما للتوحيد له طابعه الذوقي فهو توحيد ناتج عن إدراك لما يتجلى في قلب الصوفي المحب في حال استغراقه وفنائه عن كل ماسوا بالحق؛ تجلى فيه شعور غامر بالإرادة الإلهية النافذة في كل شئ. والقدرة والفعل الإلهي المتجلي أثره في الوجود.

فكان توحيد الصوفية هو توحيد المعرفة القلبية والشهود أو "توحيد القلب"، وأعطى الصوفية من خلال تجربتهم في "الحب الصوفي" مضمونا روحيا للتوحيد عكس رؤيتهم حيث لم يروا ويشهدوا قلبيا إلا حقيقة وجودية واحدة؛ وإن ظهر الوجود متعددًا لحواسنا من خلال الموجودات الخارجية؛ غير أنه يظل حقيقة واحدة في جوهره.

ويشير الخراز إلى معنى التوحيد الشهودي أو "عين التوحيد" كما يسميه الصوفية بأنه. أول مقام لمن وجد التوحيد، فتحقق فناء ذكر الأشياء عن قلبه وانفراده بالله تعالى¹. ومن هنا تطور المفهوم الصوفي للتوحيد القائم على التنزيه لله تعالى في "لا إله إلا الله" فعكست حال التوحيد الشهودي القلبي "لا فاعل ولا مريد على الحقيقة إلا الله" وبالتالي "لا مشهود على الحقيقة إلا الله". ومع تجربة ابن عربي التي تمثل فيها مضمون النفي من "شهود السوي" إلى النفي "لوجود السوي" فعكست رؤيته في وحدة الوجود وأنه "لا موجود على الحقيقة إلا الله".

وكان هذا التطور لمفهوم التوحيد كثمرة للحب الصوفي في تجربة الصوفية الذوقية المفعمة بمعاني الارتقاء الروحي، والتسامي للوجود الإنساني المحدود إلى أفق الوجود المطلق اللامحدود.

الحب: لغة وإصطلاح:-

تتعدد دلالات مفردة الحب بحسب الإستعمال فهي من:

- حباب الماء التي تطفو كفقاقيع وكأنها الموج.
- ومن: "الحب" بالكسروهي الخابية أوجرة الماء.
- ومن: أحبالبعير، إذا بركَ أو أشرف على الموت.
- ومن: أحبالزرع، أي صار ذا حب، ومفرده: حبة.
- ومن: الحباب أي الندى.
- ومن: التحبب: أول الري بعد العطش.
- ومن: حبة القلب: سويداؤه ووسطه. 2

وبالنظر إلى كل الدلالات التي تحملها هذه المفردة يتضح تضمناها لمعاني الجمال. ويعرف الغزالي الحُب بأنه: ميل الطبع إلى الشئ المُلذ، فإن قوي ذلك الميل وتأكَّد سُمي عشقاً. 3

الحُب في الخطاب القرآني:-

يُقدِّم القرآن الكريم مفهوماً للحُب متميزاً في عمقه وفي بعده الروحاني، متجاوزاً المفاهيم الفكرية في ثقافة ذلك العصر؛ ليُرسخ لمفهوم جديد للحب ينطوي على معاني التوحيد وعُمق الروحانية، ليرتقي بالإنسان عبر أفق لامتناه من العطاءات الرحمانية؛ ويجعل من هذا اللون من "الحب" الأعلى والأكمل.

فحب المادة والشهوات يأتي في مرتبة دُنيا في الخطاب القرآني: "كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة القيامة 20-21"، "رُئِنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ آل عمران 14".

وحب القوة والنصر كامنٌ في فطرة الإنسان كما يشير الخطاب القرآني البليغ "وأُخْرَى تحبونها نصرٌ من الله وفتحٌ قريبٌ وبشر المؤمنين الصف 13"، وكذلك الأنانية وحب المال "وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حُباً جما الفجر 19-20".

فيكشف لنا القرآن طبيعة النفس البشرية وكوامن الضعف فيها، ويُشير إلى هذا اللون من الحب المادي المتعلق بالشهوات في سياق إدانته لحالة الاستعباد والعبودية؛ حين يسمح الإنسان لذلك الضعف بدخله تجاه المادة أن يسيطر عليه، فتستعبده الشهوات وتتدنى به إلى مراتب لا تتفق مع ما يريده له الخالق أن يكون من سمو وارتقاء.

ولأن القرآن لا يطالب الإنسان بقمع هذه الميول فهو يذكرها كجزء من الطبيعة الإنسانية؛ وإنما يدين تلك السيطرة للميول والشهوات على الإنسان حتى تستعبده. فالخطاب القرآني ينتقد تفضيل هذا اللون من الحب المادي على من هو أجدر وأحق بالحب، ويراها انحرفاً عن الطريق الحقيقي للحب؛ فيستكره في غير إنكار للطبيعة الكامنة في أعماق النفس الإنسانية في الآية: "قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ" التوبة 24 "

وكأن القرآن يشير إلى حقيقة أن الحُبَّين لا يلتقيان بنفس الدرجة في قلب المؤمن؛ ويؤكد على حقيقة "والذين آمنوا أشدَّ حُباً لله" البقرة 165 "، لأن حبه تعالى هو الأسمى والأعلى ولذلك فهو الدافع للعمل والسمو والإرتقاء سلوكياً وروحياً وخُلُقياً؛ مصداقاً لقوله تعالى "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" آل عمران 31 " فمصداقية الحب مرآتها العمل والإخلاص في الطاعة.

والقرآن الكريم يؤكد على حب الله تعالى لعباده؛ وبالتالي فالحب متبادل بين الله وعباده "يحبهم ويحبونه" المائدة 54 " ليرتقي بالإنسان إلى أسمى مراتب الروحانية، وأرحب الآفاق في معاني الحب والعاطفة؛ وليرسخ لمعاني النبل والسمو في العلاقات العاطفية للإنسان، ويرتقي بالحب إلى ما يؤدي للنفع والخير على المستوى الفردي والاجتماعي، ويسمو بالإنسان إلى مراتب سامية في علاقته مع خالقه؛ فتبنى علاقته معه على الحب بدلاً من الخوف.

الحب في المفهوم الصوفي:-

ظل الحب في التراث الإسلامي لزمان طويل مقتصرًا على الرؤية الغزلية المتعلقة بالمرأة، وعلى الرغم من حضور عاطفة الحب العذري في "الأدب الجاهلي" الذي تجلت فيه معاني العفة والفضيلة والميل إلى الجمال؛ وكثيراً ما اقترن بالحنين والبكاء والهجر والوقوف على الأطلال.

إلا أن الحب ظل مفتقراً إلى معانٍ تسمو به إلى آفاق غُلِّيا، فكان من الطبيعي أن يكون للإسلام أثره في تجديد مفهوم الحب؛ بما يؤدي إلى تعميق هذه العاطفة والسمو بالإنسان بل وتجاوز المفاهيم السائدة، وفتح آفاق لعاطفة الإنسان تحقق إرتقاءه الروحاني من خلال "الحب الصوفي" الذي ظهر في بداية مرحلة التصوف، حيث انتقل من طور الخوف الممتزج بالحزن إلى طور أصبحت فيه العلاقة مع

الله في مرحلة الحب في منتصف القرن الثاني الهجري؛ حين أطلق ابراهيم بن أدهم "ت162 هـ" على المتصوفة "المحبين" أو "أهل المحبة".4

وإن كانت نغمة الحب الصوفي قد ظهرت بشكل واضح وجلي مع رابعة العدوية"185 م" فكانت رائدة الحب الصوفي؛ الذي تجلّى في نصوصها المفعمة بالعاطفة والروحانية، ووصلت إلى درجة استغراق الوجدان في هذه العاطفة حتى قالت:- "حُبِّي الله قد ملأ قلبي إلى حد لم يجعل ثمّة مكاناً لمحبة غيره أو كراهيته".5

وقراءة الحب الصوفي في تجربة رابعة خارج السياق الصوفي قد أفضت إلى قراءات اتسمت بالحسية والإتهامية؛ بعيدة عن طبيعة التصوف وأفقه ووصلت إلى تفسيرات أطلت على التجربة الروحانية من جانب مادي طبقي؛ أو حسي غريزي ارتبط بحرمان حين اعتبروا أن وراء الحب الإلهي لرابعة. تكمن شخصية مأساوية لعب فيها الفقر والحب المسحوق دورهما في نسج عاطفة الحب الإلهي، كتعويض عن الحرمان المادي.6

وما هذا الخطاب الوجداني المفعم بعمق العاطفة وشفافية الروحانية في قولها:-

أُحِبُّكَ حُبِّينِ حُبَّ الْهَوَىٰ ۖ وَحُبًّا لِأَنَّكَ أَهْلٌ لِّذَاكَ

فأما الذي هو حب الهوى ۖ فشغلي بذكرك عمن سواك

وأما الذي أنت أَهْلٌ لَهُ ۖ فكشفُكَ لِلْحُجُبِ حَتَّى أَرَكَ

فلا الحمدُ في ذا ولا ذاك لي ۖ ولكن لك الحمدُ في ذا وذاك7

إلا انعكاساً لتجربة تتجلّى فيها إرادة السمو والارتقاء لهذه الروح المنجذبة بمقتضى طبيعتها إلى الحضور الإلهي والمتطلعة إلى مواطن القُرب. حيث عبّرت تجربة رابعة عن حب تنزّه عن كل غرض، وتجرد عن حظوظ النفس، لأنه حب خالص لله ذاته، حب التعظيم والإجلال، لأنه حب خالص لله ذاته، حب التعظيم والإجلال، لم يرتبط بطمع في ثواب ولا جزاء، لأنه تخطى مقام الطلب ليستقر في مقام الشوق والحب المنفتح على أفق اللامتناهي للخالق المحبوب الذي تجاوزت رابعة بعاطفتها له كل معاني الخوف الذي كان يحكم العلاقة مع الله. فأسست رابعة العدوية من خلال تجربتها لخطاب الحب المترفع عن الطمع في الثواب، أو الخوف من العقاب، والذي كان باعته الحب المنبثق عن التوحيد الذوقي.

الفناء ثمرة التوحيد الصوفي "الذوقي": -

إن هذه العاطفة المتدفقة من خلال هذا اللون من الحب كانت بدايةً لطور جديد في الوعي الديني، أسست لتجربة عميقة في بعدها الروحاني، وتركت تراثاً معرفياً روحياً اتسم بخصوصيته التي ميزته عن غيره من التيارات الفكرية الأخرى.؛ خاصة مع القرنين الثالث والرابع الهجريين حيث بدأ التصوف يشكل حضوراً دينياً وثقافياً برزت فيه عاطفة الحب الصوفي لدى المحاسبي والخرازمي والجنيد والبسطامي والحلاج والشبلي.

فكانت تجربتهم الروحية في جوهرها بدايات تمثلت في "المقامات" التي تفضي إلى "الأحوال" وتنتهي إلى "فناء شهودي" يفضي إلى المشاهدة القلبية أو المعرفة الذوقية، ولأنها تجربة معاناة وطريق وسلوك ومعرفة كان لابد لها أن تكون حركة جهاد ومجاهدة من أجل الإرتقاء، باعثها الحب في سموه وروحانيته.

حيث تجلى في هذا الحب من خلال طريق روحي متطور تصاعدي، عكس توق الصوفي إلى المطلق واللا نهائي؛ وكان فيه الفناء في الحب أفقاً مفتوحاً للذات الإنسانية في معراجها الروحي، وهو في جوهره فناء في التوحيد "توحيد القلب والشهود"، يسميه الجنيد بتوحيد الخاصة وهو: معنى تضمحل فيه الرسوم وتندرج العلوم ويكون الله كما لم يزل. 8.

إن محور التوجه إلى الله تعالى هو "توحيد خالص" وجوهر التوحيد حب خالص؛ بتصفية القلب من الأنانية والمشاغل حتى يتحقق بالمعرفة بالله، ليصل من خلال هذا التسليم المطلق للإرادة الإلهية إلى فناء إرادته في إرادة المحبوب. بفناءه عن هوى نفسه وحظوظها بمُراد خالقه وحقوقه. 9 ومن خلال هذا الإذعان والتسليم المطلق ينكشف شمول القدرة والإرادة الإلهية للمحب، وتغيب عن شهوده الآثار الكونية، وتتوارى إرادته في إرادة الحق ليبقى بتوحيده له سبحانه.

فالفناء الصوفي والحب الصوفي وجهان لحقيقة واحدة، لأن الصوفي في حال فناءه مستغرق في حب الله؛ يكرس مجاهداته لأجل هذا الحب في حياته القائمة بهذا الحب؛ الذي نجده يتطور في اللحظة الصوفية عند البسطامي والشبلي والحلاج وابن عربي فيما بعد إلى حال للصوفي تغلب عليه، فيعبر عن محو لرسومه وفناء لهويته بهوية غيره وغيبته لآثاره بآثار غيره. 10 وذلك بانجذاب العارف كلية إلى الله فلا يعود يشهد غيره، ويفنى عما سوى الله إرادةً وشهوداً، فهو في هذه الحال كما يعبر البسطامي. أراد أن لا يريد. 11

ويمكن القول أنه حالٌ يعبر عن لون من ألوان التوحيد الروحي في مقابل التوحيد العقلاني التجريدي عند المتكلمين، تميز بكونه ثمرةً لإدراك وجداني ذوقي عكست غيبةً عن المحسوسات، هي في حقيقتها غيبة شهود وشعور، حيث يتصاعد الوجد لدى العارف فلا يشعر إلا بالله، ثملا يشهد سوى الله، ليصل عند ابن عربي إلى أنه لا موجود على الحقيقة إلا الله. ولهذا فهو في حال وجدته يبدو مستغرقاً في فناءه فلا يحسب لزمان، ولا يستشعر حدود مكان لأنه فني عن شعوره بذاته، وغلب عليه شهوده لمحبوبه. فلا حال للعارف لأنه مُحيت رسومه، وفنيت هويته بهوية غيره. 12 وفي حال صحوه يستشعر معاناته ليقينه بالاثنيينية واتساع المسافة ما بينه وبين محبوبة.

انعكست هذه المعاناة في مناجاة تجلت فيها حرارة العاطفة ووهج الشوق وعذاب اغتراب نلمسها لدى البسطامي في قوله: - "يارب إلى كم بيني وبينك هذه الأنانية؟ أسألك أن تمحو أنايتي عني حتى تكون أنايتي أنت فتبقى وحدك؟" 13 ، وفي مناجاة ابن الفارض: -

سقتني حُميا الحب راحة مقلتي ١ وكأس مُحيا من عن الحس جلت

فأوهمت صحتي أن أشرب شرابهم ١ به سر سرى في انتشائي بنظرة 14

وفي قوله أيضا: -

شربنا على ذكر الحبيب مُدامة ١ سكرنا بها من قبل أن يُخلق الكرم 15

ويلتقي ابن الفارض مع البسطامي في نفس السياق:

عجبتُ لمن يقول: ذكرتُ ربي ١ وهل أنسى فأذكر ما نسيت

شربتُ الحب كأساً بعد كأس ١ فما نفذ الشراب وما رويت 16

كما يلتقي مع السهروردي في ذات المعاناة:

أبدأ تحنُّ إليكم الأرواح ١ ووصالكم ريحانها والراح

وقلوب أهل ودادكم تشتاكم ١ وإلى لذيق وصالكم ترتاح 17

ففي مناجاة الوجد أو الفناء في الحب يحيلنا كلٌّ من البسطامي وابن الفارض والسهروردي على دلالات مكثفة تستمد معانيها من التقابلات المضادة والمنفتحة على العطش والإرتواء والخمرة

الإلهية لدى الصوفي الذي لا يرتوي ظمأه مهما شرب. فرحلة الحب الصوفي يهيمن عليها عنصر الظمأ الذي يستدعي الإرتواء ودلالة الشوق اللامنتهي، ومن هنا يجسد عنصري "الظمأ والإرتواء" معاناة المحب الصوفي في رحلته الروحية.

كما يحضر عنصر "الخمرة" لارتباطها بدلالات السكر والنشوة، وكذلك "الظمأ" الذي لا يعرف ري من خمرة الحب الإلهي في رحلة الصوفي الروحية؛ حيث يستشعر نشوة الفناء بغلبة نور الشهود، فيعكس خطاب المناجاة معان روحية للخمرة متجاوزة دلالاتها المادية بفعل تجربة الصوفي العرفانية، مكتسبة هذه معانيها الروحية من وهج مواجدهم وأحوالهم.

وفي لغة شاعرية تفصح عن توق إلى تجاوز الأنا الخاص، وفنائه في الله بأن يفنى عن نفسه فلا يكون ثمة إلا الله يقول ابن الفارض:-

وما بين شوق واشتياق فنيْتُ في ١ تولّ بحظر أو تجلّ بحضرة

ولما انقضى صحوي تقاضيتُ وصلها ١ ولم يغشني في بسطها قبضُ

وقلتي وحالي بالصباية شاهداً ١ ووجدي بها ماحي والفقد مثبتي 18

وفي ذات السياق يقول السهروردي:-

حضرُوا وقد غابت شواهد ذاتهم ١ فتهتكوا لما رأوه وصاحوا

أفناهم عنهم وقد كُشفت لهم ١ حُجب البقا فتلاشت الأرواح 19

فهنا تعكس الأبيات حالة عرفانية عبّرت عن علاقة الصوفي المحب بالله في ضوء مشاهداته ومعاناته الوجدانية التي تعكس توتراً في عمق الذات، وتوق وقلق وشوق للتحقق بالقرب، في لغة مكثفة بحرارة المعاناة ومعاني اللاوصول؛ يتكئ فيها الصوفي على تنوع الضمائر خاصة ذات الصيغة الذاتية مثل المتكلم (فنيْتُ، تقاضيتُ، ذكرْتُ، شربْتُ)، وبإزاء الخطاب (سقتني يغشني) فيتلون الضمير عند الصوفي من الغياب إلى الحضور، ومن الإثبات إلى المحو حاملاً دلالات البقاء والفناء، حين يصل في حال الفناء بغلبة الشوق للمحبوب إلى حال غلبة المشهود على الشاهد؛ وشعور غامر بأنه ماثمة إلا الله، وفي هذا الشعور بانعدام شعوره بالحجب المادية وذهاب الشعور بإنيته، ينتهي إلى الإستغراق في جمال الذات الإلهية.

ومن خلال تضمن النصوص لصيغة التقرير والطلب والإثبات والنفي نجدها قد عكست ثنائية البقاء والفناء والانفصال والاتصال، وكانت تكرار الضمير الذي يؤكد حضور الذات المقدسة باعتبارها مصدراً للعطف والجمال، فيبدو الصوفي المحب مفتقراً خاضعاً خضوع الحب والانقياد.

كما انطوت النصوص على الأفعال المفتحة على الزمن الماضي (فنييت، انقضى، شربنا حضروا...) والتي عكست دلالات الاستمرارية واستحضار ما هو غائب، محملة بمعاني الحضور والغياب والثنائية التي يعيشها الصوفي في تجربة الحب الصوفي بما فيها من انتشاء بالشهود وبسط وقبض، عكست سيورة التجربة الصوفية بتفردا وخصوصيتها.

وإذا كان الحب الإلهي هو الباعث في تدرج الصوفي في سُلّم معراجة الروحي من مقامات وأحوال، فقد ارتبط الحب ارتباطاً وثيقاً بالفناء الذي يتحقق من خلاله كمال حب الصوفي لخالقه. ذلك أن الصوفي المحب يرى الوجود إرادة وقدرة مطلقة تدبر كل شيء، ويتحقق له قربه الحقيقي مع الله من خلال الفناء الذي عبّريه الصوفية عن وحدة الشهود بفنائهم عن الصفات الذميمة، ثم بالفناء عما سوى الله والبقاء بالله وحده وهي لاتعني محواً للصفات البشرية؛ وإنما هي حالٌ يشهد فيها الصوفي وحدة التوحيد أو وحدة الألوهية من خلال عاطفة الحب.

فهو شهود القلب لحقائق التوحيد، وما يصل إليه الصوفي من مقام روحي ليس إلا لتحقيق العبودية لخالقه، من خلال وحدة شعورية ذوقية يسميها الصوفية "وحدة الشهود" أو "عين التوحيد" وهي في حقيقتها محو وإثبات. محو الهية ما سواه تعالى، وإثبات إلهيته سبحانه وحده. 20

ولأن الصوفية يحاولون التعبير عن تجربة ذات طبيعة ذاتية تصطبغ بمشاعر وجدانية، لذلك اعتمدوا على لغة العاطفة والحب لتمييزها بقدرتها على استيعاب المعاني بإحوائها وألوانها، خاصة وأن المعاني الصوفية ذات طبيعة وجدانية إيحائية متنوعة الدلالات. ومن هنا كان اعتماد الصوفية على الشعر للتعبير عن تجربة روحية تتجلى فيها عمق العاطفة، ومعاني الروحانية وحرارة الوجد، فجعلوا من الشعر كثافته الإيحائية مرآة معانيهم التي لا يمكن إدراكها إلا بالتماهي والمجاهدة.

أقسام الحب عند ابن عربي:-

يعرّف ابن عربي الحب بأنه: الميل إلى ما في إدراكه لذّة. 21 ويتناول ابن عربي الحب حسب درجاته:

-الحب الإلهي: هو حب العبد لله حيث يكون الحب للحق وحده، وحب الله للعبد "يحبهم ويحبونه" المائدة 54 "، وغايته: أن يشهد العبد المحب كونه مظهر الحق. 22 وهو حب لا يخالطها التغير أو التحول لأنه ثابت.

-الحب الروحاني: هو الحب النفسي، فيحب المحب محبوبه لنفسه بعيداً عن الشكل الخارجي وغايته: أنتصير ذات المحبوب عين ذات المحب، أو يتشبه بالمحبوب مع القيام بحق المحبوب ومعرفة قدره. 23 فالحب من أجل المحبوب يكون مع تحقق الإرادة، ولأنه حب لا يتعلق بالأجسام فهو لا يؤثر فيه الفراق لأنه حب معنوي لاحتسي.

-الحب الطبيعي: وهو الحب العام الذي يكون ظاهرياً حسيّاً، غايته: الإتحاد في الروح الحيواني، فتكون روح كل واحد منهما روحاً لصاحبه بطريق الإلتذاذ وإثارة الشهوة. 24 وهو حب قابل للتحوّلات والتغيرات.

ويقسم ابن عربي الحب بحسب مصادره إلى:

-محبة روحانية: ويصف ابن عربي أصحابها بأنهم: الكاملون في النفوس. 25 وتستند هذه المحبة إلى تقارب الأرواح وتتاسبها. فإذا تلاقوا تعارفوا وتحابوا لتجانسهم الأصلي. 26

-محبة قلبية: تعود هذه المحبة إلى تناسب الأخلاق والأوصاف. ونشأتها الأعمال الصالحة كمحبة الصلحاء والأبرار فيما بينهم. 27

-محبة عقلية: أصل هذه المحبة: تيسير المصالح الدنيوية وتسهيل أسباب المعاش، كمحبة التجار والصناع ومحبة المحسن إليه للمحسنين. 28

ومن خلال تقسيم ابن عربي للحب في مستوياته يتضح أنه يعلي من شأن الحب الإلهي فيجعله في الدرجة الأولى والمستوى الأرفع، لأنه يمثل لونا من السمو والارتقاء بالإنسان في درجات الروحانية والصفاء الداخلي. حين يتجه الإنسان إلى جلال الجمال المطلق الذي لا يتعلق به إلا العارفين المحبين الذين رقت قلوبهم وشفّت أرواحهم، فترفّعوا عن ما هو متغير وزائل، واتجهوا بأرواحهم إلى حقيقة علوية رأوا فيها معاني الرحمة والكمال والجمال، ووجدوا في تعلّقهم بها طمأنينة وأنسا.

وحدة الشهود.. مظهر الفناء في الحب عند ابن عربي:-

إذا كانت وحدة الشهود هي الوجه الآخر لقول ابن عربي بوحدة الوجود، فذلك لأن وحدة الوجود عنده لا تنفي الثنائية بين الله تعالى والعالم، فالحق الساري في العالم هو متعال عنه، ومتصف بالأزلية

والتنزيه والقدرة. ولذلك نجد "وحدة الوجود" عند ابن عربي تزخر بتعابير: أحدية الذات، والحق عين الموجودات، وكلمافي الوجود واحد. بالإضافة إلى الأسماء التي تتركز عليها نظريته مثل: الأحد والوحدة والوحدانية وغيرها وكلها تؤدي إلى معنى واحد عند ابن عربي وهو أنه ليس هناك وجود إلا الله تعالى. فتصبح كل الأشياء التي ندركها في العالم هي صور لوجود واحد، بما فيها الأنا البشرية التي ستكون كالعالم تجل من تجلياته. فوجود الكثرة في الأسماء، وهى بالنسب، وهى أمور عدمية، وليس إلا العين الذي هو الذات. 29 وما هذا السريان للحق في الوجود في نظراين عربي إلا سريان للحب، وما هذا التجلي إلا بفعل الحب .

ولذلك يمثل الفرع والأصل في فكر ابن عربي ثنائية واضحة أساسها وحدة الحب الظاهرة، فلا محبوب سوى الحق، وكل محبوب مجلى للمحبوب الأعظم. فالوارد لابد أن يكون فرعاً عن أصل، كما كانت المحبة الإلهية من نوافل العبد، وهذا أثر بين مؤثر ومؤثر فيه، كما أن الحق سمع العبد وبصره وقواه عن هذه المحبة. 30

فالحب نتيجة للعبادة وتأثير الحق ينشأ من حقيقة حبه للعبد. لأن محبته لك محبة الأصل لفرعه، ومحبته لك محبة الفرع لأصله. 31 إن الحب بحسب ابن عربي هو أحد أسس وحدة الوجود، وليس الوجود إلا نتيجة للحب ومرآة له باعتباره باعث الموجودات من الوجود الثابت أو العدم الوجودي في علم الخلق إلى الوجود الخارجي؛ الذي لا يكون إلا بعد الحب من طرف الخالق، وهو ما عبر عنه الحديث القدسي: "كنتُ كنزاً مخفياً فأحببتُ أن أعرف فخلقتُ الخلق لكي أعرف". 32

وهنا سيصبح الحب علة غائية لخلق العالم لأن الخالق يحب الظهور في صورة الوجود لحبه أن يعرف نفسه بنفسه في صوراً ومرايا الممكنات. وهنا تتجلى حقيقة حب الحق لذاته. ولأن المحبة لازمة للوحدة الحقيقية فبسران الوحدة في الوجود تسري المحبة فيه. 33 كما يتجلى الحب بحسب رؤية ابن عربي ك باعث للوجود وأساس الوحدة فيه، وما كانت الوحدة في الوجود إلا بالحب وبهذا يتداخل الوجود والحب والوحدة ويترابط كل منهما بالآخر في لوحة وجودية ينسج الحب ألوانها المفعمة بالتجدد والجمال، لأنها تعكس سريان الحقيقة وحضور الإرادة المطلقة عبر تجليات الحق المختلفة، فكان لابد لهذه اللوحة أن تكون لوحة التجدد المشرق بكل ألوان الجمال، والعطاء اللامحدود بكل معانيه .

الفناء في الحب عند ابن عربي.. من شهود الواحد إلى وجود الواحد:-

إذا كانت وحدة الوجود أساسها أنه "لاموجود" في الحقيقة إلا الله سبحانه، فإن وحدة الشهود أساسها "لامشهود" في الحقيقة إلا الله تعالى، وذلك باعتبارها أي وحدة الشهود تجربة فردية ذوقية شعورية من الإتصال الروحي بالله، وشهوده قلبياً في كل شيء. فهو في جوهره شهود محبة.

وأغلب نصوص الصوفية في الحب الصوفي تتجلى فيها هذه الحقيقة الروحية التي عبّر فيها الصوفي في حالات وجده عن حقيقة أنه لا يدرك ولا يشاهد في الوجود إلا الحق، لأنه وحده من يتجه إليه الصوفي المحب بقلبه وروحه فلا يشاهد سواه. فمن شهد الحق لم ير الخلق. 34 فقد عبّر الصوفية عن وحدة الشهود ذوقاً وليس برهاناً عكست تجربتهم الروحية التي حاولوا التعبير عنها، من خلال ما تركوه من تراث شعري ونثري زخر بالمعاني الروحانية في معراج الحب الصوفي.

ووحدة الوجود عند ابن عربي ناشئة عن وحدة الشهود، فقد كانت تطوراً من نفي شهود السوي إلى نفي وجود السوي. نابع من الشعور بأنه لا وجود حقيقي إلا لله مع تنزيهه تعالى عن الإتحاد وال حلول، فهي وحدة روحية ترتبط بالحب عبر الوجود الذي هو نتيجة للحب. فوحدة الشهود هي ثمرة الفناء في الحب حيث لا يشهد المحب إلا الله فيكون في رتبة الفناء عن شهود السوي. ويعرّف ابن عربي الفناء بأنه: عدم رؤية العبد لفعله بقيام الله بذلك. 35

وبالتالي يظل الحب أساساً في عملية الخلق، وحركة وجودية تحكم العلاقة بين الخالق والوجود، وبين الموجودات بعضها ببعض باعتبارها الحب. وبقدراً يرتقي الصوفي في لحظات سموه فتكون محبته متعلقة بالحق بقدر ما يتحقق بمواطن القرب "إذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به.. ويسمواً إلى مرتبة الفناء في معراج الروحي، وقد عبّر القشيري عن هذا الحال بقوله:- "إن العبد إذا تخلّق ثم تحقّق اضمحلت ذاته، وذهب تصفاته، وتخلّص من السوي، عندئذ تلوح له بروق الحق بالحق ويرى أنّ الله عين كلّ شئ ولا شئ سواه". 36 ويمكن القول أنّ وحدة الشهود ووحدة الوجود هما وجهان لحالة الفناء في الحب، وثمرته له يتجلى فيها التنزيه للحق والتوحيد له تعالى توحيداً ذوقياً.

فمن نفي شهود السوي "في حال الفناء" إلى نفي وجود السوي في وجود تجلّت فيه إرادة الواحد، فكان هذا الوجود من آثار حب الواحد ليُعرف ويُحب ويوحّد. إن تجربة الفناء تعكس علاقة محبة بين المخلوق والخالق تنطوي على معاني الخضوع والتسليم المطلق لله تعالى، ومن هنا يتحقق الفناء

بالإستغراق وعندما يكون الحق محبوبه فهو يفنى في حبه. فإذا تعلق بالله وكان الله محبوبه، يفنى في حبه للحق أشدّ من فناءه في حب أشكاله، وإذا كان الحق هو المحبوب فهو دائم المشاهدة. 37

ويشير ابن عربي إلى أنه عندما يكون الحق هو المحبوب يفنى المحب عن كل شيء، ويبقى به وحده فيكون فناؤه في حقيقته هو فناء عن الذات؛ وبقاءً بالحق في مقام الفناء حيث ينكشف له شمول قدرته تعالى وإرادته وفعله، فتضمحلّ الرسوم المادية في شهوده وتتوارى قدرته وإرادته وراء إرادة وقدرته خالقه. فإذا عظمت المعرفة بالله ذهبت آثار العبد وانمحت رسومه وامتحقت نفسه. 38 فيكون بمقدار ما يعرف من ربه إنكاره لنفسه؛ فالصوفي المحب في مقام الفناء موجود مفقود، فهو موجود بمقدار ما يستغرق في شهوده وفناءه في الحق ومفقود بمقدار ما يبقى في شعوره بإنيته.

ومن هنا كانت معاناة الحلاج في قوله:-

بيني وبينك إني ينازعني | فارفع بفضلك إني من البين 39

تعكس الهاجس التواصل المسيطر على الذات المحبة، هاجس المسافة والقرب مع المحبوب "القريب البعيد بلا مسافة" فتتوق للقرب منه من خلال عناء المجاهدة للذات الصوفية القلقة بين ثنائيات لانهائية من الفناء والبقاء والمحو والإثبات في سفر دائم في مسافات الشوق والتوتر من أجل الكمال.

وتعكس أبيات ابن عربي هذه المعاناة والتوق إلى الوصول مما يعني أن التجربة الذوقية في باطنها تموج بالتوتر المتلبس بالشوق في مدارج الوجد والشعور بالانتشاء بالشهود في قوله:-

تارة يدنيني من مواقف قربه فيؤنسني | وتارة يحتجب بحجاب عزته فيوحشني

وتارة يناجيني بمناجاة لطفه فيطربني | وتارة يواصلني بكاسات حبه فيسكرني 40

والصوفي مدركٌ لحقيقة عدم تحقق الوحدة الحقيقية، وأنها تبقى مجرد إحساس بها يملأ القلب لارتباطه بالواقع المادي والانية الإنسانية، ولذلك فهو يتطلع إلى رفع الأنية وليس الإثنية بين الإله والعبد، لأنه يقرّ بتلك المسافة الفاصلة بين الخالق والعبد. وأن الله تعالى ذاتٌ واحد، قائم بنفسه منفرد عن غيره بقدمه، متوحد عمن سواه بربوبيته لا يمازج شيء ولا يخالطه غيرٌ. 41

ومن هنا يظل الفناء حال حب ترتقي فيها الذات الإنسانية المحدودة دون أي فناء حقيقي لهذه الذات في الذات الإلهية المطلقة، فهي حال يتصاعد فيها الوجد عند الصوفي بتطور شعوره فلا يشعر إلا بالله ولا يشهد سواه، حيث غلبة شهود القلب بمحبوبه حتى يفنى به باستغراقه في فناءه، فيشده ذوقاً

بأنوار اليقين في قلبه في توحيد شهودي للقلب اصطلاح الصوفية على تسميته بـ "وحدة الشهود"، وقد عرّف الصوفية الشهود بأنه: الحضور والرؤية الحق بالحق. 42

حيث يرى العبد نفسه وجميع الموجودات قائمة بالحق؛ فلا يشهد في وحدة شهوده غير ذات واحدة فنيت فيها كل الذوات هي ذات الله، وإن كان العشاق قد فنوا في عشقهم. غير أن المحبين مختلفون لكونهم تعشّقوا بكون وإنا تعشّقنا بعين، فإن الله ماهيم هؤلاء ولا ابتلاهم بحب أمثالهم إلا ليقم بهم الحجج على من ادعى محبته ولم يهيم في حبه هيمان، فأحرى من يزعم أنه يحب من هو سمعه وبصره ومن يتقرب أكثر من تقربه ضعفاً. 43

ومن خلال وحدة الشهود يتجلى تطور مفهوم التوحيد من المستوى العقائدي إلى المستوى الوجداني، فيصبح التوحيد بلونه الصوفي ثمرة إدراك وجداني ذوقي يفضي بالصوفي إلى ترك إرادته لإرادة محبوبة، من خلال رحلة معراجة الروحي بتوقها ومدها وجزرها لترسو بالمحب في ميناء التسليم الكامل، كثمرة للحب لتلك الذات الصوفية المسكونة بالشوق إلى المطلق واكتشاف اللامتناهي، لكنها سواء كانت في مقام الفناء "المحو" أو مقام "البقاء" الإثبات، فإنها تظل مخصصة لمحبوبتها "الحقيقة الإلهية" نتيجة للحب ووفاء لميثاق الحب بحسب القراءة الصوفية للآية "وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة أتنا كنا عن هذا غافلين\ الأعراف 172 .

مدارج الفناء في الحب عند ابن عربي:-

- فناء الإرادة: بأن لا يريد ولا يحب إلا ما يوافق إرادة الخالق. 44 أي الفناء عن الأفعال أو عن إرادة السوي.

- الفناء عن شهود السوي: وهو فناء عن شهود الخلق بشهود الحق. 45 أي بالفناء عن رؤية الأغيار فغاية الصوفي فنائه عن شهودهم وحبيهم.

- الفناء عن وجود السوي: بفناء الصوفي عن شهود فنائه بغلبة شهود القلب. 46

ويأتي تقسيم ابن عربي للفناء عبر هذه المدارج التي يرتقي فيها الصوفي والتي يصعب اختزالها في محطات محددة لأنها في حقيقتها سفر في معان يتحقق بها الصوفي في مستويات التطهير الروحي والتحقق بالقرب في وحدة شهود، في جوهره هو قرب معرفة ومحبة، من خلال سفر متحرر من حدود

الزمن، لينفتح على زمن الذات المتعالي، هو زمن اللحظة الصوفية المكثفة الحضور، يصفها الطوسي بأنها "الوقت المسرمد"، لأن الحال الذي بينه وبين الله لا يتغير في جميع أوقاته. "47 فهي لحظة التحقق بالمعية مع الله في عمقها الشعوري.

وباعتبار الفناء حالة ذوقية تتجلى فيها عاطفة الصوفي في أسمى معانيها؛ ترتبط عند ابن عربي بوحدة الوجود من جانبها النظري، كما ترتبط بوحدة الشهود من جانبها العملي. وبهذا كان حال الفناء حالة روحانية بسموها وتجلياتها؛ وفي إطارها الفكري الفلسفي انطلقت من أساس بأنه لا وجود حقيقي إلا لله، جوهره توحيد قلبي شهودي، وباعثه الحب وثمرته التسليم للحق.

فتجلت في تجربة الحب الصوفي قيمة الحب الذي كان موضوعاً وغاية، كرس في بعده الوجداني والإنساني للإنفتاح والتسامح والحوار الإنساني. كما تجلت قيمة الإنسان في حرص الصوفي على السمو والارتقاء في مراتب الروحانية ومستويات الحب.

وحدة الأديان عند ابن عربي:-

ينتهي ابن عربي إلى ما انتهى إليه الحلاج وعمرين الفارض وجلال الدين الرومي في تجربة الحب الصوفي، بالقول بوحدة الأديان واعتبار الديانات السماوية والقرآن والإنجيل والتوراة تتبع من معين مشترك، لأنها تنشأ عبادة الذات الإلهية، ولذلك فهي متفقة في جوهرها مادام باعثها جميعها الحب لله تعالى.

فالحب الذي تنأسس عليه علاقة العبد بخالقه هو نفسه الذي يجمع بين البشر، وهو أيضاً باعث الموجودات التي لم تكن إلا بعد الحب من جهة الخالق، وبالتالي كان الحب أساس الوحدة في الوجود.

ويسمو ابن عربي في مراتب الحب والكمال حتى أصبح قلبه متسعاً لكل صورة

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة \ فمرعى لغزلان ودير لراهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف \ وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أتى توجهت \ ركائبه فالحب ديني وإيماني 48

فإذا كان المعبود في كل زمان، وكل حال هو الواحد سبحانه فما إخلاص التوجه القلبي إليه بأية كيفية ولغة إلا رباط توحيد معه، وحب له يتجاوز جميع الاختلافات الثقافية والفكرية بين الناس ليجمعهم برباط الحب.

وبالعودة إلى الخطاب القرآني نجد تأكيداً على حقيقة وحدة الرسالات السماوية في مصدرها، وأنما جاء به الأنبياء هو حقيقة واحدة واعترافاً بالنبوات السابقة. "قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفْرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ." آل عمران 84

ولأن ابن عربي يرى في الموجودات مظهراً للحق ومجلى لإرادته وجماله، فهو يرفض التكفير حتى لمن يتجه لمعبودات أخرى تختلف عن معبوده. فهم سموه إلهاً مع اسمه الخاص حجراً وشجراً وحيواناً أو إنساناً أو كوكباً، فهذا اسم الشخص فيه والألوهية مرتبة تخيل العابد له أنها مرتبة معبودة، وهي على الحقيقة مجلى الحق لبصر هذا العابد المعتكف على هذا المعبود في هذا المجلى المختص. 49 فكل من يعتقد بعقيدة دينية أو وثنية بحسب نظرية ابن عربي في دين الحب أو وحدة الأديان، إنما هو يعبد الله في الحقيقة لأن هذه المعبودات هي مظاهر يتجلّى فيها الحق في نظر من يعبدونها، فهم يعبدون الله بحسب تصورهم وإدراكهم له في هذه الموجودات التي يعبدونها.

وفي قراءة ابن عربي للتثليث المسيحي يروم من خلالها إلى إرجاعها لأصل التوحيد للحق تعالى، ليؤكد على حقائق التوحيد في أصل العقيدة. في قوله: -"العدد لا يولد لكثرة في العين كما تقول النصراني في الأفانيم الثلاثة، ثم تقول الإله واحد، كما تقول باسم الرب والإبن والروح القدس، إله واحد، وفي شرعنا المنزل علينا بقوله تعالى: "قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَدْعُوا الرِّحْمَانَ أَيَا مَا تَدْعُوا" الإسراء 110 " فوجدناه يدور على ثلاثة أسماء إليها تضاف القصص والأمور المذكورة بعدها، وهي الله والرب والرحمن، والمعلوم أن المراد إله واحد، وباقي الأسماء أجريت مجرى النعوت لهذه الأسماء ولا سيما اسم الله." 50

وبهذا يؤسس ابن عربي لنظريته في وحدة الأديان منطلقاً من قاعدة التوحيد وأصل الحب ويؤصل لنظريته استناداً على القرآن الكريم "والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله" البقرة 285 "، معتبراً أن الإسلام يكمل بل ويتضمن النصرانية واليهودية في بعدها التوحيدي العقائدي. ومن هنا ينطلق إلى الجانب الفقهي ليفتي بجواز إخراج زكاة الفطر عن اليهودي والنصراني، ويعتبر أن: نية الخير في العمل فيمن ليس من جنسك يعود فضله عليك، وأنا مؤمن بما هو

اليهودي والنصراني به مؤمن مما هو حق في دينه، وفي كتابه من حيث إيماني بكتابي، فإن كتابي يتضمن كتابه، وديني يتضمن دينه، فدينه وكتابه مندرج في كتابي وديني. 51

وابن عربي إنطلاقاً من نظريته يرى في الدين دينان، دينٌ عند الخلق وهو ما جاء بالشرع والأحكام واعتقد به الناس؛ وهويدين بالإله الذي تصوره الناس في معتقداتهم في مختلف أنواع الصور، فكل هذه الأديان هي من خلق الإنسان الذي يجد فيها سعادته. أما الدين عند الله: فهو الذي اصطفاه الله وأعطاه الرتبة العليا على دين الخلق. 52 حيث الإله معبود مطلق، لا تحده صورة ولا عقل يقيده، وبالتالي فهو دين "وحدة الوجود". فالمحبوب على الحقيقة في كل ما يُحب، والمعبود على الحقيقة في كل ما يُعبد. 53 فالدين كله واحد جوهره التوحيد، فمن النور والظلمة، ثم من التثليث والتعدد، ومن التنزيه والتشبيه، وعبادة الأصنام والأوثان والشمس والعجل الذي عبده بنو إسرائيل، فكلها مجلى لحقيقة واحدة هي الله في نظر ابن عربي فيقول:-

عقد الخلائق في الإله عقائد \ وأنا أعتقد جميع ما اعتقدوه. 54

ويرى بأننا ينبغي ألا نكفر بما يختلف عنا من أديان، فيحذر أتباعه قائلاً:- "إياك أن تتقيد بعقل مخصوص، وتكفر بما سواه، فيفوتك خير كثير، بل يفوتك العلم بالأمر علما هو عليه، فكن في نفسك القابل لصور المعتقدات كلها، فإن الله أوسع وأعظم من أن يحصره عقد دون عقد، فالكلم صيب، وكل مصيب مأجور، وكل مأجور سعيد، وكل سعيد مرضي عنه." 55

فينطلق ابن عربي من نظريته في وحدة الوجود المتأسسة على أنه لا وجود إلا لله، ليؤكد على أن الدين كلٌّ مشترك، مادام الدين كله لله فالأديان في حقيقتها تربطها وحدة التوجه إلى حقيقة واحدة لا اختلاف فيها.

ومن منطلق مذهبه في وحدة الأديان ينفي وقوع العذاب على البشر يوم القيامة في قوله:-

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده \ ومالو عيد الحق عين تُعائِن

وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم \ على لذة فيها نعيمٌ مباينٌ

نعيم جنان الخلد فالأمر واحد \ وبينهما عند التجلي تباينٌ

يُسمى عذاباً من عذوبة طعمه \ وذاك له كالقشر والقشراصن. 56

وذلك لأنهم كلهم لم يعبدوا إلا الله من حيث أدركوه وتصوروه، واتجهوا إلى حقيقة واحدة . فالذين قالوا أن الله ثالث ثلاثة معذرون ، فلما بلغهم كلامك حملوه على مظهر لهم من كلامك، فلا تلمهم على ذلك لأنهم فيه على ما علموا من كلامك؛ فكان شركهم عين التوحيد، فهم كمثّل المجتهد الذي اجتهد وأخطأ فله أجرة الاجتهاد. 57 وإن أدخلوا جهنم في رأي ابن عربي ستكون لهم نعيماً. فقد حقّت الكلمة أنهم عماد تلك الدار "جهنم" فجعل الحكم للرحمة التي وسعت كل شيء، فأعطاهم في جهنم نعم المحرور والمقرور، فتبقى جهنم على صورتها ذات حرور ومهرير، ويبقى أهلها متنعمين فيها بحرورها وزمهريرها. 58 فما دام الكل يعبد حقيقة واحدة فمن هنا يكون الجزاء هو النعيم سواء في الجنة أو النار .

الخلاصة:-

من خلال تجربة الصوفية بما تنطوي عليه من روحانية، نصل إلى حقيقة أن محور التوجه إلى الله تعالى هو "توحيد خالص" بتصفية القلب من نوازع الأنانية، ليصل إلى التسليم المطلق للإرادة الإلهية، عبر مقامات تعكس توق الصوفي إلى المطلق واللا نهائي، فيكسر حياته لإرضاء الله تعالى والتقرب إليه.

ويمكن القول أن نظرية وحدة الأديان عند ابن عربي التي تتأسس في جوهرها على التوحيد، ولهذا فدين الحب عنده هو دين الفطرة حيث يتجه الإنسان بقلبه إلى عبادة الله. لأن الحق يتجلى في موجوداته، كما أن البشر يتجهون إليه بفطرتهم في معتقداتهم وإن اختلفت لكنها تنتهي إلى حقيقة واحدة. فمادام الكل يعبدون الإله الواحد المتجلي في صورهم وفي صور جميع المعبودات، إذن فلا معبود في الحقيقة إلا الله.

فوحدة الأديان تنبثق من وحدة الحب ووحدة الحقيقة وبالتالي من نظريته في "وحدة الوجود" التي ينطلق منها وينتهي إليها، فينتقل من مقام إلى آخر في حركة إنسيابية تتماهى مع إنسيابية حركية الوجود المبتدئ بالحب والمنتهي إليه، ليعكس علاقة الوجود بالحب وتلازمهما الذاتي، كما يعكس توق العبد المحب للمعبود لا من أجل الذوبان والاتحاد به وإنما من أجل معرفته وإخلاص الطاعة والمحبة له.

المصادر:-

- 1-القشيري، الرسالة القشيرية، مطبعة الحلبي، القاهرة، ج 1، 1959، م، ص 135
- 2-الزبيدي، تاج العروس، بيروت، ج 2، د.ت، ص 214
- 3-الغزالي، إحياء علوم الدين، دارالمعرفة، بيروت، ج 1، د.ت، 1987 م
- 4-مصطفى كامل الشيبلي، الصلة بين التصوف والتشيع، دارالأندلس، بيروت، ج 1، 1982، م، ص 318
- 5-عبدالرحمن بدوي، رابعة شهيدة العشق الإلهي، وكالة المطبوعات، الكويت، 1978، م، ص 126
- 6-حسين مروءة، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، دارالفارابي، بيروت، ج 2، ص 182
- 7-المكي، قوت القلوب، دارصادر، بيروت، 2004، م، ص 114
- 8-الجنيد، رسائل الجنيد، بابالتوحيد، تحقيق: أحمد الزبيدي، دارالكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2006، م، ص 252
- 9-الجنيد، المصدر السابق، باب التوحيد، ص 207
- 10-البسطامي، المجموعة الصوفية الكاملة، تحقيق: قاسم عباس، دارالمدى، دمشق، 2004، م، ص 79
- 11-البسطامي، المصدر السابق، ص 106
- 12-البسطامي، المصدر السابق، ص 285
- 13-البسطامي، المصدر السابق، ص 54
- 14-عمر بن الفارض، ديوان ابن الفارض، داربيروت للطباعة والنشر، 1983، م، ص 64
- 15-عمر بن الفارض، المصدر السابق، ص 93
- 16-البسطامي، المصدر السابق، ص 116
- 17-السهروردي، ديوان السهروردي، تقديم: مصطفى كامل الشيبلي، المكتبة العصرية، بغداد، 2004 م، ص 78
- 18-عمر بن الفارض، المصدر السابق، ص 65
- 19-السهروردي، المصدر السابق، ص 94
- 20-ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، تحقيق: محمد الفقي، دارالكتاب العربي، بيروت، ج 1، د.ت، ص 193
- 21-ابن عربي، الفتوحات المكية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ج 1، 2006، م، ص 233
- 22-ابن عربي، المصدر السابق، ج 2، ص 108
- 23-ابن عربي، المصدر السابق، ج 1، ص 327
- 24-ابن عربي، المصدر السابق، ج 2، ص 109

- 25- ابن عربي، المصدر السابق، ج 1، ص 339
- 26- ابن عربي، المصدر السابق، ج 1، ص 339
- 27- ابن عربي، المصدر السابق، ج 1، ص 340
- 28- ابن عربي، المصدر السابق، ج 1، ص 341
- 29- ابن عربي، فصوص الحكم، دار الكتاب العربي، بيروت، 1980 م، ص 76
- 30- ابن عربي، المرجع السابق، ص 182
- 31- ابن عربي، رسائل ابن عربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ص 498
- 32- أبو بكر السيوطي، الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة، دار الفكر، بيروت، 1995 م، ص 257
- 33- ابن عربي، فصوص الحكم، ص 582
- 34- الجنيد، المصدر السابق، كتاب الفناء، ص 328
- 35- ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 1، ص 320
- 36- القشيري، المصدر السابق، ج 1، ص 179
- 37- ابن عربي، المصدر السابق، ج 1، ص 319
- 38- الجنيد، المصدر السابق، باب التوحيد، ص 252
- 39- الحلاج، ديوان الحلاج، تحقيق: مصطفى الشبيبي، منشورات الجمل، بغداد، ط 3، 2007 م، ص 365
- 40- ابن عربي، الفتوحات المكية، ص 321
- 41- الحلاج، أخبار الحلاج والطواسين ومجموعة من شعره، تقديم: عبد الحفيظ مدني، مكتبة الجندي، القاهرة، ط 2، 1970 م، ص 47
- 42- الجنيد، المصدر السابق، كتاب الفناء، ص 326
- 43- ابن عربي، المصدر السابق، ج 2، ص 327
- 44- ابن عربي، المصدر السابق، ج 2، ص 328
- 45- ابن عربي، المصدر السابق والصفحة.
- 46- ابن عربي، المصدر السابق، ج 2، ص 329
- 47- الطوسي، اللمع، تحقيق: عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1960 م، ص 357
- 48- ابن عربي، فصوص الحكم، ص 113
- 49- ابن عربي، رسائل ابن عربي، ص 3

50- ابن عربي، الذخائر والأعلاق في شرح ترجمان الأشواق ، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، 1312، ص 53

51- ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 1، ص 689

52- ابن عربي، فصوص الحكم، ج 1، ص 94

53- ابن عربي، المصدر السابق، ج 1، ص 192

54- ابن عربي، المصدر السابق، ج 2، ص 289

55- ابن عربي، المصدر السابق، ج 2، ص 113

56- ابن عربي، المصدر السابق، ج 2، ص 94

57- ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 1، ص 208

58- ابن عربي، المصدر السابق، ج 1، ص 256